العدد الخامس والثلاثون - السنة الثامنة عشرة - جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ / الموافق: يناير (كانون الثاني) ٢٠٢٣م

مجلة
معهد الإمام الشاطبي
للدراسات القرآنية

مجلة علمية محكمة تعنى بنشر الأبحاث والأعمال العلمية المتصلة بالقرآن وعلومه تصدر مرتين سنويًا

موضوعات العدد

اختيارات الإمام محمد بن عيسى الأصبهاني (ت:٢٥٣هـ) من خلال كتاب الكامل في القراءات الخمسين للهذلي (٤٦٥هـ) : جمعا ودراسة
د. نورة بنت علي الهلال

مصطلح القراء قديما وحديثا : دراسة تحليلية
د. فيصل بن جميل غزاوي

أسماء الله المضافة المبدوءة بخير في القرآن الكريم: جمعا ودراسة تفسيرية
د. نايف بن يوسف العتيبي

التفسير الدعوي للقرآن الكريم: دراسة تأصيلية
د. محمد بن فهد الحربي

الإعجاز القرآني في مقدمات كتب التفسير
د. حمدان بن حميد السلمي

العدد الحِمصي : دراسة استقرائية تحليلية
د. صالح بن أحمد العماري

جماليات التَّناسب في سورة الفاتحة (المقصد المحوري مثالاً)
د. مريم بنت عبد الهادي القحطاني

مادة (حسِب) في القرآن الكريم: دراسة دلالية
د. عبد العزيز بن عمر عماري

قرينة المعنى المعجمي وأثرها في توجيه الإعراب عند السمين الحلبي نماذج من سورة البقرة: دراسة نظرية تطبيقية
د. إبراهيم بن حسين صنبع

"اللَّمْعَةُ السَّنِيَّة في تَحْقِيق الإلقَاء في الأَمْنِيَّة"
تأليف: إبراهيم بن حَسَن الكوراني (ت:١١٠١هـ)، دراسة وتحقيق
د. أحمد بن عبد العزيز القُصيِّر

تصدر عن مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي
ردمد: ١٦٥٨-٢٥١٩

مجلة علمية محكمة تعنى بنشر الأبحاث والأعمال العلمية المتصلة بالقرآن وعلومه

تصدر مرتين سنويا

عن مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي

العدد الخامس والثلاثون (السنة الثامنة عشرة)

جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ / الموافق: يناير (كانون الثاني) ٢٠٢٣ م

المشرف العام

أ.د. نوح بن يحيى الشهري

المشرف العام على معهد الإمام الشاطبي

رئيس التحرير

أ.د. سليمان بن إبراهيم العايد

الأستاذ بجامعة أم القرى

ورئيس المجلس العلمي بالمعهد

هيئة التحرير

أ.د. سالم بن غرم الله الزهراني

الأستاذ بقسم القراءات في كلية الدعوة وأصول الدين

بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي

الأستاذ بقسم التفسير في كلية القرآن الكريم

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د. مساعد بن سليمان الطيار

الأستاذ بقسم الدراسات القرآنية في كلية التربية

بجامعة الملك سعود بالرياض

أ.د. ياسر بن محمد بابطين

الأستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب

والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

مدير التحرير

د. خالد بن يوسف الواصل

رئيس وحدة الدراسات

بمركز الدراسات والمعلومات القرآنية

سكرتير التحرير

أ. محمد بن إبراهيم الحمودي

منسق مركز الدراسات القرآنية

الهيئة الاستشارية

تتألف الهيئة الاستشارية بالمجلة من نخبة من أهل العلم ، ممن لهم اعتناء بالدراسات القرآنية وأهداف المجلة، وهم :

أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسريّ

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة (السعودية)

أ.د. إبراهيم بن سليمان الهويمل

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة سابقا (السعودية)

أ.د. أحمد عيسى المعصراوي

شيخ عموم المقارئ المصرية سابقًا (مصر)

أ.د. أحمد خالد شكري

الجامعة الأردنية (الأردن)

أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين

الجامعة الإسلامية (السعودية)

أ.د. الشاهد بن محمّد البوشيخي

الأمين العام لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) (المغرب)

أ.د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري

جامعة الملك سعود (السعودية)

أ.د. عبد الهادي بن عبد الله حميتو

أستاذ التعليم العالي (المغرب)

أ.د. علي بن إبراهيم الزهراني

الجامعة الإسلامية (السعودية)

أ.د. علي بن سليمان العبيد

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة سابقا (السعودية)

أ.د. علي بن عبد الله الصياح

جامعة الملك سعود (السعودية)

أ.د. عمر يوسف حمدان

جامعة توبنگن (ألمانيا)

أ.د. غانم قدوري الحمد

جامعة تكريت (العراق)

أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي

جامعة الملك سعود (السعودية)

أ.د. محمّد بن سيدي بن محمّد الأمين

الجامعة الإسلامية (السعودية)

أ.د. محمد محمد أبو موسى

جامعة الأزهر (مصر)

معهد الإمام الشاطبي
للقرآن وعلومه

الرؤية:

قيادة الابتكار في التأهيل والتطوير المتخصص في تعليم القرآن الكريم وعلومه.

الرسالة:

تقديم برامج ومنتجات مبتكرة في تعليم القرآن الكريم وعلومه ذات أثر نوعي مستدام تواكب الاحتياجات المعاصرة وتحقق مكانة علمية متميزة

الأهداف الاستراتيجية:

١- الإسهام في تأهيل الكوادر الوطنية المتخصصة في مجال تعليم القرآن الكريم وعلومه.

٢- إبراز مكانة علمية متميزة للمعهد وطلابه ومخرجاته.

٣- تطوير البرامج والمنتجات التعليمية القرآنية.

٤- تطوير التقنية والابتكار في تعليم القرآن الكريم وعلومه.

٥- استقطاب وتمكين كفاءات متخصصة في مجالات عمل المعهد.

٦- تعزيز البنية المؤسسية المتوافقة مع معايير الجودة والتميز.

٧- بناء منظومة متكاملة للاستدامة المالية.

أقسام المعهد:

أولاً: قسم التعليم والتدريب

قسمٌ متخصصٌ بمهام الشؤون التعليمية والتدريبية بالمعهد المتمثلة في البرامج الأكاديمية، كالدبلومات، والبرامج التأهيلية، وبرامج الإقراء المختلفة. ويضم: (وحدة الإقراء – وحدة التعليم – وحدة التدريب).

ويقدم القسم برامجه عن طريق التعليم النظامي، والتعليم عن بعد، والإقراء في المساجد.

كما يقدم القسم برامجه عبر الانترنت لآلاف المستفيدين في أكثر من ٦٠ دولة حول العالم.

وكذلك يهتم بتقديم برامج التدريب للأفراد والمؤسسات في مجال تطوير تعليم القرآن الكريم، وتأهيل القائمين على تعليمه إدارياً وتربوياً ومهارياً، من خلال برامج تدريبية مختلفة.

ثانياً: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية

مركزٌ بحثي متخصص في إجراء الدراسات والأبحاث النظرية والتطبيقية التي تسهم في تطوير مجال تعليم القرآن الكريم وعلومه. ويضم: (وحدة الدراسات والمعلومات – وحدة تطوير المناهج).

ثالثاً: قسم التقنية والابتكار

قسمٌ يهتم بتنفيذ وتطوير وابتكار المنتجات الرقمية في مجال تعليم القرآن الكريم، لا سيما ما يتعلق بمنتجات المعهد وأنشطته الداخلية أو الخارجية. ويضم: (وحدة تقنية المعلومات – وحدة الابتكار).

رابعاً: قسم الاتصال والاستدامة المالية

قسمٌ يقوم على تنفيذ المهام المتعلقة بالعلاقات العامة والإعلام، وبناء العلاقات والشراكات التعليمية والتدريبية والاستثمارية مع المؤسسات المختلفة والأفراد، وتطويرها. كما يهتم بتنمية الموارد المالية للمعهد، واستثمار أصول المعهد ومنتجاته المختلفة، والعمل على بناء أوقاف جديدة وتطوير موارد ثابتة، بهدف استدامة برامج المعهد. ويضم: (وحدة تنمية الموارد المالية - وحدة الأوقاف والاستثمار-وحدة الاتصال المؤسسي).

خامساً: قسم الدعم المؤسسي

قسمٌ يقوم بمتابعة وتنفيذ المهام المتعلقة بالشؤون الإدارية والقانونية والموارد البشرية والمالية والخدمات المساندة للأقسام المختلفة. ويضم: (وحدة الموارد البشرية – وحدة الخدمات المساندة – وحدة الشؤون القانونية).

سادساً: قسم التعليم والتدريب النسائي

قسمٌ يقوم على التخطيط والإشراف على سير عمل المشاريع والبرامج التعليمية والإدارية في القسم النسائي، والتي تشمل برامج الدبلومات التعليمية المختلفة والإقراء والتدريب. ويضم: (وحدة الإقراء – وحدة التعليم – وحدة التدريب).

مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية

دورية علمية محكمة تعنى بنشر الأبحاث والأعمال العلمية المتصلة بالقرآن وعلومه، تصدر مرتين سنويا عن مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي

الرؤية:

أن تكون المجلة رائدة في نشر الأبحاث والدراسات القرآنية المحكمة، ومصنفة ضمن قواعد البيانات العالمية في نشر البحوث العلمية المحكمة (ISI).

الرسالة:

نشر الأبحاث العلمية المحكمة في الدراسات القرآنية والأعمال العلمية المتصلة بذلك وفق معايير النشر العالمية.

أهداف المجلة:

١- إثراء البحث العلمي المتصل بالقرآن وعلومه بنشر البحوث والدراسات المتميزة التي يتحقق فيها شروط البحث العلمي.

٢- إحياء النصوص التراثية القيمة المتصلة بعلوم القرآن.

٣- إيجاد وعاء علمي متخصص يكون مرجعا للباحثين في الدراسات القرآنية والأعمال المتصلة بذلك.

مجالات النشر في المجلة:

١- البحوث والدراسات العلمية المتصلة بالقرآن وعلومه، التي تنطبق عليها ضوابط النشر بالمجلة.

٢- دراسة وتحقيق المخطوطات التراثية المتصلة بالدراسات القرآنية ذات القيمة العلمية.

٣- الفهارس والكشافات المتخصصة في مجال الدراسات القرآنية.

٤- مراجعات وعروض الكتب الجديدة المتصلة بالدراسات القرآنية.

٥- تقارير المؤتمرات والندوات العلمية المتصلة بالدراسات القرآنية.

ضوابط النشر في المجلة:

ترحب المجلة بنشر الأبحاث والدراسات العلمية المتصلة بالقرآن وعلومه التي تتحقق فيها الضوابط الآتية:

١- ألا يكون البحث جزءاً من عملٍ علمي أو رسالة (ماجستير) أو(دكتوراه) نال بها الباحث درجة علمية.

٢- ألا يكون البحث منشوراً، أو مقبولاً للنشر في وعاءٍ آخر، أو مقدماً للنشر في جهة أخرى خلال فترة تقديمه للنشر في المجلة، ويعد إرساله للنشر عبر موقع المجلة تعهداً بذلك.

٣- أن يمتاز البحث بالجدة والإضافة العلمية، والأصالة وسلامة المنهج.

٤- أن يكون البحث سالماً من الأخطاء اللغوية والنحوية والطباعية مع الاهتمام بعلامات الترقيم.

٥- ألا تزيد صفحات البحث عن (٤٠) صفحة بمقاس(A4) متضمنةً الملخص العربي، والمراجع.

٦- أن يتضمن البحث العناصر التالية: الملخص العربي، المقدمة، صلب البحث، الخاتمة، فهرس المراجع، فهرس الموضوعات.

٧- أن تتضمن مقدمة البحث العناصر الآتية: موضوع البحث، أهمية البحث، أهداف البحث، الدراسات السابقة (إن وجدت)، منهج البحث، خطة البحث ، إجراءات البحث.

٨- أن يرفق الباحث ملخصاً للبحث ، يتضمن العناصر التالية: (موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه، وأهم النتائج، وأهم التوصيات) تحرر بعبارات قصيرة في فقرات مدمجة بما لا يزيد عن (٢٠٠) كلمة.

٩- أن يرفق الباحث ترجمة باللغة الإنجليزية لملخص البحث، وذلك بعد إجازة البحث للنشر.

١٠- أن يتبع الباحث المستخلص بالكلمات الدالة (المفتاحية) المعبرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا الرئيسة التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (٦) كلمات.

١١- أن يرفق الباحث سيرة ذاتية مختصرة له تتضمن : (اسمه ، ودرجته العلمية ، والجهة التي يعمل فيها ، وأبرز أعماله العلمية ، وبريده الالكتروني).

١٢- أن يتم إرسال البحث عبر البريد الإلكتروني للمجلة مطبوعاً وفق برنامج وورد XP أو ما يماثله، بخط Traditional Arabic حجم (١٧) المتن و(١٣) للحواشي.

١٣- توضع حواشي كل صفحة في أسفلها بترقيمٍ مستقلٍ عن غيرها.

١٤- التوثيق في الحاشية السفلية يكون على النحو الآتي: (عنوان الكتاب، والجزء/ورقم الصفحة) مثال: الإتقان في علوم القرآن، (٣/١٨٤).

أما الآية القرآنية: فيشار إليها في المتن فقط بين معقوفين باسم السورة يتبعه نقطتان: ثم رقم الآية، مثال: [يونس:٨٧].

١٥- توضع قائمة المصادر والمراجع في آخر البحث مع ترتيبها هجائياً بحسب العنوان وتمييز العناوين بخطٍ غامق مع استيفاء بيانات النشر على النحو الآتي:

إذا كان المرجع كتاباً : عنوان الكتاب، ثم اسم المؤلف، ثم اسم المحقق (إن وجد)، ثم دار النشر، ثم مكان النشر، ثم رقم الطبعة، ثم سنة النشر.

وإذا كان المرجع رسالة جامعية لم تطبع: عنوان الرسالة، ثم اسم الباحث، ثم الدرجة العلمية التي تقدم لها الباحث بالرسالة (ماجستير/ دكتوراه)، ثم اسم الكلية، ثم اسم الجامعة، ثم السنة.

وإذا كان المرجع مقالاً أو بحثاً في دورية: عنوان المقال ، ثم اسم الكاتب أو الباحث، ثم اسم الدورية، ثم جهة صدورها، ثم رقم المجلد، ثم رقم العدد، ثم سنة النشر، ثم رقم صفحات المقال أو البحث .

* وإذا لم توجد بعض بيانات المرجع فيمكن استعمال الاختصارات الآتية:

(د.م) = بدون مكان النشر.

(د.ن) = بدون ذكر اسم الناشر.

(د.ط)= بدون رقم الطبعة.

(د.ت) = بدون تاريخ النشر.

١٦- أن يذيل البحث بخاتمة موجزة تتضمن أهم (النتائج) و(التوصيات) التي توصل إليها الباحث.

١٧- يحق لهيئة التحرير القيام بالفحص الأولي للبحث لتحديد مدى أهليته للتحكيم أو رفضه، وإشعار الهيئة الباحث بذلك.

١٨- في حال قبول البحث مبدئياً، يتم عرضه على محكمين من ذوي الاختصاص في مجال البحث، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث، وقيمته العلمية، ومدى التزام الباحث بالمنهجية المتعارف عليها.

١٩- لا يحق للباحث إذا قدم عمله للنشر في المجلة وأرسل البحث للمحكمين أن يعدل عن نشره في المجلة إلا بدفع ما لا يقل عن (١٠٠٠) ريال من مصاريف التحكيم.

٢٠- يُخطَر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال أربعة أسابيع على الأكثر من تاريخ إرسال البحث للتحكيم.

٢١- في حال قررت لجنة التحكيم عدم قبول العمل للنشر فإن المجلة تبلغ الباحث بذلك ولا يلزمها ذكر الأسباب ولا إرسال تقارير المحكمين إلى الباحث.

٢٢- في حال ورود ملاحظات من المحكّمين، تُرسل تلك الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها، على أن تعاد للمجلة خلال مدة أقصاها أسبوعين.

٢٣- في حال (قبول البحث للنشر) يتحمل الباحث مبلغ (١٨٠٠) ريال مقابل نفقات التحكيم والصف وطباعة (٥) نسخ مستلة من البحث. وفي حال (عدم قبول البحث للنشر) يتحمل الباحث مبلغ (١٠٠٠) ريال مقابل تحكيم البحث.

٢٤- في حال (قبول البحث للنشر) تؤول كافة حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز للباحث نشره في أي وعاء آخر إلا بعد مضي ستة أشهر من نشره في المجلة على أن يشير إلى ذلك، مع إذنٍ كتابيّ من رئيس هيئة تحرير المجلة.

٢٥- في حال (نشر البحث) فإنه يمنح الباحث (٥) نسخ مستلة من عمله إضافةً إلى نسخة إلكترونية من العدد الذي نشر فيه بحثه.

٢٦- لا تلتزم المجلة بإعادة البحوث إلى أصحابها؛ نشرت أو لم تنشر.

٢٧- لا يصرف للباحث مكافأة نقدية مقابل نشر عمله إلا في حال استكتابه.

٢٨- يحق للمجلة أن تنشر البحث على موقعها الإلكتروني أو على غيره من الوسائل الأخرى التابعة لها بعد إجازته للنشر.

٢٩- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

ترسل جميع المراسلات باسم رئيس التحرير، على العنوان التالي:

المملكة العربية السعودية – جدة

صندوق البريد: ٥٢٠٦ غ م – الرحاب

جدة: ٢٣٣٤٣ – ٦٩٩٠

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٦٧٦٠٢٠٢ تحويلة ١٠٥– ١١٠ [فاكس] ٠٠٩٦٦١٢٦٧٦٠٥٠٥

البريد الإلكتروني: majlah@shatiby.edu.sa

الموادُّ العلميَّة المنشورة في المجلّة تعبِّر عن آراء أصحابها

رقم الإيداع : ١٤٢٦/٣٨٧٤

ردمد : ١٦٥٨-٢٥١٩

المحتوى

أولاً: البحوث والدراسات

- اختيارات الإمام محمد بن عيسى الأصبهاني (ت:٢٥٣هـ) من خلال كتاب الكامل في القراءات الخمسين للهذلي (٤٦٥هـ) : جمعاً ودراسة

د. نورة بنت علي الهلال ١١-٤٥

- مصطلح القراء قديما وحديثا : دراسة تحليلية

د. فيصل بن جميل غزاوي ٤٩-٧٦

- أسماء الله المضافة المبدوءة بخير في القرآن الكريم : جمعاً ودراسة تفسيرية

د. نايف بن يوسف العتيبي ٧٩-١٢٢

- التفسير الدعوي للقرآن الكريم : دراسة تأصيلية

د. محمد بن فهد الحربي ١٢٥-٢٠٠

- الإعجاز القرآني في مقدمات كتب التفسير

د. حمدان بن حميد السلمي ٢٠٣-٢٥٦

- العدد الحِمصي : دراسة استقرائية تحليلية

د. صالح بن أحمد العماري ٢٥٩-٣٢٦

- جماليات التَّنَاسب في سورة الفاتحة (المقصد المحوري مثالاً)

د. مريم بنت عبد الهادي القحطاني ٣٢٩-٤١٢

- مادة (حسِب) في القرآن الكريم : دراسة دلالية

د. عبد العزيز بن عمر عماري ٤١٥-٤٣٨

- قرينة المعنى المعجمي وأثرها في توجيه الإعراب عند السمين الحلبي نماذج من سورة البقرة: دراسة نظرية تطبيقية

د. إبراهيم بن حسين صنبع ٤٤١-٥١٦

ثانياً: النصوص المحققة

- "اللُّمْعَةُ السَّنِيَّةِ في تَحْقِيقِ الإلقَاءِ في الأُمْنِيَّة"، تأليف: إبراهيم بن حسن الكوراني (ت:١١٠١هـ)، دراسة وتحقيق

د. أحمد بن عبد العزيز القُصيِّر ٥٢١-٥٧٤

ثالثاً : الملخصات باللغة الإنجليزية ٥٨١-٥٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً:

البحوث والدراسات

اختيارات الإمام محمد بن عيسى الأصبهاني (ت:٢٥٣هـ) من خلال كتاب الكامل في القراءات الخمسين للهذلي (٤٦٥هـ) جمعاً ودراسة

إعداد

د. نورة بنت علي بن سعد الهلال

الأستاذ المشارك بقسم القراءات، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، جامعة جدة

• من مواليد عام ١٤٠٣هـ بمدينة الخرج بالمملكة العربية السعودية.

• تخرجت في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمدينة مكة المكرمة عام ١٤٣٥هـ.

• نالت شهادة الماجستير من قسم القراءات كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى عام ١٤٢٩هـ بأطروحة:"البهجة السنية بشرح الدرة البهية للشيخ محمد بن هلالي الإبياري (ت١٣٣٤هـ) من أول الكتاب إلى آخر فرش حروف سورة آل عمران: دراسة وتحقيق"، كما نالت شهادة الدكتوراه منه عام ١٤٣٥هـ بأطروحة: "سطعات لمعات أنوار ضياء الفجر في شرح كتاب طيبة النشر للإمام محمد بن حسن المنير السمنودي (ت١١٩٩هـ) من أول الكتاب إلى نهاية باب إمالة هاء التأنيث وما قبلها في الوقف: دراسة وتحقيق".

• من أعمالها المنشورة: القياس في القراءات: "دراسة تطبيقية على طيبة النشر"، "ما خرج فيه الداني من قراءته على أبي الفتح فارس بن أحمد في كتاب التيسير"، "رسالة الند والنشر على الأسئلة العشر المتعلقة بعلم القراءات، تأليف الشريف البليدي محمد المغربي المالكي (ت١١٧٦هـ): دراسة وتحقيق، "انفرادات الإمام طلحة بن مصرف جمعًا وتوجيهًا".

• البريد الشبكي: norah_al@hotmail.com

(قدم للنشر في ١٤٤٤/٣/٢٧هـ ؛ وقبل للنشر في ١٤٤٤/٤/١٩هـ)

الملخص

عنوان البحث: اختيارات الإمام محمد بن عيسى الأصبهاني (ت:٢٥٣هـ) من خلال كتاب الكامل في القراءات الخمسين للهذلي (٤٦٥هـ) –جمعاً ودراسةً–.

احتوى هذا البحث على تمهيد تناول التعريف بمعنى الاختيار، وبالإمام الهذلي وبكتابه (الكامل)، وقسم للدراسة النظيرة فيه تعريف بالإمام محمد بن عيسى الأصبهاني، وبمنهج الإمام الهذلي في عرض اختيارات الإمام محمد بن عيسى، وقسم للدراسة التطبيقية جمع مواضع اختيارات الإمام الأصبهاني في كتاب (الكامل) في الأصول والفرش، مع دراستها دراسة موجزة.

وتأتي **أهمية هذا البحث:** في إبراز رأي الإمام محمد بن عيسى الأصبهاني فيما اختاره من القراءات. ومكانة الإمامين الجليلين: الهذلي والأصبهاني.

ويهدف البحث إلى: إبراز جهود علماء الأمة بالقراءات القرآنية، دراية ورواية واختياراً. والاستفادة من اختيارات العلماء للقراءات القرآنية، ودراسة هذه الاختيارات، وتوجيهها، وبيان ما عليه العمل منها.

وأورد الإمام الهذلي اختيارات الإمام الأصبهاني –في كتابه الكامل– حيث بلغت خمسة وثلاثين (٣٥) موضعاً، ثلاثون منها (٣٠) في قسم الأصول، وخمسة منها (٥) في الفرش.

الكلمات الافتتاحية: الأصبهاني، الهذلي، الاختيارات، الكامل.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلا يخفى على كثير من المشتغلين بعلم القراءات حضورُ مصطلح (الاختيار) في كتب القراءات؛ مِن ذكر اختيارات القُرَّاء والرُّواة والأئمة في بعض الأحرف القرآنية، حيث إن أغلب القراءات مبناها على الاختيار، ومجيء ذلك من جملة ما قد قرئ به وتُلقي، قال نافع: «قرأت على سبعين من التابعين فما اجتمع عليه اثنان أخذته، وما شذّ به واحد تركته حتى ألفت هذه القراءة»، وقرأ الكسائي على حمزة وغيره، فاختار من قراءة غيره نحواً من ثلاثمائة حرف، وكذا أبو عمرو على ابن كثير، وخالفه في نحو ثلاثة آلاف حرف اختارها من قراءة غيره(١).

وممن كان له تأليف في القراءات: الإمام أبو القاسم الهذلي (ت:٤٦٥هـ)، وهو من أئمة القراءات، حيث ألف كتابه الشهير: (الكامل في القراءات الخمسين) وضمنّه كثيراً من اختياراته، واختيارات بعض الأئمة.

ومن تلكم الاختيارات المضمّنة في كتاب الكامل: اختيارات الإمام: محمد بن عيسى الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ قال عنه ابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ : «محمد بن عيسى بن إبراهيم بن رزين أبو عبد الله التيمي الأصبهاني، إمام في القراءات كبير مشهور له اختيار في القراءة أول وثانٍ»(٢).

وقد جاء هذا البحث جامعاً لهذه الاختيارات، مع دراستها، وتوجيهها، وبيان ما عليه العمل منها الآن.

---

(١) انظر: القواعد والإشارات في أصول القراءة، للحلبي (٣٦-٣٧).

(٢) غاية النهاية، لابن الجزري (٢/ ٢٢٣).

أهمية البحث:

١. تعلق موضوعه بالقرآن الكريم، وكفى بذلك شرفاً ومكانة.

٢. مكانة الإمام محمد بن عيسى الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ العلمية العالية خاصة في القراءات.

٣. مكانة الإمام الهُذلي رَحِمَهُ اللَّهُ العلمية، قال ابن الجزري عنه: «الأستاذ الكبير الرّحال والعلم الشهير الجوّال... فلا أعلم أحداً في هذه الأُمة رحل في القراءات رحلته، ولا لقي من لقي من الشيوخ»[(١)].

٤. مكانة كتاب الكامل العلمية؛ إذ هو أحد بل أهم أصول النشر لابن الجزري الذيّ يُعد عمدة كتب القراءات حتى قال ابن الجزري: «قد قرأ بالكامل إمام زمانه حفظاً ونقلاً أبو العلاء الهمذاني على أبي العز، ولا زال يُقرئ إلى آخر وقت»[(٢)]. وقد جمع فيه مؤلفه بين دفتيه قدراً كبيراً من القراءات حيث ضمَّنه القراءات العشر المتواترة وزاد عليها (٤٠) قراءة أخرى وضمنه اختياراتِه، وتنوعت فيها مصادرُه، وكثرت نقولاته عن أئمة العلم في القراءات وتوجيهها، وضمَّنه تحقيقاً وتحريراً لمسائل علمية دقيقة في علم القراءات.

أسباب اختيار الموضوع:

١. إبراز جهود علماء الأمة بالقراءات القرآنية، دراية ورواية واختياراً.

٢. إبراز رأي الإمام محمد بن عيسى الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ فيما اختاره من القراءات.

٣. عزوف بعض الباحثين عن إبراز اختيارات علماء الأمة في القراءات، مع أهميتها.

٤. إن دراسة اختيارات القراء تزيل كثيراً من الإشكال في أداء بعض الأوجه.

---

(١) غاية النهاية (٢/ ٣٩٧-٣٩٨).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٤٠١).

٥. الاستفادة من اختيارات العلماء للقراءات القرآنية، ودراسة هذه الاختيارات، وبيان ما عليه العمل منها.

أهداف البحث:

١. بيان معنى الاختيار لغة واصطلاحاً.

٢. التعريف بالإمام الهذلي وبيان منهجه في عرض اختيارات الإمام الأصبهاني .

٣. الترجمة للإمام الأصبهاني.

٤. عرض اختيارات الإمام الأصبهاني في الأصول والفرش ودراستها.

حدود البحث:

يدرس هذا البحث اختيارات الإمام محمد بن عيسى الأصبهاني المتوفى سنة (٢٥٣هـ) التي نصّ عليها الإمام الهذلي في كتابه (الكامل في القراءات العشرة والأربعين الزائدة عليها).

الدراسات السابقة:

بعد البحث الدقيق، والاستقراء، وسؤال المختصين بالدراسات القرآنية، لم أجد من جمع هذه الاختيارات ودرسها.

منهج البحث:

سلكتُ في هذا البحث: المنهج الاستقرائي التحليلي، متبعةً بذلك الخطوات التالية:

١. تمّ استقراء اختيارات الإمام الأصبهاني من خلال ما جاء عند الهذلي في كتابه الكامل، وجمعها، ودراستها.

٢. اكتفيتُ بما نصّ عليه الإمام الهذلي في ذكر اختيارات الأصبهاني، دون التعرض للقراءة المخالفة –الضدّ–.

٣. وجّهت ما جاء من قبيل الفرش على حدة، بخلاف ما جاء في قسم الأصول، فذكرته عامّاً.

٤. بيّنت من القراءات ما هو متواتر وشاذ، وما هو معمول به أو متروك من الاختيارات.

٥. ابتدأت ببيان الاختيار بـ (قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ...).

٦. ترجمت لجميع الأعلام الوارد ذكرهم في القسم الثاني –صلب البحث– وعزوت من المصادر الأصيلة وغيرها عدا القراء العشرة ورواتهم لشهرتهم، وتركت ترجمة الشيوخ والتلاميذ وسائر الأعلام في قسم الدراسة والتمهيد طلباً للاختصار.

٧. اعتمدت في استخراج الاختيارات على طبعة كتاب (الكامل) بتحقيق: جمال السيد بن رفاعي الشايب، طبعة مؤسسة سما للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

خطة البحث:

المقدمة: احتوت على: أهمية البحث، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وحدود البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

التمهيد: تعريفات ومقدمات، وفيه:

أولاً: تعريف الاختيار.

ثانياً: تعريف بالإمام الهذلي صاحب كتاب (الكامل).

ثالثاً: التعريف بكتاب (الكامل).

القسم الأول: قسم الدراسة، وفيه:

المبحث الأول: ترجمة موجزة للإمام الأصبهاني.

المبحث الثاني: منهج الهذلي في عرض اختيارات الإمام الأصبهاني.

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية، وفيه: اختيارات الإمام محمد بن عيسى الأصبهاني – جمعاً ودراسة– وتحته مطلبان:

المبحث الأول: ما جاء من قبيل الأصول.

المبحث الثاني: ما جاء من قبيل الفرش.

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

التمهيد

تعريفات ومقدمات

وفيه:

أولاً: تعريف الاختيار عند القراء

المطلب الأول: تعريف الاختيار لغة:

من خار الشيء يختاره اختياراً فهو مختار اسم للفاعل والمفعول، إذا انتقاه واصطفاه، والفعل اختار مما يتعدى به إلى مفعولين بحذف حرف الجر، ومن قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ [الأعرف:١٥٥] أي: انتقى واصطفى من قومه، وقد يأتي أيضاً بمعنى التفضيل، ويتعدى حينها بـ "على" فتقول: «اخترت فلاناً على فلان» أي: فضلته عليه، وعليه فالاختيار هو: الانتقاء والاصطفاء، أو هو الميل والتفضيل(١).

فالاختيار له معنيان، **المعنى الأول**: معناه كمصدر للفعل خار أو اختار، وعليه فمعانيه تدور على: الانتقاء والاصطفاء والميل والعطف والتفضيل، **المعنى الثاني**: معناه كاسم مفعول، ويطلق على الشيء المختار، فيقال: هذا اختيار فلان، أي: الذي اختاره(٢).

المطلب الثاني: تعريف الاختيار اصطلاحاً:

عُرّف بعدة تعاريف منها:

- هو أن يعمد القارئ إلى القراءات المروية والثابتة، فيختار منها أوجهاً لاعتبارات معينة، ككونها: راجحة عنده أو نحو ذلك، ويجرد من ذلك قراءة إذا

(١) ينظر: الصحاح، للجوهري (ص:٦٥٢)، ولسان العرب، لابن منظور (٣/ ١٢٩٩)، وتاج العروس، للزبيدي (١١/ ٢٤١).

(٢) ينظر: الاختيار عند القراء مفهومه وأثره في القراءات، لأمين فلاتة (٢٤).

كان أهلاً لذلك[١].

- الحرف الذي يختاره القارئ من بين مروياته مجتهداً في اختياره[٢].

- أن يختار القارئ من بين قراءاته ومروياته التي أتقنها قراءة ليداوم عليها ويلازمها ويعرف بها وتؤخذ عنه فتنسب اليه قراءة معينه[٣].

وبعد الاطلاع على التعاريف وجدت أن من أدقّها تعريف الباحث: أمين فلاته حيث قال: «الاختيار في اصطلاح القراء يطلق على معنيين أيضا كاللغة، فمن حيث عملية الاختيار وكيفيته هو: انتقاء القارئ الضابط العارف باللغة طريقة خاصة به في القراءة منسوبة إليه مستلة من بين ما روي عن شيوخه لعلة ما، وأما المعنى الآخر للاختيار فهو: نفس الوجه الذي يختاره ذلك القارئ، فيقال هذا هو الاختيار أي الوجه المختار، واختيار فلان أي: الوجه الذي اختاره، وعليه فيمكننا أن نعرف الاختيار من حيث ماهيته بأنه: ما أضيف إلى القارئ من وجوه القراءة إضافة انتقاء واصطفاء فقط»[٤].

وهنا يجدر الإشارة إلى الفرق بين القراءة والاختيار، ويظهر ذلك في قول الأندرابي: «إن القراءة تعني أن يكون للمقرئ قراءة مجردة على حرفٍ واحد من أول القرآن إلى آخره، وأما الاختيار فهو أن يأخذ القارئ من مجموع القراءات التي رواها حروفا يفضلها لسبب يذكره أو لا يذكره، قد يكون حرف منها من قراءة في حين يكون الحرف الآخر من قراءة أخرى، وهكذا إلى آخر القرآن الكريم»[٥].

(١) ينظر: التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، للشيخ طاهر الجزائري (١٢١).

(٢) ينظر: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، عبد الهادي الفضلي (١٠٥).

(٣) ينظر: القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والرد عليه، لمحمد عارف الهرري (ص١٣٦).

(٤) ينظر: الاختيار عند القراء، لأمين فلاتة (٤٣، ٤٥-٤٦).

(٥) قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين، للأندرابي (٢٨-٢٩).

ثانياً: تعريف بالإمام الهذلي صاحب كتاب (الكامل).

اسمه ونسبه:

هو يوسف بن علي بن جُبارة بن محمد بن عقيل بن سَوَادة بن مِكْناس الهذلي[(١)].

كنتيه وولادته:

أبو القاسم، ولد سنة: ٤٠٣هـ بمدينة بسكرة بالمغرب.

شيوخه وتلاميذه:

لا بدّ لعَلَمٍ مثل الإمام الهذلي، الذي قام برحلة طويلة امتدت من بلاد المغرب إلى أواسط آسيا، أن يحظى بشُيُوخ كُثر قد لقيهم أثناء رحلته الطويلة، وسمع منهم، ونهل من مَعينهم، حتى قال الإمام ابن الجزري عنه: «فلا أعلم أحدا في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته، ولا لقي من لقي من الشيوخ، قال في كتابه الكامل: فجملة من لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستون شيخًا من آخر المغرب إلى باب فرغانة يميناً وشمالاً وجبلاً وبحراً، ولو علمت أحداً تقدم عليّ في هذه الطبقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته»[(٢)]؛ وقد بلغ عدد شيوخه في كتابه الكامل مائة واثنان وعشرون شيخًا، لا يتسع المقام لذكرهم جميعاً، منهم:

١- إبراهيم بن أحمد الأربلي، وهو من الشيوخ المجهولين الذين ذكرهم الإمام الهذلي[(٣)].

٢- إبراهيم بن الخطيب ببغداد.

٣- أحمد بن رجاء بعسقلان.

---

(١) نسبة إلى قبيلة هذيل: بضم الهاء وفتح الذال المعجمة، هي قبيلة، يقال لها هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان، تفرقت في البلاد، وأهل النخلة- وهي قرية على ست فراسخ من مكة على طريق الحاج- أكثر أهلها من هذيل. ينظر: الأنساب، للسمعاني (١٣/ ٣٩١).

(٢) غاية النهاية (٢/ ٣٩٧).

(٣) المصدر السابق (١/ ٩).

٤- أبو الفتح: أحمد بن الصقر ببغداد.

٥- أبو رجاء: أحمد بن محمد بن علان الماذراني بواسط.

تلاميذه:

قصد الإمام الهذلي عددٌ كبيرٌ من طلبة القراءات، بغية النَهْل من مَنْهَله الغزير، خاصة حين كان مقرئاً في مدرسة نيسابور النظامية، ومن أبرزهم:

١- إسماعيل بن الفضل بن أحمد السرّاج.

٢- عبد الواحد بن حمد بن شِيذة.

٣- أبو بكر بن محمد بن أحمد بن زكريا.

وفاته:

توفي الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ بنيسابور سنة ٤٦٥هـ، وعمره ٦٢سنة[(١)].

ثالثاً: التعريف بكتاب (الكامل)

اسم الكتاب: أطلق العلماء على هذا الكتاب اسم (الكامل في القراءات) [(٢)]، واكتفى بعضهم بإطلاق اسم (الكامل) عليه فقط[(٣)]، وقد أطلق عليه البعض كتاب (الكامل في القراءات الخمسين) [(٤)]، وسماه الإمام ابن الجزري: (الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها) [(٥)].

موضوع الكتاب: احتوى الكتاب على القراءات العشرة المتواترة، وزاد عليها أربعين قراءة، واختيارات أخرى، وبيان الخلاف فيها أصولاً وفرشاً، واحتوى على

(١) انظر في ترجمته: الأنساب، للسمعاني (٢/ ٢٣٧)، ومعرفة القراء للذهبي (ص:٢٣٩)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٠/ ٣٥٩)، وغاية النهاية لابن الجزري (٢/ ٣٩٧).

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٣١/ ١٩١)، والوافي بالوفيات للصفدي (٢٩/ ١١٤).

(٣) ينظر: الصلة لابن بشكوال (٢/ ٦٤٢).

(٤) ينظر: كشف الظنون لحاجي خليفة (٢/ ١٣٨١).

(٥) ينظر: النشر لابن الجزري (١/ ٣٥).

بعض العلوم، كفضائل القرآن، والأحرف السبعة، وعدّ الآي، وعلم التجويد، والوقف والابتداء.

مميزات الكتاب: تميّز الكتاب بتضمنه تحقيقاً وتحريراً لمسائل علمية دقيقة في علم القراءات، وتناول أصول القراءات، وأسند كل مسألة لقائلها، وتميز بكثرة مصادره وتنوعها، وقد ذكر في الكتاب الكثير من الاختيارات، ورجّح كثيراً من المسائل العلمية، وهو الكتاب الوحيد الذي احتوى على هذا العدد الكبير من القراءات، كما تضمن اختيار الإمام الهذلي.

مكانة الكتاب العلمية: كتاب (الكامل) كتاب قيّم جدا وله مكانة عظيمة بين كتب القراءات، وقد اعتنى به العلماء عناية عظيمة، فهذا الإمام أبو العلاء الهمذاني قد وضع عليه الحواشي[١]، كما اعتمد عليه الإمام ابن الجزري اعتمادا كبيرا في كتابه (النشر)، ويعدّ من أهم أصول النشر، واستقى منه طرقا كثيرة[٢]، ونقل منه الإمام أبو شامة في كتابيه: (إبراز المعاني في شرح حرز الأماني) [٣]، و(المرشد الوجيز)[٤]، وحصل بعض العلماء على إجازة لرواية هذا الكتاب[٥].

(١) ينظر: غاية النهاية لابن الجزري (٢/ ٤٠١).

(٢) ينظر: النشر (١/ ٩١).

(٣) ينظر: إبراز المعاني (١/ ١٥٩).

(٤) ينظر: المرشد الوجيز (ص٩٩).

(٥) ينظر: الصلة لابن بشكوال (١/ ٩١).

القسم الأول: قسم الدراسة

وفيه:

المبحث الأول

ترجمة موجزة للإمام الأصبهاني

اسمه ونسبه:

هو محمد بن عيسى بن إبراهيم بن رزين أبو عبد الله التيمي الأصبهاني[(١)].

كنيته وولادته:

أبو عبد الله، ولد بالرَّيّ[(٢)]، ولم أقف على تحديد تاريخ ولادته، وكان أصله من أصبهان لذا نُسب إليها[(٣)].

شيوخه وتلاميذه:

تبوأ الإمام الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ مكانة علمية رفيعة، وكان له الأثر الكبير في خدمة القرآن الكريم وأهله، صنف كتاب الجامع في القراءات وكتاباً في العدد وكتاباً في الرسم وكان إماماً في النحو أستاذاً في القراءات، وقد ذكره الإمام الذهبي ضمن علماء الطبقة السادسة من حفاظ القرآن، قال أبو نعيم الأصبهاني: «ما أعلم أحداً أعلم منه في وقته في فنه، يعني القراءات، أخذ عنه الفضل بن شاذان، والحسين بن

(١) بكسر الألف أو فتحها وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة والهاء وفي آخرها النون بعد الألف، هذه النسبة الى أشهر بلدة بالجبال، وإنما قيل له بهذا الاسم على ما سمعت بعضهم أنها تسمى بالعجمية سباهان، خرج منها جماعة من العلماء في كل فن قديماً وحديثاً وصنف في تاريخها كتب عدة قديماً وحديثاً. ينظر: الأنساب، للسمعاني (١/ ٢٨٥).

(٢) مدينة شرق العراق، كانت تسمى (المهدية) لأن المهدي نزلها في أول الخلافة العباسية، وبها ولد الرشيد، فتحت في خلافة عمر بن الخطاب، وهي الآن جزء من الجنوب الشرقي لمدينة طهران في إيران. ينظر: آكام المرجان للمنجم (ص٦٧).

(٣) ينظر: طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ١٦٦).

العباس، وأبو سهل حمدان وجماعة»[١].

قال أبو حاتم: «صدوق»[٢].

أولاً: شيوخه:

تلقى الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ القرآن على مشاهير علماء عصره. يقول عنه ابن الجزري: «هو إمام في القراءات كبير مشهور له اختيار في القراءة أول وثان، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن خلاد بن خالد، والحسن بن عطية، وداود بن أبي طيبة، وخلف وسليمان بن داود الهاشمي، ويونس بن عبد الأعلى، ونصير بن يوسف النحوي، وروى الحروف عن عبيد الله بن موسى، وإسحاق بن سليمان» [٣].

ثانياً: تلاميذه:

تتلمذ على الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ عدد كثير، منهم: الفضل بن شاذان وهو أكبر أصحابه، وأعلمهم، ومحمد بن عبد الرحيم الأصبهاني، وجعفر بن عبد الله ابن الصباح، والحسين بن إسماعيل الضرير، وأحمد بن الخليل بن أبي فراس، وإبراهيم بن أحمد بن نوح وغيرهم كثير.

وفاته:

توفي الإمام الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ثلاث وخمسين ومائتين وقيل: سنة اثنتين وأربعين ومائتين[٤].

(١) معرفة القراء (١٣٠).

(٢) المصدر السابق.

(٣) غاية النهاية (٢/ ٢٢٣).

(٤) ينظر في ترجمته: معرفة القراء (١٣٠)، وغاية النهاية (٢/ ٢٢٣-٢٢٤).

المبحث الثاني

منهج الهذلي في عرض اختيارات الإمام الأصبهاني

لم يذكر الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ منهجه في عرض الاختيارات للقراء والرواة الوارد ذكرهم في كتابه الكامل، إنما جاء ذلك بتتبع واستقراء تلك الاختيارات، فكانت في النقاط التالية:

- أورد الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ اختيارات الإمام الأصبهاني -في كتابه الكامل- حيث بلغت خمسة وثلاثين (٣٥) موضعاً، ثلاثون منها (٣٠) في قسم الأصول، وخمسة منها (٥) في الفرش.
- ما جاء في قسم الأصول من عرض الإمام الهذلي لاختيارات الإمام الأصبهاني فهو من قبيل الإمالات والإدغامات فقط.
- ذكر الإمام الهذلي للإمام الأصبهاني: اختياره الأول، واختياره الثاني.
- عبارات الإمام الهذلي لاختيارات الأصبهاني جاءت بألفاظ متعددة، وعبارات متغايرة، فتارة يقول: «... ومحمدٌ في اختيار الأول... »[(١)]، وتارة يقول: «..ومحمد في الأول... »[(٢)]، وتارة يقول: «...ومحمد في الأخير...»[(٣)]، «...ومحمد في الاختيارين..[(٤)]، «...وأمال محمد بن عيسى في اختياره الثاني...[(٥)].
- من خلال عرض ما سبق من تعدد ألفاظ الاختيار، يتبين لنا أن درجة الاختيار عند الإمام الأصبهاني ليست واحدة، فمنها الأول، ومنها الثاني، ومنها ما يتساوى عنده.

---

(١) ينظر: الكامل (٣٢٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) ينظر: المصدر السابق (٣٣٣).

(٤) ينظر: المصدر السابق (٣٣٥).

(٥) ينظر: المصدر السابق. (٣٣٧).

- يطلق الإمام الهذلي على الإمام الأصبهاني في الغالب اسم محمد، وقد يطلق عليه اسم: محمد بن عيسى، ولا يوجد في كتاب الكامل من أطلق عليه الإمام الهذلي اسم محمد غير الإمام محمد بن عيسى الأصبهاني.

- جميع اختيارات الإمام الأصبهاني الوارد ذكرها في الكامل هي من قبيل المتواتر المقروء به إلى الآن، باستثناء موضعين، **الأول**: قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَمَنْ﴾ حرف جر ﴿عِندَهُۥ﴾ مجرور ﴿عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مضاف اختيار ابن عيسى» [(١)]. **الثاني**: قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قَدْ جَآءَتْكَ﴾، و﴿فَكَذَّبْتَ﴾، و﴿وَٱسْتَكْبَرْتَ﴾، ﴿وَكُنتَ﴾ بالكسر فيهن أبو حيوة، والجحدري، والزعفراني ومسعود بن صالح، والشافعي عن ابن كثير، ومحمد بن عيسى في اختياره»[(٢)].

- لم يفرد الإمام الهذلي لاختيارات الأصبهاني مبحثاً مستقلاً كما فعل مع اختيارات ابن سعدان وأبي حيوة وأبي حاتم وغيرهم، إنما ذكرها ضمناً في عرضه للقراءات وأوجهها.

- من خلال عرض الإمام الهذلي لاختيارات الإمام الأصبهاني لم يتعرض له لا بتعليق ولا بإنكار أو اعتراض أو تعليل، بل اكتفى بذكر الاختيار عنه.

- موافقة أغلب اختيارات الإمام الأصبهاني قراء القراءات العشر، خصوصاً حمزة والكسائي وخلف، والسبب في ذلك أنه قرأ على خلاد، وخلف –الراويان– كما سبق في ترجمته– ونصير بن يوسف النحوي الذي أخذ القراءة عرضاً عن الكسائي وهو من جلّة أصحابه وعلمائهم[(٣)].

---

(١) ينظر: الكامل (٥٧٩).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٦٣٠).

(٣) ينظر: غاية النهاية (٢/ ٣٤٠).

القسم الثاني

قسم الدراسة التطبيقية

اختيارات الإمام محمد بن عيسى الأصبهاني: جمعاً ودراسة

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: ما جاء من قبيل الأصول:

١- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأمال حمزةُ والكسائيّ والأعمشُ[(١)] وخلفٌ وطلحة[(٢)] **ومحمدٌ في اختيار الأول**...كلَّ ياءٍ على زنة (فُعلى)، و(فَعلى)، و(فِعلى) مثل ﴿دُنْيَا﴾، و﴿قُصْوَى﴾»[(٣)].

فبهذا وافق الإمام محمد بن عيسى الأصبهاني أصحاب الإمالة في إمالة الألف في كل ما جاء على وزن (فعلى) مفتوح أو مكسور أو مضموم الفاء.

٢- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأما المنونات إذا وقف عليها نحو: ﴿هُدًى﴾، و﴿عَمًى﴾، و﴿فَتًى﴾، و﴿ضُحًى﴾، و﴿مَوْلًى عَنْ مَوْلًى﴾، و﴿مُسَمًّى﴾، و﴿مُصَلًّى﴾

---

(١) أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش، الحجة الحافظ، قرأ على يحيى بن وثَّاب، وأبي العالية الرِّياحي، قرأ عليه: حمزة بن حبيب الزيات، وزائدة بن قدامة، توفي سنة ١٤٨هـ. ينظر: تاريخ الإسلام: (٣/ ٨٨٣)، وسير أعلام النبلاء للذهبي: (٦/ ٢٢٦).

(٢) أبو محمد طلحة بن مُصَرِّف بن عمرو الهَمْداني الكوفي، تابعيٌّ كبير، له اختيار في القراءة، أخذ القراءة عرضًا عن إبراهيم بن يزيد النخعي والأعمش وغيرهما، روى القراءة عرضًا عنه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وعيسى بن عمر الهمداني وغيرهما، تُوُفِّيَ سنة ١١٢هـ. ينظر: غاية النهاية (١/ ٣٤٣).

(٣) الكامل (٣٢٨)، وقد جاء توجيه الإمالات عند الإمام مكي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الكشف (١/ ١٦٨-وما بعدها)، وذكر أن الأصل في الكلام هو الفتح، والإمالة تدخل في بعض اللغات لعلة، والدليل على ذلك أن جميع الكلام الفتح فيه سائغ جائز، وليست الإمالة داخلة إلا في بعضه..." فليراجع للاستفادة.

و﴿سُدًى﴾، و﴿سُوًى﴾ ، و﴿غُزًّى﴾، و﴿طُوًى﴾ ، و﴿قُرًى﴾، و﴿مُّفْتَرًى﴾، فحمزة، والكسائي، **ومحمد في الأول**، وطلحة فيقفون بالإمالة»[(١)].

وذلك في الألفات التي أصلها من ذوات الياء لكنها نوِّنت وصلاً؛ فالتنوين يمنع إمالتها في الوصل، لكن يوقف عليها بالإمالة على الأصل.

٣- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ:«أمال كل راء بعدها ياء نحو:﴿بُشْرَىٰ﴾، و﴿يَرَىٰ﴾، و﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾،و﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾، و﴿ٱلذِّكْرَىٰ﴾،و﴿ٱشْتَرَىٰهُ﴾، و﴿مَجْرِىٰهَا﴾ و﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾، و﴿أَدْرَىٰكَ﴾، و﴿أَدْرَىٰكُم﴾ حمزة، والكسائي، وخلف، **ومحمد في الأول**»[(٢)].

وهذه الألفات تسمى بذوات الراء، وهي كل ألف من ذوات الياء وقع قبلها راء، فاختار محمد بن عيسى الإمالة فيها في أحد اختياراته.

٤- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿مَجْرِىٰهَاوَمُرْسَىٰهَآ﴾ أمالها حمزة، والكسائي، وخلف، **ومحمد في الأول**»[(٣)].

وافق محمد الأصبهاني أصحاب الإمالة، واختار إمالة لفظي ﴿مَجْرِىٰهَاوَمُرْسَىٰهَآ﴾ لأن الأولى من ذوات الراء التي سبق ذكرها في الموضع السابق، والثانية من ذوات الياء.

٥- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾ في الأول في بني إسرائيل أماله أبو عمرو، وصاحباه، ورويس في قول ابن مهران[(٤)]، ويعقوب في

---

(١) الكامل (٣٣٠).

(٢) المصدر السابق (٣٣٢).

(٣) المصدر السابق (٣٣٢).

(٤) أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش، الحجة الحافظ، قرأ على يحيى بن وثَّاب، وأبي العالية الرِّياحي، قرأ عليه: حمزة بن حبيب الزيات، وزائدة بن قدامة، توفي سنة ١٤٨هـ. ينظر: تاريخ الإسلام: (٣/ ٨٨٣)، وسير أعلام النبلاء: (٦/ ٢٢٦).

قول غيره، وحمزة، وخلف، وابن موسى[١]، وابن سعدان[٢]، والكسائي، **ومحمد في الأول**»[٣].

اختار الأصبهاني الإمالة في اللفظ الأول من (أعمى) في قوله تعالى: (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا).

٦- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿مُّرْجَىٰنَ﴾ ، و﴿يَلْقَىٰهُ﴾ أمال حمزة، والكسائي، وخلف، والأعمش، وطلحة، **ومحمد في الأول**»[٤].

وافق الأصبهاني أهل الإمالة في اختياره لإمالة هذين اللفظين من ذوات الياء.

٧- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿تُقَىٰةً﴾ بالإمالة كوفي غير عاصم، وقاسم[٥]، **ومحمد في الأخير**»[٦].

اختار الإمام الأصبهاني الإمالة في هذا اللفظ لأنه من ذوات الياء.

٨- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله ﴿الٓر﴾ وأخواتها حمزة، والكسائي، وخلف، والأعمش، وطلحة، **ومحمد في الأول**»[٧].

---

(١) أبو عبد الله أحمد بن موسى بن أبي مريم اللؤلؤي الخزاعي البصري، صدوق، روى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء وعاصم الجحدري وغيرهما، روى القراءة عنه روح بن عبد المؤمن وخليفة بن خياط وغيرهما. ينظر: غاية النهاية (١/ ١٤٣).

(٢) أبو جعفر محمد بن سَعْدانَ الضرير الكوفي النحوي، إمام كامل، قرأ على سليم عن حمزة ويحيى بن المبارك اليزيدي وغيرهما، قرأ عليه أحمد بن محمد بن واصل وعبد الله بن محمد بن هاشم الزعفراني وغيرهما، تُوُفِّيَ سنة ٢٣١هـ. ينظر: معرفة القراء (١٢٧)، وغاية النهاية (٢/ ١٤٣).

(٣) الكامل (٣٣٢).

(٤) المصدر السابق (٣٣٣).

(٥) قاسم الحداد، روى القراءة عن سليم، روى القراءة عنه جعفر بن محمد الوزان. ينظر: غاية النهاية (٢/ ٢٥).

(٦) الكامل (٣٣٣).

(٧) المصدر السابق (٣٣٣-٣٣٤).

اختار الإمام الأصبهاني إمالة حرف الراء من الحروف المقطعة في أوائل السور، وهي في (الر، والمر)، وهو ما يقصده الإمام الهذلي بقوله: "وأخواتها".

٩- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ:«وقوله: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾...بكسرتين: عباس[١]، وابن جبير[٢]، والخريبي[٣]، وابن هارون[٤]، وابن عقيل[٥]، والضرير[٦] عن أبي عمرو، والكسائي، **ومحمد في الأول**»[٧].

---

(١) أبو القاسم الرازي العباس بن الفضل بن شاذان بن عيسى، روى القراءة عرضا عن أبيه الفضل وروى الحروف عن أحمد بن أبي سريج عن الكسائي، ومحمد بن غالب صاحب شجاع والعباس بن الوليد صاحب قتيبة، روى القراءة عنه محمد بن الحسن النقاش، ومحمد بن أحمد الداجوني، بقي إلى سنة عشر وثلاثمائة. ينظر: غاية النهاية (١/ ٣٥٣).

(٢) أبو محمد سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الكوفي، تابعي جليل، عرض على ابن عباس، وعرض عليه أبو عمرو بن العلاء، كان يؤم الناس في شهر رمضان فيقرأ ليلة بقراءة ابن مسعود، وأخرى بقراءة زيد بن ثابت، توفي سنة ٩٥، وقيل: ٩٤هـ. ينظر: غاية النهاية: (١/ ٣٠٥-٣٠٦).

(٣) أبو عبد الرحمن عبد الله بن داود الهمداني الخُرَيبي، ثقة حجة، روى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء وحدث عن الأعمش وغيره، روى عنه القراءة مسلم بن عيسى الأحمر وحدث عنه بندار والذهلي وغيرهما، تُوُفِّيَ سنة ٢١٣هـ. ينظر: غاية النهاية (١/ ٤١٨).

(٤) سلامة بن هارون أبو نصر البصري، قرأ على هارون بن وموسى الأخفش وعامر الموصلي صاحب اليزيدي فيما ذكره أبو العز وأبي معمر صاحب البزي وعلى قنبل فيما ذكره الهذلي، روى القراءة عنه عبد الله بن الحسين أبو أحمد، كذا ذكر الهذلي في غير موضع وهو خلط والله أعلم. ينظر: غاية النهاية (١/ ٣١٠).

(٥) أبو عمرو عبيد بن عقيل بن صبيح الهلال البصري، ضابط صدوق، روى القراءة عن أبان بن يزيد العطار وأبي عمرو بن العلاء وغيرهما، روى القراءة عنه خلف بن هشام ونصر بن علي الجهضمي وغيرهما، تُوُفِّيَ سنة ٢٠٧هـ. ينظر: غاية النهاية (١/ ٤٩٦).

(٦) أبو علي الحسن بن مسلم بن سفيان الضرير المفسر، روى القراءة عن روح وأحمد بن عبد الخالق المكفوف وغيرهما، روى عنه القراءة عرضًا محمد بن إسحاق البخاري ومحمد بن عبيد الله بن الحسن الرازي وغيرهما. ينظر: غاية النهاية (١/ ٢٣٣).

(٧) بإمالة الهاء والياء. الكامل (٣٣٤).

اختار الإمام الأصبهاني إمالة حرفي الهاء والياء في فاتحة سورة مريم -عليها السلام، وعبّر الإمام الهذلي عن الإمالة بمصطلح الكسر، وهو مصطلح يطلق على الإمالة عند بعض أهل الأداء[١].

١٠- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿طه﴾... بإمالة الطاء والهاء: حمزة، والكسائي، وخلف **ومحمد في الأول**﴾[٢].

اختار الإمام الأصبهاني إمالة حرفي الطاء والهاء في فاتحة سورة طه.

١١- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ:«وقوله: ﴿طسّمّ﴾ بإمالة الطاء حمزة، والكسائي، وخلف **ومحمد في الأول**»[٣].

واختيار الأصبهاني في إمالة حرف الطاء من فواتح السور.

١٢- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿يسّ﴾ بالإمالة حمزة، والكسائي، والعبسي[٤]، **ومحمد في الأول**»[٥].

اختار الإمام الأصبهاني الإمالة في حرف الياء من فاتحة سورة يس.

١٣- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ:«﴿حمّ﴾ سبعهن بالإمالة حمزة، وخلف، **ومحمد في الاختيارين**»[٦].

اختار الإمام الأصبهاني الإمالة في حاء (حم) من فواتح السور التي تبدأ بها.

---

(١) ينظر: جامع البيان للداني (٢/ ٨٠٠).

(٢) الكامل (٣٣٤).

(٣) المصدر السابق (٣٣٥).

(٤) أبو محمد عبيد الله بن موسى بن أبي المختار العبسي الكوفي، ولد بعد العشرين ومائة، أخذ القراءة عرضاً عن عيسى بن عمر وشيبان بن عبد الرحمن الهمذاني، وروى الحروف سماعاً من حمزة الزيات، والكسائي وشيبان عن عاصم، روى القراءة عنه عرضاً إبراهيم بن سليمان، توفي سنة ثلاث عشرة ومائتين. ينظر: غاية النهاية (١/ ٤٩٣).

(٥) الكامل (٣٣٥).

(٦) المصدر السابق (٣٣٥).

١٤- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾... بكسرتين: خلف والعبسي في اختيارهما، وطلحة، والأعمش، **ومحمد في الأول**، ولحمزة، والكسائي غير من ذكرنا»[(١)].

اختار الإمام الأصبهاني إمالة الهمزة والألف بعدها، وعبّر عن هذا بمصطلح الكسر.

١٥- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمال **محمد بن عيسى** في اختياره الثاني ﴿أَوۡحَىٰ لَهَا﴾»[(٢)].

اختار الإمام الأصبهاني الإمالة في ذات الياء في هذا اللفظ.

١٦- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اختلفوا في إدغامها وإظهارها عند تسعة أحرف التاء كقوله:﴿وَقَد تَّبَيَّنَ﴾، ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ﴾ فأظهرها المسيبي[(٣)] طريق أبيه عن نافع وابن بشار[(٤)] طريق البحتري[(٥)]، وابن مقسم[(٦)] في اختياره، أما عند الجيم

---

(١) الكامل (٣٣٥).

(٢) المصدر السابق (٣٣٧).

(٣) أبو محمد إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن المُسَيَّبي المدني، إمام جليل قيِّم في قراءة نافع ضابط لها، محقِّق فقيه، قرأ على نافع بن أبي نعيم وغيره، أخذ القراءة عنه ولده محمد وأبو حمدون الطيب بن إسماعيل وغيرهما، تُوُفِّيَ سنة ٢٠٦ه. ينظر: معرفة القراء (٨٨)، وغاية النهاية (١/ ١٥٧).

(٤) أبو العباس أحمد بن بشار بن الحسن الأنباري هو عم أبي الإمام أبي بكر بن الأنباري، قرأ على الفضل بن يحيى الأنباري صاحب حفص، قرأ عليه ابن أخيه القاسم بن باشر والد أبي بكر ابن الأنباري وابن شنبوذ. ينظر: غاية النهاية (١/ ٤٠).

(٥) أبو البَخْتَري عبد الله بن محمد بن شاكر العبدي البغدادي، شيخ معروف، روى القراءة عن يحيى بن آدم عن أبي بكر عن عاصم، روى عنه ابن مجاهد وابن الأعرابي وغيرهما. ينظر: غاية النهاية (١/ ٤٤٩).

(٦) أبو بكر محمد بن الحسن بن يعقوب بن عبيد الله بن مقسم البغدادي العطار، الإمام المقرئ النحوي، من أحفظ أهل زمانه لنحو الكوفيِّين وأعرفهم بالقراءات مشهورِها وغريبِها وشاذِها، أخذ القراءة عرضًا عن إدريس بن عبد الكريم وداود بن سليمان وغيرهما، روى القراءة عنه عرضًا ابنه أحمد بن مقسم وأبو بكر بن مهران وغيرهما، تُوُفِّيَ سنة ٣٥٤هـ. ينظر: معرفة القراء (١٧٣)، وغاية النهاية (٢/ ١٢٣).

نحو:﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ﴾، ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا﴾ وعند السين ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ فأدغمها حمزة، والعبسي، وخلف، والأعمش، وعلي، **ومحمد في الأول**»[(١)].

اختار الإمام الأصبهاني إدغام دال (قد) في الجيم والصاد.

١٧- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا﴾ ، ولا ثاني له، وأما في الشين ﴿قَدْ شَغَفَهَا﴾ ولا ثاني له، والصاد ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾، وما أشبهه، فأدغمها فيها ابن محيصن[(٢)]، وهشام، وأبو بحرية[(٣)]، وأبو عمرو، وصاحباه، وأبو السمال[(٤)]، والوليد بن حسان[(٥)]، وحمزة، وخلف، والعبسي، والأعمش، وعلي، **ومحمد في الأول**»[(٦)].

اختار الإمام الأصبهاني دال (قد) في المواضع السابقة.

١٨- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذال إذ: وأما في حروف الصفير: الزاي ﴿وَإِذْ زَيَّنَ﴾ السين، و﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ والصاد، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ﴾ فأدغمها ابن محيصن، وهشام،

---

(١) الكامل (٣٤٠)، وقد توسّع الإمام مكي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الكشف عن وجوه علل القراءات في مسألة الإدغام، وذكر عللاً لكل حرفين جاز إدغامهما، فيذكر أحياناً أن العلة من الإدغام هو تقارب الحرف، أو اشتراك مخرجهما، أو صفتهما، فليراجع للاستفادة (١/ ١٤٤-وما بعدها).

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن مُحَيصِن السهمي المكي، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، ثقة، عرض على مجاهد بن جبر ودرباس مولى ابن عباس وغيرهما، عرض عليه شبل بن عباد وأبو عمرو بن العلاء وغيرهما، تُوُفِّيَ سنة ١٢٣هـ، وقيل: ١٢٢هـ. ينظر: معرفة القراء (٥٦)، وغاية النهاية (٢/ ١٦٧).

(٣) أبو بحرية عبد الله بن قيس السَّكُوني الكِندي الحمصي، صاحب الاختيار في القراءة، تابعي مشهور، قرأ على معاذ بن جبل وروى عنه وعن عمر بن الخطاب، روى القراءة عنه يزيد بن قُطَيب وحدث عنه خالد بن معدان ويونس بن ميسرة، تُوُفِّيَ بعد ٨٠هـ. ينظر: غاية النهاية (١/ ٤٤٢).

(٤) قعنب بن أبي قعنب العدوي البصري، له اختيار في القراءة الشاذة، روى عنه سعيد بن أوس. ينظر: غاية النهاية: (٢/ ٢٧).

(٥) الوليد بن حسان التَّوَّزِي البصري، روى القراءة عرضًا عن يعقوب بن إسحاق الحضرمي، روى القراءة عنه عرضًا محمد بن الجهم. ينظر: غاية النهاية (٢/ ٣٥٩).

(٦) الكامل (٣٤٠).

وأبو بحرية، وأبو عمرو، والوليد بن حسان، وأبو السمال، وعلي، **ومحمد في الأول**»[(١)].

ذكر الإمام الهذلي اختيار الأصبهاني لإدغام ذال (إذ) في حروف الصفير.

١٩- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «تاء التأنيث: قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾، و﴿رَحُبَتْ ثُمَّ﴾ فأدغمها ابن محيصن وأبو بحرية وهشام وابن ذكوان وافق ابن عتبة[(٢)] إلا و﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ سهل[(٣)] وسلام[(٤)] والوليد مثل أبي عمرو وحمزة، والعبسي، والأعمش، وعلي، **ومحمد في اختياره الأول**»[(٥)].

اختار الإمام الأصبهاني إدغام تاء التأنيث في الثاء، والاستثناء الذي ذكره الإمام الهذلي في قوله: «وابن ذكوان وافق عتبة إلا (وكذبت ثمود) هي جملة اعتراضية احترز بذكرها عن إدغام ابن ذكوان من طريق ابن عتبة للفظ (كذبت ثمود) ».

٢٠- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما عند الجيم في قوله: ﴿نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾، و﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ فأدغمها ابن محيصن، وأبو بحرية، وهشام، وأبو عمرو،

---

(١) الكامل (٣٤١).

(٢) أبو العباس الوليد بن عُتْبة بن بنان الأشجعي الدمشقي، مقرئ حاذق، عرض على أيوب بن تميم وروى القراءة عن الوليد بن مسلم وبقية بن الوليد، روى عنه الحروف أحمد بن يزيد الحلواني والفضل بن الأنطاكي، تُوُفِّيَ سنة ٢٤٠هـ. ينظر: معرفة القراء (١١٩)، وغاية النهاية (٢/ ٣٦٠).

(٣) حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد، السجستاني، إمام البصرة في النحو والقراءة واللغة والعروض، وأول من صنَّف في القراءات، عرض على يعقوب الحضرمي وأيوب بن المتوكل وغيرهما، روى القراءة عنه أحمد بن حرب وعلي بن أحمد المسكي وغيرهما، تُوُفِّيَ سنة ٢٥٥هـ، وقيل: ٢٥٠هـ. ينظر: معرفة القراء (ص: ١٢٨)، وغاية النهاية (١/ ٣٢٠).

(٤) أبو المنذر سلَّام بن سليمان الطويل البصري، ثقة جليل ومقرئ كبير، أخذ القراءة عرضًا عن عاصم بن أبي النجود وأبي عمرو بن العلاء وغيرهما، قرأ عليه يعقوب الحضرمي وأيوب بن المتوكل وغيرهما، تُوُفِّيَ سنة ١٧١هـ. ينظر: معرفة القراء (٧٩)، وغاية النهاية (١/ ٣٠٩).

(٥) الكامل (٣٤٢).

وصاحباه، والوليد، والحسن، وأبو السمال وسلام، وحمزة، وخلف، والعبسي، والأعمش، وعلي، **ومحمد في الأول**»[(١)].

اختار الإمام الأصبهاني إدغام تاء التأنيث عند الجيم.

٢١- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما في السين نحو: ﴿أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾، وفي الصاد﴿حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾، و﴿لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ﴾ فأدغم ابن محيصن، وأبو بحرية، وهشام غير الفضل[(٢)]، وأبو عمرو، وصاحباه، والحسن، وأبو السمال وعلي، وحمزة ، وخلف، والعبسي، والأعمش، وعلي، **ومحمد في الأول**»[(٣)].

اختار الإمام الأصبهاني إدغام تاء التأنيث في السين والصاد في المواضع السابقة.

٢٢- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ:«﴿خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ﴾، و﴿كَانَتۡ ظَالِمَةٖ﴾، فأدغمها ابن محيصن، وأبو بحرية، وهشام، وأبو عمرو، وصاحباه، وأبو السمال، والوليد، والحسن، وحمزة، وخلف والعبسي، والأعمش، وعلي، **ومحمد في الأول**»[(٤)].

اختار الإمام الأصبهاني إدغام تاء التأنيث في الزاي والظاء في الموضعين السابقين.

٢٣- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اختلفوا في إدغامها وإظهارها عند تسعة أحرف ... في الثاء ﴿هَلۡ ثُوِّبَ﴾، وفي التاء﴿هَلۡ تَرَىٰ﴾، وفي الزاء ﴿بَلۡ زُيِّنَ﴾، ﴿بَلۡ زَعَمۡتُمۡ﴾، وفي الطاء﴿بَلۡ طَبَعَ﴾، وفي السين ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ﴾، وفي الضاد ﴿بَلۡ ضَلُّواْ﴾، والظاء ﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ﴾ ، وفي النون ﴿بَلۡ نَتَّبِعُ﴾ ، فأدغمها كلها علي **ومحمد في الأول**»[(٥)].

---

(١) الكامل (٣٤٢).

(٢) أبو العباس الرازي الفضل بن شاذان بن عيسى الإمام الكبير، أخذ القراءة عرضاً عن أحمد بن يزيد الحلواني ومحمد بن إدريس الأشعري، وروى عن أبي عمر الدوري ويحيى بن عبد الحميد ومحمد بن حميد، روى القراءة عنه ابنه أبو القاسم العباس والحسن بن سعيد الرازي، مات في حدود التسعين ومائتين. ينظر: غاية النهاية (٢/ ١٠).

(٣) الكامل (٣٤٢).

(٤) المصدر السابق (٣٤٢).

(٥) المصدر السابق (٣٤٣).

اختار الإمام الأصبهاني إدغام لام (هل) و(بل) في حروفها موافقاً للكسائي.

٢٤- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما كان سكونه عارضاً من ذلك ﴿لَبِثْتُ﴾ أدغمها أبو عمرو، وصاحباه، والحسن، وأبو السمال، وابن حسان عن يعقوب، وابن محيصن، واختيار شبل[١]، وأبو جعفر، وشيبة، وحمزة، والعبسي، والأعمش، وعلي **ومحمد في الأول**»[٢].

ذكر الإمام الهذلي اختيار الإمام الأصبهاني في الإدغام الصغير الذي يكون سكونه سكوناً عارضاً؛ كسكون الثاء لاتصال الفعل بتاء المتكلم.

٢٥- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يُرِدْ ثَوَابَ﴾ فأدغمها ابن محيصن، وشامي، وأبو عمرو، وصاحباه، والحسن، والوليد، وأبو السمال، وحمزة، والعبسي، وخلف، والأعمش، وعلي، **ومحمد في الأول**»[٣].

اختار الإمام الأصبهاني إدغام الدال الساكنة في الثاء -المتقاربين- في لفظ ﴿يُرِدْ ثَوَابَ﴾.

٢٦- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿عُذْتُ﴾ فأدغمها ابن محيصن وأبو بحرية، وهشام وأبو عمرو واختيار اليزيدي[٤]، والحسن، والوليد، وأبو السمال، وحمزة، والعبسي، وخلف، وعلي، **ومحمد في الأول**»[٥].

اختار الإمام الأصبهاني إدغام الذال في التاء في لفظ (عذت).

---

(١) أبو داود شبل بن عبَّاد المكي، ثقة ضابط، من جل أصاحب ابن كثير ومقرئ مكة، عرض عليه، وعلى ابن محيصن، وغيرهما، قرأ عليه: إسماعيل القسط، وداود بن شبل، وغيرهما، توفي سنة ١٤٨هـ. ينظر: معرفة القراء: (٧٨)، وغاية النهاية: (١/ ٣٢٣).

(٢) الكامل (٣٤٣).

(٣) المصدر السابق (٣٤٤).

(٤) أبو عبد الله محمد بن يحيى بن المبارك ابن اليزيدي، أخذ القراءة عن أبيه. ينظر: غاية النهاية (٢/ ٢٧٧).

(٥) الكامل (٣٤٣).

٢٧- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(صاد ذكر) «بالإدغام ابن محيصن، وشامي، وأبو عمرو، وصاحباه، والوليد بن حسان، والحسن، وأبو السمال، وحمزة، والأعمش، والعبسي، وخلف، وعلي، **ومحمد في الأول**» [١].

اختار الإمام الأصبهاني إدغام دال (صاد) في لفظ (كهيعص) في الذال من لفظ (ذكر).

٢٨- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يسٓ﴾، و ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ﴾ محققان ابن محيصن، .... والحسن، وعلي، **ومحمد في الأول**» [٢].

اختار الإمام الأصبهاني إدغام النون في الواو من لفظ (يس والقرآن)، وفي لفظ (ن والقلم).

٢٩- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ﴾ أدغمها بغير غنة حمزة، والأعمش، والعبسي، وخلف، وعلي **ومحمد في الأول**»[٣].

اختار الإمام الأصبهاني إدغام نون التنوين في اللام بغير غنة.

٣٠- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ﴾ وأخواتها في خمسة مواضع مثل ﴿يَثۡبُ فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾، و﴿فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ﴾، ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٌ﴾ أدغمها علي **ومحمد في الأول**» [٤].

ذكر الإمام الهذلي اختيار الإمام الأصبهاني إدغام الباء المجزومة في الفاء في الألفاظ الخمسة السابقة.

---

(١) الكامل (٣٤٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) الكامل (٣٤٦).

(٤) المصدر السابق.

المبحث الثاني: ما جاء من قبيل الفرش:

٣١- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ [الطور: ٢٨] بفتح الهمزة ابْن سَعْدَانَ في اختياره ومدني غير اختيار ورش وعلي **ومحمد في الأول**»[(١)].

وهي قراءة متواترة، قرأ بها: نافع والكسائي وأبو جعفر، على تقدير: (لأنه هو البر)، فـ (أنَّ) اسم لدخول حرف الجر عليها[(٢)].

٣٢- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(أَطْعمَ) [البلد: ١٤] بفتح الهمزة على الفتح مكي غير اختيار شِبْل وابن مقسم وأَبُو عَمْرٍو غير عبد الصمد[(٣)] وعلي **ومحمد في الأول**»[(٤)].

وهي قراءة متواترة، قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، وفي توجيهها قال في الكشف: «لما وقع لفظ الماضي في قوله: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ﴾ واحتاج إلى تفسير الاقتحام ما هو فسره بفعل ماضٍ»[(٥)].

٣٣- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿الصَّعقَةُ﴾ بغير ألف في جميع القرآن ابن مُحَيْصِن، قال نصر بن علي[(٦)]: إلا ﴿صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾، وافق علي **ومحمد في**

---

(١) الكامل (٤٠٢).

(٢) ينظر: الكشف، لمكي (٢/ ٢٩٢).

(٣) أبو الأزهر عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم العُتَقي المصري، راوٍ مشهور بالقراءة متصدّر ثقة، أخذ القراءة عرضًا عن ورش وأبي دِحية المُعَلَّى وغيرهما، روى القراءة عنه عرضًا وسماعًا بكر بن سهل الدمياطي ومحمد بن سعيد الأنماطي وغيرهما، تُوُفِّيَ سنة ٢٣١هـ. ينظر: معرفة القراء (١٠٧)، وغاية النهاية (١/ ٣٨٩).

(٤) الكامل (٤٠٤).

(٥) الكشف، لمكي (٢/ ٣٧٦).

(٦) نصر بن علي بن نصر بن علي بن صهبان، أبو عمرو الجهضمي، روى القراءة عرضاً عن أبيه علي، روى القراءة عنه أبو موسى محمد بن عيسى الهاشمي، توفي في ربيع الآخر سنة خمسين ومائتين. ينظر: غاية النهاية (٢/ ٣٣٨).

الأول في ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾»[(١)]. وهي قراءة متواترة قرأ بها الكسائي، وتوجيهها: لغة تميم وبعض بني ربيعة[(٢)].

٣٤- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَمَنۡ﴾ حرف جر ﴿عِندَهُۥ﴾ مجرور ﴿عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣] مضاف اختيار **ابن عيسى**»[(٣)].

وهي **قراءةٌ شاذة** (ومِن عندِهِ علمُ الكتابِ)، قرأ بها عدد كبير، منهم: محمد، علي بن أبي طالب، وابن عباس، والحسن، وعوف عن الحسن، وأُبَيّ بن كعب وغيرهم، وتوجيهها: على جعل (مِن) حرف جَرّ، وجُرَّ ما بعده به، وارتفاع (عِلْمُ) على الابتداء، والجار والمجرور في موضع الخبر، و(الكتابِ) مخفوض بالإضافة[(٤)].

٣٥- قال الإمام الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قَدۡ جَآءَتۡكَ﴾، و﴿فَكَذَّبۡتَ﴾، و﴿وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ﴾، ﴿وَكُنتَ﴾ [الزمر:٥٩] بالكسر فيهن: أبو حيوة[(٥)]، والجحدري[(٦)]، والزعفراني[(٧)]

---

(١) الكامل (٤٨٥).

(٢) ينظر: الدر المصون، للسمين الحلبي (١/ ١٧٣).

(٣) الكامل (٥٧٩).

(٤) ينظر: جزءٌ فيه قراءات النبي ﷺ، للدوري (١١٦)، وغرائب القراءات، للأصفهاني (٥٠٢)، والمحتسب، لابن جني (١/ ٣٥٨)، ومفردة الحسن البصري، للأهوازي (٢٣٩)، وشواذ القرآن، للكرماني (١/ ٤٠٩)، والجامع، للقرطبي (٢/ ٦٨٤).

(٥) أبو حيوة شريح بن يزيد الحضرمي الحمصي، صاحب القراءة الشاذة ومقرئ الشام، له اختيار في القراءة، روى القراءة عن أبي البَرَهْسَم عمران بن عثمان وعن الكسائي قراءته، روى عنه قراءته ابنه حيوة، وروى أيضًا عنه قراءة الكسائي، ومحمد بن عمرو بن حنان الكلبي وغيرهما، تُوُفِّيَ سنة ٢٠٣ه. ينظر: غاية النهاية (١/ ٣٢٥).

(٦) أبو الـمُجَشِّر عاصم بن أبي الصباح العَجَّاج الجَحْدريُّ البصري، أخذ القراءة عرضًا عن سليمان بن قَتَّة عن ابن عباس وقرأ أيضًا على نصر بن عاصم والحسن وغيرهما، قرأ عليه عرضًا عيسى بن عمر الثقفي وروى عنه الحروف المـُعلَّى بن عيسى الورَّاق وأحمد بن موسى اللؤلؤي وغيرهما، تُوُفِّيَ قبل سنة ١٣٠ه. ينظر: الأرجوزة المنبهة للداني (١٤٠)، غاية النهاية (١/ ٣٤٩).

(٧) أبو محمد عبد الله بن محمد بن هاشم الزعفراني، روى القراءة عرضًا عن عبيد بن الصباح وروح بن عبد المؤمن وغيرهما، روى القراءة عنه عرضًا علي بن الحسين الغضائري. ينظر: معرفة القراء (١٤٤)، وغاية النهاية (١/ ٤٥٤).

ومسعود بن صالح[١]، والشافعي[٢] عن ابن كثير، **ومحمد بن عيسى في اختياره**»[٣].

وهي **قراءة شاذة** (جاءتكِ، فكذبتِ، واستكبرتِ، وكنتِ)، قرأ بها: ابن يعمر وغيره من القراء، ورَوَتْها أمُّ سَلَمَةَ عن النبي ﷺ، وبها قرأ أبو بكر وابنتُه عائشةُ رضي الله عنهما ، -بكسرِ الكاف والتاءِ- خطاباً للنفسِ[٤].

(١) مسعود بن صالح السمرقندي، له اختيار في القراءة رواه الهذلي، وذكره بإسناد غير معروف، قرأ على أبي عمرو وغيره، روى القراءة عنه أحمد بن عبد الله الكرابيسي، تُوُفِّيَ سنة ٢٤٥هـ. ينظر: غاية النهاية (٢/ ٢٩٦).

(٢) أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، أخذ القراءة عرضاً عن إسماعيل المكي، وروى القراءة عنه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم (ت٢٠٤هـ). ينظر: طبقات الفقهاء للشيرازي (٧١)، وغاية النهاية (٢/ ٩٥).

(٣) ينظر: الكامل (٦٣٠).

(٤) ينظر: الدر المصون (٩/ ٤٣٧)، وقال القرطبي في تفسيره (١٥/ ٢٧٣): "وهو خطاب الذكر؛ لأن النفس تقع على الذكر والأنثى".

الخاتمة

الحمد لله الذي وفَّق بمنه وفضله وأعان على إكمال هذه الدراسة، والتي خلصت من خلالها إلى نتائج وتوصيات عديدة، من أبرزها:

أولاً: النتائج:

١- جاءت اختيارات الإمام الأصبهاني -في كتاب الكامل- خمسة وثلاثين (٣٥) موضعاً، ثلاثون منها (٣٠) في قسم الأصول، وخمسة منها (٥) في الفرش.

٢- أن درجة الاختيار عند الإمام الأصبهاني ليست واحدة، فمنها الأول، ومنها الثاني، ومنها ما يتساوى عنده.

٣- جميع اختيارات الإمام الأصبهاني الوارد ذكرها في الكامل هي من قبيل المتواتر المقروء به إلى الآن، باستثناء موضعين.

ثانياً: التوصيات:

١- أوصي الباحثين باستقراء مؤلفات العلماء السابقين في القراءات، واستخراج الكنوز المكنونة في هذه الأسفار، وإبرازها ودراستها؛ ليستفيد منها المتخصصون.

٢- الاهتمام بجمع اختيارات العلماء المعتبرين في هذا الفن، خاصة من اعتبرت كتبهم من أصول النشر.

فهرس المصادر والمراجع

١. **الاختيار عند القراء مفهومه وأثره في القراءات**، إعداد: أمين إدريس بن عبد الرحمن فلاتة، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى ١٤٢١هـ.

٢. **الأنساب**، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعانيّ المروزيّ (ت:٥٦٢هـ)، تصحيح وتعليق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، طُبع بإعانة وزارة المعارف والشؤون الثقافية للحكومة الهندية، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.

٣. **تاج العروس من جواهر القاموس**، لمحمد بن محمد الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ)، بتحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٤. **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت:٧٤٨هـ)،تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٥. **التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن**، للشيخ طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري، الطبعة الأولى: ١٣٣٤هـ، مطبعة المنار بمصر.

٦. **الثقات**، لمحمد بن حبان بن أحمد، التميمي، البُستي (ت:٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند.

٧. **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت:٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصري، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

٨. **جزء فيه قراءات النبي ﷺ، لأبي عمر حفص بن عمر الدوري** (ت:٢٤٦هـ)، تحقيق: أ.د.حكمت بشير ياسين، مكتبة الدار، بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٩. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، لأبي العباس أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت:٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

١٠. **سير أعلام النبلاء**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت:٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

١١. **شواذ القرآن واختلاف المصاحف**، لمحمد بن أبي نصر الكرماني (ت: بعد٥٦٠هـ)، تحقيق: أ.د. الموافي الرفاعي البيلي، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.

١٢. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت:٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

١٣. **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، تحقيق: السيد عزت عطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١١، ١٣٧٤هـ.

١٤. **غاية النهاية في طبقات القراء**، لابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت:٨٣٣هـ)، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.

١٥. **غرائب القراءات وما جاء فيها من اختلاف الرواية عن الصحابة والتابعين والأئمة المتقدمين**، لأبي بكر أحمد بن الحسين الأصفهاني، المعروف بابن مهران (ت:٣٨١هـ)، تحقيق: براء بن هاشم الأهدل، رسالة دكتوراه بقسم القراءات بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤٣٨هـ-١٤٣٩هـ.

١٦. **قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين**، لأحمد بن أبي عمر المعروف بالأندرابي، حققه وقدم له أحمد نصيف الجنابي، الطبعة الثالثة. الجنابي، أحمد نصيف، الناشر بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م – ١٤٠٧هـ.

١٧. **القراءات القرآنية تاريخ وتعريف**، د. عبد الهادي الفضلي، مركز الغدير، لبنان – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

١٨. **القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والرد عليه**، لمحمد عارف عثمان موسى الهرري، الجامعة الإسلامية،١٩٨٦م ١٤٠٦هـ.

١٩. **القواعد والإشارات في أصول القراءات**، لأحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا، الحموي الحلبي (المتوفى: ٧٩١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الكريم بن محمد الحسن بكار، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٠. **آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان**، لإسحاق بن الحسين المنجم، طبعة دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢١. **الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها**، لأبي القاسم يوسف بن علي الهذلي (ت:٤٦٥هـ)، تحقيق: جمال السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

٢٢. **الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها**، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت:٤٣٧هـ)، تحقيق: محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٧٤م، دمشق.

٢٣. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لمصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

٢٤. **ابراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع**، لأبي شامة المقدسي، تحقيق: محمود بن عبد الخالق جادو، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٣هـ.

٢٥. **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، لأبي شامة المقدسي، تحقيق: طيار آلتي قولاج، طبعة دار صادر، بيروت، ١٣٩٥هـ.

٢٦. **طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها**، لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: عبد الغفور البلوشي، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ.

٢٧. **لسان العرب**، لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (ت:٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٢٨. **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت:٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف -المجلس الأعلى بوزارة الشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ.

٢٩. **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت:٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ.

٣٠. **مفردة الحسن البصري**، لأبي العلي الحسن بن علي الأهوزاي (ت:٤٤٦هـ)، تحقيق: د.عمار بن أمين الددو، مجلة البحوث والدراسات القرآنية التي يصدرها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، العدد الثاني، السنة الأولى، رجب ١٤٢٧هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	١١
المقدمة	١٢
أهمية البحث	١٣
أسباب اختيار الموضوع	١٣
أهداف البحث	١٤
منهج البحث	١٤
خطة البحث	١٥
التمهيد: تعريفات ومقدمات	١٧
أولاً: تعريف الاختيار عند القراء	١٧
المطلب الأول: تعريف الاختيار لغة	١٧
المطلب الثاني: تعريف الاختيار اصطلاحاً	١٧
ثانياً: تعريف بالإمام الهذلي صاحب كتاب (الكامل)	١٩
ثالثاً: التعريف بكتاب (الكامل)	٢٠
القسم الأول: قسم الدراسة	
المبحث الأول: ترجمة موجزة للإمام الأصبهاني	٢٢
المبحث الثاني: منهج الهذلي في عرض اختيارات الإمام الأصبهاني	٢٤
القسم الثاني: قسم الدراسة التطبيقية	
اختيارات الإمام محمد بن عيسى الأصبهاني: جمعاً ودراسة	
المبحث الأول: ما جاء من قبيل الأصول	٢٦
المبحث الثاني: ما جاء من قبيل الفرش	٣٧
الخاتمة	٤٠
فهرس المصادر والمراجع	٤١
فهرس الموضوعات	٤٥

مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية

مصطلح القراء قديمًا وحديثًا

دراسة تحليلية

إعداد

د. فيصل بن جميل بن حسن غزاوي

إمام الحرم المكي والأستاذ المشارك بقسم القراءات-
كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى

• من مواليد عام ١٣٨٥هـ بمكة المكرمة.
• تخرج في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى عام ١٤٠٩هـ.
• نال شهادة الماجستير من قسم الكتاب والسنة كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى عام ١٤١٨هـ بأطروحة: "تحقيق جزء من كتاب التوضيح شرح الجامع الصحيح لابن الملقن"، كما نال شهادة الدكتوراه منه عام ١٤٢٣هـ بأطروحة: "منهج الإمام ابن عطية في عرض القراءات وأثر ذلك في تفسيره".
• من أعماله المنشورة: المحاكاة في قراءة القرآن.
• البريد الشبكي: fgalghazawi@hotmail.com

(قدم للنشر في ١٤٤٤/٣/٢٣هـ ؛ وقبل للنشر في ١٤٤٤/٤/١٦هـ)

الملخص

تُعنى هذه الدراسة ببيان مصطلح القراء من حيث التعريف به وذكر جملة من الأحاديث والآثار التي تضمنت هذا المصطلح وما ذكره بعض أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين في بيان معناه والذي يتضح من خلاله كونه يطلق على معان مختلفة، وليس على معنى واحد.

ومن نتائج هذه الدراسة: أن هذا المصطلح كان يطلق في الصدر الأول على أهل العلم والدين ويراد به العلماء الذين كانوا قراء وفقهاء، حتى تغير مدلوله فأصبح يطلق في العصور المتأخرة على المختصين بالقرآن الكريم حفظاً وضبطاً وتلاوةً وإقراءً.

الكلمات المفتاحية: القراء، الإقراء، الحفاظ، العلماء.

والله الموفق.

المقدمة

الحمد لله أنزل الكتاب تبيانا لكل شيء، وهدى للمتقين، وأرسل رسوله محمدا ﷺ خاتما للنبيين ورحمة للعالمين، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فقد نال الرفعة والشرف المبين أولئك الذين اصطفاهم رب العالمين، الذين أورثوا الكتاب المستبين، التالون لكتابه المتدبرون له العاملون بما فيه المتخلقون بأخلاقه المتأدبون بآدابه، وهذا هو سبيل الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة.

وقد كان للعلماء في القديم والحديث شأن عظيم مع كتاب الله عز وجل من حيث العناية به والاهتمام البالغ في تعلمه والتفقه فيه واستخراج هداياته والعمل به.

مشكلة البحث:

من المعلوم أن القارئ في الصدر الأول علاوة على عنايته الفائقة بكتاب الله حفظا وتدبرا وعملا فقد كان يعرف برسوخه في العلم وإتقانه لعلوم الشريعة المختلفة، حتى ظهرت التصانيف والتآليف وتفنن من تفنن في علوم معينة وأصبح مصطلح القراء مختصا بفئة من الناس دون غيرهم. ونظرا لشيوع مصطلح (القراء) بمعان متعددة رأيت أن أجلي مدلولات هذا المصطلح بحسب استعمالاته والمراحل التي مر بها، في بحث سميته "**مصطلح القراء قديماً وحديثاً: دراسة تحليلية**".

أهمية الموضوع:

تبرز أهمية الموضوع في عدة أمور:

١- كونه متعلقا بكتاب الله، والعلوم إنما تشرف بشرف متعلقها.

٢- إطلاق هذا المصطلح على عدة معان بحسب استعماله.

٣- أنني لم أجد –حسب اطلاعي– من كَتَب في هذا الباب بحثا مفردا مستقلا.

أسباب اختيار الموضوع:

تكمن أسباب الاختيار للموضوع فيما يلي:

١- أهمية هذا الموضوع، وقد تقدم ذلك.

٢-معرفة المصطلحات العلمية التي يكثر ورودها في كتب العلماء، وتمييز المقصود بها قديما وحديثا.

٣- الإسهام في خدمة كتاب الله وعلوم القرآن المتعلقة به.

الدراسات السابقة:

حسب اطلاعي لم أجد بحثا موضوعيا ودراسة تحليلية تفصيلية أكاديمية في الموضوع وفق ما تناولته في خطة البحث.

خطة البحث:

وتتكون من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على: مشكلة البحث، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

المبحث الأول: معنى القراء في اللغة.

المبحث الثاني: النصوص والآثار التي ورد فيها ذكر القراء.

المبحث الثالث: المعنى المراد للقراء عند المتقدمين.

المبحث الرابع: نشأة المصطلح الخاص لمفردة القراء والمعنى الاصطلاحي لدى المتأخرين.

الخاتمة: وفيها ذكر أهم نتائج البحث.

الفهارس: وتشتمل على التالي:

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

منهج البحث وخطوات العمل فيه:

سيكون منهج البحث إن شاء الله وفق المنهج العلمي التحليلي الموضوعي القائم على جمع واستقراء ما كتب في الباب حسب الخطوات التالية:-

١- الالتزام بالمنهج العلمي المتبع في البحث والرجوع للمصادر الأصيلة ما أمكن.

٢- مراعاة القواعد الإملائية المقررة، مع الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

٣- نسبة الآيات إلى مواضعها؛ بذكر اسم السورة ورقم الآية، مع كتابتها بالرسم العثماني.

٤- عزو الأحاديث والآثار إلى مصادرها الأصلية مع تخريجها وفق المنهج الحديثي المتبع.

٥- توثيق النقول الواردة من مصادرها الأصلية، والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق.

المبحث الأول

معنى القراء في اللغة

مادة قرأ تأتي بمعنى تلا وجمع، تقول قرأ الكتاب قراءة أي تلاه وتقول قَرَأَ الشيء قُرْءانا: جمعه وضم بعضه إلى بعض، والقراء: الرجل المتنسِّك، وقد تَقَرَّأَ، أي تنسَّكَ قال الفرّاءُ: القُرَّاءُ: يكون من القِراءة جمع قارئٍ، ويكون من التَّنَسُّك وجمع القُرّاء: قُرَّاؤُون وقَرَّائِي...يقال: رجل قُرَّاءٌ وامْرأَة قُرَّاءةٌ. وتَقَرَّأَ: تَفَقَّه. وتَقَرَّأَ: تَنَسَّكَ. ويقال: قَرَأْتُ أَي صِرْتُ قارِئاً ناسِكاً وجمع القارِئِ قَرَأَةٌ مثل كافر وكفرة والقُرَّاءُ بالضم والمد: المتنسك، وقد يكون جمع قارئ، والقَارِئُ والْمُتَقَرِّئُ والقُرَّاءُ كُلّه: الناسِكُ، مثل حُسَّانٍ وجُمَّال.[1]

(١) ينظر: مختار الصحاح (ص: ٢٤٩)، لسان العرب (١/ ١٣٠).

المبحث الثاني

النصوص التي ورد فيها لفظ القراء

جاءت لفظة القراء في متون أحاديث وآثار مروية، نذكر جملة منها، مع بيان المراد بها في كل نص وما تدل عليه.

١- عن أنس بن مالك ﷺ: «أنَّ رِعْلًا وذَكْوَانَ وعُصَيَّةَ وبَنِي لَحْيَانَ اسْتَمَدُّوا رَسولَ اللهِ ﷺ علَى عَدُوٍّ، فأمَدَّهُمْ بسَبْعِينَ مِنَ الأنْصَارِ، كُنَّا نُسَمِّيهِمُ القُرَّاءَ في زَمَانِهِمْ، كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بالنَّهَارِ، ويُصَلُّونَ باللَّيْلِ، حتَّى كَانُوا ببِئْرِ مَعُونَةَ قَتَلُوهُمْ وغَدَرُوا بهِمْ، فَبَلَغَ النبيَّ ﷺ فَقَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو في الصُّبْحِ علَى أحْيَاءٍ مِن أحْيَاءِ العَرَبِ، علَى رِعْلٍ، وذَكْوَانَ، وعُصَيَّةَ، وبَنِي لَحْيَانَ [(١)] ولمسلم: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: أَنِ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُمْ: الْقُرَّاءُ، فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ ...»[(٢)] قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعليقا على رواية البخاري: «قد بيَّن قتادة في روايته (أي عن أنس) أنهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل، وفي رواية ثابت: «ويشترون به الطعام لأهل الصفة، ويتدارسون القرآن بالليل ويتعلمون»[(٣)] فتبين أن إطلاق مسمى القراء على هؤلاء السبعين من الصحابة كان بسبب عنايتهم الفائقة بكتاب الله تلاوة وحفظا وتعلما لما تضمنه من أحكام وتوجيهات.

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنِ بنِ حُذَيْفَةَ بنِ بَدْرٍ، فَنَزَلَ علَى ابْنِ أخِيهِ الحُرِّ بنِ قَيْسِ بنِ حِصْنٍ، وكانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وكانَ القُرَّاءُ

(١) الحديث أخرجه البخاري (٥/ ١٠٥) في كتاب المغازي، غزوة الخندق وهي الأحزاب برقم (٤٠٩٠).
(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٥١١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ثبوت الجنة للشهيد برقم (٦٧٧)
(٣) فتح الباري: (٧/ ٤٤٧).

أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ ومُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يا ابْنَ أَخِي، هلْ لكَ وجْهٌ عِنْدَ هذا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنَ لِي عليه؟ قالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لكَ عليه، قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الحر لِعُيَيْنَةَ فأذن له عمر، فَلَمَّا دَخَلَ عليه قالَ: هي يا ابْنَ الخَطَّابِ، فواللهَّ ما تُعْطِينَا الجَزْلَ، ولا تَحْكُمُ بيْنَنَا بالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ، حتَّى هَمَّ أَنْ يَقَعَ به، فَقالَ الحُرُّ: يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إنَّ اللهَّ تَعَالَى قالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإنَّ هذا مِنَ الجَاهِلِينَ، وَاللهَّ ما جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عليه، وكانَ وقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهَّ.(١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: والقراء في لغة السلف هم أهل العلم والدين؛ كما في الحديث الصحيح: كان القراء أهل مجلس عمر شيوخا كانوا أو شبابا.(٢) وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: (وكان القراء: أي العلماء العباد أصحاب مجلس عمر...»(٣) قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان القراء: أي العلماء، وكان اصطلاح الصدر الأول أنهم كانوا يطلقون القراء على العلماء»(٤).

٣- وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رجلٌ في غزوةِ تبوكَ في مجلسٍ يومًا : ما رأيتُ مثلَ قرَّائِنا هؤلاءِ لا أرغبَ بطونًا ولا أكذَبَ ألسِنَةً ولا أجبَنَ عند اللِّقاءِ فقال رجلٌ في المجلِسِ : كذبتَ ولكنَّكَ منافقٌ لأخبرَنَّ رسولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ فبلغَ ذلك النَّبيَّ صَلَّى اللهُّ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ ونزل القرآنُ قال عبدُ اللهَّ : فأنا رأيتُهُ متعلِّقًا بِحِقبِ ناقةِ رسولِ اللهَّ تنكُبُهُ الحجارةُ وهو يقولُ : يا رسولَ اللهَّ إنما كنَّا نخوضُ ونلعَبُ ورسولُ اللهَّ صَلَّى الله عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ يقول

(١) الحديث أخرجه البخاري صحيح البخاري (٦/ ٦٠) في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾ برقم (٤٦٤٢).

(٢) الرد على السبكي في مسألة تعليق الطلاق (٢/ ٦٣٥).

(٣) ينظر: فتح الباري (١٣/ ٢٥٨).

(٤) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٥/ ٨٠).

﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ – ٦٦][(١)].

قال سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء»: القراء جمع قارئ وهم عند السلف الذين يقرؤون القرآن ويعرفون معانيه، أما قراءته من غير فهم لمعناه، فلا يوجد في ذلك العصر، وإنما حدث بعد ذلك من جملة البدع[(٢)]. وهذا هو المعنى المراد عند إطلاق مسمى القراء على فئة من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كما بينه العلماء السابقون، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولم يكن للصحابة كتابٌ يدرسونه وكلامٌ محفوظٌ يتفهَّمون فيه يكتبونه إلّا القرآن. لم يكن الأمر عندهم مثل ما هو في المتأخرين أن قومًا يقرأون القرآن ولا يفهمونه، وآخرون يتفهمون في كلام آخرين، وآخرون يشتغلون بعلوم أُخَر، بل كان القراء عندهم أهل العلم المحفوظ، وذلك اسمٌ معروفٌ لهم. وهذا مما يُوجِب العلمَ بحرصهم على فهم معناه، وإذا كانوا حِرَاصًا والرسولُ بين أظهرهم فمن الممتنع أن يكونوا يرجعون إلى غيره في بيانِ معانيه وتفصيل مجملِه وبيان متشابهه، فعُلِم أنهم أخذوا عن الرسول بيانَ معاني آيات القرآن التي يقال: إنها مشكلةٌ أو مجملةٌ»[(٣)].

٤- وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثر منافقي أمتي قراؤها**». وفي رواية: «**أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها**».[(٤)]

---

(١) الحديث أخرجه ابن جرير (١٤/ ٣٣٣) وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٢٩) ورجاله رجال الصحيح إلا هشام بن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد، وله شاهد بسند حسن.

(٢) ينظر: جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية (ص:١٤).

(٣) ينظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (٥٣٩).

(٤) رواه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٥٧) وأحمد (١١/ ٢١٠) وابن أبي شيبة (٧/ ٧٩) والبيهقي (٩/ ٢١٧) والطبراني (١٧/ ٣٠٥) وقال الأرناؤوط في تحقيقه لمسند أحمد: (١١/ ٢١٣): إسناده حسن،=

قال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الشيخ عبيد الله بن محمد: فإن سأل سائل عن معنى هذا الحديث، وقال: لم خص القراء بالنفاق دون غيرهم؟ فالجواب عن ذلك: إن الرياء لا يكاد يوجد إلا فيمن نسب إلى التقوى، ولأن العامة والسوقة قد جهلوه، والمتحلين بحلية القراء قد حذقوه، والرياء هو النفاق؛ لأن المنافق هو الذي يسر خلاف ما يظهر، ويسر ضد ما يبطن، ويصف المحاسن بلسانه، ويخالفها بفعله، ويقول ما يعرف، ويأتي ما ينكر، ويترصد الغفلات لانتهاز الهفوات»[(١)].

وقال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله: «**أكثر منافقي أمتي قراؤها**»: «فهو أن يعتاد ترك الإخلاص في العمل، كما جاء: «التاجر فاجر»[(٢)]، وأراد: إذا اعتاد التاجر الكذب في البيع والشراء، لا أن نفس التجارة فجور، بل هي أمر مأذون فيه، مباح في الشرع»[(٣)].

وقال المُناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ... «أي الذين يتأولونه على غير وجهه ويضعونه في غير مواضعه أو يحفظون القرآن تقية للتهمة عن أنفسهم وهم معتقدون خلافه، فكان المنافقون في عصر النبي ﷺ بهذه الصفة، ذكره ابن الأثير. وقال الزمخشري: أراد بالنفاق الرياء لأن كلا منهما إرادة ما في الظاهر خلاف ما في الباطن. ا.هـ. وبسطه

=وقال الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٢/ ٣٨٦): ورد من حديث عبد الله بن عمرو وعقبة بن عامر، وعبد الله بن عباس، وعصمة بن مالك.

(١) الإبانة الكبرى (٢/ ٧٠٣).

(٢) ذكر الخلال بسنده عن أبي سعيد، قال: كان علي إذا أتى السوق فيقول: «يا أهل السوق، اتقوا الله، إياكم والحلف، فإن الحلف ينفق السلعة ويمحو البركة، وإن التاجر فاجر، إلا من أخذ الحق، وأعطى الحق، والسلام عليكم» وقد روي مرفوعا، وقد ورد الحديث بلفظ: إن التجار هم الفجار أخرجه أحمد في مسنده، (٢٤/ ٢٩٠) برقم١٥٥٣٠والحاكم في المستدرك برقم ٢١٤٥، والبيهقي في الشعب برقم (٤٨٤٥) كلهم من حديث عبد الرحمن بن شبل، وأخرجه الطبراني في الكبير عن معاوية برقم ٧١١ وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٥٩٤).

(٣) ينظر: شرح السنة (١/ ٧٧).

بعضهم فقال: أراد نفاق العمل لا الاعتقاد، ولأن المنافق أظهر الإيمان بالله لله وأضمر عصمة دمه وماله. والمرائي أظهر بعلمه الآخرة وأضمر ثناء الناس وعرض الدنيا، والقارئ أظهر أنه يريد الله وحده وأضمر حظ نفسه وهو الثواب ويرى نفسه أهلا له وينظر إلى عمله بعين الإجلال فأشبه المنافق واستويا في مخالفة الباطن والظاهر». (١)

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استشهد فأُتِيَ به فعرَّفه نعمَه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال هو جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسُحبَ على وجهه حتى ألقي في النار، ورجلٌ تعلَّم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن فأتي به فعرَّفه نعمَه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل ثم أمر به فسُحبَ على وجهه حتى ألقي في النار، ورجلٌ وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل ثم أمر به فسُحبَ على وجهه ثم ألقي في النار. (٢)

والشاهد من الحديث قوله ﷺ: «**ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ**» وهم الصنف الثاني من الأصناف الثلاثة الذين هم أول من يُقضى عليهم يوم القيامة والذين هم أول من تسعر بهم النار يوم القيامة. قال ابن هبيرة

(١) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير (٢/ ١٠٢).

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥١٣) في كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار برقم ١٩٠٥.

رَحِمَهُ اللَّهُ: في هذا الحديث من الفقه أن هؤلاء الثلاثة فيما أرى: لم تكن أفعالهم إلا ليقال عنهم. فأما لو كانت أفعالهم لأجل الله تعالى؛ ثم عقب ذلك أن يقال جريء وعالم وجواد فسرهم ذلك لم تكن إيثارهم لهذا المدح مما يحل عقدة عزمهم الأول، ولم يكن هذا التوبيخ متناولا لهم؛ لأنه إذا تعلم العالم العلم لله ثم سره أن يقال إنه عالم لم يتناوله هذا الذم، وكذلك المنفق والمجاهد إذا قيل بعد خلوص نيتهما جواد وجريء لم يضرهما إذا لم يكن مبنى قصدهما لذلك.(١)

٦- عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقا بعيدا، فإن أخذتم يمينا وشمالا، لقد ضللتم ضلالا بعيدا».(٢) قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «القراء: بضم القاف وتشديد الراء، مهموز جمع قارئ، والمراد بهم العلماء بالقران والسنة العباد».(٣)

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٨ / ٣٦).

(٢) صحيح البخاري (٩/ ٩٣) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ برقم ٦٨٥٣.

(٣) فتح الباري (١٣/ ٢٥٧).

المبحث الثالث

المعنى المراد للقراء عند المتقدمين

هناك ما يدل على أن مصطلح القراء عند المتقدمين من أهل العلم له دلالة خاصة فكان يطلق ويراد به صنف من الناس عرفوا بذلك، وهذا يتضح من خلال النقاط التالية:

أولا: بالنظر إلى النصوص السابقة وما بينه العلماء، يتجلى لنا أن لفظ القراء في صدر الإسلام كان يطلق ويراد به أهل العلم، فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب**»(١).

فهذا الحديث النبوي يجلي لنا بعض مشاهير القراء من الصحابة رضي الله عنهم ممن اشتهروا بالحفظ والإقراء وإلا فإن حفاظ القرآن من الصحابة كثير قال الزرقاني رحمه الله: «وكان حفاظ القرآن في حياة الرسول جما غفيراً منهم الأربعة الخلفاء وطلحة وسعد وابن مسعود وحذيفة وسالم مولى أبي حذيفة وأبو هريرة وابن عمر وابن عباس وعمرو بن العاص وابنه عبد الله ومعاوية وابن الزبير وعبد الله بن السائب وعائشة وحفصة وأم سلمة وهؤلاء كلهم من المهاجرين رضوان الله عليهم أجمعين. وحفظ القرآن من الأنصار في حياته أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو الدرداء ومجمع بن حارثة وأنس بن مالك وأبو زيد الذي سئل عنه أنس فقال: إنه أحد عمومتي رضي الله عنهم أجمعين. وقيل: إن بعض هؤلاء أكمل حفظه للقرآن

(١) الحديث أخرجه البخاري (٥/ ٣٦) في كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه برقم (٣٨٠٨)، وكتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبي ﷺ برقم ٤٩٩٩، وأخرجه مسلم (٤/ ١٩١٣) في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله تعالى عنهما برقم (٢٤٦٤).

بعد وفاة النبي ﷺ».[١]

ومعلوم أن منهج الإقراء السائد في زمان الصحابة والذي أخذوا به القرآن من رسول الله ﷺ هو منهج يجمع به المتعلم بين العلم بألفاظ القرآن وما تضمنه من أحكام والعمل بمدلوله في آن واحد، فهذه هي الطريقة التي أخذوا بها القرآن الكريم، ويدل على هذا: ما رواه أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي يقول: «حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ، أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل».[٢]

وهذا سر بقائهم السنين الطوال في حفظ السورة الواحدة، فقد بلغ الإمام مالك أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها [٣]قال الزرقاني رحمه الله: «ليس ذلك لبطء حفظه معاذ الله بل لأنه كان يتعلم فرائضها وأحكامها وما يتعلق بها فقد روي عن النبي كراهة الإسراع في حفظ القرآن دون التفقه فيه». [٤]

ولو تأملنا فيما امتاز به من ذكر من القراء واشتهر بحفظ القرآن وكان ضمن سلسلة الأسانيد القرآنية، نجدهم علماء مشهورين من رواة العلم، وليسوا مجرد حفاظ للقرآن، بل جمعوا بين حفظ القرآن الكريم والعلم بما تضمنه من أحكام وتوجيهات. فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله، تبلغه الإبل لركبت إليه.[٥]

---

(١) مناهل العرفان (١/ ٢٤٣).

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم [٢٣٤٨٢] وإسناده حسن.

(٣) أثر ابن عمر في موطأ مالك بلاغا، (١/ ٢٠٥) بلفظ: (... أن عبد الله بن عمر: مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها) .

(٤) شرح الزرقاني (٢/ ٢٧).

(٥) الحديث أخرجه البخاري في باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ورقمه (٥٠٠٢) وأخرجه مسلم في=

وعن مسروق رَحِمَهُ اللَّهُ قال: ذكروا ابن مسعود، عند عبد الله بن عمرو، فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه، بعدما سمعت من رسول الله ﷺ يقول: «استقرئوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وسالم، مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل»(١). وهذا يدل على أن التخصص في الإقراء ظهر من عصر النبوة.

وقد ذكر السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض تسمية الرواة والحفاظ جملة منهم، فمن الصحابة: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وأبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد الأنصاري. ثم ممن أخذ عن هؤلاء: أبو هريرة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن السائب، أخذوا عن أُبيّ.

وممن اشتهر من التابعين: أبو جعفر يزيد القعقاع، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، ومجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن يسار، وابن أبي رباح، والحسن بن أبي الحسن البصري، وعلقمة بن قيس، والأسود، وزر بن حبيش، وعَبيدة السلماني، ومسروق.(٢)

قال أبو الفضل الرازي:«وعلى الحفظ والتحفظ كان الصدر الأول ومن بعدهم، فربما قرأ الأكبر منهم على الأصغر سناً وسابقة، فلم يكن الفقهاء منهم، ولا المحدِّثون، والوعَّاظ يتخلفون عن حفظ القرآن والاجتهاد على استظهاره، ولا المقرَّبون منهم عن العلم بما لم يسعهم جهله منه»(٣).

=صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما ورقمه (٢٤٦٣).

(١) الحديث أخرجه البخاري (٥/ ٣٦) في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه ٣٧٥٨، وأيضا باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه برقم ٣٧٦٠، وأيضا في باب مناقب معاذ بن جبل رضي الله عنه برقم ٣٨٠٨ وأخرجه مسلم (٤/ ١٩١٣) في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله تعالى عنهما (٢٤٦٤).

(٢) ينظر: إتمام الدراية لقراء النقاية (ص: ٣٤)

(٣) فضائل القرآن (ص ٣٣).

ثانيا: من الأدلة على أن المراد بمفردة القراء في الصدر الأول العلماء، بعض القصص والحوادث في التاريخ الإسلامي فإنها تشير إلى ما تدل عليه النقولات السابقة:

١ – ما روي عن عائشة ﵂ «أنها نظرت إلى رجل كاد يموت تخافتا [(١)] فقالت ما لهذا؟ قيل إنه من القراء، فقالت: كان عمر سيد القراء وكان إذا مشى أسرع وإذا قال أسمع وإذا ضرب أوجع».[(٢)]

٢– الحادثة المشهورة التي حدثت في دولة بني أمية حين شق عبد الرحمن بن الأشعث عصا الطاعة فقد كان ممن سانده وانضم إليه مجموعة من العلماء من بينهم جهابذة الإسلام وأساطين العلم كمالك بن دينار، وسعيد بن جبير، وعامر الشعبي، وعبد الله بن شداد بن الهاد، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ﵁، وطلحة بن مصرف، وغيرهم من أعلام الإسلام.[(٣)] وفي تاريخ الطبري[(٤)] «وجعل على القراء جبلة بن زحر بن قيس الجعفي، وكان معه خمسة عشر رجلا من قريش، وكان فيهم عامر الشعبي، وسعيد بن جبير، وأبو البختري الطائي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى». ويتبين مما سبق: أن مفردة القراء كانت تطلق ويراد بها أهل العلم.

٣– ما ورد عن الحسن البصري ﵀ أنه مر على باب ابن هبيرة وعليه القراء فسلم ثم قال:«ما لي أراكم جلوسا قد أحفيتم شواربكم وحلقتم رؤوسكم وقصرتم أكمامكم وفلطحتم نعالكم[(٥)]؟ أما والله لو زهدتم فيما عند الملوك لرغبوا

(١) ومعنى يموت تخافتا: أي يتكلف الضعف والسكون كما في النهاية في غريب الحديث والأثر مادة (خفت).

(٢) ينظر: مجالس التذكير من حديث البشير النذير (١/ ٢٩٢).

(٣) ينظر: الخبر في تاريخ الطبري (٦/ ٣٥٧).

(٤) (٦/ ٣٤٩).

(٥) قال عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي: قلت لعمي: ما المفلطح؟ قال: هو الشيء يعرض أعلاه ويدقّ أسفله، ومنه قيل: رأسٌ مفلطحٌ، والعامة تقول مفرطحٌ. الأمالي للزجاجي (ص٣).

فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم، فضحتم القراء فضحكم الله».[١] والشاهد قوله: (فضحتم القراء): أي أهل العلم، ومما يشهد لهذا أن السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر نصوصا وآثارا جعل من ضمنها أثر الحسن هذا، وكلها تتحدث عن الموضوع نفسه ويراد بها العلماء والفقهاء .[٢]

٤- ما نقله شيخ الإسلام عن مصعب بن عبد الله: كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه. فقيل له يوماً في ذلك فقال: لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم عليّ ما ترون، لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبداً إلا يبكي حتى نرحمه.[٣] ولا تخفى المكانة العلمية التي بلغها محمد بن المنكدر حتى وصفه الذهبي بقوله: الحَافِظُ، القُدْوَةُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ .[٤]

٥- ما ذكره الدِّينَوَرِي بسنده[٥] عن مالك بن دينار أنه قال: أقبل شهادة القراء في كل شيء إلا بعضهم على بعض؛ فإنهم أشد تحاسدا من التيوس. ولفظ القراء هنا يراد به العلماء، كما دل على ذلك أثر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «استمعوا علم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغايرا من التيوس في زروبها».[٦]

ومما يجدر ذكره أن مصطلح القراء وإن كان يطلق في المقام الأول على العلماء

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٨٦) أخرجه أبو نعيم (٢/ ١٥٠ - ١٥١) في الحلية من طريق أحمد بن زيادة عن عصمة بن سليمان الحراني عن فضيل بن جعفر عن الحسن به.

(٢) ذكر السيوطي هذه النصوص والآثار في كتابه: ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين (١/ ٤).

(٣) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢ / ٩٣).

(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥٣).

(٥) في المجالسة وجواهر العلم (٧ / ٧٥).

(٦) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٩١).

والفقهاء؛ فإنه قد يطلق ويراد به العباد والزهاد، وهناك ما يشهد لذلك من كلام السلف رحمهم الله فقد ذكر ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ عن مالك بن دينار وحبيب الفارسي رحمهما الله أنهما قالا: «إن الشَّيْطَان ليلعب بالقراء كَمَا يلعب الصبيان بالجَوز» ثم قال: المراد بالقراء: الزهاد، وهذا اسم قديم لهم معروف.(١) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم: القراء فيدخل فيهم العلماء والنساك...».(٢)

(١) ينظر: تلبيس إبليس (١/ ١٤٤).

(٢) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (١/ ٢٩).

المبحث الرابع
نشأة المصطلح الخاص لمفردة القراء
والمعنى الاصطلاحي لدى المتأخرين

الذي يظهر والعلم عند الله أن استعمال مفردة القراء بقي إلى نهاية المئة الأولى على ما كان عليه الصدر الأول حيث يطلق ويراد به أهل العلم وأئمة الإسلام، ويدل لهذا ما جاء في قصة الشعبي وخبر خروجه مع عبد الرحمن بن الأشعث حين انقلب على الحجاج سنة اثنتين وثمانين من الهجرة، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ الحَجَّاجُ سَأَلَنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ العِلْمِ، فَوَجَدَنِي بِهَا عَارِفاً، فَجَعَلَنِي عَرِيْفاً عَلَى قَوْمِي الشَّعْبِيِّيْنَ، وَمَنْكِباً عَلَى جَمِيْعِ هَمْدَانَ، وَفَرَضَ لِي، فَلَمْ أَزَلْ عِنْدَهُ بِأَحْسَنِ مَنْزِلَةٍ حَتَّى كَانَ شَأْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ الأَشْعَثِ، فَأَتَانِي قُرَّاءُ أَهْلِ الكُوْفَةِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا عَمْرٍو إِنَّكَ زَعِيْمُ القُرَّاءِ. فَلَمْ يَزَالُوا حَتَّى خَرَجْتُ مَعَهُ .... »[(١)]، والشاهد من الخبر قوله: (إنك زعيم القراء) ومعلوم أنه يقصد بالقراء أهل العلم والصلاح في ذلك الزمان وكان في صف عبد الرحمن بن الأشعث جمع من أهل العلم والصلاح وجهابذة الإسلام وأساطين العلم كالحسن البصري وعبد الرحمن بن أبي ليلى وسعيد بن جبير وغيرهم من أئمة الإسلام، قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان عبد الرحمن من كبار من خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث من العلماء والصلحاء» [(٢)].

والذي يهمنا من هذا أنه إلى هذا الوقت ومصطلح القراء لم يأخذ المنحى الذي استقر عليه اليوم، حيث يطلق ويراد به اليوم المختصون بالقرآن الكريم إقراءً وضبطًا وتلاوة.

وإذا بحثنا عن تاريخ ظهور هذا المعنى الخاص لمفردة القراء، يتضح لنا من

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ١٧٦) البداية والنهاية (١٢/ ٣٠٤-٣٠٥).

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥١).

خلال النظر والتأمل أن هذا المعنى ظهر مع ظهور الحركة العلمية، حيث بدأ خلال هذه المدة التصنيف وتدوين العلوم، ومع التطور المعرفي وما طرأ على طرق أخذ العلوم الإسلامية بنمو ظاهرة التخصص في جانب من جوانب العلوم والعناية به أكثر من غيره مع المشاركة والإلمام ببعض العلوم الشرعية ونبوغ رجال في كل فن من الفنون حتى عُرفوا به وتميزوا فيه وكان لهم فيه باع كبير، فلما ظهر هذا النمط التعليمي كان من الطبيعي أن يكون للقرآن الكريم رجال يبذلون الغالي والنفيس في سبيل ضبطه وإتقانه والاشتغال به لأنه أُسُّ العلوم وأساسها.

وبالبحث عن تاريخ نشأة فكرة التخصص بالقرآن الكريم وعلومه يمكن القول بأن عجلته بدأت بالسير في أواخر القرن الأول الهجري وأوائل القرن الثاني الهجري، ففي هذه المدة تجرد قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية وداوموا عليها فنسبت لهم، وأضيفت إليهم، حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم القرآن الكريم. [(١)] قال الداني: «وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم، لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد»[(٢)] وهؤلاء القراء الذين ظهر صيتهم ونبغوا في تخصصهم وتمكنوا من هذا الفن مراتب قال أبو شامة واصفاً حال القراء قبل تسبيع ابن مجاهد: «فمنهم المحكم للتلاوة، المعروف بالرواية والدراية، ومنهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف، وكثر بسبب ذلك الاختلاف، وقل الضبط واتسع الخرق، والتبس الباطل بالحق، فميّز جهابذة العلماء ذلك بتصانيفهم، وحرروه وضبطوه في تآليفهم، وقد أتقن تقسيم ذلك الإمام أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد رحمه الله تعالى في أول كتاب السبعة له»[(٣)].

(١) ينظر: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف للدكتور عبد الهادي الفضلي (٢٧).
(٢) المرشد الوجيز (١/ ١٦٥).
(٣) الأحرف السبعة (١/ ٦١).

والتقسيم المتقن الذي أحال عليه أبو شامة هو تقسيم ابن مجاهد في مقدمة كتاب السبعة لمراتب القراء الأربع، وهي:

١- منزلة الإمام العالم بالوجوه واللغات والمعاني، المنتقد للآثار، الذي عليه المعتمد وإليه المفزع.

٢- منزلة القارئ المطبوع الذي يقرأ على سجيته السليمة.

٣- منزلة الحافظ بلا دراية ولا علم، ولا يلبث أن ينسى.

٤- منزلة القارئ المبتدع الذي لا يلتزم بالإسناد ويخالف الإجماع.

وهذه الألقاب الأربعة سبق إليها ابن مجاهد وميز بها بين منازل قراء القرآن.

الخاتمة

وبعد كتابة هذا البحث الذي آمل أن أكون قد وفقت فيه للصواب، تبينت لي النتائج والتوصيات التالية:-

١- كان لفظ القراء يحمل في طياته مدلولًا أوسع وأشمل مما يراد به اليوم إذ كان يطلق ويراد به من جمعوا بين حفظ القرآن الكريم والعلم بمعانيه والعلم بالسنة والفقه وما إلى ذلك من العلوم الشرعية.

٢- أُطلقت لفظة القراء على غير العلماء، وهم أهل التنسك والتعبد.

٣- يطلق القارئ في الاصطلاح على إمام من الأئمة المعروفين الذين تنسب إليهم القراءات وكان ذلك نتيجة تجردهم للقراءة واعتنائهم بها أتم عناية وضبطها ودوامهم عليها حتى اشتهروا بها.

٤- اقتصر استعمال مفردة القراء في العصور المتأخرة على المختصين بالقرآن الكريم حفظا وضبطا وتلاوة وإقراء

٥- لا بد للباحث أن يفهم هذا المصطلح الفهم اللائق به بحسب مستعمله وسياقه.

٦- ينبغي العناية بدراسة المصطلحات وتطورها وما لحقها من اختلاف استعمالاتها ودلالتها.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١- **الإفصاح عن معاني الصحاح** - المؤلف: يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (المتوفى:٥٦٠هـ) - المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد - الناشر: دار الوطن - سنة النشر: ١٤١٧هـ.

٢- **الابانة الكبرى** لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ) - المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري - الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

٣- **إتحاف الجماعة** لحمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري (المتوفى: ١٤١٣هـ) - الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ.

٤- **إتمام الدراية لقراء النقاية** لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) - المحقق: الشيخ إبراهيم العجوز - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٥- **الأمالي من الفوائد والأخبار** - أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق المعروف بالزجاجي - تعليق: محمد خير البقاعي - طبعة دار الغرب الإسلامي.

٦- **البداية والنهاية** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) - تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي - الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م - سنة النشر: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٧- **التاريخ الكبير** لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) - الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن - طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

٨- **تاريخ الأمم والملوك** لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى، ١٤٠٧.

٩- **تفسير القرآن العظيم** لابن أبي حاتم لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) – المحقق: أسعد محمد الطيب – الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية – الطبعة: الثالثة – ١٤١٩هـ.

١٠- **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد** لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ) – المحقق: زهير الشاويش – الناشر: المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق – الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١١- **جامع بيان العلم وفضله** – المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى:٤٦٣هـ) – تحقيق: أبي الأشبال الزهيري – الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية – الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م.

١٢- **جامع البيان في تأويل القرآن** لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) – المحقق: أحمد محمد شاكر – الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

١٣- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه** لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي – المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر – الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٤- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** – المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى:٤٣٠هـ) – الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

١٥- **الرد على السبكي في مسألة تعليق الطلاق** – تأليف أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – تحقيق: عبد الله المزروع – طبعة: دار عالم الفوائد.

١٦- **السلسلة الصحيحة** لمحمد ناصر الدين الألباني-الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.

١٧- **السلسلة الضعيفة** لمحمد ناصر الدين الألباني – الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.

١٨- **السنة** – المؤلف: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ) – المحقق: د. عطية الزهراني – الناشر: دار الراية – الرياض – الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

١٩- **سير أعلام النبلاء** لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) – المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط – الناشر : مؤسسة الرسالة – الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٠- **شعب الإيمان** لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) – حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد – أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند – الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند – الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .

٢١- **شرح السنة لمحيي السنة**، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) – تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش – الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت – الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٢٢- **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك** – محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني – الناشر دار الكتب العلمية – سنة النشر ١٤١١ – مكان النشر بيروت.

٢٣- **شعب الإيمان** – المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) – حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه:

الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد - أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند - الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند-الطبعة: الأولى،١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢٤- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** - المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) - الناشر: دار الفيحاء – عمان- الطبعة: الثانية - ١٤٠٧هـ.

٢٥- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ) - الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٦- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ - رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي - قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب - عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٢٧- **فضائل القرآن وتلاوته وخصائص تلاته وحملته** - أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي – تحقيق د. عامر حسن صبري-دار البشائر الإسلامية – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٢٨- **فيض القدير شرح الجامع الصغير** لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى:١٠٣١هـ) - الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر - الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.

٢٩- **القراءات القرآنية**، تاريخ وتعريف للدكتور عبد الوهاب الفضلي - دار القلم ببيروت - الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة ١٤٠٥هـ.

٣٠- **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار** لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) - المحقق: كمال يوسف الحوت - الناشر: مكتبة الرشد – الرياض - الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

٣١- **لسان العرب**، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

٣٢- **مما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين** – المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ).

٣٣- **مجالس التذكير من حديث البشير النذير** لعبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩هـ) – الناشر: مطبوعات وزارة الشؤون الدينية – الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٣٤- **المجالسة وجواهر العلم**–المؤلف: أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى : ٣٣٣هـ) – المحقق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان – الناشر : جمعية التربية الإسلامية (البحرين – أم الحصم) ، دار ابن حزم (بيروت – لبنان) – تاريخ النشر: ١٤١٩هـ.

٣٥- **مختار الصحاح** لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) – المحقق: يوسف الشيخ محمد – الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا – الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٣٦- **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز** لأبي القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ)– المحقق : طيار آلتي قولاج – الناشر : دار صادر – بيروت – سنة النشر : ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م .

٣٧- **المستدرك على الصحيحين** – المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) – تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.

٣٨- **مسند الإمام أحمد بن حنبل** بمؤلفه أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) - المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون - إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي - الناشر: مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٣٩- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله** ﷺ لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) - المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤٠- **المعجم الكبير**- المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني - الناشر: مكتبة العلوم والحكم - الموصل - الطبعة الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٣ - تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

٤١- **مناهل العرفان في علوم القرآن** - المؤلف: محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى : ١٣٦٧هـ) - الناشر : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - الطبعة : الطبعة الثالثة.

٤٢- **موطأ مالك** - رواية يحيى الليثي - المؤلف : مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي - الناشر : دار إحياء التراث العربي - مصر - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

٤٣- **النهاية في غريب الحديث والأثر** - المؤلف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري - الناشر : المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	٤٩
المقدمة	٥٠
مشكلة البحث	٥٠
أهمية الموضوع	٥٠
أسباب اختيار الموضوع	٥١
الدراسات السابقة	٥١
خطة البحث	٥١
منهج البحث وخطوات العمل فيه	٥٢
المبحث الأول: معنى القراء في اللغة	٥٣
المبحث الثاني: النصوص والآثار التي ورد فيها ذكر القراء	٥٤
المبحث الثالث:المعنى المراد للقراء عند المتقدمين	٦٠
المبحث الرابع: نشأة المصطلح الخاص لمفردة القراء والمعنى الاصطلاحي لدى المتأخرين	٦٦
الخاتمة	٦٩
فهرس المصادر والمراجع	٧٠
فهرس الموضوعات	٧٦

مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية

أسماء الله المضافة المبدوءة بخير في القرآن الكريم

جمعًا ودراسةً تفسيرية

إعداد

د. نايف بن يوسف بن سعيد العتيبي

الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن كلية القرآن الكريم - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

- من مواليد عام ١٤٠٤هـ بمدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية.
- تخرج في كلية القرآن الكريم الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٢٧هـ.
- نال شهادة الماجستير من قسم التفسير وعلوم القرآن كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية عام ١٤٣١هـ بأطروحة: "الأسباب التي تصد عن قبول الحق وسبل الوقاية منها في القرآن الكريم"، كما نال شهادة الدكتوراه منه عام ١٤٣٦هـ بأطروحة: "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي المتوفى سنة (٥٤٢هـ) من بداية تفسير سورة القلم إلى نهاية الكتاب: دراسةً وتحقيقاً".
- من أعماله المنشورة: "مظاهر إبراز السعدي لهدايات القرآن"، "أسلوب التغليب في القرآن الكريم: دراسة تطبيقية من خلال تفسير البحر المحيط لأبي حيان"، "الأقوال التفسيرية التي حكم عليها ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز بالشذوذ: جمعاً ودراسة".
- البريد الشبكي : naifyusuf@gmail.com

(قدم للنشر في ١٤٤٤/١/٦هـ ؛ وقبل للنشر في ١٤٤٤/٢/١٧هـ)

الملخص

يُعدُّ هذا البحث من البحوث المتعلقة بتفسير القرآن الكريم وعلومه، وقد ذُكر فيه بيان أهميته؛ من ذلك: جمعه بين الدراسة العقدية والتفسيرية، وبيان الأسباب التي دعت للكتابة في هذا الموضوع من ذلك: الإسهام في خدمة المكتبة التفسيرية بدراسة تخدم التخصص وتساهم في تغطية أحد جوانبه، وقد اتبعت في البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي؛ وذلك من خلال تتبع أسماء الله المضافة المبدوءة بخير المذكورة في القرآن الكريم، ودراستها دراسة تفسيرية، وقد اشتمل البحث على بيان معنى أسماء الله المضافة، وفضل العلم بأسماء الله، وقُسِّم البحث على أسماء الله المضافة المبدوءة بخير المذكورة في القرآن الكريم؛ وهي: (**خير الماكرين، خير الناصرين، خير الرازقين، خير الفاصلين، خير الحاكمين، خير الفاتحين، خير الغافرين، خير الوارثين، خير المنزلين، خير الراحمين**). ثم ختم البحث ببيان أهم النتائج؛ من ذلك: مناسبة هذه الأسماء لمعنى وسياق الآيات التي ختمت بها. وأهم التوصيات؛ من ذلك: جمع الأسماء المضافة الأخرى المذكورة في القرآن، ودراستها دراسة تفسيرية.

كلمات مفتاحية: أسماء، الله، المضافة، خير، القرآن، الكريم.

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد:

فإنَّ من أفضل الأعمال وأجلِّ الخِصال الاشتغال بكتاب الله قراءةً وتعلُّماً وتعليماً وتدبراً وتفسيراً؛ ومن ذلك الوقوفُ على أسماء الله وصفاته الواردة في القرآن المجيد، والنظرُ في الآيات التي تضمنت تلك الأسماء والصفات، والتأمُّلُ في مناسبتها للآيات التي جاءت فيها.

ولا يخفى ما لدراسة أسماء الله وصفاته من أهمية بالغة في حياة المسلم حيث إنها تتعلق بعقيدته التي هي أصل الدين، وكذلك ما لذلك من أثر في تقوية الإيمان وزيادته؛ إذ هي من أهم الطرق للعلم بالله سبحانه؛ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «بل حقيقة الإيمان أن يعرف الربَّ الذي يؤمن به، ويبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته حتى يبلغ درجة اليقين، وبحسب معرفته بربه يكون إيمانه؛ فكلما ازداد معرفة بربه ازداد إيمانه وكلما نقص، نقص؛ وأقرب طريق يوصله إلى ذلك تدبر صفاته وأسمائه من القرآن»[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٣٥).

وفي القرآن الكريم كثير من أسماء الله وصفاته؛ بل إنَّ ذلك من أهم العلوم التي اشتمل عليها كتاب الله؛ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة، والآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته أعظم قدراً من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي المتضمنة لذلك؛ كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ أنه قال لأبي بن كعب: (أتدري أي آية في كتاب الله أعظم؟) قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، فضرب بيده في صدره، وقال: (ليهنك العلم أبا المنذر)»[(١)].

ومن تدبُّر القرآن الكريم النظرُ في الآيات التي ختمت بأسماء الله وصفاته، ومن تأمل في ذلك وجد مناسبتها للآيات التي ختمت بها؛ قال ابن القيم: «وإذا تأملت ختم الآيات بالأسماء والصفات وجدت كلامه مختتما بذكر الصفة التي يقتضيها ذلك المقام حتى كأنَّها ذكرت دليلا عليه وموجبة له»[(٢)].

ومن أسماء الله عز وجل أسماؤه المضافة؛ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين وخير الغافرين ورب العالمين ومالك يوم الدين وأحسن الخالقين وجامع الناس ليوم لا ريب فيه ومقلب القلوب»[(٣)].

وقد حوى الكتاب العزيز كثيراً من هذه الأسماء؛ أعني- الأسماء المضافة- ومنها الأسماء المبدوءة بكلمة (خير) فرغبت -مستعيناً بالله- أن أقوم بجمع هذه الأسماء ودراستها دراسة تفسيرية في بحث أسميته: **أسماء الله المضافة المبدوءة بخير**

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، (٥/ ٣١٠).

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، (٢/ ٥٦٠).

(٣) مجموع الفتاوى، (٢٢/ ٤٨٥).

وحديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب فضل سورة الكهف. حديث رقم: (٢٥٨).

في القرآن الكريم –جمعاً ودراسة تفسيرية–.

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد...

أهمية الموضوع:

١. تعلُّقُه بالقرآن الكريم وتفسيره.

٢. تعلُّقه بعقيدة المسلم؛ إذ هي أصل الدين وأساسه.

٣. تعلُّقه بأسماء الله عز وجل؛ حيث إنَّ دراستها والتأمُّل فيها مما يزيد إيمان العبد ويقربه من ربه.

٤. جمعه بين الدراسة العقدية والتفسيرية.

٥. فيه تدبر للقرآن الكريم؛ حيث إنَّ من حِكَم إنزال القرآن تدبر آياته.

أسباب اختيار الموضوع:

١- الأهمية السابقة للموضوع.

٢- الإسهام في خدمة المكتبة التفسيرية بدراسة تخدم التخصص وتساهم في تغطية أحد جوانبه.

٣- عدم وقوفي على دراسة أو بحث حول عنوان الموضوع الذي نحن بصدد دراسته.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري لم أقف على دراسة حول هذا الموضوع؛ من حيث جمع هذه الأسماء المرادة في البحث ودراستها دراسة تفسيرية.

منهج البحث:

سأتَّبع في هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي، وذلك من خلال تتبع أسماء الله المضافة المبدوءة بخير المذكورة في القرآن الكريم، ودراستها دراسة تفسيرية.

إجراءات البحث:

١. تقسيم البحث حسب هذه الأسماء الواردة في القرآن.

٢. ترتيبها حسب ورودها في القرآن؛ فإن تكرر الاسم في موضع آخر أُلحق بمثيله.

٣. تفسير الآيات التي وردت فيها هذه الأسماء تفسيراً إجمالياً.

٤. بيان مناسبة الاسم للآية الوارد فيها.

٥. ذكر بعض الفوائد والهدايات في نهاية كل مبحث.

٦. كتابة الآيات بالرسم العثماني، مع العزو إلى اسم السورة ورقم الآية مباشرة.

٧. إن عرض لي حديث أثناء البحث؛ إن كان في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما، وإن كان في غيرهما أخرجته مع ذكر حكم العلماء المختصين عليه.

٨. عزو الأقوال إلى قائليها.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وعشرة مباحث وخاتمة.

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة ومنهج البحث وإجراءاته وخطة البحث.

التمهيد: ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: المراد بأسماء الله المضافة.

المطلب الثاني: فضل العلم بأسماء الله عز وجل.

المبحث الأول: خير الماكرين.

المبحث الثاني: خير الناصرين.

المبحث الثالث: خير الرازقين.

المبحث الرابع: خير الفاصلين.

المبحث الخامس: خير الحاكمين.

المبحث السادس: خير الفاتحين.

المبحث السابع: خير الغافرين.

المبحث الثامن: خير الوارثين.

المبحث التاسع: خير المنزلين.

المبحث العاشر: خير الراحمين.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

المطلب الأول: المراد بأسماء الله المضافة:

المراد بأسماء الله المضافة: هي تلك الأسماء التي جاءت على هيئة مضاف ومضاف إليه؛ مثل أرحم الراحمين، وأحسن الخالقين، وأحكم الحاكمين، وخير الغافرين، ونحو ذلك.

وقد أشار إلى هذه الأسماء جمعٌ من أهل العلم(١)؛ من ذلك:

- قال ابن منده: «ومن أسماء الله عز وجل: المضافة إلى صفاته وأفعاله»(٢).
- ما سبق من كلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين وخير الغافرين ورب العالمين ومالك يوم الدين وأحسن الخالقين وجامع الناس ليوم لا ريب فيه ومقلب القلوب»(٣).

المطلب الثاني: فضل العلم بأسماء الله عز وجل:

العلم بأسماء الله وصفاته عز وجل علمٌ جليل القدر عظيم النفع؛ ولعلي أبين فضل هذا العلم وفوائده من خلال الأمور التالية:

أولاً: معلومٌ أنَّ العلم يشرف بحسب متعلَّقِهِ؛ وهذا العلم يتعلق بأسماء الله وصفاته؛ أفضلُ العلوم منزلةً وأعلاها مكانةً، وبذلك ينال المشتغل به شرفاً عظيماً وفضلاً كبيراً.

ثانياً: أنَّ معرفة الله والعلم به والتأمُّل في أسمائه وصفاته يدعو إلى محبة الله وخشيته والإيمان به، وكلُّما زادت هذه المعرفة زاد إيمان العبد وقوي يقينه وإخلاصه لله عز وجل.

---

(١) ينظر: فقه الأسماء الحسنى، (٣٢٨)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، (١٨٨).

(٢) التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد، (٢/ ٢٠٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٨٥).

ثالثاً: أنَّ الإيمان بالله أحد أركان الإيمان الستة؛ بل هو أفضلها وأجلُّها، ويتضمن هذا الإيمانُ الإيمانَ بأسماء الله وصفاته، ولها أثر في زيادة إيمان العبد ونقصانه.

رابعاً: أنَّ في هذا العلم معيناً على تدبر القرآن الكريم؛ فقد أمرنا الله بذلك؛ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩] وفي كتاب الله كثيرٌ من أسماء الله وصفاته؛ ففي تدبرها والتأمل في معانيها بابٌ كبير من أبواب تدبر القرآن(١).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثناء كلامه على القاعدة الثالثة من كتابه القواعد الحسان: «وأعظم ما تعتبر به هذه القاعدة: في الأسماء الحسنى، فإنَّ في القرآن منها شيئاً كثيراً، وهي من أجل علوم القرآن بل هي المقصد الأول للقرآن»(٢).

(١) ينظر: فقه الأسماء الحسنى، (٢٩-٢١).

(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن، (١/ ١٣-١٤).

المبحث الأول: خير الماكرين[١]

ورد هذا الاسم في موضعين:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤].

تفسير الآية إجمالاً:

يذكر الله تعالى في هذه الآية مكر كفار بني إسرائيل -الذين قال الله عنهم: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ [آل عمران: ٥٢] - بعيسى عليه السلام حينما أرادوا صلبه واجتمعوا على قتله؛ فمكر الله بهم حيث ألقى شبهه على رجل آخر، ونجَّى عيسى عليه السلام ورفعه إليه.

﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾؛ فلا يمكر أحدٌ إلا ومكر الله فوق مكره وخيرٌ من مكره، والله سبحانه مكره في الخير ومكر هؤلاء في الشر[٢].

فيؤخذ من هذه الآية إثبات أنَّ الله خير الماكرين كما جاء في الآية؛ ولكن ينبغي التنبُّه هنا أنَّه لا يؤخذ من ذلك أن يقال: إنَّ الله ما كرٌ، أو من أسمائه الماكر، أو يقال: إنَّ من صفات الله المكر مطلقاً؛ لأنَّها بذلك تصبح صفة نقص وعيب والله سبحانه منزَّهٌ عن ذلك، ولكن تطلق على الله على سبيل المقابلة؛ والدليل على ذلك أنَّ جميع الآيات التي ذكرت مكر الله جاءت على سبيل المقابلة؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠][٣].

«ومكر الله سبحانه وتعالى هو: إيصال العقوبة إلى من يستحقها من حيث لا

(١) ينظر: أحكام القرآن، (٢/ ٣٤٠)، والجامع لأحكام القرآن، (٥/ ١٥٢)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، (١٩٢).

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٥/ ٤٤٦-٤٤٧)، وتفسير القرآن الكريم، تفسير سورة آل عمران، (١/ ٣١٦-٣٢١)، وتفسير القرآن الكريم، (١/ ٢٩٩).

(٣) ينظر: شرح العقيدة السفارينية، (١/ ١٦٠).

يشعر؛ وهو عدل منه سبحانه وتعالى، والله تعالى يقول: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾؛ فالمكر في حق الله سبحانه وتعالى عدل وجزاء يُحمد عليه؛ أما المكر من المخلوقين فهو مذموم لأنه بغير حق»[(١)].

مناسبة ختم الآية بهذا الاسم:

لـمَّا بيَّن الله مكر هؤلاء الكفرة بعيسى عليه السلام، وذكر مكره في مقابلة مكرهم، ناسب أن يختم الآية ببيان أنَّه خير الماكرين؛ فلا مكر أقوى من مكره، ومكره في الخير سبحانه وتعالى.

الموضع الثاني: قوله تعالى:﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

تفسير الآية إجمالاً:

في هذه الآية إخبار من الله بما فعله المشركون من مكرهم بالنبي ﷺ؛ حين اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا في أمره فمنهم من أشار بحبسه، ومنهم من أشار بقتله، ومنهم من أشار بإخراجه من مكة؛ فاجتمع رأيهم على قتله؛ فمكر الله لنبيه ﷺ حيث أعمى أبصارهم عن نبيه ﷺ، ونجَّاه منهم حتى خرج مهاجراً إلى دار الهجرة التي شعَّ منها النور وظهر دين الله عز وجل[(٢)].

مناسبة ختم الآية بهذا الاسم:

لـمَّا ذكر الله مكر كفار قريش بنبيه ﷺ، وأنَّ الله مكر بهم مقابلةً على مكرهم بنبيه ﷺ ناسب أن يختم الآية بما يناسب ذلك من إخباره أنَّه خير الماكرين؛ حيث مكر لنبيه ﷺ ونجَّاه من هؤلاء الكفرة.

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، (٢/ ٧٠).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (٩/ ٤٩٤)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٣١٩).

فوائد وهدايات:

١/ إثبات أنَّ الله خير الماكرين.

٢/ لا مكر أقوى من مكر الله، ولا مكر فوق مكره.

٣/ أنَّ المكر من صفات الله على سبيل المقابلة؛ وهي بذلك تصبح صفة كمال في حقه سبحانه؛ لأنَّ فيها خيراً وإعلاءً لكلمته ونصراً لأوليائه وقهراً لأعدائه، ولا يجوز أن يوصف الله بها دون مقابلة.

٤/ نصر الله لأنبيائه ورسله وحفظه لهم من أعدائهم؛ ومن ذلك مكره بمن يمكر بهم.

٥/ حفظ الله لعباده المؤمنين ونصره لهم.

٦/ عدل الله سبحانه وتعالى، حيث جعل عقوبة هؤلاء الكفرة من جنس عملهم؛ والجزاء من جنس العمل.

المبحث الثاني: خير الناصرين[1]

ورد هذا الاسم في موضع واحد.

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

تفسير الآية إجمالاً:

جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤٩] وقد صُدِّرت هذه الآية بنداء أهل الإيمان بقوله:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ مما يشعر بأهمية الشيء المذكور في الآية؛ وهو تحذير المؤمنين من طاعة الذين كفروا[2]؛ لأنَّ عاقبته وخيمة وهي الخذلان والخسران.

ثم قال الله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾: أي: إنَّ الله مولاكم وناصركم، ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾[3] «يعني: خير من ينصر؛ بل هو خير الناصرين، وأعظم الناصرين، وأقدرهم وأقواهم عز وجل: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن

---

(١) ينظر: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، (١/ ١٦٥)، وأحكام القرآن، (٢/ ٣٤٠)، والعواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، (٧/ ٢٢٩) ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، (١٩٣).

(٢) اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هنا؛ فمنهم من قال: اليهود والنصارى، ومنهم من قال: أبو سفيان _ عندما كان كافراً-، وقال بعضهم: المنافقون. ينظر جامع البيان، (٦/ ١٢٤-١٢٥)، والكشف والبيان عن تفسير القرآن، (٩/ ٣٢٦).

قال ابن عطية: «ثم اللفظ يقتضي كل كافر كان في ذلك الوقت ويكون إلى يوم القيامة؛ نهى الله المؤمنين عن طاعتهم». المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (١/ ٣٢٢).

(٣) قال الرازي: «وإنَّما كان تعالى خير الناصرين لوجوه:

الأول: أنَّه تعالى هو القادر على نصرتك في كل ما تريد، والعالِم الذي لا يخفى عليه دعاؤك وتضرعك، والكريم الذي لا يبخل في جوده، ونصرة العبيد بعضهم لبعض بخلاف ذلك في كل هذه الوجوه.

والثاني: أنَّه ينصرك في الدنيا والآخرة، وغيره ليس كذلك.

والثالث: أنَّه ينصرك قبل سؤالك ومعرفتك بالحاجة، كما قال: ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الأنبياء: ٤٢]، وغيره ليس كذلك». التفسير الكبير، (٩/ ٣٨٤).

﴿يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٠] لا أحد»[(١)].

ومن دلائل قوله: ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ أنَّه تعالى يُقدِّر جميع أسباب النصر لمن أراد نصره، ويزيل عنه جميع أسباب الخذلان[(٢)].

ومن الآيات القريبة من هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ١١] قال الرازي: «وفي الكلام تباين عظيم بين الكافر والمؤمن؛ لأنَّ المؤمن ينصره الله وهو خير الناصرين، والكافر لا مولى له»[(٣)].

ومن نصر الله تعالى عبادَه المؤمنين ما ذكره تعالى في الآية التالية من إلقائه الرعب في قلوب الذين كفروا: ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥١][(٤)].

مناسبة ختم الآية بهذا الاسم:

لـمَّا حذَّرَ تعالى المؤمنين من طاعة الكافرين التي تتضمن موالاتهم، وبين أنَّه تعالى مولى المؤمنين؛ والموالاة تقتضي النصرة ناسب أن يختم الآية بقوله: ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾.

وقال أبو حيان: «لـمَّا ذكر أنه مولاهم؛ أي: ناصرهم ذكر أنه خير ناصر لا يحتاج معه إلى نصرة أحد ولا ولايته؛ وفي هذا دلالة على أنَّ من قاتل لنصر دين الله لا يخذل ولا يغلب؛ لأنَّ الله مولاه، وقال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾، ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ﴾»[(٥)].

---

(١) تفسير القرآن الكريم، تفسير سورة آل عمران، (٢/ ٢٨٦).

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٥/ ٩١).

(٣) التفسير الكبير، (٢٨/ ٤٤).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (١٥١).

(٥) البحر المحيط، (١/ ٦٠٩-٦١٠).

فوائد وهدايات:

١. إثبات أنَّ الله خير الناصرين.

٢. من نصر الله لعبده أن يقدر له جميع أسباب النصر، ويزيل عنه جميع أسباب الخذلان.

٣. نصر الله لأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين.

٤. مشروعية طلب النصر من الله.

المبحث الثالث: خير الرازقين[١]

ورد هذا الاسم في خمسة مواضع:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤].

تفسير الآية إجمالاً:

هذه الآية ضمن قصة عيسى عليه السلام مع أتباعه الحواريين – وتُسمّى قصة المائدة؛ وإليها تُنسب السورة؛ فيقال: سورة المائدة- حينما طلبوا من عيسى عليه السلام ما ذكره الله في قوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ١١٢] وكان سؤالهم ذلك لأجل الاطمئنان؛ قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ١١٣] ؛ فاستجاب لهم عيسى عليه السلام تثبيتاً لهم وطلباً لزيادةِ إيمانهم؛ فقال: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أي: تكون هذه المائدة عيداً؛ أي: موسماً نتذكر فيه الآية العظيمة، وتكون دلالةً على قدرتك وصحة نبوتي، و﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أي: خير من يرزق ويعطي، ويعطي العطاء بلا عوض.

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥] أخبر الله أنَّه منزلها، وتوعَّدَ من كفر وكذَّب بعد ذلك بقوله: ﴿فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢][٣].

---

(١) ينظر: أحكام القرآن، (٢/ ٣٤٠)، والعواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، (٧/ ٢٢٩)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، (١٩٢).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (٢/ ١٥٠)، وبدائع الفوائد، (٢/ ٦٩٤)، وتفسير القرآن العظيم، (٣/ ٥٠٧-٥٠٨)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٢٤٨-٢٤٩).

(٣) اختلف العلماء في نزول المائدة؛ فمنهم من قال: إنها نزلت، ومنهم من قال: لم تنزل. ينظر جامع البيان،=

مناسبة ختم الآية بهذا الاسم:

لـمَّا كانت الآية تتحدَّثُ عن المائدة وهي من النعم والأرزاق التي طلبها عيسى عليه السلام، وكان من دعائه قوله: ﴿وَٱرۡزُقۡنَا﴾ ناسب أن يختم دعاءه بهذا الاسم: ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ الذي هو خير من يرزق ويعطي.

قال أبو السعود: «﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ تذييل جار مجرى التعليل؛ أي: خير من يرزق؛ لأنَّه خالق الأرزاق ومعطيها بلا عوض»(١).

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الحج: ٥٨].

تفسير الآية إجمالاً:

يخبر تعالى في هذه الآية عن بشارة عظيمة وهي الثواب الكبير الذي أعدَّه سبحانه لمن خرج مهاجراً في سبيله وابتغاء مرضاته وفارق لأجل ذلك الأهلَ والوِلدان وترك البلاد والأوطان، ثم حصل له أن قُتِل أو مات أنَّ الله يرزقه رزقاً حسناً؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗا﴾بدخول الجنة(٢) التي فيها من النعيم والأرزاق ما لا يخطر على قلب بشر(٣).

=(٩/ ١٢٤-١٣٠)، والكشف والبيان، (١١/ ٥٥٨).

والذي يظهر والله أعلم أنَّها نزلت؛ لظاهر قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡ﴾.

قال ابن كثير بعد أن سرد كثيراً من الآثار: «وكل هذه الآثار دالة على أن المائدة نزلت على بني إسرائيل أيام عيسى ابن مريم؛ إجابةً من الله لدعوته، كما دل على ذلك ظاهر هذا السياق من القرآن العظيم: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡ﴾ الآية». تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٥١٢).

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٣/ ٩٨).

(٢) ذكر المفسرون عدة أقوال في المراد بالرزق الحسن في هذه الآية؛ فقال بعضهم: الجنة، وقال بعضهم: الحلال، وقال بعضهم: العلم والفهم، ينظر: زاد المسير في علم التفسير، (٥/ ٤٤٥-٤٤٦)،

والذي يظهر والله أعلم أنَّ المراد بالرزق الحسن في هذه الآية: رزق الجنة؛ لأنَّ الذين وعدهم الله بهذا الرزق في هذه الآية من هاجر في سبيل الله ثم قُتِل أو مات؛ ولا يكون بعد ذلك إلا الجنة.

ينظر: التفسير الكبير، (٢٣/ ٢٤٣)، والبحر المحيط، (٦/ ٤٦٥-٤٦٦).

(٣) ينظر: جامع البيان، (١٦/ ٦١٨-٦١٩)، وتفسير القرآن العظيم، (٥/ ٤٣٦).

ومِمَّا جاء من الآيات في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وهذا في حق من قُتِل، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠] وهذا في حق من مات؛ فقد قال في حقه: ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ومن وقع أجره على الله فإنَّ الله يرزقه الرزق الحسن(١).

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أعظم الرازقين وأفضل الرازقين؛ ومَنْ كان مِنْ رزقه الجنة فهو خير الرازقين.

مناسبة ختم الآية بهذا الاسم:

لـمَّا كان الرزق المذكور في الآية رزقَ الجنة؛ وهو أعظم رزق، ومعلومٌ أنَّه لا يقدر على ذلك إلا الرزاق سبحانه ناسب أن تُختم الآية ببيان أنَّه خير الرازقين.

قال الرسعني: وفي قوله: «﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: تنبيه على عظمة ذلك الرزق وحسنه»(٢).

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المؤمنون: ٧٢].

تفسير الآية إجمالاً:

يقول الله لنبيه ﷺ: أم تسأل هؤلاء المشركين أجراً وجُعلاً على ما جئتهم به من القرآن والدعوة إلى دين الله واتباع الحق وتبليغ الرسالة المتضمنة لخيري الدنيا والآخرة؛ ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ أي: الأجر الذي أعطاك ربك على قيامك بأمره وابتغاء مرضاته خير لك من ذلك. ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أي: خير من يرزق ويعطي

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٥/ ٨٠٤-٨٠٥).

(٢) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، (٥/ ٨٥).

عِوضاً على عمل.

وقد دلت آياتٌ كثيرة في القرآن على أنَّ الرسل لا يأخذون أجوراً على الدعوة وهداية الناس؛ منها قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [يس: ٢٠ – ٢١] ، ومنها ما ذكره تعالى في كتابه الكريم عن نوح عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾[هود: ٢٩] وغير ذلك(١).

مناسبة ختم الآية بهذا الاسم:

تظهر مناسبة هذا الختام من وجوهٍ؛ منها:

١ – عرض الكفار على رسول الله ﷺ الكثير من عروض الدنيا؛ فبيَّن الله أنَّ ما آتاه من الأجر على الطاعة والدعوة إليه خير له من تلك العروض؛ إذ هو خير الرازقين(٢).

٢ – تأكيدٌ وتقريرٌ لقوله: ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ (٣).

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩].

تفسير الآية إجمالاً:

بين تعالى في هذه الآية أنَّه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويوسِّع عليه، ومنهم من يضيق عليه، وذلك من حكمته البالغة التي لا يدركها أحد، ثم قال: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩] أي: ما أنفقتم من شيءٍ كثيرٍ أو قليل؛ فهو يخلفه ويعوض صاحبه من خيري الدنيا والآخرة(٤).

---

(١) ينظر: جامع البيان، (١٧/ ٩٠-٩١)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٥/ ٨٨٠).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٥/ ٧٣-٧٤).

(٣) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (٣/ ٦٧١)، والتحرير والتنوير، (٣/ ٣٩٠).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٦/ ٢٨٧)، وفتح القدير، (٤/ ٤٣٦).

وقد جاء هذا المعنى في السنة؛ من ذلك قوله ﷺ: «قال الله عز وجل: أَنفِق أُنفِق عليك، وقال: يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحَّاءُ[١] الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض، فإنه لم يغِضْ ما في يده، وكان عرشه على الماء، وبيده الميزان يخفض ويرفع»[٢].

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أي: «أنَّ الله عز وجل خير الرازقين بكثرة العطاء وبدوام العطاء؛ فمن سوى الله سبحانه وتعالى من الرازقين لا يعطي الكثير، وإذا أعطى الكثير فإنَّه يمل فلا يستمر في عطائه، أمَّا الله سبحانه وتعالى فإنَّه خير الرازقين في عطائه كثرة واستمرارا»[٣].

مناسبة ختم الآية بهذا الاسم:

لـمَّا بيَّن سبحانه أنَّه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدِر، ويُـخلِفُ من أنفق في طاعته وابتغاء مرضاته ويعوِّضه من خيري الدنيا والآخرة؛ ولا يقدر على ذلك إلَّا من هو خير الرازقين ناسب أن تُختم هذه الآية بقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].

تفسير الآية إجمالاً:

يخبر تعالى في هذه الآية أنَّ النبي ﷺ كان قائماً يخطب يوم الجمعة بالناس إذ قدم المدينة عيرُ تجارة؛ فلمَّا سمع الناس بها خرجوا طلباً له، وتركوا النبي ﷺ قائما يخطب[٤] ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ أي: ما عنده من الأجر والثواب

(١) سحَّاء: أي: «دائمةُ الصبِّ والهطْل بالعطاء». النهاية في غريب الحديث والأثر، (٤١٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٧٣). كتاب تفسير القرآن. باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]. حديث رقم: (٤٦٨٤)، ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٩١). كتاب الزكاة. باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف. حديث رقم: (٩٩٣)، واللفظ للبخاري.

(٣) تفسير القرآن الكريم، تفسير سورة سبأ، (٢٤٥).

(٤) ورد في سبب نزول الآية ما رواه جابر بن عبدالله ﷺ قال: «بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت عير=

خيرٌ لمن أطاعه وصبر على ذلك، وقدَّم ما عند الله على ملذات الدنيا[١][٢].

﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أي: «والله خير رازق؛ فإليه فارغبوا في طلب أرزاقكم، وإياه فاسألوا أن يوسع عليكم من فضله دون غيره»[٣].

مناسبة ختم الآية بهذا الاسم:

لـمَّا كان سبب خروج هؤلاء من المسجد خوف فوات شيءٍ من الطعام الذي قدمت به العير كان في هذا الختام بيان أنَّ الرزق بيد الله وأنَّه خير الرازقين.

قال النسفي: ﴿خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ «أي: لا يفوتهم رزق الله بترك البيع؛ فهو خير الرازقين؛ والله أعلم»[٤].

وقال أبو حيان: «وناسب ختمها بقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾؛ لأنَّهم كانوا قد مسهم شيء من غلاء الأسعار»[٥].

فوائد وهدايات:

١- إثبات أنَّ الله خير الرازقين.

٢- من دلائل ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أنَّه يعطي بلا عوض.

=تحمل طعاما؛ فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلا، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗا﴾». أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١٣). كتاب الجمعة. باب إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة، فصلاة الإمام ومن بقي جائزة. حديث رقم: (٩٣٦)، ومسلم في صحيحه (٢/ ٥٩٠). كتاب الجمعة. باب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗا﴾. حديث رقم: (٨٦٣).

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٨٦٣).

(٢) ذكر القرطبي في معنى قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ وجهين: «أحدهما: ما عند الله من ثواب صلاتكم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم. الثاني: ما عند الله من رزقكم الذي قسمه لكم خير مما أصبتموه من لهوكم وتجارتكم». الجامع لأحكام القرآن، (٢٠/ ٤٩٣-٤٩٤).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢٢/ ٦٤٩).

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (٣/ ٤٨٣).

(٥) البحر المحيط، (٨/ ٣٧٥).

٣- مشروعية طلب الرزق من الله إذ هو خير الرازقين.

٤- أنَّ أعظم رزق هو ما يرزقه الله عباده الصالحين في الجنة.

٥- طلب ما عند الله من فضله ورزقه عند القيام بالدعوة إلى دين الله.

٦- أنَّ من أنفق في سبيل الله فإنَّ الله يخلفه؛ لأنَّه خير الرازقين.

٧- «أنَّه ينبغي للعبد المقبل على عبادة الله، وقت دواعي النفس لحضور اللهو والتجارات والشهوات أن يذكرها بما عند الله من الخيرات، وما لِـمُؤْثِرِ رضاه على هواه» [(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٨٦٣).

المبحث الرابع: خير الفاصلين[1]

ورد هذا الاسم في موضع واحد.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

تفسير الآية إجمالاً:

يأمر الله نبيه ﷺ أن يقول لهؤلاء الكفار: ﴿إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ على بصيرة وهدى من الله ربي ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ أي: بالحق الذي جاءني من عند الله ﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ أي: من العذاب ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي: كل شيء بأمر الله وتحت تدبيره وتصرفه، يحكم ما يشاء ويريد، وله في ذلك الحكمة البالغة ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾[2] يقول الحق ويبينه ويوضحه، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ أي: خير من فصل القضايا، وخير من حكم وقضى بين عباده[3].

مناسبة ختم الآية بهذا الاسم:

لـمَّا كانت الآية تتحدث عن حكم الله وقضائه بين عباده وفصله بينهم وأنَّه يقول الحق ويقصُّه واضحاً جلياً، ناسب أن تُختم بهذا الختام في بيان أنَّه خير الفاصلين.

وقال أبو السعود: «اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشير إلى أنَّ قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذي تستدعيه

---

(١) ينظر: أحكام القرآن، (٢/ ٣٤٠)، والحجة في بيان المحجة، (١/ ١٦٣)، والعواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، (٧/ ٢٣٠)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، (١٩٢).

(٢) في قوله: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ قراءاتان متواترتان: الأولى: بالصاد (يَقُصُّ)، والثانية: (يَقضِ). ينظر: التيسير في القراءات السبع، (١٠٣).

ومعنى قراءة الصاد (يقصُّ الحق)؛ أي: يقول الحق، وقراءة الضاد (يقضِ الحق)؛ أي: يحكم بالحق. ينظر: الكشف والبيان، (١٢/ ٩٥).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٥٤٢)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٢٥٨).

جزالة التنزيل»[١].

فوائد وهدايات:

١- إثبات أنَّ الله خير الفاصلين.

٢- أنَّ الله خير من يفصل ويقضي بين عباده وحكمه العدل؛ إذ هو خير الفاصلين.

٣- أنَّ الله يقصُّ الحق ويقوله بيناً جليّاً.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٣/ ١٤٢).

المبحث الخامس: خير الحاكمين[1]

ورد هذا الاسم في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧].

تفسير الآية إجمالاً:

هذه الآية ضمن الآيات التي ذكرت قصة شعيب عليه السلام مع قومه في سورة الأعراف وفيها أنَّه قال لقومه: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ أي: إن كان جماعة منكم صدَّقوا بالذي أرسلت به من عند الله ﴿وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ﴾ وجماعة لم يصدِّقوا ﴿فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾ فانتظروا حتى يفصل الله بيننا ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ خير من يحكم وأعدل من يقضي، ليس في حكمه جورٌ ولا ظلم، ومن عدلِه في حكمِه جعلُه العاقبةَ للمتقين والخذلان للكافرين[2].

مناسبة ختم الآية بهذا الاسم:

لـمَّا كانت الآية تتحدث عن حكم الله بين المؤمنين والكافرين، وأنَّ حكمه بينهم عدلٌ لا جور فيه ولا ظلم، ومن كان كذلك فإنَّه ﴿خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾؛ ولذلك ختمت الآية بذلك.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

تفسير الآية إجمالاً:

هذه الآية آخر آية في سورة يونس عليه السلام، وفيها يأمر الله نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ تمسَّك بما أنزل الله عليك ﴿وَٱصْبِرْ﴾ على مخالفة الناس لك؛

(١) ينظر: أحكام القرآن، (٢/ ٣٤١)، والعواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، (٧/ ٢٢٩)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، (١٩١).

(٢) ينظر: جامع البيان، (١٠/ ٣١٧)، وتفسير القرآن العظيم، (٤/ ٦٢).

ومن ذلك صبره على الدعوة وتحمُّل أذى الناس في سبيل ذلك ﴿حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ﴾ بينك وبينهم، ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ خير من حكم وقضى؛ لأنَّ حكمه مشتمل على العدل التام، وقد ظهر ذلك حيث نصر الله نبيَّه ﷺ، وأعلى كلمته، وأظهر دينه على سائر الأديان(١)(٢).

مناسبة ختم الآية بهذا الاسم:

لـمَّا أمر الله نبيه ﷺ في هذه الآية أن يصبر حتى يحكم الله؛ وهو خير من حكم وقضى ناسب أن تختم الآية ببيان أنَّه خير الحاكمين.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠].

تفسير الآية إجمالاً:

هذه الآية ضمن قصة يوسف عليه السلام التي ذكرها الله تعالى في سورة يوسف عليه السلام، وفي هذه الآية ذكرٌ لطرف من أطراف القصة عندما كان يوسف عزيزاً في مصر وجاء إليه إخوته -دون أن يعرفوه- طلباً لأخيهم كما قال الله تعالى عنهم:﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٧٨ – ٧٩] .

فلـمَّا استيأس أخوة يوسف منه في أن يسمح لهم بردِّ أخيهم إليهم ﴿خَلَصُواْ

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٤٢٩)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٣٧٥).

(٢) قال الشنقيطي: «لم يبين هنا ما حكم الله به بين نبيه وبين أعدائه، وقد بين في آيات كثيرة أنه حكم بنصره عليهم، وإظهار دينه على كل دين، كقوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر:١] إلى آخر السورة، وقوله: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ [الفتح: ١] إلى آخرها، وقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ [الرعد:٤١] إلى غير ذلك من الآيات». أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٢/ ٥٧٩).

نَجِيًّا﴾ أي: خلصوا إلى مكان يتناجون فيه، ليس فيه معهم غيرهم ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: أخذ عليكم عهداً في حفظ أخيكم، ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِي يُوسُفَ﴾ أي: قصَّرتم في حفظه؛ ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ أي: سأقيم في هذه الأرض وهذه البلدة حتى يأذن لي أبي، ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾ أي: يقدِّر لي المجيء وحدي أو مع أخي، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ خير من حكم وأعدل من قضى [1].

مناسبة ختم الآية بهذا الاسم:

مناسبةً لقول كبيرهم: ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾ ختم ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

وقال ابن عاشور: «وجملة ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ تذييل، و﴿خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ إن كان على التعميم فهو الذي حكمه لا جور فيه أو الذي حكمه لا يستطيع أحد نقضه، وإن كان على إرادة (وهو خير الحاكمين لي) فالخبر مستعمل في الثناء للتعريض بالسؤال أن يُقدِّرَ له ما فيه رأفة في رد غربته»[2].

فوائد وهدايات:

١. إثبات أنَّ الله خير الحاكمين.

٢. من عدله في حكمه تبارك وتعالى أنْ جعل العاقبة لمن آمن به وصدَّق به، والخذلان لمن كفر وكذَّب به.

٣. حكم الله تعالى لأنبيائه ورسله؛ ومن ذلك نصره لهم على أعدائهم، وإذلال من خالفهم، وإظهار الدين الذي أرسلوا به، وذلك كما وقع لنبينا محمد ﷺ.

(١) ينظر: معالم التنزيل، (٢/ ٤٨٥)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٤٠٣).

(٢) التحرير والتنوير، (٣/ ٣٩٠).

المبحث السادس: خير الفاتحين[١]

ورد هذا الاسم في موضع واحد.

قوله تعالى ذاكرً قول شعيب عليه السلام ومن آمن معه: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

تفسير الآية إجمالاً:

هذه الآية ضمن الآيات التي ذكرت قصة شعيب عليه السلام مع قومه في سورة الأعراف وفيها إخبار عمَّا أجاب به الكفار شعيباً عليه السلام حينما دعاهم إلى الله، ونهاهم عن بخس النَّاس أشياءَهم وعن الإفساد في الأرض والصد عن سبيل الله؛ فكان ردُّهم ما ذكره الله عنهم: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨].

فقال شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨] أي: أتفعلون ذلك بنا ولو كنَّا كارهين لما تدعونا إليه؟ ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ أي: إن عدنا في دينكم ودخلنا في ملتكم بعد أن أنقذنا وخلَّصنا الله منها؛ فقد افترينا على الله كذباً عظيماً؛ ومن ذلك الوقوع في الشرك، ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ أي: إن وقع ذلك فهو بمشيئة الله تعالى وسابق علمه، ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ أي: أحاط علمه بكل شي، لا يخفى عليه شيء ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أي: فوضنا أمورنا إلى الله ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: احكم بيننا وبين قومنا بالحق[٢]، ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ «وفتحه

(١) ينظر: أحكام القرآن، (٢/ ٣٤١)، والحجة في بيان المحجة، (١/ ١٦٥)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، (١٩١).

(٢) ينظر: جامع البيان، (١٠/ ٣١٨)، وتفسير القرآن العظيم، (٤/ ٦٢).

تعالى لعباده نوعان: فتح العلم بتبيين الحق من الباطل، والهدى من الضلال، ومن هو من المستقيمين على الصراط ممن هو منحرف عنه، والنوع الثاني: فتحه بالجزاء وإيقاع العقوبة على الظالمين، والنجاة والإكرام للصالحين؛ فسألوا الله أن يفتح بينهم وبين قومهم بالحق والعدل، وأن يريهم من آياته وعبره ما يكون فاصلا بين الفريقين»[(١)].

مناسبة ختم الآية بهذا الاسم:

مناسبة لدعاء شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ فناسب أن يختموا هذا الدعاء بقول: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾.

وقال أبو السعود: «وقوله تعالى ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ إعراض عن مقاولتهم إثر ما ظهر له عليه الصلاة والسلام أنَّهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الإيمان أصلا، وإقبال على الله تعالى بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين؛ أي: احكم بيننا بالحق؛ والفتاحة: الحكومة، أو أظهر أمرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم، ويتميز المحق من المبطل؛ من فتح المشكل إذا بيَّنه ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين»[(٢)].

فوائد وهدايات:

١. إثبات أنَّ الله خير الفاتحين.

٢. من فتح الله لعباده المؤمنين نصره لهم على أعدائهم.

٣. من فتح الله عز وجل تمييز الحق من الباطل وإظهاره عليه.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٢٩٦).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٣/ ٢٥١).

المبحث السابع: خير الغافرين[١]

ورد هذا الاسم في موضع واحد.

قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

تفسير الآية إجمالاً:

يخبر تعالى في هذه الآية عن موسى عليه السلام أنَّه اختار من قومه سبعين رجلاً ليعتذروا لقومهم عند ربهم من عبادة العجل، وجعل الله لهم ميقاتاً يأتون فيه؛ فلمَّا أتوا إلى ذلك الميقات قالوا: أرنا الله جهرةً؛ وكان في هذا جرأةٌ وسوء أدب مع الله؛ فأخذتهم الرجفة فكان في ذلك هلاكهم؛ فقال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّيَ﴾ أي: من قبل حضور الميقات ﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ أي: ضعفاء العقول سفهاء الأحلام؛ ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُ﴾ أي: ابتلاؤك واختبارك، والأمر لك تهدي من تشاء وتضل من تشاء، ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا﴾ أنت حافظنا وناصرنا؛ فاغفر لنا ذنوبنا؛ أي: استرها، وارحمنا، ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ أي: كثير المغفرة، لا يغفر الذنوب إلا أنت[٢].

مناسبة ختم الآية بهذا الاسم:

مناسبةً لقول موسى عليه السلام: ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾ لـمَّا طلب المغفرة ناسب أن يختم هذا الدعاء بقوله: ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾.

وقال أبو حيان: «سأل الغفران له ولهم والرحمة؛ لـمَّا كان قد اندرج قومه في قوله: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾، وفي سؤال المغفرة والرحمة له ولهم، وكان قومه أصحاب ذنوب

(١) ينظر: أحكام القرآن، (٢/ ٣٤١)، والحجة في بيان المحجة، (١/ ١٦٥)، ودرء تعارض العقل والنقل، (٥/ ٣١٠)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، (١٩٢).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٩٣)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٣٠٣).

أكد استعطاف ربه تعالى في غفران تلك الذنوب؛ فأكد ذلك ونبَّه بقوله: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾»[(١)].

وقال أبو السعود:«﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾ اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الدعاء، وتخصيص المغفرة بالذكر؛ لأنَّها الأهم بحسب المقام»[(٢)].

ولعلَّ أبا السعود يريد بقوله: «لأنَّها الأهم بحسب المقام» أنَّ الآية ذكرت بعض ما حدث من قوم موسى عليه السلام؛ وهي من جنس الذنوب، وطلبه المغفرة لهم من تلك الذنوب، فكأنَّ المقام يناسب تخصيص المغفرة بالذكر. والله أعلم.

فوائد وهدايات:

١. إثبات أن الله خير الغافرين.

٢. مشروعية طلب المغفرة من الله عند حصول الذنب.

٣. بيان منزلة موسى عليه في طلبه المغفرة من ربه له ولقومه.

(١) البحر المحيط، (٤/ ٥٠٧).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٣/ ٢٧٧).

المبحث الثامن: خير الوارثين[١]

ورد هذا الاسم في موضع واحد.

قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

تفسير الآية إجمالاً:

يخبر تعالى في هذه الآية عن دعاء زكريا عليه السلام بقوله: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ أي: واذكر زكريا إذ دعا ربَّه ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ أي: وحيداً ليس لي ولد ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ أي: خير من بقي بعد فناء الخلق؛ وفي ذلك ثناءٌ على الله تعالى.

فاستجاب الله دعاءه بأن وهب له يحيى، وأصلح له زوجه؛ وذلك بأن جعلها صالحةً للولادة[٢] بعد أن كانت عقيماً؛ وذلك قوله تعالى في الآية التالية: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء:٩٠][٣].

مناسبة ختم الآية بهذا الاسم:

فيه ثناءٌ مناسب للمسألة التي سألها زكريا عليه السلام ربَّه في أن لا يتركه وحيداً، وكذلك فيه مناسبة للدعاء الذي دعا به زكريا عليه السلام المذكور في

---

(١) ينظر: أحكام القرآن، (٢/ ٣٤١)، والعواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، (٧/ ٢٢٩)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، (١٩٣).

(٢) ذكر المفسرون في معنى قوله: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ قولين:

الأول: جعلها صالحة للولادة بعد أن كانت عقيماً.

الثاني: أصلحنا خلقها؛ فأصبحت حسنة الخلق.

والذي يظهر -والله أعلم- القول الأول؛ لمناسبته للسياق، وهو قول أكثر المفسرين.

ينظر معالم التنزيل، (٣/ ١٩٠)، وتفسير القرآن العظيم، (٥/ ٣٥٩).

وذهب ابن جرير إلى دخول القولين في معنى الإصلاح. ينظر جامع البيان، (١٦/ ٣٨٨).

(٣) ينظر: معالم التنزيل، (٣/ ١٩٠)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٥٣٠).

سورة مريم في قوله: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: ٥ – ٦] (١).

فوائد وهدايات:

١. إثبات أنَّ الله خير الوارثين.

٢. مـمَّـا يدل على عظمة الله تعالى أنَّه لا يفنى، والخلق يفنون.

٣. مشروعية التضرع إلى الله عند الشعور بالوحدة.

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٤/ ٢٧٨).

المبحث التاسع: خير المنزلين[١]

ورد هذا الاسم في موضع واحد.

قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

تفسير الآية إجمالاً:

هذه الآية من الآيات التي تحدثت عن طرف من أطراف قصة نوح عليه السلام في سورة المؤمنون؛ وفيها أنَّ الله تعالى قال له: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٨] أي: إذا ركبتَ السفينة واعتدلتْ بك وبمن معك في البحر؛ فقل: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ أي: من المشركين، ثم إذا سلَّمك الله وخرجت من السفينة فقل: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا ﴾ أي: منزلاً مباركاً من الأرض[٢] ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ أي: خير من أنزل عباده المنازل المباركة[٣].

وقد دل القرآن الكريم على أنَّ الله استجاب دعاءه؛ وقد ذكر ذلك تعالى في قصة نوح عليه السلام في سورة هود: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤] إلى قوله: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [هود: ٤٨][٤].

---

(١) ينظر: أحكام القرآن، (٢/ ٣٤١)، والعواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، (٧/ ٢٣٠)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، (١٩٣).

(٢) ويحتمل أن يكون قال ذلك وهو في السفينة قبل خروجه منها. ينظر النكت والعيون، (٤/ ٥٣)، ومعالم التنزيل، (٣/ ٢٤٥).

(٣) ينظر: جامع البيان، (١٦/ ٣٨٨)، والهداية إلى بلوغ النهاية، (٧/ ٤٩٦٠).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٥٥١).

مناسبة ختم الآية بهذا الاسم:

مناسبة لدعاء نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ لـمَّا كان الدعاء يتعلق بنزول المنزل المبارك ناسب أن يختمه بهذا الاسم المتضمن لهذا الثناء.

قال البيضاوي: «﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ ثناء مطابق لدعائه؛ أمره بأن يشفعه به مبالغةً فيه وتوسلاً به إلى الإجابة»(١).

فوائد وهدايات:

١- إثبات أنَّ الله خير المنزلين.

٢- مشروعية دعاء العبد ربه عز وجل أن يُنزِله المنزل المبارك؛ إذ هو خير المنزلين.

قال السعدي: «وأنَّه ينبغي أيضا الدعاء بالبركة في نزول المنازل العارضة كالمنازل في إقامات السفر وغيره، والمنازل المستقرة كالمساكن والدور؛ لقوله:﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾»(٢).

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (٤/ ٨٦).

(٢) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، (١٨٩).

المبحث العاشر: خير الراحمين[١]

ورد هذا الاسم في موضعين:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

تفسير الآية إجمالاً:

يخبر تعالى أنَّه كان ﴿فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ أي: جماعة من عبادي[٢] وهم أهل الإيمان بالله يقولون ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ أي: بك وبما أمرتنا من الإيمان به ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا﴾ أي: استر ذنوبنا ﴿وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أي: خير من رحم أهل البلاء[٣].

وقد دلت الآية على أنَّ هؤلاء جمعوا بين الإيمان المتضمن للعمل الصالح والدعاء بطلب المغفرة والرحمة من ربهم الذي هو خير الراحمين؛ ولذلك كانوا أهلاً لثناء ربهم عليهم، وقد أخبر تعالى أنَّهم الفائزون يوم القيامة؛ قال تعالى:﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١][٤]. نسأل الله برحمته أن يجعلنا منهم.

---

(١) ينظر: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، (١/ ١٦٥)، والعواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، (٧/ ٢٢٩)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، (١٩٢).

(٢) قال مجاهد: «هم بلال وخبّاب وصهيب وفلان وفلان من ضعفاء المسلمين، كان أبو جهل وأصحابه يهزئون بهم». إعراب القرآن، (٣/ ٨٦)، والهداية إلى بلوغ النهاية، (٧/ ٥٠٠٩).

والآية وإن كانت في هؤلاء إلا أنها تشمل من كان في صفتهم، أو حدث له مثل ما حدث لهم.

قال ابن عطية: «ونزلت الآية في كفار قريش مع صهيب وبلال وعمار ونظرائهم ثم هي عامة فيمن جرى مجراهم قديما وبقية الدهر». المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤/ ١٥٧).

وأشير هنا إلى أنَّ الآية التي نحن بصدد الكلام عليها جاءت في سياق توبيخ الكفار عند طلبهم الخروج من النار، وكذلك تذكيرهم وتوبيخهم بما حصل منهم في استهزائهم وسخريتهم من المؤمنين.

(٣) ينظر: جامع البيان، (١٧/ ١٢٥).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٥٦٠).

مناسبة ختم الآية بهذا الاسم:

مناسبةً لدعاء المؤمنين في هذه الآية بقولهم: ﴿وَٱرۡحَمۡنَا﴾؛ لـمَّا كان من دعائهم طلب الرحمة من ربهم ناسب أن يختموه بهذا الاسم المتضمن للثناء بأنَّه خير الراحمين.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون:١١٨].

تفسير الآية إجمالاً:

هذه آخر آية في سورة المؤمنون وفيها إرشاد من الله تعالى إلى هذا الدعاء ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ﴾ أي: استر ذنوبي، ﴿وَٱرۡحَمۡ﴾ أي: بقبول توبتي والعفو عن ذنوبي وتوفيقي وتسديدي(١).

﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: «لأنَّ رحمته إذا أدركت أحداً أغنته عن رحمة غيره، ورحمةُ غيرِه لا تغنيه عن رحمته»(٢).

وقد جاء في السنة ما يدل على سعة رحمة الله؛ من ذلك ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي ﷺ سبي؛ فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبيا في السبي أخذته، فألصقته ببطنها وأرضعته؛ فقال لنا النبي ﷺ: (أترون هذه طارحة ولدها في النار) قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه؛ فقال: (لله أرحم بعباده من هذه بولدها)(٣).

مناسبة ختم الآية بهذا الاسم:

مناسبةً لقوله: ﴿وَٱرۡحَمۡ﴾ لـمَّا كان هذا الدعاء طلباً للرحمة من الله عز وجل

(١) ينظر: جامع البيان، (١٧/ ١٣٥)، وتفسير القرآن العظيم، (٥/ ٤٨٥).

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (٢/ ٤٨٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٨). كتاب الأدب. باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته. حديث رقم: (٥٩٩٩)، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٠٩). كتاب التوبة. باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه. حديث رقم: (٢٧٥٤).

ناسب أن يختمه بهذا الاسم المتضمن للثناء على الله بأنَّه خير الراحمين.

فوائد وهدايات:

١. إثبات أنَّ الله خير الراحمين.

٢. مشروعية طلب الرحمة من الله لاسيَّما عند حصول الشدة والبلاء.

٣. رحمة الله بعباده المؤمنين.

الخاتمة

أحمد ربي وأشكره على ما يسر وأعان على إتمام هذا البحث، الذي أرجو أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون فيه أضافة للمكتبة التفسيرية، وأن يكون مفيداً لكل من اطَّلع عليه.

ولعلي أختمه ببعض النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائج:

١. أنَّ من أسماء الله المذكورة في القرآن أسماءَه المضافة.

٢. عدد أسماء الله المضافة المبدوءة بخير المذكورة في القرآن الكريم عشرة أسماء.

٣. مناسبة هذه الأسماء لمعنى وسياق الآيات التي ختمت بها.

٤. أنَّ تدبر أسماء الله وصفاته الواردة في القرآن العزيز بابٌ من أبواب تدبر كتاب الله.

٥. مشروعية دعاء الله عز وجل بهذه الأسماء.

ثانياً: التوصيات:

١- جمع الأسماء المضافة الأخرى المذكورة في القرآن، ودراستها دراسة تفسيرية.

٢- دراسة المناسبات بين أسماء الله عز وجل وبين الآيات التي ختمت بها، واستنباط الفوائد والهدايات من ذلك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١. **أحكام القرآن**، ابن العربي، محمد بن عبد الله (٥٤٣)، علق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٢. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود، محمد بن محمد (٩٨١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٣. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (١٣٩٣هـ)، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٤. **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**، الفوزان، صالح بن فوزان (١٣٧٦هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٥. **إعراب القرآن**، النحاس، أحمد بن محمد (٣٣٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٦. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، البيضاوي، عبد الله بن عمر (٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٧. **البحر المحيط**، أبو حيان، محمد بن يوسف (٧٤٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٨. **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٩. **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ)، تحقيق: حكمت بن بشير ياسين، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

١٠. **تفسير القرآن الكريم، تفسير سورة آل عمران**، ابن عثيمين، محمد بن صالح (١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

١١. **تفسير القرآن الكريم، تفسير سورة سبأ**، ابن عثيمين، محمد بن صالح (١٤٢١هـ)، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، القصيم، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ، (٢٤٥).

١٢. **التفسير الكبير**، الرازي، محمد بن عمر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

١٣. **التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد**، ابن منده، محمد بن إسحاق (٣٩٥هـ)، تحقيق: علي بن محمد ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٤. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

١٥. **تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن**، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (١٣٧٦هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٦. **التيسير في القراءات السبع**، الداني، عثمان بن سعيد (٤٤٤هـ)، تحقيق: اوتو تريزل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٧. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٨. **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، محمد بن أحمد (٦٧١هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

١٩. **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، الأصبهاني، إسماعيل بن محمد (٥٣٥هـ) ، دار الراية، الرياض، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، الطبعة الثانية،١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٢٠. **درء تعارض العقل والنقل**، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٢١. **رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز**، الرسعني، عبد الرزاق بن رزق الله (٦٦١هـ) ، تحقيق: عبد الملك عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٢٢. **زاد المسير في علم التفسير**، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٢٣. **شرح العقيدة السفارينية**، ابن عثيمين، محمد بن صالح (١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٢٤. **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، ابن القيم، محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ)، تحقيق: عمر بن سليمان الحفيان، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٢٥. **صحيح البخاري**، البخاري، محمد بن إسماعيل (٢٥٦)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٦. **صحيح مسلم**، القشيري، مسلم بن الحجاج (٢٦١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، (د.ت).

٢٧. **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم**، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم (٨٤٠هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٢٨. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، الشوكاني، محمد بن علي (١٢٥٠هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٢٩. **فقه الأسماء الحسنى**، البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، دار التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٣٠. **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (١٣٧٦هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣١. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، الثعلبي، أحمد بن إبراهيم (٤٢٧هـ)، تحقيق عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

٣٢. **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٣٣. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية، عبد الحق بن غالب (٥٤٢)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٤. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، النسفي، عبد الله بن أحمد (٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٣٥. **معالم التنزيل**، البغوي، الحسين بن مسعود (٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلَّم الحرش، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٣٦. **معاني القرآن**، الزجاج، إبراهيم بن السري (٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٣٧. **معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى**، التميمي، محمد بن خليفة، أضواء السلف، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٣٨. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، البقاعي، إبراهيم بن عمر (٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٣٩. **النكت والعيون**، الماوردي، علي بن محمد، دار الكتب العلمية، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٤٠. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، المبارك بن محمد (٦٠٦هـ)، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الرابعة، ١٤٢٧هـ.

٤١. **الهداية إلى بلوغ النهاية**، القيسي، مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ)، جامعة الشارقة، الشارقة، مجموعة رسائل علمية بإشراف أ.د. الشاهد البوشيخي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	٧٩
المقدمة	٨٠
أهمية الموضوع	٨٢
أسباب اختيار الموضوع	٨٢
الدراسات السابقة	٨٢
منهج البحث	٨٢
إجراءات البحث	٨٢
خطة البحث	٨٣
التمهيد	٨٥
المطلب الأول: المراد بأسماء الله المضافة	٨٥
المطلب الثاني: فضل العلم بأسماء الله عز وجل	٨٥
المبحث الأول: خير الماكرين	٨٧
المبحث الثاني: خير الناصرين	٩٠
المبحث الثالث: خير الرازقين	٩٣
المبحث الرابع: خير الفاصلين	١٠٠
المبحث الخامس: خير الحاكمين	١٠٢
المبحث السادس: خير الفاتحين	١٠٥
المبحث السابع: خير الغافرين	١٠٧
المبحث الثامن: خير الوارثين	١٠٩
المبحث التاسع: خير المنزلين	١١١
المبحث العاشر: خير الراحمين	١١٣

الخاتمة ١١٦
فهرس المصادر والمراجع ١١٧
فهرس الموضوعات ١٢١

مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية

التفسير الدعوي للقرآن الكريم

دراسة تأصيلية

إعداد

د. محمد بن فهد بن عبيد الحربي

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية-
كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى

- من مواليد عام ١٤١٠هـ بمدينة مكة المكرمة.
- تخرج في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى عام ١٤٣٢هـ.
- نال شهادة الماجستير من قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى عام ١٤٣٦هـ بأطروحة: "فقه الدعوة إلى الله من خلال كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري : من أوّل كتاب البر والصلة إلى نهاية كتاب الأدب (دراسة دعويّة)"، كما نال شهادة الدكتوراه من قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى عام ١٤٤٠هـ بأطروحة: "التّطبيقات الدّعويّة على القواعد المقاصديّة عند الإمام الشّاطبي: جمعًا ودراسةً".
- من أعماله المنشورة: "الأساليب الدعوية في تقرير الإيمان بالقضاء والقدر من خلال السنة النبوية".

• البريد الشبكي: Mfharbi@uqu.edu.sa

(قدم للنشر في ١٤٤٤/٣/٦هـ ؛ وقبل للنشر في ١٤٤٤/٣/٢٩هـ)

الملخص

في القرآن الكريم بصائر لا تحصى في منهج الدعوة وموضوعه ومنهجه وأساليبه ووسائله لا يستغني عنها الداعي والمدعو، وهي تتبدى من خلال عرض تجارب وقصص الأنبياء والرسل، والقواعد الدعويّة والمقاصد العامة للقرآن الكريم، وكلّ ذلك يحتاج إلى استخراج واستخلاص دعوي موجّه، للوصول إلى الرشد في الدعوة، وتحقيق البلاغ المبين للناس كي تقام الحجة وتنقطع المعاذير. ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذا الموضوع: (**التفسير الدعوي للقرآن الكريم: دراسة تأصيلية**)، فهو يؤصل تأصيلاً شرعيًا وعمليًا لهذا العلم؛ والتعامل معه على أساس منهجي مقصود، وسوف يتناول الباحث هذا الموضوع المهم مزواجًا فيه بين نَفَسِ المفسِّر وحِسِّ الداعية، **يهدف البحث** إلى تأصيل التفسير من جهة الدعوة، من خلال بيان مفهوم التفسير الدعوي، ونشأته وتطوره، ومصادره، ومبادئه، وحكمه، وضوابطه مع التركيز على الجانب التطبيقي حتى يتساوق التنظير والتطبيق. **وقد اتبع الباحث** المنهج التاريخي والتحليلي مع التأصيل. **وخلص البحث** إلى نتائج، منها: أنّ التفسير الدعوي يبحث في ألفاظ القرآن ومقاصده وأحكامه، واستخلاص الهدايات والدلالات الدعويّة. ومن **توصيات البحث**: أن القرآن الكريم قد رسم طريق الدعوة من حيث المنهج والوسائل والأساليب. في القرآن المكي نماذج دعوية عظيمة حَريّة بالدراسة على مستوى المنهج والوسائل والموضوعات. ضرورة دراسة السور المدنية لبيان التشريعات الدعوية التي ترتبط بالأخلاق وتنمية حس المراقبة في السياقات القرآنية.

كلمات مفتاحية: التفسير، الدعوة، السورة القرآنية، التأصيل.

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على رسول الله، محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وبعد:

فإن القرآن الكريم بحر يتجدّد، ومدد لا ينفد، جعله الله منهلاً رويًّا لكلّ من أراد الهدى والنور والعلم والإيمان، قال الله تعالى عنه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٩]، وهذا الهدى يحوط جوانب الحياة كلها بالرعاية والعناية والتسديد؛ العقائد والدعوة، والشعائر والشرائع، والأخلاق والقيم، والسلوك والأفكار. ولا يزال العلماء في كلّ عصْر ومصْر ينهلون منه في كل جانب من جوانب الحياة. وإن من أهم الجوانب التي تتطلب هدى القرآن للسير وفق قوانينه ومسالكه: الدعوة إلى الله، التي تتطلب البصيرة والهدى في كلّ شؤونها، كما حكى الله عن رسوله قوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وأهم البصائر للدعاة بصائر القرآن الكريم، فقد بين بصائر كثيرة في الدعوة إلى الله من خلال عرض تجارب الأنبياء والدعاة، والقواعد الدعويّة، وكلّ ذلك يحتاج إلى استخراج واستخلاص دعوي موجّه، للوصول إلى الرشد في الدعوة، وتحقيق البلاغ المبين للناس حتى تقام الحجة وتنقطع المعاذير. ومن هنا تأتي أهمية هذا الموضوع: (**التفسير الدعوي للقرآن الكريم: دراسة تأصيلية**)، فهو يؤصل تأصيلاً شرعيًا وعلميًا لهذا العلم؛ الذي مادته في الأصل مبثوثة في القرآن الكريم، والسنة والسيرة وآثار السلف، وكتب التفسير، ومؤلفات الدعاة وتجاربهم. فجاء البحث لتأسيس توجيه ذلك كلّه، والتعامل معه على أساس منهجي مقصود، وسوف يتناول الباحث هذا الموضوع المهم مزواجًا فيه بين نَفَسِ المفسِّر وحِسِّ الداعية، وهو بهذا يجمع بين علْمين من علوم الشريعة الغراء، وأحسب هذا البحث فاتحة

خير في علوم الدعوة والتفسير، وأنه سيكون مثابة للباحثين لاستلهام مشاريع دعوية وبحثية عملية تعود بالنفع -بحول الله وقوته- على ميدان الدعوة والتفسير في واقعنا المعاصر، ومن الله تعالى أستمد العون والسداد.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة هذا البحث في الإجابة على الأسئلة التالية:

١ـ ما هو التفسير الدعوي، وكيف نشأ وتطور؟

٢ـ ما هي مصادر التفسير الدعوي، ومبادئه الأساسية؟

٣ـ ما حكم التفسير الدعوي، وما ضوابطه، وتطبيقاته؟

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١ـ التأصيل للتفسير الدعوي للقرآن الكريم.

٢ـ بيان مفهوم التفسير الدعوي ونشأته وتطوره.

٣ـ ذكر مصادر التفسير الدعوي ومبادئه الأساسية وأقسامه.

٤ـ توضيح حكم التفسير الدعوي، وضوابطه وتطبيقاته.

الدراسات السابقة:

إنّ الدراسات والأبحاث كموضوعات في التفسير الدعوي كثيرة، ولكن الدراسات التأصيلية لهذا النوع من التفسير بالمنهجية والأسلوب الذي ذهبت إليه في هذا البحث لا تكاد توجد، وقد يوجد بعض التأصيل لجوانب متفرقة منه في بعض الدراسات، وقد وجدت ذلك في الدراسات التالية:

١. **الأساليب الدعوية في سورة الكهف، دراسة تحليلية**، الباحث: سعد بن علي بن أحمد الأسمري، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الدعوة بالمدينة المنورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٩٩٢م)، تناول فيها الباحث أساليب الدعوة في السورة، وتوسع فيها، من خلال الترغيب والترهيب والقصص وضرب المثل.

٢. **الأساليب الدعوية في سورة غافر**، الباحث: محمد أحمد حامد شوقا، رسالة ماجستير، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، (٢٠٠٢م). تناول فيها الباحث أساليب الدعوة وخصائصها في السورة من خلال قصص الأنبياء في السورة.

٣. **أساليب الدعوة في سورة الشعراء**، الباحثة: علوية عوض عبد الكريم الطاهر موسى، رسالة ماجستير، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، (٢٠٠٢م)، تناولت الباحثة أساليب الدعوة عند الأنبياء المذكورين في السورة.

٤. **أصول الدعوة في سورة نوح**، الباحث: عصام زهد، بحث قدم في مؤتمر علمي في الجامعة الإسلامية غزة، كلية أصول الدين، بعنوان: الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، (٢٠٠٥م)، واستهدفت الدراسة بيان الاقتداء بنوح عليه السلام، وبيان الآثار الإيجابية للدعوة، مع بيان أصول الدعوة: (موضوع الدعوة والداعي والمدعو ووسائل الدعوة)، ولم تتطرق إلى التأصيل الذي هدف إليه بحثي هذا.

٥. **الاتجاه الدعوي في التفسير، دراسة تأصيلية تطبيقية**، الباحث: عاكف أحمد إبراهيم العمايرة، رسالة دكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمّان، (٢٠١٧م)، تناول فيها الباحث الموضوع في ثلاثة فصول، الأول: دراسة تأصيلية للاتجاه الدعوي في التفسير، والفصل الثاني: دراسة تطبيقية للاتجاه الدعوي عند المفسرين القدامى، والفصل الثالث: دراسة تطبيقية للاتجاه الدعوي في التفسير عند المفسرين المعاصرين.

وهذا البحث تناول في خطته الجانب التأصيلي منه موضوعات التفسير الدعوي، وأساليبه، وخصائصه، وأهدافه، وفي الجانب التطبيقي مراحل نشأته وكفى، وبحثي هذا يباينه تماماً؛ سواء في منهجية التأصيل أو التناول لقضايا التفسير الدعوي؛ فهو لا يروم الحديث عن اتجاه بحثي في التفسير، بل يروم بالتأصيل والتطبيق بيان (علم التفسير الدعوي) بشكل مركز من كافة قضاياه ومسائله؛ فهو

يستعرض مفهوم التفسير الدعوي كعلْم، ونشأته وتطوره، ومصادره، ومبادئه العشرة، وأقسامه، وضوابطه، وحكمه، مع نماذج تطبيقية على أركان الدعوة الأربعة، من حيث موضوع الدعوة والداعية والمدعو والمناهج والأساليب، وهو ما خلت منه الدراسة السابقة تماماً، كما يختلف عنها في نتائجه.

٦. **المنهج الدعوي من خلال سورة المائدة، دراسة تحليلية دعوية**، الباحث: أحمد محمد إبراهيم النور، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، (٢٠١٨م)، تناول فيها الباحث سورة المائدة دراسة عامة، ثم ذكر الموضوعات الدعوية في السورة، والمناهج الدعوية وأساليبها في السورة، وما يُستفاد من الدراسة في العصر الحاضر. ولم يتطرق الباحث إلى التأصيل الذي سلكته في بحثي هذا.

وهناك دراسات أخرى كثيرة في مجال الدعوة وأساليبها ومناهجها، من خلال سور من القرآن الكريم، ولكنها لا تؤسس لعلم التفسير الدعوي كما في بحثي هذا، ولم تتطرق تلك الدراسات إلى التأصيل المقصود لهذا العلم في هذا البحث، فبحثي يتكلم عن التفسير الدعوي من جهة تأصيلية بحتة، على الطريقة التأسيسية للعلوم. مع ذكر نماذج لأركان الدعوة في التفسير الدعوي، وهو ما لم تؤصله الدراسات السابقة على الإطلاق حسب علْمي.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج التاريخي والتحليلي مع التأصيل.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة:

المقدمة، وفيها: أهمية البحث ومشكلته وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته.

المبحث الأول: التفسير الدعوي: مفهومه وعلاقته بأنواع التفسير ومصادره ومبادئه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التفسير الدعوي ونشأته وتطوره.

المطلب الثاني: علاقة التفسير الدعوي بأنواع التفسير، وحكمه.

المطلب الثالث: مصادر التفسير الدعوي ومبادئه.

المبحث الثاني: أقسام التفسير الدعوي، وضوابطه ونماذج تطبيقية مختارة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أقسام التفسير الدعوي.

المطلب الثاني: ضوابط التفسير الدعوي.

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية مختارة للتفسير الدعوي.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأول

مدخل تمهيدي إلى التفسير الدعوي

المطلب الأول: تعريف التفسير الدعوي

التفسير الدعوي مصطلح معاصر؛ وهو مركّب تركيبًا وصْفيًا من كلمتين (التفسير)، و(الدعْوي)، ومفهوم التفسير الدعوي ينبني على تعريف كلّ من جزأي المركّب على حدة، وعليه فلا بد من تعريف لفظي التفسير والدعوة المكوّن منهما هذا المصطلح ثم تعريفه كمركب وصفي، وذلك كما يأتي:

تعريف التفسير في اللغة والاصطلاح:

التفسير في اللغة:

التفسير مصدر على وزن (تفعيل)، وهو مأخوذ من الفَسْرُ، أي: كشف المغطى، يقال: فَسَر الشيءَ يفْسِرُه (بالكَسر)، ويفْسُرُه، (بِالضَّمّ)، فَسْراً وفَسَّرَهُ: أَبانه، فالتّفسير: هو كَشف الـمُراد عن اللّفْظ المُشْكل، وعليه فللتفسير في اللغة عدة معان لا تخرج عن: البيان والكشف والتوضيح والإظهار[(١)]، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

التفسير في الاصطلاح:

من أحسن التعريفات للتفسير، ما قاله الزركشي في تعريفه: «التفسير علم يعرف به فهْم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه»[(٢)].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (٤/ ٥٠٤)؛ الصحاح، الجوهري (٢/ ٧٨١)؛ لسان العرب، ابن منظور، (٥/ ٥٥).

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (١/ ١٣)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (٤/ ١٩٥).

تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح:

الدعوة في اللغة:

الدعوة مصدر دعا يدعو دعْوة، يقال: دعوت فلاناً وبفلان: ناديته وصحْت به، ومن معاني الدعوة في اللغة: الطلب، والحث على قصد الشيء، وإمالة الشيء إليك بصوت وكلام، والدعوة إلى الطعام، والنداء(١).

والمعنى المحوري للدعوة هو: «جَذْب الشيء أو محاولة ضمه إلى حيز أو أمر»(٢)، ومن الدعوة جاء اشتقاق الداعية وهو: الذي يدعو إلى دين أو فكرة.

«والنبي ﷺ داعي الأمة إلى توحيد الله تعالى وطاعته، قال تعالى: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٦]، أي: إلى توحيده وما يقرِّب منه، ويطلق الداعي على (المؤذن) أيضًا؛ لأنه يدعو إلى ما يقرِّب من الله. وقد دعا فهو داع، والجمع: دعُاة»(٣).

الدعوة في الاصطلاح:

تطلق الدعوة في الاصطلاح على أمرين:

الأول: نشر وتبليغ الدين الإسلامي وتعاليمه، ومن تعريفاتها:

«الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به رسله؛ بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (٢/ ٢٧٩)، أساس البلاغة، الزمخشري، (١/ ٢٨٨).

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل، محمد جبل، (٢/ ٦٥٥).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، (٣/ ٧٧)، تاج العروس، الزبيدي، (٣٨/ ٤٧).

العبد ربه كأنه يراه»[١].

أو «هي قيام مَن عنده أهلية النصح والتوجيه السديد من المسلمين في كلّ زمان ومكان بترغيب الناس في الإسلام اعتقادًا ومنهجًا، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة»[٢].

والثاني: العلم الذي يهتم بنشر الدين وتبليغه للناس، وقد عرّفت بتعاريف منها:

«العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنيَّة المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق»[٣].

أو «هي فنٌّ يبحث في الكيفيات المناسبة التي نجذب بها الآخرين إلى الإسلام، أو نحافظ على دينهم بواسطتها»[٤].

مفهوم التفسير الدعوي:

من خلال ما تقدم نستطيع القول بأن التفسير الدعوي يبحث في ألفاظ القرآن ومقاصده وأحكامه، ويستخلص ما يفيد الدعوة والداعية والمدعو من الهدايات والدلالات، خدمة للدعوة وقضاياها المتنوعة.

أو هو بيان معاني ألفاظ القرآن الكريم المتعلقة بالدعوة إلى الله.

إن القرآن الكريم قد رسم طريق الدعوة من حيث الموضوع والمنهج والوسائل والأساليب، ووضع لكل قضية من قضاياها ولكل جانب من جوانبها معالم واضحة ينبغي أن يؤخذ بها في السير في سبيل الدعوة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٥/ ١٥٧، ١٥٨)، دقائق التفسير، ابن تيمية، (٣/ ٢٨٤).

(٢) الدعوة إلى الله: خصائصها، مقوماتها، مناهجها أبو المجد نوفل، (ص ١٨)، التدرج في دعوة النبي ﷺ، إبراهيم المطلق، (ص٢٠).

(٣) الدعوة الإسلامية أصولها وضوابطها، أحمد غلوش، (ص١٠).

(٤) الدعوة والإنسان، عبد الله الشاذلي، (ص٣٩).

والبصيرة كناية عن وضوح الحجة والتمكن في المنهاج والمعتقد الصحيح والسنة القويمة والدين الحق والهدى الذي لا عوج فيه[١]، «ولا يخفى أن الدعوة إلى الله إنما هي بنشر مطالب الدين، وإذاعة آدابه وتعليمه»[٢]، والمنهج الذي تقوم عليه الدعوة هو القرآن الكريم، كما يشير إليه قوله تعالى:﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٢]،قال ابن باديس: «هذه الآية نص صريح في أن الجهاد في الدعوة إلى الله وإحقاق الحق من الدين، وإبطال الباطل من شُبه المشبهين وضلالات الضالين، وإنكار الجاحدين، هو بالقرآن العظيم، ففيه بيان العقائد وأدلتها، ورد الشبه عنها»[٣].

المطلب الثاني: نشأة التفسير الدعوي للقرآن الكريم وتطوره

ليس من الميسور تحديد متى بدأ التفسير الدعوي للقرآن بطريقة منهجية محددة تتبنى هذا النوع أو الاتجاه في التفسير، وكذلك لا يمكن الجزم بأن هناك كُتبًا تفسيرية مؤلفة بمنهجية دعوية بحتة، أو معنية بحقائق دعوية بحتة، ولكن يمكن القول أنّ التفسير الدعوي للقرآن كاتجاه واهتمام نشأ من أول يوم نزل فيه القرآن على النبي ﷺ ؛ ذلك أنه لما كان القرآن هو الأساس الذي تقوم عليه الدعوة إلى الله والمنهج الذي تسير عليه، كان ذلك موجبًا لأنْ تسترشد به الدعوة من أول يوم في جميع جوانبها المنهجية والمقاصدية.

وعليه فقد صاحب مسيرة الدعوة من أول يوم نزل فيه القرآن؛ مرشدا إلى منهجية السير وأسس الدعوة ومنطلقاتها المثلى، وموجها لها في كلّ تحرك يقوم به الدعاة[٤].

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٣/ ٢٨٥)، مفاتيح الغيب، الرازي، (١٨/ ٥٢٠).
(٢) محاسن التأويل، القاسمي، (٦/ ٢٣٣).
(٣) تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، (ص١٨٨).
(٤) ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبة، (ص٢٢٧).

ويصح أن نقول في هذا الإطار إن مسيرة النبي ﷺ الدعويّة تعتبر تفسيرًا عمليًا لتوجيهات القرآن، فقد كان يترجمها قولاً وفعلاً في الواقع، ويؤيد ذلك ما رواه سَعْد بن هِشام بن عَامِر، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَتْ: « كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]»[(١)]. والنصوص الدعوية التأسيسية والتوجيهية في القرآن الكريم الدالة على ذلك كثيرة لا تحصى.

وبملاحظة سور القرآن -خصوصًا السور المكية- النازلة في مبدأ الدعوة، سنجد أنها حوت أسس الدعوة ومبادئها وأهدافها، من التركيز على نشر الدعوة بالطرق السلمية في إطار الحكمة والموعظة الحسنة. والتأسي بالأنبياء والدعاة والصبر على الجحود.

ثم تضمن الخطاب الإنكار على الجاحدين والكافرين والصادين وحكاية مواقفهم وإنكارهم لصحة الوحي القرآني، كما أخذت تتوسع في بيان الوسائل والحلول الناجعة لما يطرأ على سبيل الدعوة من مستجدات وقضايا معينة حادثة في إطار زماني، ولكنها ممتدة في مضامينها ومعانيها.. لتوريث التجارب الدعويّة عبر الأجيال في الكتاب الخالد.

وانطلاقًا من الوظيفة الدعوية للنبي ﷺ يمكن القول بأنّ أوّل من فسّر القرآن تفسيرًا دعويًا هو النبي ﷺ، سواء بالقول أو بالعمل، بما يناسب حاجة الناس ومتطلباتهم، فهو معني بالبيان والتوضيح، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. أي: لتبين لهم القرآن، فالبيان وظيفة الرسل[(٢)]، وبيانه له: شامل لتبيين ألفاظه وتبيين معانيه[(٣)]، ولقد كان القرآن

(١) مسند الإمام أحمد، طبعة مؤسسة الرسالة، (٤١/ ١٤٨، ١٤٩).

(٢) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (٣/ ١٢٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٤١).

ينزل في أي شأن، والرسول ﷺ يتابعه بالبيان القولي أو التطبيقي العملي، بحيث لا يترك شيئًا يحتاج إلى بيان إلا بينه ووضحه[(١)]. وفي الحديث عنه ﷺ، قال: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[(٢)].

ولما توفي النبي ﷺ قام الصحابة بعده، وعلماؤهم على وجه الخصوص، بوظيفة بيان القرآن وتفسيره بمنهجية دعوية تتأسى بما كان عليه النبي ﷺ في ذلك، وقد ثبت تفرقهم في الأمصار المفتوحة لتعليم الناس دينهم وكتاب ربهم، ولقد بيَّن ابن كثير مكانة الصحابة في التفسير فقال: «إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلْم الصحيح والعمل الصالح لاسيما علماؤهم وكبراؤهم»[(٣)]، ومرويات الصحابة في التفسير تؤخذ منها مفاهيم قرآنية في الدعوة إلى الله تعالى وفقهها، وهي مضمنة في كتب التفسير بالمأثور .

ومن أهم خصائص تفسير الصحابة المنتمي إلى الجانب الدعوي، ما يلي:

١ـ كانوا كثيراً ما يكتفون بالمعنى الإجمالي.

٢ـ الاقتصار على توضيح المعنى اللُّغوي بأخصر لفظ[(٤)].

٣.كان همهم الأول الإيمان مع التطبيق والسلوك، عن أبي عبد الرحمن قال: «حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلِمنا العلم والعمل»[(٥)].

---

(١) ينظر: علم التفسير كيف نشأ وتطور، عبد المنعم النمر، (ص٤٥).

(٢) مسند أحمد، طبعة مؤسسة الرسالة، رقم: (١٧١٧٤)، قال محقق: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، غير عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي، فمن رجال أبي داود والنسائي، وهو ثقة، (٢٨/ ٤١٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١/ ٩).

(٤) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، (١/ ٧٣).

(٥) مسند الإمام أحمد، طبعة مؤسسة الرسالة، (٣٨/ ٤٦٦).

٤ـ الاهتمام بأولويات الواقع المقتضية للبيان والدعوة[١]، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فسَّرها أبو بكر رضي الله عنه فقال: «الزموا العملَ بطاعة الله وبما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم الله عنه: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾، يقول: فإنه لا يضركم ضلال مَن ضل إذا أنتم لزمتم العمل بطاعة الله، وأدَّيتم فيمن ضل من الناس ما ألزمكم الله به فيه، من فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يركبه أو يحاول ركوبه، والأخذ على يديه إذا رام ظلمًا لمسلم أو معاهد ومنعه منه فأبى النزوع عن ذلك، ولا ضير عليكم في تماديه في غيِّه وضلاله، إذا أنتم اهتديتم وأديتم حق الله تعالى ذكره فيه»[٢].

وهكذا استمر الصحابة في تفسير القرآن وبيانه للناس؛ مستشعرين حمل أمانة التبليغ، وأن القرآن كتاب هداية ودعوة في المقام الأول.

ثم جاء التابعون وتلقوا التفسير من الصحابة، كما تلقوا الحديث وغيره، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): «وأما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة؛ لأنهم أصحاب ابن عباس، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل: زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير»[٣]. ويقول أيضًا: «إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين»[٤].

وقد كانوا أيضًا أشبه الناس بطريقة الصحابة في التفسير، فلم يؤثر عنهم الخلاف في التفسير، بل كانوا يتوخون سلوك سبيل الصحابة الكرام في ذلك[٥].

---

(١) ينظر: علم التفسير كيف نشأ وتطور، عبد المنعم النمر، (ص٣٧).

(٢) جامع البيان، الطبري، تحقيق أحمد شاكر، (١١/ ١٥٢).

(٣) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، (ص٢٤) باختصار.

(٤) المصدر السابق نفسه، (ص٤٤).

(٥) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، (١/ ١٥).

ثم جاءت مرحلة أتباع التابعين، وبدأ التدوين في التفسير مع الحديث، ثم التدوين في التفسير استقلالاً، وظهرت بعد ذلك مدارس واتجاهات مختلفة في التفسير، ومن أوائل الكتب التي تعود لتلك الفترة: (**جامع البيان عن تأويل آي الكتاب**) لمحمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ)، ثم تتالت بعد ذلك المؤلفات في التفسير وتنوّعت اتجاهاتها بين الاتجاه الجامع والاتجاهات التخصصية: البياني والمعجمي (المفردات) والفقهي والعقدي.

ومن التفاسير التي تشتمل على مادة علمية دعوية مهمة (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) للفخر الرازي (ت: ٦٠٥هـ)، ثم ظهر في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، والثاني ظهر في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري تفسيران هما: (**لباب التأويل في معاني التنزيل**) للإمام الخازن (ت:٧٤١هـ)، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي، (ت:٧٤١)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ت:٧٧٤)، و(**السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**) للخطيب الشربيني (ت:٩٧٧هـ)، ذكر الدكتور فضل حسن عباس (ت: ٢٠١١م): أنهما يعتبران من التفاسير الوعظية، قال: وخصوصًا تفسير الخازن[(١)]، ولكن مع ملاحظة عدم تجردهما لذلك بإطلاق.

وفي العصر الحديث ظهرت تفاسير عديدة، وبعضها واسع وشامل، وبعضها متوسط، وبعضها موجز، ولها توجهات مختلفة في أسلوبها ومنهجيتها تختلف عن التفاسير القديمة، ولكنها تتوّسع في المعارف المستجدة وقضايا الإيمان والدعوة والأخلاق وشؤون الحياة الاجتماعية وإبراز هدايات القرآن في ذلك. ويمكن الإفادة منها كلّها في القضايا الدعوة حيث تتوافر فيها مادة غزيرة للتفسير الدعوي.

وفي ذات الإطار يمكن تقسيم التوجهات التفسيرية الحديثة إلى مدارس مختلفة:

(١) ينظر: التفسير والمفسرون في العصر الحديث، فضل حسن عباس (١/ ٢٥١).

مدرسة عقلية ومدرسة علمية ومدرسة تربوية وجدانية، ومدرسة الجمهور التي لا تغالي في أي من توجهات المدارس الأخرى المذكورة، وكثير من التفاسير الحديثة تندرج تحت مدرسة الجمهور.

والتفاسير التي تنتمي لهذه المدرسة تؤطر في أنماط مختلفة من ضمنها النمط الدعوي في التفسير، ويمكن التمثيل له بعدد وافر من التفاسير، منها: تفسير الشيخ ابن باديس (ت:١٣٥٨هـ)، وتفسير الشيخ ابن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، وتفسير الشيخ محمد الخضر حسين (ت:١٣٧٧هـ)، وتفسير الشيخ عبد الرحمن الدوسري (ت: ١٣٩٩هـ)، وغيرهم[(١)].

وبالإضافة إلى ذلك: فقد ظهر التوجّه إلى التفسير الموضوعي بتوسع في العصر الحديث مواكبًا حاجة الدعوة والتغيرات العصرية، ويعتبر من الأساليب التجديدية في التفسير؛ حيث إن منهجيته تختلف عن سابقيه. ولا شك أن له بذورا قديمة نستطيع إدراكها من خلال النظر في المأثور من التفسير عن النبي ﷺ والصحابة الكرام ومن بعدهم.

ومن بواكير الكتابة في التفسير الموضوعي الذي يصب في خدمة الدعوة في العصر الحديث: (القرآن والمرأة) للشيخ شلتوت (ت: ١٣٨٣هـ)، (اليهود في القرآن) لمحمد عزة دروزة (ت: ١٤٠٤هـ)، (المرأة في القرآن) لعباس محمود العقاد (ت: ١٩٦٤م)، (دستور الأخلاق في القرآن)، لمحمد بن عبد الله دراز(المتوفى: ١٣٧٧هـ) [(٢)].

والملاحظ أنّ هذا الأسلوب يمكن أن يكون من أوسع أبواب التفسير الدعوي؛ لمناسبة أسلوبه لعصرنا وتوجهاته العلمية والمعرفية. وقد ظهرت له عدة ألوان، هي: التفسير الدعوي للموضوع القرآني والتفسير الدعوي للسورة القرآنية

(١) المرجع السابق، (٢/ ٦).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (١/ ٦٤٩).

والتفسير الدعوي للآية والآيات القرآنية والتفسير الدعوي للمصطلح القرآني، وقد شهد التأليف في تلك الألوان توسّعًا ملحوظًا في هذا العصر، وتكاثرت الكتابة فيها بحيث لا يمكن لأحد حصر ما كتب فيها. ومن الأمثلة المعاصرة لهذا اللون إضافة لما ذكرته في الدراسات السابقة:

- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، لمحمد أحمد محمد عبد القادر، وخليل ملكاوي.
- السؤال في القرآن الكريم وأثره في التربية والتعليم، لأحمد بن عبد الفتاح ضليمي.
- من أساليب التربية في القرآن الكريم، لزينب بشارة يوسف.
- مفهوم الحكمة في الدعوة إلى اللهَّ تعالى في ضوء الكتاب والسنة، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني.

والأمثلة كثيرة في دراسة مواضيع القرآن وسوره وآياته، من جوانب دعوية وتربوية وغيرها.

ويمكن في هذا الإطار أن نضيف إلى التفسير الدعوي: ما يسمى التفسير الإذاعي، وهو لون من التفسير يخاطب أصناف الناس على اختلاف ثقافاتهم ومستوياتهم، ويتم القيام به عبر الإذاعات والفضائيات، وفي معظمه يتسم بمنهجية دعوية. وقد بدأ مع ظهور الإذاعات، ومما يمثل له من التفاسير التي أصلها عرض إذاعي: تفسير: (**التيسير في أحاديث التفسير**)، لمحمد المكي الناصري (ت:١٤١٤هـ)، في المملكة المغربية، ومنه: تفسير الشيخ الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ) (**الخواطر**) في مصر، وكذلك الحلقات التليفزيونية التي قدمها الدكتور محمد المختار المهدي (ت:٢٠١٦م)، تحت مسمى: (**التفسير الدعوي للقرآن الكريم**)، وقد استعمت حلقات منه وبخاصة الحلقات الأُوَل إلا أنني لم أجده يتطرق لبيان

مدلول التفسير الدعوي، ومنهج الدعوة وأساليبه بل يفسر القرآن الكريم دون ربط ذلك بالدعوة، وإن كانت تسمية حلقاته واضحة في هذا الجانب.

ولا يخفى الدور البارز للجامعات السعودية للنهوض بالدعوة، ونخص بالذكر الجامعات التي توجد فيها أقسام الدعوة والإعلام والاحتساب ومنها جامعة أم القرى، فقد أصبحت الدعوة الإسلامية اليوم تخصّصًا وقِسْمًا علْميًّا فيها ولله الحمد، حيث يدرس الطالب مدة أربع سنوات ويتخرّج حاملاً شهادة البكالوريوس في الدعوة، ومن تلك الأقسام قسم: (قسم الدعوة والثقافة الإسلامية) بكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى، بمكة المكرمة؛ حيث اعتمدت في مرحلة (البكالوريوس) جملة من المقررات المرتبطة بالدعوة، والمستمدة من المعايير الأكاديمية لتخصصات الدعوة وأصول الدين الصادرة عن هيئة تقويم التعليم والتدريب، ومن تلك المقررات:

١. مقرر تفسير آيات الدعوة (١١١).
٢. مقرر تفسير آيات الدعوة (١١٢).
٣. مقرر تفسير آيات الدعوة (١٢٣).
٤. مقرر فقه الدعوة.
٥. مقرر تأريخ الدعوة والدعاة.
٦. مقرر مناهج الدعوة.
٧. مقرر تدريبات عملية في الدعوة.
٨. مقرر أساليب الدعوة ووسائلها.
٩. مقرر أحاديث الدعوة (١٢١).
١٠. مقرر أحاديث الدعوة (١٢٢).
١١. مقرر أحاديث الدعوة (٢٢٣).

وهذا لا يعني أن بقية المقررات لا تخدم التخصص، بل هناك مقررات أخرى مفيدة ومنها فقه السيرة، ومقررات أخرى.

كما تم اعتماد مقررات دعوية لمرحلة (الماجستير)، وأهمها:

١. فقه الدعوة (١).

٢. فقه الدعوة (٢).

٣. أساليب الدعوة ووسائلها.

٤. دعوة الرسل.

وقد سُجِّلت ونُوقشت بهذا القسم عدد كبير من الرسائل العلمية (ماجستير ودكتوراه)، شملت أركان الدعوة: موضوعا، ومنهجا، وأساليب ووسائل، وما يتعلّق بالدعاة والمدعوين، وكلّها تنهل من معين القرآن الكريم والسنة المطهرة ومنهج السلف مادتها العلمية.

وفي إطار التفسير الدعوي -أيضًا- تأتي الترجمات لمعاني القرآن للغات مختلفة؛ كوسيلة تفسير دعويّة كانت ولا تزال الحاجة إليها ضرورية؛ ذلك أن القرآن كتاب الله الخاتم للعالمين[١]، وقد كانت الترجمة قضية خلافية بين العلماء، قديمًا وحديثًا، وتوجد اليوم جهود طيبة في هذا الاتجاه، تأصيلاً وتأسيسًا[٢]، ونشير في هذا المقام إلى الجهد المبارك الذي قام به مجمع الملك فهد في إعداد (التفسير الميسر)، حيث ترجمت معاني القرآن الكريم إلى عدة لغات، وهو جهد دعوي مبارك، جاء في مقدمته: «كانت الحاجة ماسة في هذا العصر إلى وضع تفسير مختصر تراعى فيه أصول التفسير وموارده على منهج السلف الصالح، يكفُل بيان التفسير على وجه تطمئن له القلوب، وتثق به، ويُقدِّم التفسير بعبارة وجيزة سهلة تتضح به معاني

(١) ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة، (١/ ٨٦٧).

(٢) ينظر: المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد النبهان، (ص٨٠)، وما بعدها.

القرآن ومقاصده، وتظهر به مدلولات الألفاظ وتراكيبها مما يغيب عن أذهان عامة الناس وإدراكهم.

إن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة يتشرف بأمانة تبليغ معاني القرآن الكريم لمن لا يتكلّم بالعربية ولا يعرفها، وهو باب دخله من ليس أهلاً له، ودخله الـمُغرض بقصد الافتراء والدس على كتاب الله ومع ذلك تظلُّ الترجمة دون ما يطمح إليه المجمَّع.

وبعد دراسة متأنية رأى المجمَّع أن يصدر تفسيرًا ميسَّرًا للقرآن الكريم باللغة العربية وَفْق أصول التفسير وموارده الأصيلة، يكون أساسًا لما يطبعه المجمَّع من ترجمات معاني القرآن الكريم إلى لغات الشعوب الإسلامية وغيرها»[(١)].

المطلب الثالث: علاقة التفسير الدعوي بأنواع التفسير الأخرى، وحكمه:

أولا: علاقة التفسير الدعوي بأنواع التفسير:

قسم العلماء مناهج التفسير في العموم إلى نوعين هما: التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، وهذا التقسيم يلاحظ أنه من حيث النظر إلى المصادر والطرق[(٢)]، وفي العصر الحديث قسم التفسير إلى أنواع، هي: التفسير الإجمالي، والتفسير التحليلي، والتفسير المقارن، والتفسير الموضوعي. وهذا التقسيم يلاحظ أنه من حيث النظر إلى المنهجية والأسلوب.

ويرتبط بها التفسير الدعوي ارتباطًا قويًا؛ وبخاصة بالتفسير الموضوعي والتحليلي، ويمكن توضيح ذلك الارتباط فيما يأتي:

(١) التفسير الميسر، نخبة من الأساتذة، (٨، ٩).

(٢) قال الشوكاني (ت١٢٥٠هـ): إن غالب المفسرين تفرّقوا فريقين، وسلكوا طريقين: الفريق الأول اقتصروا في تفاسيرهم على مجرّد الرواية، وقنعوا برفع هذه الراية. والفريق الآخر جرّدوا أنظارهم إلى ما تقتضيه اللغة العربية، وما تفيده العلوم الآلية، ولم يرفعوا إلى الرواية رأسا، وإن جاءوا بها لم يصحّحوا لها أساسا، وكلا الفريقين قد أصاب، وأطال وأطاب. ينظر: فتح القدير (١/ ١٤).

١ـ التفسير الدعوي يعتمد في الأساس على هذه الأنواع في المصادر والمضامين، وفي كثير من مادته العلمية، واختلافه عنها هو في تفرّده بقضايا الدعوة وتخصصه فيها، فهو يأخذ من مضامين تلك الأنواع ويوجهها توجيهًا دعويًّا، وينحو بها منحى البلاغ، أو يستدلّ بها لقضايا التفسير الدعوي، وهذا ما يلاحظ في الدراسات التفسيريّة الدعويّة عمومًا.

٢ـ التأصيل للتفسير الدعوي يمكن أخذه من مرجعيات هذه الأنواع ومصادرها -أيضًا- فمصادر كلّ تلك الأنواع متفقة، والخلاف ربما يكون في منهجية التناول كما يبدو لنا، والله أعلم.

٣ـ يمكن اعتبار التفسير الدعوي تفسيرًا موضوعيًا، أي: لونًا من ألوانه؛ باعتباره يتناول موضوعات الدعوة بتفاصيلها، وقضاياها ومسائلها من خلال القرآن الكريم، وباعتبار أن منهجيته في البحث والعرض هي نفس منهجية التفسير الموضوعي، ومن هنا تتّضح علاقة التفسير الدعوي بغيره من أنواع التفسير.

٤ .للتفسير الدعوي علاقة وطيدة بالتفسير التحليلي فهو يتناول السورة أو الآية بمنهجية تحليلية تتضمن تحليل مضامينها فيما يتعلق بأركان الدعوة الأربعة.

ثانياً: حكم التفسير الدعوي:

القرآن الكريم كتاب علْم ودعوة وتربية، وجهاد دعوة، والمجاهدة به تكون بقراءته وحفظه، وتعرّف أحكامه والعمل به، ودعوة الناس إليه ببيان ما اشتمل عليه من دلائل وبراهين على صحة الدعوة، والتخلّق بما فيه من آداب، قال ابن سعدي (ت:١٣٧٦هـ): «شرح محاسن الدّين الإسلامي وبيان عقائده وأخلاقه، وأحكامه وإصلاحه، من أعظم الجهاد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[الفرقان: ٥٢]، أي: بهذا القرآن،

وبما جئت به من الدين، وذلك بالدعوة إليه، وتبيين أنه دين العدل والرحمة والحكمة والخير والصلاح، للظاهر والباطن، والدين والدنيا. وأعظم جهاد النبي ﷺ للخلق بهذا النوع، فإنه مكث مده طويلة يدعو إلى الله، ويبين للعباد محاسن الدين، ويقابل بينه وبين ضده من أديان أهل الأرض المنحرفة...فهذا الدين الإسلامي، بعقائده وحقائقه وأخلاقه وأعماله، وما جاء به من القرآن أكبر البراهين القواطع الضرورية الدالة على أن الله هو الحق، ورسوله حق، ودينه حق، وما عارض ذلك هو الباطل. وهو بنفسه جذاب لكل من قصده الحق ومعه إنصاف رسالة تتضمن التنبيه على واجب المسلمين نحو دينهم.. فشرح هذه الأمور للناس من أعظم الجهاد»(١).

وحكم التفسير الدعوي يمكن استفادته من حكم الدعوة وحكم التفسير معاً، فلما كان القرآن الكريم هو منهج الدعوة وموضوعها، ومنه تستنبط أساليبها ووسائلها، وهو أساس الدعوة، الذي أمر الله تعالى رسوله وأتباعه باعتماد منهجا، فقال: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]. فالأظهر في هذه الآية أن الجهاد هنا جهاد الدعوة، والمراد به: «بذل الجهد في الأداء، والدعاء إلى الله..، وقوله: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾، أي جامعا لكل مجاهدة»(٢).

ولما كان الجهاد الدعوي الشامل لا يتم إلا بمعرفة مضامين القرآن والسنة والإحاطة بتعليماتهما وتوجيهاتهما الدعويّة، ولما كانت بعض هذه المضامين والتوجيهات واضحة ظاهرة، وبعضها يحتاج إلى استنباط وتدبر، ولما كانت هناك قضايا مستجدة وحاجة إلى التجديد في الوسائل والأساليب الدعويّة، وكلّ ذلك يحتاج إلى بيان وتوضيح للدعاة أولاً، وللمدعوِّين ثانيًا، ومن خلال بالنظر في

(١) جهاد الأعداء ووجوب التعاون بين المسلمين، ابن سعدي، (ص٣٢ -٣٤).

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، (٢٤/ ٤٧٤) باختصار.

حقيقة التفسير الدعوي نجد أن له شقين:

الأول: أنه بيان وتبصير للدعاة أنفسهم، ليفقهوا وظيفتهم ومتطلباتها، فلا بدّ لهم من فهم النظر القرآني في القضايا الدينية عامة والدعويّة خصوصًا ومستجداتها، وهو يتطلب تفسيرًا معمقًا ومقرّبًا، يتوافق مع مستويات الدعاة، فيفهمون القرآن في أنفسهم، ثم يبلغونه للمدعوين عن معرفة وعلم.

والشق الثاني: أن التفسير الدعوي متطلب لبيان القرآن للمدعوين على اختلاف مستوياتهم، فالناس ليسوا على مستوى واحد في الفهم والإدراك، وخاصة في هذا الزمان، حيث يحتاج معظم الناس -إن لم يكونوا كلّهم- لبيان معاني القرآن ومفاهيمه ومقاصده وأحكامه.

ومن خلال كلّ ما تقدم وبالنظر الواقعي أيضًا، يمكننا أنْ نقول: ينطبق على هذا، قول العلماء: ما لا يتم الواجب إلا به مما هو إلى المكلفين فهو واجب[(١)]، أي: أنه لما كان التكليف بالدعوة قائم على الأمة، وكان ذلك لا يتم إلا بمعرفة القرآن ومضامينه، وبإبلاغه للناس مبينًا واضحًا، قال تعالى: ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾[النحل: ٨٢]، وكان البيان يحتاج إلى التفسير والتوضيح في المستوى الدعوي فهو من الأسس الضرورية للدعوة والدعاة، وفي المستوى العام والمتعمّق، كلّ ذلك لاتمام البيان وإقامة الحجة، فلكلّ ذلك كان التفسير على المستوى الدعوي واجبًا، وخصوصًا في هذا الزمان الذي قلّتْ فيه البصيرة بكتاب الله تعالى.

ولكن هذا الواجب واجب على الكفاية وليس على التعيين، بمعنى يجب أن يقوم به البعض، فإذا وجدت الكفاية منه سقط الوجوب عن الآخرين[(٢)]، والقدر

(١) ينظر: المستصفى، الغزالي، (ص٥٧).

(٢) ينظر: أحكام القرآن، الجصاص، (٢/ ٣١٥).

الواجب منه ما يحصل به فهم المراد بخطاب القرآن[١]، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]. وذكر ابن العربي (ت: ٥٤٣هـ) في آية التوبة عن ابن عباس، قال: «معناه ما كان المؤمنون لينفروا جميعًا ويتركوا نبيّهم، ولكن يخرج بعضهم ويبقى البعض فيما ينزل من القرآن ويجري من العلم والأحكام، يعلمه المتخلف للساري عند رجوعه... ظاهر هذه الآية الحث على طلب العلم والندب إليه دون الإلزام والوجوب، واستحباب الرحلة فيه وفضلها»[٢]، وقال أيضًا: «وأما معرفة الوظائف فلأن ما ثبت وجوبه ثبت وجوب العلْم به لاستحالة أدائها إلا بعلْم، ثم ينشأ على هذا أن المزيد على الوظائف مما فيه القيام بوظائف الشريعة كتحصين الحقوق وإقامة الحدود، والفصل بين الخصوم ونحوه من فروض الكفاية؛ إذ لا يصح أن يعلمه جميع الناس»[٣].

ويدلّ على ضرورة فقه الدعوة ومنهجها حديث النبي ﷺ مع معاذ رضي الله عنه: «إنك ستأتي قوما أهل كتاب»[٤]، ففيه بيان لفقه الدعوة، من حيث بيان أحوال المدعوين وكيف يتعامل معهم، وما هي الأساليب الناجعة والمنهجية اللازمة لهم، وكلّ ذلك من ضرورات الدعوة والدعاة.

«وجهاد العدو على قسمين: منه جهاد بالحجة والبيان. ومنه جهاد بالسنان والسلاح. أما الأول: وهو الجهاد بالحجة والبيان فهذا واجب مأمور به لكل من

(١) ينظر: الموافقات، الشاطبي، (١/ ٥٧).

(٢) أحكام القرآن، ابن العربي، (٢/ ٦٠٢).

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي، (٢/ ٦٠٣).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١/ ٥١)، رقم(١٩).

قدر عليه، في كل زمان وفي كل مكان وفي كل حال بحسبه، وقد أمر الله جل وعلا نبيه بذلك في مكة قبل أن يشرع الجهاد بالسنان فقال جل وعلا ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٢]؛ يعني جاهدهم بالقرآن، فهذا جهاد بالحجة والبيان وهذا يعم الأزمنة والأمكنة، ولا تزال طائفة من هذه الأمة ظاهرة على الحق لا يضرها من خذلها ولا من خالفها، وهذه الطائفة دائمة قائمة بالجهاد بالحجة والبيان»[(١)].

وقال ابن باديس (ت:١٣٥٨هـ)، مفسّرًا قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾، أي: «وابذل كلّ جهدك في دعوتهم للدين الحق، ومقاومة ما هم عليه من الباطل بالقرآن العظيم، وجاهدهم بهذا القرآن جهادًا كبيرًا، بتحمّل كلّ ما يأتيك من ناحيتهم من بلاء وإذاية والصبر عليه، والثبات على الدعوة والمقاومة. والخطاب وإن كان له فالحكم شامل لأمته، فلا يجوز للمسلم أن يطيع كافراً أو عاصياً في أي شيء من نواحي الكفر، ونواحي المعصية.

وكما أن الجهاد بالقرآن العظيم هو فرض عليه، فكذلك هو فرض على أمته هكذا على الإجمال. وعند التفصيل تجده فرضاً على الدعاة والمرشدين الذين يقومون بهذا الفرض الكفائي على المسلمين؛ فالنبي ﷺ قدوة لأمته فيما اشتملت عليه الآية من نهي وأمر»[(٢)].

المطلب الرابع: مصادر التفسير الدعوي:

مصادر التفسير الدعوي هي نفس مصادر أنواع التفسير الأخرى، مع زيادة مصادر أخرى خاصة به، وهي كتب الدعوة، وسأورد بيان تلك المصادر كما يأتي:

(١) فضل الإسلام، محمد بن عبد الوهاب، شرح صالح آل الشيخ، (ص١٦٩).

(٢) تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، (ص١٨٨).

أولاً: القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو المصدر الأول للدعوة وللتفسير الدعوي، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام:١٩]، وقال تعالى: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [هود:١٢٠]، وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [يوسف:١١١]، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الحج: ٦٧]، وقال تعالى:﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

ومن خلال النصوص المتقدمة يتضح أنّ القرآن الكريم هو منهج الدعوة ومصدرها، ومنه نستنبط حكم الدعوة وموضوعاتها ومسائلها وضوابطها وقواعدها، ومناهجها وأساليبها ووسائلها، ونتعرّف شروط الداعية وعدته وصفاته، وحال المدعوين وأنواعهم، وفي القصص القرآني تظهر ملامح منهج كلّ نبي في الدعوة، وما دار بينهم وبين أقوامهم من جدال وحوار دعوي، إلى غيرها من قضايا الدعوة المستفادة من القرآن الكريم.

ومعلوم أنّ القرآن الكريم يفسّر بعضه بعضاً؛ ففيه المطلق والمقيد، والمجمل والمفسر، والعام والخاص، والمتشابه والمحكم...إلخ[(١)]، وبيان ذلك نجده في القرآن

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية، (١/ ٤٣).

الكريم، «ومن هنا كان على مَن يفسّر القرآن الكريم أن يرجع إلى القرآن أولاً، يبحث فيه عن تفسير ما يريد، فيقابل الآيات بعضها ببعض، ويستعين بما جاء مسهبًا ليعرف به ما جاء موجزًا، وبالمبين ليفهم به المجمل، ويحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص»[(١)].

فالقرآن الكريم أهم مصادر التفسير على الإطلاق، بل هو أحسن وأصح الطرق أن يفسر القرآن بالقرآن، كما قال ابن تيمية[(٢)].

ثانيًا: السنة النبوية والسيرة الشريفة:

البيان النبوي يكون بالقول والفعل، فالسيرة النبوية والتوجيهات النبوية الكريمة تطبيقات عملية لما أمر الله به رسوله ﷺ في أمور الدعوة، وتبليغ الرسالة، وما ألهم رسوله في هذا المجال، ولا يجوز لمن يتصدّى لتأصيل التفسير الدعوي أن يغفل عن ذلك، وقد أشار القرآن الكريم لذلك فقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، وفي الحديث: قال: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ،..»[(٣)]. يقول أبو إسحاق الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ): «بيان رسول الله ﷺ بيان صحيح لا إشكال في صحته؛ لأنه لذلك بعث، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، ولا

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية، (١/ ٦).

(٢) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، (ص٣٩).

(٣) مسند الإمام أحمد (٢٨/ ٤١٠)، رقم: (١٧١٧٤)، قال محقق: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، غير عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي، فمن رجال أبي داود والنسائي، وهو ثقة.

خلاف فيه»[١]. «والمتبادر أن هذه الجملة لا تعني تبليغ الناس ما ينزل على النبي ﷺ من قرآن فقط، بل تعني أيضا توضيح وتفسير وشرح ما قد يكون في حاجة إلى ذلك من القرآن»[٢].

وعليه: فالتفسير الدعوي من السنة مما ورد عن النبي ﷺ من بيان للقرآن عمومًا ومما يخص الدعوة خصوصًا، ويؤخذ أيضًا من أفعاله وسيرته، فيستفاد من البيان العملي منه ﷺ، فحركته وسيرته كلها دعوة وبيان وفيها أسوة. عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[٣]، فأمر من النبي ﷺ أن يبلغ المسلم ولو آية من كتاب الله تعالى، قال بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ): «أَمر رَسُول الله ﷺ بالتبليغ من الله تَعَالَى وَلَو كَانَ آيَة من الْقُرْآن. وَأوجب التَّبْلِيغ عَلَيْهِ، ﷺ: «بلغُوا عني وَلَو آيَة من كتاب الله تَعَالَى»[٤]، وقال ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ): «قَالَ فِي الْحَدِيثِ: (وَلَوْ آيَةً)، أَيْ: وَاحِدَةً لِيُسَارِعَ كُلُّ سَامِعٍ إِلَى تَبْلِيغِ مَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْآيِ وَلَوْ قَلَّ؛ لِيَتَّصِلَ بِذَلِكَ نَقْلُ جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ ﷺ»[٥].

ثالثًا: فهم السلف من الصحابة والتابعين:

قال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) عن بيان الصحابة: «فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لاسيما علماؤهم وكبراؤهم»[٦]، وقال أبو إسحاق الشاطبي

(١) الموافقات، الشاطبي، (٤/ ١٢٧).
(٢) التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، (٥/ ١٣٨).
(٣) صحيح البخاري (٤/ ١٧٠)، رقم (٣٤٦١).
(٤) عمدة القاري، العيني، (١٢/ ٩٧).
(٥) فتح الباري، ابن حجر، (٦/ ٤٩٨).
(٦) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، (ص٤٠).

(ت:٧٩٠هـ): «وأما بيان الصحابة فإن أجمعوا على ما بينوه؛ فلا إشكال في صحته أيضا. ولكنهم يترجح الاعتماد عليهم في البيان من وجهين: أحدهما: معرفتهم باللسان العربي. والثاني: مباشرتهم للوقائع والنوازل»[(١)].

وبيان الصحابة وتفسيرهم فيه نقل لكثير من الأخبار التي شاهدوها أو سمعوها من النبي ﷺ، ويحتوي على كثير من المضامين الدعويّة عن عصر النبي ﷺ ثم عن عصرهم، وفيما نقلوه إلينا من السّنن ما يكون بيانًا لكتاب الله تعالى[(٢)].

وأما تفسير التابعين وتابعيهم: فهم ممن يرجع إلى تفسيرهم بعد الصحابة الكرام، وهو رأي كثير من العلماء، وذلك أنّ التابعين أخذوا من الصحابة وتابعيهم أخذوا عنهم أيضًا، والحجة في إجماعهم على التفسير. وهذا لا يعني التسليم المطلق لما قالوه، بل لتلقي تفسيرهم ضوابط لا بدّ من وزنه بها[(٣)]. ولكن يبقى لتفسيرهم وزن وأهمية كمصدر للتفسير عمومًا وللتفسير الدعوي خصوصًا، لا بدّ من الاطلاع عليه والاستفادة منه؛ فهو يمثل مرحلة من مراحل الدعوة الإسلاميّة، تبرز من خلاله تجارب ومعارف عديدة.

رابعاً: الفهم والاجتهاد المبني على الشرع أو أصول اللغة:

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فقوله: «﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، يعني فيه، فيستخرجون من كنوزه وعلومه بحسب استعدادهم وإقبالهم عليه»[(٤)]، قال أبو بكر الباقلاني(ت: ٤٠٣هـ): «وأمر معاناة المعاني التي تحملها الألفاظ، شديد بالغ الشدة لأنها نتائج العقول،

(١) الموافقات، الشاطبي، (٤/ ١٢٧-١٢٨) باختصار.

(٢) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، (١/ ٩).

(٣) ينظر: مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، (ص ٤٤-٤٦).

(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٤١).

وولائد الأفهام، وبنات الأفكار»[(١)]. وقال بدر الدين الزركشي (ت:٧٩٤هـ): «أصل الوقوف على معاني القرآن التدبر والتفكر»[(٢)]، فكلّ هذا يدلّ على أنّ معرفة كنوز القرآن، ومعانيه، ومقاصده تستنبط بالتفكّر والتعقّل والتدبّر، وهو منوط بالمفسّر ذي الدّراية والفقه والفهم، والمفسرون يتفاوتون في ذلك كما كان يتفاوت الصحابة فيه.

واستنباط أحكام الدعوة وما يخص قضاياها من معارف هو من جملة ما يتفكّر فيه المتفكرون ويتدبّره المتدبرون، سواء كان في القصص القرآني المتعمّق في قضايا الدعوة أو في مطلق ما يستفاد منه في الدعوة من القرآن.

ومن المؤكد أن ذلك يكون بقدر الاستعداد والوسع والطاقة البشرية، والآيات الآمرة بالتدبّر والتفكّر في القرآن كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[المؤمنون: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[محمد: ٢٤]، «ومعنى تدبّر القرآن تأمل معانيه وتفكر في حكمه وتبصر ما فيه من الآيات»[(٣)]، والتدبّر في عموم آيات القرآن، أو في آيات الدعوة بالخصوص، فالله حضّ على التدبر فيه مطلقًا.

ولا بد من مراعاة أصول اللغة عند الاستنباط قال أبو إسحاق الشاطبي (ت:٧٩٠هـ) مبينًا أهمية اللغة العربية في فهم قصد الشارع في وضع الشريعة: «القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه يكون من هذا الطريق خاصة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف:٢]، وقال: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء:١٩٥]. فمَن أراد تفهُّمه فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل

(١) إعجاز القرآن، الباقلاني، (ص١٦).
(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٢/ ١٨٠).
(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (١/ ٤٠٢).

إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة...فإن قلنا إنّ القرآن نزل بلسان العرب وإنه لا عجمة فيه، فبمعنى أنه أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة، وأساليب معانيها، وأنها فيما فطرت عليه من لسانها تخاطب بالعام يراد به ظاهره، وبالعام يراد به العام في وجه، والخاص في وجه، وبالعام يراد به الخاص، والظاهر يراد به غير الظاهر، وكل ذلك يعرف من أول الكلام أو وسطه أو آخره، وتتكلم بالكلام ينبئ أوله عن آخره، أو آخره عن أوله، وتتكلم بالشيء يعرف بالمعنى كما يعرف بالإشارة، وتسمى الشيء الواحد بأسماء كثيرة، والأشياء الكثيرة باسم واحد»[(١)].

المطلب الخامس: مبادئ التفسير الدعوي

هناك مبادئ أساسية اصطلح عليها العلماء في كلّ العلوم والفنون، تُعتبر مفاتيح أساسية لكل علم وفن، وقد جمعها الناظم في قوله:

إِنَّ مَبَـادِي كُـلِّ فَـنٍّ عَشَـرَه ... الحَـدُّ وَالموضُـوعُ ثُـمَّ الثَّمَـرَه
وَنِسـبَةٌ وَفَضـلُهُ وَالوَاضِـعْ ... وَالِاسْـمُ الِاستِمدَادُ حُكـمُ الشَّـارِعْ
مَسَائِلٌ والبَعضُ بِالبَعضِ اكتَفَى ... وَمَن دَرَى الجَمِيعَ حَازَ الشَّرَفَا[(٢)]

وهذه المبادئ العشرة الأساسية للعلوم ننزلها على التفسير الدعوي، فهو يقوم على هذه المبادئ أيضًا، وبيان ذلك كما يأتي:

أولاً: حده، أي: تعريفه الاصطلاحي، فهو علْم يبحث في ألفاظ القرآن ومعانيه ومقاصده وأحكامه وحكمه، فيما يخص الدعوة إلى الله تعالى.

ثانيًا: موضوعه: كلام الله تعالى، ومقاصده وأحكامه وحِكمه الدعويّة.

ثالثًا: ثمرته: استخلاص ما يفيد ويخدم الدعوة في جوانبها وقضاياها المختلفة من الهدايات والدلالات.

(١) الموافقات، الشاطبي، (٢/ ٤٩، ٥٠).

(٢) بيان المعاني، عبد القادر آل غازي، (١/ ٦).

رابعًا: نسبته إلى غيره من العلوم: هو نوع من أنواع التفسير، ويمكن لسائر العلوم الشرعية أن تخدمه وليس بينه وبينها مباينة. ويمكن أن يقال بأن نسبته لأنواع التفسير نسبة عموم وخصوص، فهو يشترك معها في مباحث عديدة من قضايا الدعوة، ويختص عنها بانفراده بمباحث قضاياها فقط.

خامسًا: فضله: فضل هذا التفسير من فضل عموم تفسير كتاب الله تعالى، وقد قيل بأن التفسير أشرف العلوم وأفضلها وأهمها(١).

وقال الراغب الأصفهانيّ (ت:٥٠٢هـ): «أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن وتأويله. وذلك أن الصناعات الحقيقية إنما تشرف بأحد ثلاثة أشياء: إمّا بشرف موضوعاتها، وإمّا بشرف صورها، وإمّا بشرف أغراضها وكمالها، فإذا ثبت ذلك، فصناعة التفسير قد حصل لها الشرف من الجهات الثلاث، وهو أنّ موضوع التفسير كلام الله تعالى، وصورة فعله: إظهار خفيات ما أودعه منزله من أسراره، وغرضه التمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا فناء لها. ولهذا عظّم الله محله بقوله: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة: ٢٦٩]، قيل: هو تفسير القرآن»(٢).

وهذا الشرف والفضل يشمل التفسير الدعوي قطعا؛ فهو جزء من التفسير كما قد سبق.

سادسًا: واضعه: واضعه الأول هو رسول الله ﷺ، كما ذكرت سابقًا في بيان قوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]، فهي وظيفته ﷺ. ثم من بعده الصحابة الكرام والتابعون وتابعيهم.

ولا ينسب وضع علْم التفسير الدعوي الخاص كتأليف إلى شخص بعينه -كما نُسب للشافعي مثلاً وضع أولوية وضع علم أصول الفقه في كتابه (الرسالة)- وإنما نجده مندمجًا مع التفسير عمومًا، وقد أشرت سابقًا إلى بداياته الأولى في العصر

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٦٩).

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٣٦) باختصار.

الحديث، كنوع من التفسير الموضوعي، ثم إلى بدايات بعض ألوانه الأخرى.

ولقد كان التفسير أول علم قرآني، «اشتغل به علماء الإسلام قبل الاشتغال بتدوين بقية العلوم، وفيه كثرت مناظراتهم»[(١)].

سابعًا: اسمه: التفسير الدعوي للقرآن الكريم.

ثامنًا: استمداده: يستمد التفسير الدعوي مما يستمد منه التفسير عمومًا، وهناك مَن يرى بأن استمداده يأتي من مصادره التي ذُكرت سابقًا، فالتفسير عنده «قسمان؛ أحدهما: ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره وقسم لم يرد، والأول ثلاثة أنواع: إما أن يرد التفسير عن النبي ﷺ أو عن الصحابة أو عن رؤوس التابعين، والثاني: ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين، وهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها، واستعمالها بحسب السياق»[(٢)].

ويفرق ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) بين المصادر والاستمداد، فيرى أنّ مصادره تعني مادته الأساسية التي جاءت من تلك المصادر، وأما استمداده فتعني مدده مما هو من خارج تلك المصادر، واستمداده عنده يكون من علْم اللغة، والنّحو والتصريف، وعلْم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، والآثار، وأخبار العرب، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ[(٣)].

وفي رأيي أنّ الفرق اصطلاحي ولا مشاحة في الاصطلاح، ففي النهاية هو مستمد من كلّ تلك المصادر، وإجمالاً فإنّ استمداده من الكتاب، والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين، وأقوال الأئمة المجتهدين من أهل التفسير وغيرهم.

تاسعًا: حكمه: واجب على الكفاية، كما سبق بيانه.

عاشرًا: مسائله: بيان الآيات القرآنيّة التي تتضمن القضايا الدعويّة عمومًا.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ١٣).

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٢/ ١٧٢).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١/ ١٨).

المبحث الثاني

أقسام التفسير الدعوي وضوابطه وتطبيقاته

في هذا المبحث سيتم الحديث عن ثلاثة قضايا مهمة، وهي أقسام التفسير الدعوي، وضوابطه، ونماذج تطبيقية للتفسير الدعوي بحسب أركان الدعوة، كما يأتي:

المطلب الأول: أقسام التفسير الدعوي

يمكن تقسيم التفسير الدعوي استصحابا لأقسام التفسير الموضوعي، ولا مشاحة في ذلك، وعليه فيمكن تقسيمه إلى أقسام أربعة، هي: التفسير الدعوي للموضوع القرآني، والتفسير الدعوي للسورة القرآنيّة، والتفسير الدعوي للآية والآيات القرآنيّة، والتفسير الدعوي للمصطلح القرآني، وبيانها فيما يأتي:

أولًا: التفسير الدعوي للموضوع القرآني

موضوع كلّ علْم هو ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية[١]، وقيل هو: «مادّة يبني عليها المتكَلِّم أو الكاتب كَلامَهُ، أو مسألة أو أمر من الأمور»[٢]،وهذا تعريف مناسب لما نحن بصدده هنا، فالموضوع القرآني هو: قضية، أو أمر تعرض له القرآن بالذكر والبيان، وموضوعات القرآن كثيرة، وأهمها: العقيدة، والعبادة، والدعوة، والتشريع، والسلوك، والأخلاق، وأمور الحياة[٣].

ومن هنا فإنّ التفسير الدعوي للموضوع القرآني، هو بيان وتوضيح موضوع دعوي تعرضت له آيات القرآن الكريم. أو هو: تفسير موضوع دعوي خاص ذكَره القرآن الكريم، بحيث يتم بيان جميع جوانبه وجزئياته المذكورة في القرآن الكريم

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، (ص٣١٩).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار، (٣/ ٢٤٥٧).

(٣) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، (ص١٦).

كله، غير مقتصر على سورة أو آية أو آيات معينة، فيخرج بصورة شاملة كاملة لذلك الموضوع.

وموضوع الدعوة هو الإسلام، بما يحتويه من عقائد، وعبادات، وتشريعات، وأخلاق وسلوك، فالموضوعات الدعويّة كثيرة، وهي تدخل في كافة مجالات الحياة التي جاء الإسلام ليصبغها بصبغته، كما قال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨]، وصبغة الله هي دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده، وهو الذي ينبغي أن يلتزم به المسلم ظاهرا وباطنا، على الوجه المرضي عند الله فيتداخل مع القلوب ويظهر أثره في الواقع(١)، أي: أنّ موضوع الدعوة يشمل كلّ ذلك، والتفسير الدعوي يقع لجانب أو أمر أو قضية أو مسألة من تلك الأمور ذكرها القرآن واستهدف بها الناس، فيكون التفسير الدعوي بيانًا لها وتوضيحًا لجوانبها بمنهجية خاصة، فتشمل كلّ جزئيات ذلك الموضوع المعيّن، من خلال القرآن الكريم كّله، وقد تكون الآيات الدالة لذلك صريحة الدلالة أو فيها دلالة ضمنية له.

وقد يكون الموضوع القرآني للتفسير الدعوي من خلال القرآن الكريم وفي ضوئه كلّه؛ كدراسة ركن من أركان الدعوة: (موضوع الدعوة، أو الداعية أو المدعو، أو المدعو به)، أو دراسة موضوع يتعلّق بأحد هذه الأركان ومضامينه؛ ومن أمثلة ذلك: فضائل الدعوة إلى الله في القرآن، وإعداد الداعية في القرآن، وصفات الداعية الناجح في القرآن، وسائل الدعوة الفرديّة في ضوء القرآن.

ومن مما يجب مراعاته في خطوات هذا النوع من التفسير:

- جمع الآيات المقصودة بالتفسير في موضوع واحد(٢)، وتفسيرها على منهجية

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢/ ١٤٤).

(٢) ينظر: التفسير الموضوعي بين الأصالة والتجديد، محمد عبد السلام الحضيري، بحث مقدم للمؤتمر=

واحدة تفضي إلى تحقيق الأهداف والمقاصد الموضوعة له، وتكون أجزاء الموضوع مترابطة المعاني والمقاصد. ولا يبتعد التعامل في هذا التفسير عن التعامل في تفسير أي موضوع قرآني آخر، إلا أن هذا متخصص في باب الدعوة.

- أن تُجمَع الآيات القرآنيّة في الموضوع الواحد، وقد تكون هذه الآيات مكية، وقد تكون مدنية[١].

- أن يجعل المفسّر (الباحث) عناوين الأبواب والفصول من المادة القرآنيّة في الموضوع، وما عدا القرآن: من السنة وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم يكون للبيان والتوضيح والاستدلال والشواهد والترجيح، وليس أساسًا لتفسير الموضوع.

- أن يبتعد عن موارد الضعف والانحراف عن أصل الموضوع أو عن منهج السلف في التفسير[٢]، وهذا الضابط يجب اتباعه في سائر أقسام التفسير الدعوي.

ثانيًا: التفسير الدعوي للسورة القرآنية

التفسير الدعوي للسورة القرآنيّة يعني: تفسير سورة قرآنيّة تفسيرًا دعويًا، بحيث يتم توجيه تفسيرها دعويًا، إما بتوجيه كلّ آيات السورة دعويًّا، إذا كان ذلك ممكنا في بعض السور، أو ببيان قضايا الدعوة المشتملة عليها السورة، وربطها محوريًّا بموضوع السورة الكلي، وهذا يمكن في السور ذات الموضوع الواحد أو التي تترابط آياتها في محور واحد، فتفسر تلك السورة تفسيرًا دعويًّا مناسبًا لموضوعاتها، ومقاصدها الدعويّة.

وقد يكون من أسباب التفسير الدعوي للسورة أنّ في تلك السورة موضوعًا دعويًّا ليس في غيرها، أو لتعمّقها فيه أكثر من غيرها، وهناك سور ألصق بموضوع بعينه.

=القرآني الدولي السنوي الرابع الذي ينظمه مركز بحوث القرآن، جامعة ملايا، ماليزيا،١٤-١٥/ ٤/ ٢٠١٤م، (ص١٢).

(١) ينظر: التفسير والمفسرون في العصر الحديث، فضل عباس، (١/ ٦٤٦).

(٢) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفي مسلم، (ص٣٩).

ويعدّ التفسير الدعوي للسورة تفسيرًا موضوعيًّا في الأصل، وتفسير سورة موضوعيًّا هو أن يختار الباحث سورة من القرآن، ويعرف بها وبمنهجها الدعوي وأسلوبها ومضامينها، ثم يبيّن الموضوعات الدعويّة التي فيها أو المضامين الدعويّة، ويدرسها دراسة كاملة وبعد دراستها يحدد المحور الأساسي للسورة، ثم يحاول الربط بين موضوعات السورة بهذا المحور من خلال المناسبات بين الآيات بحيث تبدو السورة وكأنها وحدة موضوعية واحدة(١)، ومن ثم يوجه تفسير آيات السورة في إطار موضوع دعوي واحد، أو يفسرها تفسيرًا دعويًّا عامًا، ومن أمثلة ذلك سورة الأعراف دراسة دعوية، سورة النور دراسة دعوية(٢).

وقد يدرس التفسير الدعوي موضوعًا ما أو أركان الدعوة كلّها من خلال سورة قرآنيّة واحدة، فيدرس الموضوع الدعوي الذي تتضمنه السورة دراسة شاملة من خلالها فقط، ومن أمثلة ذلك: **أساليب الدعوة في سورة الشعراء**(٣)، أو **فقه الدعوة في سورة الأنبياء**(٤)، أو **أصول الدعوة في سورة نوح**(٥)، و**منهج الدعوي من خلال سورة المائدة**(٦).

ثالثاً: التفسير الدعوي للآية أو الآيات القرآنية:

وهو يعني تفسير آية أو عدّة آيات قرآنيّة تفسيرًا دعويًّا، لارتباطها بموضوع

(١) التفسير الموضوعي بين الأصالة والتجديد، محمد الحضيري، (ص١٤).

(٢) ينظر: التفسير والمفسرون في العصر الحديث، فضل عباس، (٣/ ٣٦).

(٣) هذا عنوان بحث ماجستير، قدمته: علوية عوض الطاهر موسى، لجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، كلية الدراسات العليا، السودان، ٢٠٠٢م.

(٤) هذا عنوان بحث ماجستير، قدمته: وديان اللحياني، لجامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، مكة المكرمة، ٢٠١٩م.

(٥) هذا عنوان بحث قدمه: عصام بن العبد زهد، في مؤتمر عنوانه: الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، أقيم في الجامعة الإسلامية بغزة، كلية أصول الدين، ٢٠٠٥م.

(٦) هذا عنوان بحث دكتوراه قدمه: أحمد محمد إبراهيم النور، لجامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا، ٢٠١٨م.

واحد، وسياق واحد من القرآن، فالآية لا بدّ أن يكون لها موضوع توضحه وتعالجه، وربما أحاطت به كلّه، وهي بطبيعة الحال تكون طويلة أو متوسطة، أو قصيرة يمكن تفسيرها دعويًّا، لما فيها من مبادئ أو تقريرات دعويّة مستقلّة، ومن أمثلة الآيات المنفردة التي يمكن تفسيرها تفسيرًا دعويًّا بخصوصها: آية الكرسي، آية الدين، وتفسير قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وتفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وتفسير قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وتفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[فصلت: ٣٣]، وآيات الوصايا العشر، وغيرها من الآيات.

والآيات القرآنيّة التي تمثّل مقطعًا واحدًا، وتحوي موضوعًا واحدًا كثيرة، إذ من المعلوم أنّ القرآن الكريم، أو كثير منه، كان ينزل بصورة مقاطع من عدّة آيات في موضوع واحد أو شأن واحد، والناظر في سور القرآن، الطوال والمئين والمثاني يجدها تتألف من مقاطع متآلفة، يتكوّن كلّ مقطع من عدّة آيات، على تفاوت بين السور والمقاطع في ذلك.

ومن أمثلة هذا النوع من التفسير الدعوي: آيات التخويف الكونية وأثرها في الدعوة إلى الله[(١)].

وهذا النوع يتم من خلال الآتي:

(١) رسالة مقدمة من الباحث: جمعان بن عبد الله بن سرور الغامدي، لنيل درجة الماجستير من قسم الدعوة والاحتساب في المعهد العالي للدعوة الإسلامية، عام ١٤٠٧ه.

- بيان المعنى المجرد للآية والآيات القرآنيّة؛ فتذكر معاني الألفاظ لغويًّا، ويبيّن مفهومها، ويوضّح المعنى الإجمالي للآية.
- بيان دلالة عبارة النص، وإشارة النص، ودلالات التراكيب، وقد يأتي فيها معان، وفوائد كثيرة.
- الربط بالسياق القريب، والسياق العام، لتنضبط المفاهيم وتتحدّد المقاصد.
- بيان الوحدة الموضوعيّة للآيات.
- استخراج المضامين الدعويّة من الآيات، سواء فيما يتعلق بموضوع الدعوة أو صفات الداعية والمدعوين، أو منهج الدعوة وأساليبه، وربطها بما يستهدف بها من المقاصد الدعويّة إيمانيًّا وسلوكيًّا وأخلاقيًّا؛ فيستخرج ما في الآية أو الآيات من حقائق كونيّة، ومضامين اجتماعيّة، وخلقيّة، ونفسيّة، وسياسيّة، واقتصاديّة، وتاريخيّة، وتشريعيّة، مبينًا ومفصلًا ما يحتاج إلى تفصيل، ويربط الآيات بالواقع من غير تعسّف ولا تكلف، وهذا هو الموافق لمنهج التفسير عند عامة المفسرين من السلف والخلف.

رابعًا: التفسير الدعوي للمصطلح القرآني:

تفسير المصطلح القرآني أو المفردة القرآنية، يعني: «أنْ يختار الباحث لفظة أو مصطلحًا يكثر وروده في القرآن الكريم، فيتتبع هذه اللفظة بكلّ اشتقاقاتها وتصاريفها المختلفة من خلال الآيات والسور، وبعد جمع الآيات ودراسة تفسيرها يحاول استنباط الدلالات والهدايات واللطائف القرآنيّة من خلال استعمال القرآن الكريم لها»[(١)].

والتفسير الدعوي للمصطلح القرآني، أن يختار مصطلحًا دعويًّا، ويفسّره تفسيرًا دعويًّا، بنفس الكيفية، فيدرسه، ويستخلص الدلالات والهدايات الدعويّة من

(١) ينظر: التفسير والمفسرون في العصر الحديث، فضل حسن عباس، (١/ ٦٤٧).

استعمال القرآن الكريم لذلك المصطلح وسياقاته.

وتفسير المصطلح القرآني الدعوي يمكن أن يكون وفق الآتي:

- النظر في معنى المصطلح لغويًّا، وتتبّع ذلك من خلال معاجم مفردات القرآن، والمعاجم اللّغويّة.
- النظر في اشتقاقات المصطلح وتصريفاته، والنظر في مدلولاتها، والنظر في الأشباه والنظائر لذلك المصطلح، مع ملاحظة تطور المصطلح وتنوّع استعماله مدلولاته الإفراديّة والتركيبيّة.
- الربط بين تلك المدلولات وتوجيهها.
- الاستدلال لذلك من استعمال القرآن والسنة. مع ملاحظات أنّ الاستعمال القرآني والنبوي قد يختلف عن مطلق استعمال اللّغة والعرف، وملاحظة استعمال القرآن المكي والمدني للمصطلح، فقد يكون في ذلك فوائد ودلالات عديدة.
- تتبّع ذلك في كلام الصحابة والسلف وأئمة اللّغة والمفسّرين، في تفسير الآيات التي فيها ذلك المصطلح من غير تعسّف، والتركيز على الإضافات والدلالات المباشرة والضمنية السليمة، وما يتصل بواقع الحياة في المصطلح المقصود.

ومن أمثلة هذا النوع من التفسير الدعوي: مصطلح الدعوة في القرآن الكريم، مفهوم الصلاح في القرآن، المعروف والمنكر في القرآن الكريم، الوسطية في القرآن، الحوار الدعوي في القرآن الكريم، الآيات التي ورد فيها لفظ الحكمة في القرآن الكريم دراسة دعويّة، الموعظة في القرآن الكريم وأثرها في الدعوة.. إلخ.

المطلب الثاني: ضوابط التفسير الدعوي:

للتفسير الدعوي جملة من ضوابط، سأبينها في الآتي:

أولًا: ألاّ يخالف أصول الشريعة أو قول السلف:

وهذا الضابط من أهم الضوابط؛ وذلك لأن السلف الصالح كانوا أشدّ الناس

توخيًّا للحق والورع في تعاملهم مع كتاب الله تعالى، ولكونهم محققين للقرآن الكريم ومعانيه وتفسيره والعمل به، وهم أكثر الناس فهما لدلالاته اللّغويّة وأسبابه ووقائعه، «فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعا»(١).

وينبغي تحرّي كلام السلف من مصادره المعتبرة في التفسير، يقول ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) عن منهج السلف في تعاملهم مع القرآن الكريم: «فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه، ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده.. فكان القرآن هو الإمام الذي يُقتدى به، ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل، ورأي، وقياس، ولا بذوق، ووجد، ومكاشفة»(٢).

وقد كان تفسير السلف شاملًا للقرآن الكريم كله، وقلما تركوا آية من دون بيان وتفسير، وبالاستقراء نجد أنّ مَن جاء بعدهم إنما رجعوا إليهم في تفسيرهم واعتمدوا عليهم في أكثر ما يذهبون إليه في التفسير، كما أنّ تفسيرهم يشمل كلّ ما يتعلّق ببيان القرآن من تفسير القرآن بقرآن، أو بسنة، أو بلغة، أو بسبب نزول، أو ببيان حكم، أو غيرها من أنواع البيان التي تدخل في مصطلح التفسير(٣).

ثانيًا: أن يوافق السياق القرآني:

السياق هو: «تعاقب سلسلة من الظَّاهرات في وحدة ونظام»(٤)،«وسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه»(٥).

(١) ينظر: مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، (ص٣٨، ٥٠).
(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٣/ ٢٨، ٢٩) باختصار.
(٣) التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد الطيّار، (ص١٤٩).
(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار، (٢/ ١١٣٩).
(٥) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، (١/ ٤٦٥).

والمراد بالسياق القرآني هنا: الآيات التي تسبق موضع الشاهد وتتْبعه، فينبغي أن تكون على نظام واحد وتسلسل في معانيها وإيرادها؛ ذلك لأن مقتضى البلاغة ارتباط الكلام بسابقه ولاحقه ارتباطاً يحوي المعنى ويضمه دون انفصال أو تشتت، بل مع حُسن انتقال وتدرج في مراقي المباني والمعاني، وكلام الله أبلغ الكلام وأرقاه فلا بدّ أن يجوز على المرتبة العليا من ذلك(١).

وفي التفسير الدعوي للقرآن الكريم لا بدّ من مراعاة السياق ودلالته عند بيان أي قضية من قضايا الدعوة، لما لذلك من أهمية في سلامة البيان وترجيح المدلولات.

وحمل معنى الآية على مقتضى السياق الذي يجعلها داخلة في معاني ما قبلها وما بعدها أولى وأحسن، مالم يرد دليل يمنع منه(٢)، بل قد يجب حمل الآية على المعنى المناسب للمقام، إذا حصل تعارض ظاهر بين المعاني(٣).

وتظهر أهمية السياق من جهة التخصيص أو التوسيع الدلالي، فقد يظهِر السياق للمفردة أو للجملة معنى آخر خاصًّا غير المعنى العام، أو يحصّل لها معنى إضافيا ينبغي عدم إهماله(٤). وهذا له أهميته في الاستدلال لقضايا الدعوة ومتغيراتها، ودليل على أنّ النص القرآني يستوعب متغيرات الحياة كلّها.

كما أنّ للسياق أهمية في التفسير في إبراز التكامل للصورة القرآنيّة، لتأدية المعاني بكلّ ما يصاحبها من هيئات وحالات وخطوط، يقتضيها التصوير الفني، لتحقيق التأثير(٥)، وهو مطلب دعوي ضروري.

(١) ينظر: المحرر في أسباب نزول القرآن، خالد المزيني، (١/ ١٨٠).
(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١/ ١٣).
(٣) ينظر: قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور، عبير النعيم، (ص٧٥١).
(٤) ينظر: القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني، عدوية عبد الجبار، (ص ٤٣).
(٥) ينظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام الراغب، (ص ١٤٦).

ثالثًا: حمل اللفظ على ظاهره وعدم العدول عنه إلا لقرينة قوية:

حمل اللفظ على الظاهر المتبادر هو الأصل في الكلام، ومنه كلام الله تعالى، وذلك «لأنّ الأصل في عبارات الشرع ونصوصه أنها قوالب لمدلولاتها الظاهرة، ويجب العمل بظاهرها إلا إذا قام دليل للعدول عن الظاهر إلي غيره»(١).

والمراد بالظاهر هنا: «الظاهر الذي هو الظاهر في عرف سلف الأمة، لا يحرف الكلِم عن مواضعه، ولا يلحد في أسماء الله تعالى، ولا يقرأ القرآن والحديث بما يخالف تفسير سلف الأمة وأهل السنة، بل يجري ذلك على ما اقتضته النصوص وتطابق عليه دلائل الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة»(٢).

وإجراء اللفظ القرآني على ظاهره هو الأصل في طرائق التفسير المعتبرة عند المفسرين، كما قال ابن عاشور: «فطرائق المفسّرين للقرآن ثلاث: إما الاقتصار على الظاهر من المعنى الأصلي للتركيب مع بيانه وإيضاحه وهذا هو الأصل، وإما استنباط معان من وراء الظاهر تقتضيها دلالة اللفظ أو المقام ولا يجافيها الاستعمال ولا مقصد القرآن، وتلك هي مستتبعات التراكيب وهي من خصائص اللّغة العربيّة، وإما أن يجلب المسائل ويبسطها لمناسبة بينها وبين المعنى، أو لأن زيادة فهم المعنى متوقفة عليها، أو للتوفيق بين المعنى القرآني وبين بعض العلوم مما له تعلق بمقصد من مقاصد التشريع»(٣).

وتوخي الظاهر إنما يقصد لحفظ أصول الشرع من التكلف، والتأويل الفاسد، ولَيِّ أعناق النصوص، وإنما دُخل على نصوص الشرع من جهة تأويلها على غير هدى، «وأشدّ ما عرض على الشريعة من هذا الصنف أنهم تأولوا كثيرا مما ظنوه ليس على ظاهره وقالوا: إن هذا التأويل هو المقصود به»(٤).

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١/ ١٢، ١٣)، التيسير في أصول واتجاهات التفسير (ص٣٤).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٣/ ٣٧٩).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ٤٢) باختصار.

(٤) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، (٦/ ٢١٩).

ثم إن الله سبحانه وتعالى إنما «أنزل القرآن نورًا وهدى وبيانًا للناس وشفاءً لما في الصدور، وأرسل الرسول ليبين للناس ما نزل إليهم وليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وهذا الرسول الأمي العربي بعث بأفصح اللغات وأبين الألسنة والعبارات ثم الأمة الذين أخذوا عنه كانوا أعمق الناس علما وأنصحهم للأمة وأبينهم للسنة فلا يجوز أن يتكلم هو وهؤلاء بكلام يريدون به خلاف ظاهره إلا وقد نصب دليلًا يمنع من حمله على ظاهره؛ إما أن يكون عقليًا ظاهرًا... أو سمعيًا ظاهرًا مثل: الدلالات في الكتاب والسنة التي تصرف بعض الظواهر»[(١)].

فإذن يجب حمل اللفظ القرآني على ظاهره عند التفسير، ولا يُصرف عن ظاهره إلا بقرينة قوية تبين أن غير الظاهر هو المراد؛ حتى لا يحصل تحريف أو تأويل فاسد بسبب التساهل في ضبط المنهجية.

رابعًا: ألاّ يودي إلى الانتصار لبدعة

بلاغ القرآن والتفسير الدعوي أمر ضروري للدعوة، ولكن ينبغي ألا يكون هذا داعيًا أو وسيلة إلى بدعة، بالتأصيل أو التأكيد أو التأييد، وقد ورد عن علي ﷺ قوله: «القرآن حمال أوجه»[(٢)].

والمقصود هنا: أنّ النص القرآني هو دليل للحق، ولكن أهل الباطل والبدع والأهواء يتخذون من تأويلاتهم الفاسدة، واستدلالاتهم المتعسفة والمجتزأة ذريعة للانتصار لبدعهم، وخاصة في آيات العقائد والصفات، والمتشابه من القرآن، الذي قد تتسنم تأويله بعض الفرق المبتدعة، تدعيما وتأييد لبدعها[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٦/ ٣٦١) باختصار

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (٢/ ١٤٥)؛ فتح القدير، الشوكاني (١/ ١٤)، وهذه المقولة وردت عن على قالها لابن عباس عندما أرسله لمحاورة الخوارج، والبعض لا يسلم بها.

(٣) ينظر: دقائق التفسير، ابن تيمية، (٢/ ٤٨١)؛ الأمثال في القرآن، ابن القيم، (ص١٠).

والابتداع مدعاة لتحريف كلام الله تعالى، سواء في المعاني اللفظيّة أو المفاهيم والمقاصد الكليّة. واتباع منهج السلف في هذا هو الضامن لعدم الانتصار للبدع في التفسير الدعوي، فقد ساروا على المنهج الأسلم في التفسير من غير تعصب ولا ابتداع.

وأما التفسير بمجرد الرأي والهوى فهذا منهج أهل الأهواء والبدع الذين يعتقدون الباطل من غير دليل ثم يحملون القرآن على أهوائهم وآرائهم.

والله سبحانه وتعالى ينعي على هؤلاء فيقول: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦]، ويقول: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، «فلا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل»[(١)]. ويقول ابن تيمية: «فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام»[(٢)].

خامسًا: ألاّ يعارضه دليل شرعي أو عقلي معتبر:

التفسير الدعوي كثير منه مبني على الاجتهاد والرأي، وذلك يستوجب توخي الدليل، واستفادة المدلول منه بطريق ظاهر واضح مقبول، فإذا جاء ما هو أقوى منه وعارضه، فالأصل أن يُصار إلى الأقوى، فالمفسِّر والداعية الصادق التقي الورع يبحث عن الحق الظاهر، ويبتغي الخير، والنصح للناس.

وقد يكون المعنى الأقوى هو ظاهر النص، أو ما دلّت السنة المتواترة، أو إجماع السلف، أو المناسبة الثابتة الظاهرة، أو السياق الظاهر[(٣)]، وخلاصة ذلك ألاّ يعارضه دليل شرعي، أو دليل عقلي معتبر، وهذا يظهر كثيرًا في باب الدّلالات اللفظيّة والمعنويّة، ومن ذلك قول أبي المعالي الجويني: «ثم الاستدلال المقبول هو

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٢/ ١٦١).

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٣/ ٣٧٠).

(٣) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، (٢/ ٢٤٧).

المعنى المناسب الذي لا يخالف مقتضاه أصلاً من أصول الشريعة»[(١)]. وقول ابن الجوزي: «ودليل الخطاب إنما يكون حجة إذا لم يعارضه دليل أقوى منه»[(٢)].

ومن أسباب عدم عمل العلماء ببعض الدّلالات: «اعتقاده أن تلك الدلالة قد عارضها ما دل على أنها ليست مرادة، مثل: معارضة العام بخاص أو المطلق بمقيد أو الأمر المطلق بما ينفي الوجوب أو الحقيقة بما يدل على المجاز إلى أنواع المعارضات. وهو باب واسع أيضًا؛ فإن تعارض دلالات الأقوال وترجيح بعضها على بعض بحر خِضَم»[(٣)].

سادسًا: أن يوافق لغة العرب:

القرآن الكريم نزل على لغة العرب، وخاطب العرب عند نزوله، ويمكن فهمه في ضوء تلك اللغة بسهولة ويسر؛ يقول الله تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٢٨]، «ومعنى غير ذي عوج: لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه»[(٤)]. قال الطاهر بن عاشور: «وهذا ثناء على القرآن بكمال معانيه بعد أن أثنى عليه باستقامة ألفاظه. ووجه العدول عن وصفه بـ(الاستقامة) إلى وصفه بـ(انتفاء العوج) عنه التوسل إلى إيقاع (عوج)، وهو نكرة في سياق ما هو بمعنى النفي، وهو كلمة (غير) فيفيد انتفاء جنس العوج على وجه عموم النفي، أي: ليس فيه عوج قط، ولأن لفظ (عوج) مختص باختلال المعاني، فيكون الكلام نصًا في استقامة معاني القرآن؛ لأن الدلالة على استقامة ألفاظه ونظمه قد استفيدت من وصفه بكونه عربيًا»[(٥)].

---

(١) البرهان في أصول الفقه، الجويني، (٢/ ٢٠٦).

(٢) المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ، ابن الجوزي، (ص١٩).

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٢٠/ ٢٤٦).

(٤) فتح القدير، الشوكاني، (٤/ ٥٢٩).

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٣/ ٣٩٨).

ومخالفة قواعد اللّغة المقررة في تفسير القرآن يؤدي إلى خلل كبير في الفهم وانحراف في المعاني، «وكثيرًا ما يوقع الجهل بكلام العرب في مجارٍ لا يرضى بها عاقل»، وأردف قائلًا: «فمثل هذه الاستدلالات لا يعبأ بها، وتسقط مكالمة أهلها، ولا يعد خلاف أمثالهم، وما استدلوا عليه من الأحكام الفروعية أو الأصولية؛ فهو عين البدعة، إذ هو خروج عن طريقة كلام العرب إلى اتباع الهوى»(١).

ولا يعتبر التفسير بمقتضى اللّغة تفسيرًا بالرأي المحض المنهي عنه، فقد كان ذلك من منهج السلف، وقد يقتصرون على بعض المعاني دون بعض، من غير تحكُّم ولا إبعاد لغير ما أخذوا به من مقتضى اللّغة، أو لما يستفاد من علوم اللّغة(٢).

ولا ينبغي مخالفة لغة العرب في تفسير القرآن، إلا بمقتضى ظاهر ثابت، من كتاب أو سنة أو لغة، كما هو فيما نقله الشرع إلى معنى مغاير للمعنى اللغوي بوجه من الوجوه، أو فيما تحتمله اللّغة من الدّلالات المناسبة التي لا تعود على أصلها بالإبطال، قال أبو إسحاق الشاطبي: «فإذا كل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي؛ فليس من علوم القرآن في شيء، لا مما يستفاد منه، ولا مما يستفاد به، ومن ادعى فيه ذلك فهو في دعواه مبطل»(٣).

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية من التفسير الدعوي في ضوء أركان الدعوة

في هذا المطلب سيذكر الباحث نماذج يسيرة من التفسير الدعوي في ضوء أركان الدعوة، من غير استقصاء، كما يأتي:

أولاً: نموذج للتفسير الدعوي المتعلق بمنهج الدعوة وأساليبها:

المنهج الدعوي يعني: النظم والخطط الدعويّة، وهو الطريق الثابت الذي يسير

(١) الاعتصام، الشاطبي، (١/ ٣٠٣)؛ ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١/ ١٢، ١٣).
(٢) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (١/ ١٤).
(٣) الموافقات، الشاطبي، (٤/ ٢٢٤).

عليه الداعية، في معالجة الأحوال والمواقف بقواعد واضحة، ومعالم محدودة، والأساليب الدعوية تعني: طرق تطبيق المنهج[١].

ومن نماذج مناهج الدعوة التي يمكن عرضها هنا فيما يتعلق بالتفسير الدعوي ما ذكره الله عن موسى وهارون عليهما السلام بقوله: ﴿ٱذْهَبَآ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٢- ٤٤]، فالمنهج الذي اتبعه موسى عليه السلام منهج حسي عقلي تجلّى في عرض الدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده، ثم بيان ما عليه فرعون من الكفر والضلال، وإقامة الحجة على ذلك، بالبينة العقليّة والاستدلال الواقعي بالحجج المادية التسع من المعجزات التي أتى بها موسى عليه السلام، ثم الدعوة إلى عبادة الله وحده، فهذا كله يدخل في إطار هذا المنهج، وهو الحيثيات التي قدم بها موضوع الدعوة ومضامينه، بما يناسب الحال والمكان والزمان والأشخاص، ويبين هذا قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، أي: «لكل أمة من الأمم جعلنا شريعة أوجبنا عليهم إقامة أحكامها، ومنهاجا وطريقًا واضحًا فرضنا عليهم سلوكه، بحسب مراعاة الأحوال والأوضاع والتطورات»[٢]، وأما الأسلوب الذي سار عليه سيدنا موسى عليه السلام في عرض دعوته فهو الرفق واللّين كما نصّت على ذلك الآية السابقة، واستعمال أسلوب الحوار الهادئ الهادف المبني على الدليل، مع الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، والتذكير بالمصير والتخويف من الجبار، ويظهر كلّ هذا في الآيات المذكورة، ومن المحاورة التي جرت بين موسى عليه السلام وفرعون مما ذكره الله عز وجل في القرآن في أكثر من موضع.

لقد أمر الله تعالى موسى وأخاه هارون -عليهما السلام- بالذهاب إلى فرعون

(١) منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، عدنان العرعور، (ص٢٧٥).

(٢) التفسير الوسيط، الزحيلي، (١/ ٤٦٧).

مزودَيْن بآيات الله، وهي حججه التي أعطاهما من العصا، واليد، ونهاهما عن التواني في ذكر الله بأن يضعفا في ذكر وعده ووعيده فيقصرا في الدعوة إليه تعالى، وبيّن لهما إلى من يذهبا وعلة ذلك، وعلمهما أسلوب الدعوة فقال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾، أي: خاليًا من الغلظة والجفاء وسوء الإلقاء، وعلل لذلك فقال:﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾، أي: رجاء أن يتذكر معاني كلامكما، وما تدعوانه إليه فيراجع نفسه فيؤمن ويهتدي»[(١)].

يقول القرطبي (ت: ٦٧١هـ): «القول اللين هو القول الذي لا خشونة فيه. فإذا كان موسى أمر بأن يقول لفرعون قولا لينا، فمن دونه أحرى بأن يقتدي بذلك في خطابه، وأمره بالمعروف في كلامه، وقد قال الله تعالى:﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]»[(٢)]، قال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): «وقوله:﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ أي: لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة، ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ أي: يوجِد طاعة من خشية ربه، والتذكر الرجوع عن المحذور، والخشية تحصيل الطاعة»[(٣)]، و«الكلام السهل اللطيف من شأنه أن يكسر حدة الغضب، وأن يوقظ القلب للتذكر، ويحمله على الخشية من سوء عاقبة الكفر والطغيان، وهذا القول اللين الذي أمرهما الله به هنا قد جاء ما يفسره في آيات أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [لنازعات: ١٨، ١٩]»[(٤)].

وهذا الأسلوب تكرّر بيانه والحث عليه في دعوات الرسل عليهم السلام، وخاصة رسولنا محمد ﷺ، في آيات عديدة من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]،

(١) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (٣/ ٣٥١).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١١/ ٢٠٠).
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/ ٢٦٠).
(٤) التفسير الوسيط، الطنطاوي، (٩/ ١٠٨).

في هذه الآية «خاطب بها الله سبحانه نبيه محمدا ﷺ مثنيا فيها على أخلاقه السمحة ولينه منبها إلى أنه لو لم يكن كذلك لا نفض الناس من حوله، حاثّا إياه على الاستمرار في معاملتهم بالعفو والصفح والتألّف»[(١)]، كقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] فهي قاعدة في الدعوة إلى الله تبيّن أساليب الدعوة إلى الله: بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، «والآية تقتضي أن القرآن مشتمل على هذه الطرق الثلاثة من أساليب الدعوة، وأن الرسول ﷺ إذا دعا الناس بغير القرآن من خطبه ومواعظه وإرشاده يسلك معهم هذه الطرق الثلاثة، وذلك كله بحسب ما يقتضيه المقام من معاني الكلام، ومن أحوال المخاطبين من خاصة وعامة»[(٢)].

ومن مقتضيات الحكمة في الدعوة أن يقدر الداعية الأمور ويُعطيها ما تستحقه من النظر، وأن ينظر ببصيرة المؤمن، فيرى حاجة الناس ويُعالجها بحسب ما يقتضيه الحال[(٣)]،وأن يكون على بصيرة بأمر الدعوة ومناهجها وأساليبها وحججها، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، والبصيرة في الدعوة إلى الله هي أعلى درجات الحكمة والعلْم، وحقيقتها الدعوة إلى الله على علْم ويقين وبرهان عقلي وشرعي، فالبصيرة تعني: «الحجة الواضحة، والمعرفة التي يتميز بها الحق من الباطل»[(٤)]، والبصيرة تعني: قوة الإدراك والفطنة والعلْم والخبرة، وهي أعلى درجات العلم التي تكون نسبة العلم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر.

ويمكننا القول: إنّ البصيرة في الدعوة إلى الله على ثلاثة أمور؛ الأوّل: أن يدعو

(١) التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، (٣/ ١٩٦).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٤/ ٣٣٠).

(٣) ينظر: مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد القحطاني، (ص٦).

(٤) فتح القدير، الشوكاني، (٣/ ٧١).

الداعية على بصيرة فيما يدعو إليه بأن يكون عالمًا بالحُكْم الشرعي فيما يدعو إليه. والثاني: أن يكون على بصيرة في حال المدعو، حتى يقدّم له ما يناسبه. والثالث: أن يكون على بصيرة في كيفية الدعوة وأساليبها، فهذا هو منهج الدعوة السليم، وأسلوبها القويم، ما دام الأمر في دائرة الدعوة باللّسان والموعظة الحسنة، والجدل بالحجة والبرهان.

ثانيًا: نموذج للتفسير الدعوي المتعلق بموضوع الدعوة:

موضوع الدعوة يعني كلّ ما يقدّمه الداعي للمدعوين من مضامين الدين؛ عقيدة وشريعة وأخلاقًا، ويدعو إليها إيمانًا وعملاً وسلوكًا، فهو شامل لجميع شؤون الحياة؛ لكن ينبغي على الداعي اختيار الموضوعات الملائمة لمن يدعوهم.

ويختلف موضوع الدعوة باختلاف المدعو، فإن كان المدعو غير مسلم فإنّ الدعوة يدور فلكها حول قضية التوحيد، فهو الغاية من بعثة الرسل جميعًا، وقد كان كلّ واحد منهم يفتتح دعوته بقوله: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، وهود: ٥٠، ٦١، ٨٤]، ومن أجل التوحيد بعث الله رسله للناس، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، أما دعوة أهل الإسلام فهي تنبني على حاجة المدعوين وظروفهم وأحوالهم، ورعاية ذلك من الحكمة والبصيرة التي ذكرتها في المطلب السابق، واختيار الموضوع هنا ربما سار على قاعدة تقديم الأهم ثم المهم.

وكنموذج للتفسير الدعوي متعلّق بموضوع الدعوة سنتكلم عن الدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده والتأكيد على مفردات من موارد التوحيد، وقد ورد ذلك في آيات كثيرة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ

﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الأنعام: ١٤-١٦]، فهذه الآيات فيها:

- تقرير أنّ كلّ من في السماوات والأرض عبد لله تعالى وحده، وأنّ مصير كل ما فيهما إليه، ودعت إلى وجوب إفراده بالعبادة؛ لأن ذلك نتيجة لازمة لكونه مالكًا لجميع ما احتوته السماوات والأرض(١).

- تلقين للنبي ﷺ بأنّ يستفهم المشركين المعاندين مستنكرًا ما يقومون به من الشرك بخالقهم وفاطرهم ورازقهم، فيتساءل مستنكرًا كيف يتخذ الإنسان وليًّا له غير الله؟، وكيف يستنصر بمن سواه، والله هو مبدع السماوات والأرض؟(٢).

- الاستدلال بافتقار الخلق إلى الله في أسباب البقاء؛ لأنهم يعترفون بأن الرازق هو الله، وهو خالق المخلوقات، وإنما جعلوا الآلهة الأخرى شركاء في استحقاق العبادة(٣).

- بيان بعض صفات الله التي يستحق بها أن يُصرف إليه الإيمان والتوحيد والإفراد بالعبادة، فهو الولي: أي: الناصر المدبر، وفيه: معنى العلْم والقدرة. وهو الذي يرجع إليه عابده. وهو الفاطر: أي المبدع والخالق، وفاطر السماوات والأرض، وهو يطعم ولا يطعم، فهو الرزاق لخلقه من غير احتياج إليهم(٤).

فهذه الآيات تعالج أصول العقيدة ومعانيها، مثل: الإيمان بالله ووحدانيته في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بيوم الحساب، ومآل الناس إلى الجنة أو النار.

والآيات تؤكد على أولوية القرآن في تناول قضايا العقيدة قبل أي قضايا دعويّة أخرى في الدعوة إلى الله. وهو منهج تتبدّى معالمه في الآيات المكيّة والمدنيّة على السواء؛ حيث نجد الآيات دائمًا تربط قضايا المعاملات بأصول العقائد، والتأكيد على العقيدة هو النهج السليم للداعي في دعوته.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٧/ ١٥٦).

(٢) التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي، (٢/ ١١٠).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٧/ ١٥٨).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣/ ٢١٨)؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٧/ ١٥٨).

«وهذه القضايا العقديّة هي الأُسس الأولى التي يقيم عليها الإسلام بناءه كلّه، ومن ثم عالجها القرآن في كلّ سوره المكيّة علاجًا أساسيًّا، وظل يتكئ عليها كذلك في سوره المدنيّة كلّما همَّ بتوجيه أو تشريع للحياة بعد قيام الجماعة المسلمة والدولة الإسلاميّة، فهي المحور الذي تدور عليه آدابه ونظمه وشرائعه كلّها، وترتبط به أوثق ارتباط فتبقى حية حارة تنبعث من تأثير دائم بذلك الإيمان»(١). ومن الهدايات المستفادة من هذه الآيات:

١. أن الله رب كلّ شيء ومليكه.
٢. تحريم ولاية غير الله، وتحريم الشرك به تعالى.
٣. بيان أنّ الفوز الأخروي وهو النجاة من العذاب ودخول الجنة، يكون بالإيمان بالله وتوحيده واتباع رسوله(٢).
٤. تقدم موضوعات الدعوة على حسب أهميتها وضرورتها الدينيّة والواقعيّة.

ثالثًا: نموذج للتفسير الدعوي المتعلق بالداعية:

الداعية هو المبلغ للدعوة ولابد له من صفات نفسية وسلوكية وقولية وعملية تدفع المدعوين للاستجابة لدعوته، والاقتداء به، وهذه المقطع يتضمن بعض هذه الصفات الحسنة قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا

(١) القرآن الكريم وقضايا العقيدة، علي الشحود، (ص١٤٦) باختصار.
(٢) ينظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (٢/ ٤٣).

صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴾[الفرقان:٦٣-٧٧]، هذه الآيات تبيّن صفات عباد الرحمن، وهم العباد الذين نسبهم الله لنفسه بأنهم عباده، فارتضاهم بذلك عبادًا له سبحانه وذلك شرف ما بعده شرف، وهذه الصفات من أهم صفات الدعاة إلى الله سبحانه، بالقول والعمل، وسوف أتكلّم عن هذه الصفات باختصار، فيما يأتي:

١. ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾: في سكون، وتواضع، وخشوع، واستكانة. وهذا هو ضد مشي المختال الفخور المرح الذي هو مذموم الحال، فهم ليسوا جبابرة متكبرين، ولا عصاة مفسدين، ولكن يمشون متواضعين عليهم السكينة والوقار[(١)]. «وهذا الوصف الأول يتضمن أمرين: الأمر الأول: أنهم لا يعتزلون الناس، بل يعاشرونهم ويخالطونهم، للقيام بواجباتهم وتحمل مسؤولياتهم، والتعاون مع غيرهم على البر والتقوى، والأمر الثاني: أنهم إذا مشوا مشوا برفق وتثبت، دون عجلة بالغة، ولم يظهر عليهم أثر التبختر والاستكبار، بل علتهم السكينة والوقار، ولم تبدر منهم بادرة ازدراء للغير أو احتقار»[(٢)].

٢. ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾، أي: إذا خاطبهم أهل الجهل من العصاة والكفار بالقبيح صانوا أنفسهم عن مساواتهم في القبيح، وقالوا قولاً حسناً

(١) ينظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (٣/ ٦٢٩).

(٢) التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي، (٤/ ٣٤٦).

يسلمون به من مساواتهم في القبيح، بل إنهم يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيرا، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ﴾[القصص: ٥٥][(١)]. وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[الإسراء: ٥٣]، فالقول الحسن سنة عباد الرحمن في حياتهم وفي دعوتهم الناس إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة[(٢)].

٣. ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا﴾، أي: يقضون ليلهم بين السجود والقيام خوفاً من عذاب ربهم[(٣)]، وإذا كانت الآية الأولى في بيان حالهم مع الناس، فهذه الآية في بيان حالهم مع ربهم، «وكان الحسن البصري (ت: ١١٠هـ) يقول: إذا قرأ الآية الأُولى: هذا وصف نهارهم، وإذا قرأ هذه الآية قال: هذا وصف ليلهم، والمعنى: وعباد الرحمن الذين يحيون ليلهم بالصلاة قائمين ساجدين لربهم، وتقديم السجود على القيام مع تأخره عنه في الأداء إيماءٌ إلى شرف السجود لما فيه من غاية الخضوع وفضل التذلل، هذا فضلا عن مراعاة رءُوس الآي»[(٤)].

٤. ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ﴾، أي: إنهم لقوة يقينهم كأنهم شاعرون بلهب جهنم يدنو من وجوههم، فيسألون الله أن يصرف عنهم عذاب جهنم[(٥)]؛ لأنه هو وحده الذي يقدر على ذلك، بتوفيقهم إلى الخير وإبعادهم عن سبل الشر؛ ولأنه مالك الدنيا والآخرة وقضاء حوائجها تطلب منه سبحانه.

٥. ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾، أي: هم في إنفاقهم معتدلون، لا يتجاوزون الحد المطلوب منهم، ولا يقترون ويقصرون في

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٦/ ١١١).
(٢) ينظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث، (٥/ ٧٦٧).
(٣) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (٣/ ٦٢٩).
(٤) التفسير الوسيط، مجمع البحوث، (٧/ ١٥٣٩).
(٥) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (٣/ ٦٣٠).

الواجب عليهم، فإنفاقهم بين الإسراف والتقتير، قواماً أي عدلاً وسطاً[١]. وهذه الآية تمدحهم بالاعتدال والقصد في شئون معاملاتهم وإنفاقهم»[٢].

والقوام في كل واحد بحسب حاله، وقد زادتها بينا آية أخرى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

٦. ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، أي: لا يسألون غير ربهم قضاء حوائجهم، كما لا يشركون بعبادة ربهم أحدًا. وهذه الآية تتمة لمدح عباد الرحمن، وقد امتدحهم الله في الآيات السابقة بما تحلوا به من أُصول الطاعات، والاجتهاد في تحصيل الفضائل وامتدحهم في هذه الآية بالبعد عن فعل الكبائر، ومجافاتها، كما أنّ في الآية بيان إخلاصهم لله تعالى وحده في العبادة والدعاء والإيمان[٣].

٧. ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾، فلا يكون قتلها إلا بالحق، وهو واحدة من ثلاث خصال بينها الرسول ﷺ في قوله: «لا يحل دم أمرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة»[٤].

٨. ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾، أي: لا يرتكبون فاحشة الزنا، والزنا نكاح على غير شرط النكاح المباح[٥]، وقد «دلّت هذه الآية على أنه ليس بعد الكفر أعظم من قتل النفس بغير الحق ثم الزنى، ولهذا ثبت في حد الزنا القتل لمن كان محصنا أو أقصى الجلد لمن كان غير محصن»[٦].

٩. ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾، من صفاتهم أنهم: لا يشهدون الزور، وقد

(١) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (٣/ ٦٣٠).
(٢) التفسير الوسيط، مجمع البحوث، (٧/ ١٥٤١).
(٣) التفسير الوسيط، مجمع البحوث، (٧/ ١٥٤٣).
(٤) صحيح مسلم، باب ما يباح به دم المسلم، (٣/ ١٣٠٢)، رقم: (١٦٧٦).
(٥) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (٣/ ٦٣٠).
(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٣/ ٧٦).

أورد المفسّرون أمثلة كثيرة للزور في الآية، ومنها أنه الشرك وهذا قول أكثر المفسّرين. وقيل هو شهادة الزور. وقيل: الكذب. وقيل: أعياد المشركين. وقيل: النوح، وقيل: لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم. وقيل: لا يشهدون اللهو والغنا. وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته، فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق(١).

١٠. ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾، اللّغو: المعاصي كلّها، والمعنى: إذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراما مسرعين معرضين. يقال: تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه وأكرم نفسه عنه(٢).

وهاتان الصفتان منفصلتان أو متصلتان؛ فمن العلماء من يجعلهما على مورد واحد؛ فيكون من صفات عباد الرحمن: أَنهم لا يشهدون مجالس الزور، ولا يقفون عليها، وإِذا اتفق لهم أَن مروا على مجالس الأَقوال الماجنة التي لا تليق بكرام الناس مروا مرورًا عابرًا مكرمين أَنفسهم عن سماعها، والوقوف عندها والخوض فيها. ومن العلماء من يجعل لكلّ من الصفتين موردًا خاصًّا: فيكون المعنى: أنهم لا يشهدون الزور، أي بالكذب والبهتان، فلا يساعدون أَهل الباطل على باطلهم، ليحصلوا على ما ليس لهم، أَو يضيعوه على من يستحقه، ويكرمون أنفسهم بعدم حضور مجالس الباطل أو التوقف عندها(٣).

١١. ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾، أي: إذا قرئ عليهم القرآن ذكروا آخرتهم ومعادهم، ولم يتغافلوا حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع(٤). بل «أَكبوا عليها سامعين لها بآذان واعية مجتلين لها بعيون راعية، ولم

(١) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، (٣/ ٤٥٩).
(٢) ينظر: المرجع السابق، (٣/ ٤٥٩).
(٣) ينظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث، (٧/ ١٥٤٥).
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٣/ ٨١).

يسقطوا عليها صُمًّا لا يسمعون، وعميانًا لا يبصرون»[(١)].

١٢. ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، هذه الآية انتقال من أوصاف عباد الرحمن في أنفسهم إلى أمانيهم فيمن يحبونهم، ويرتبطون بهم، فهم في هذا شأنهم شأن الصالحين في أهليهم وإخوانهم في الدين لا ينسونهم في شغلهم في عبادة الله وطاعته، فيتمنون لهم الخير في كل حال[(٢)]. و«قوله: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، أي: قدوة يقتدى بنا في الخير، وهذا لا يكون إلا أن يكون الداعي متقيا قدوة، وهذا هو قصد الداعي[(٣)].

وصفات عباد الرحمن على الإجمال، هي:

١. معاملتهم الخلق بالتواضع ولين الجانب.

٢. التسامح، والصفح؛ في معاملة السفهاء، والجاهلين.

٣. التهجد ليلًا والاجتهاد في العبادة.

٤. الخوف من الله، واتقاء عذاب جهنم.

٥. الاعتدال، والقصد في الإنفاق.

٦. الإيمان الجازم بوحدانية الله.

٧. احترام حرمة النفس البشريّة.

٨. العفّة.

٩. اتباع الحق، وتجنب شهادة الزور ومجامع اللهو.

١٠. الاتعاظ بآيات الله تعالى وحُسن تلقيها، والانتفاع بها.

١١. التماس صلاح الأَهل والذرية والدعاءِ لهم.

---

(١) التفسير الوسيط، مجمع البحوث، (٧/ ١٥٤٦).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث، (٧/ ١٥٤٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٣/ ٨٣).

وهذه من مجامع الصفات الحسنة في التحلية والتخلية، وإنما صح تشريف عباد الله باختصاص الإضافة بعد أن تحلوا بتلك الصفات الحميدة وتخلوا عن نقائض ذلك من الأوصاف الذميمة، فبدأ في صدر هذه الآيات بصفات التحلّي تشريفًا لهم، ثم أعقبها بصفات التخلّي تبعيدًا لها»[(١)]، «هذه الصلات التي أجريت على عباد الرحمن جاءت على أربعة أقسام: قسم هو من التحلّي بالكمالات الدينيّة. وقسم هو من التخلّي عن ضلالات أهل الشرك. وقسم هو من الاستقامة على شرائع الإسلام. وقسم من تطلب الزيادة من صلاح الحال في هذه الحياة»[(٢)].

فهذه صفات تتّجه إلى ضرورة انضباط الداعية بما يدعو إليه، ولا شك أنّ هناك صفات كثيرة للداعية غيرها، مثل: العلْم والرفق والصبر والحكمة والبصيرة، وإنما المقصود هنا التمثيل لنموذج مختصر من التفسير الدعوي المتعلق بالداعية.

رابعًا: نموذج للتفسير الدعوي المتعلق بالمدعو:

يبيّن القرآن الكريم كثيرًا من نماذج المدعوين، في قصص الأنبياء السابقين ومع نبينا محمد ﷺ، وسأذكر هنا بيانًا مختصرًا لجانب من طبيعة التعامل مع المدعوين، بما يناسب المقام.

فالمدعو هو الإنسان في قديم الزمان وحديثه، لأنَّ الإسلام رسالة الله الخالدة إلى الناس أجمعين، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨] ، فكلّ عاقل بالغ مخاطب بالإسلام، وهذا ما ينبغي أن يعرفه الدعاة ويحرصون على البلاغ للناس جميعًا.

ومن مطلوبات الدعوة التعرّف على المدعوين لإنزالهم منازلهم، ولإمكان القيام

(١) المرجع السابق، (١٣/ ٧٥).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٩/ ٦٧) باختصار.

بحق الدعوة كما ينبغي، وفي الحديث: «**أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ**»(١)، والشواهد على هذا في أحاديث النبي ﷺ وسيرته كثيرة.

وفي التعرّف على المدعوين تطييب لنفوسهم، وإزالة للوحشة عنها، وفيه كثير من التأثير الإيجابي عليهم، وفيه معرفة مداخل الشخص وموارد إقناعه، وحتى تتم مخاطبته بما يناسب حاله. والتعرّف على حال المدعوين من البصيرة في الدعوة التي ذكرها الله بقوله: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، أي: على بصيرة من حالة المدعو أيضًا، ولما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له: «**إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ**»(٢) الحديث، فبيّن له من أحوال المدعوين ما يفيده في دعوتهم.

والمدعوون أصناف كُثُر في كلّ مجتمع، فيوجد أصحاب نفوذ وسلطان، ويسميهم القرآن (الملأ)، ويوجد جمهور وعامة، ويوجد سريع الاستجابة وبطيء الاستجابة، والصادق في إيمانه، والمنافق، والمتردد والعاصي الفاسد، والقرآن الكريم ذكر أمثلة لكلّ تلك الأصناف، وبين مسالك التعامل معها. ومن أدلّ تلك الأمثلة للمدعوين قوم شعيب عليه السلام، حيث بعثه الله تعالى إلى مدين يدعوهم إلى التوحيد، ونبذ الشرك، وينهاهم عن الفساد والمعاصي، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨٥ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨٦ وَإِن كَانَ

(١) سنن أبي داود، باب: باب في تنزيلِ الناسِ مَنَازلَهم (٧/ ٢١٠) رقم: (٤٨٤٢)، وقال محققه: حديث حسن إن شاء الله، وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أن ميمون بن أبي شبيب لم يدرك عائشة عند الأكثر. وابن أبي خلف: هو محمَّد، وسفيان: هو الثوري.

(٢) سبق تخريجه.

طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ * قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾

[الأعراف:٨٥- ٩٣].

ذُكِرَت هذه القصة في القرآن الكريم عدّةَ مرّات، فقد وردت في الأَعراف، وهود، والشعراء. وتختلف في عدد آياتها إيجازًا وإطنابًا. وأَطولها بحسب الاستقراء ما ذكر في سورة هود.

أُرسل شعيب عليه السلام إلى أهل مدين، ومدين: اسم قبيلة، وكان شعيب أَخاهم في النسب(١)، وقد بعثه اللهُ رسولاً إليهم، وكانوا يعبدون الأصنام، ويطففون في الكيل والميزان، ويبخسون الناس أشياءهم، ويعيثون في الأرض فسادًا. فدعاهم إلى عبادة الله وحده، ونهاهم عن الشرك وعن الخيانة وسوء الأخلاق وعن أَكل أَموال الناس بالباطل والفساد، فكذَّبوه وعاندوا ... فأَخذهم اللهُ بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة -أي السحابة- وأن كل عذاب كان كالمقدمة للآخر(٢).

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾، هذا دعوة إلى الإيمان بالله ونفي الألوهية عن غيره، وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾، أي:

(١) التفسير الوسيط، مجمع البحوث، (٣/ ١٤٦٨).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، (٧/ ٢٥٦).

معجزة، وإن لم تذكر في القرآن بوضوح: ﴿فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾، أتموهما، والمراد فأوفوا الكيل ووزن الميزان، ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾، ولا تنقصوا حقوقهم بتطفيف الكيل ونقصان الوزن، وكانوا يبخسون الناس كلّ شيء، أي ينقصونهم السعر في مبايعتهم وتقييم سلعهم وبضائعهم، فهم مع كفرهم أهل بخس وتطفيف، إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا بكيل زائد، واستوفوا بغاية ما يقدرون وظلموا، وإن جاءهم مشتر للطعام باعوه بكيل ناقص، وشحوا له بغاية ما يقدرون، فأمروا بالإيمان إقلاعا عن الشرك، وبالوفاء نهيا عن التطفيف(١).

قوله: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾، إنّ «الإفساد في الأرض بعد الإصلاح جُرْم اجتماعي في حق الإنسانية؛ لأنّ صلاح الأرض بالعقيدة والأخلاق فيه خير للجميع، وإفساد الأرض عدوان على الناس»(٢)، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، أي: ذلك الذي دعوتكم إليه خير لكم في دنياكم وأخراكم، إن كنتم مصدقيَّ فيما دعوتكم إليه، عاملين بشرع الله(٣)، وقوله: ﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ﴾، أي: ولا تقعدوا بكلّ طريق من طرق الحق والهداية والعمل الصالح: تهددون سالكه، وبذلك تمنعون طالبي الخير من الوصول، وهم أهل الإيمان الذين يؤمنون بالله(٤).

وقوله: ﴿وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ﴾، أي: تبغون سبيل اللهّ تكون معوجة، وتميلونها اتباعًا لأهوائكم، وقد كان الواجب عليكم وعلى غيركم الاحترام والتعظيم للسبيل التي نصبها اللهّ لعباده ليسلكوها إلى مرضاته ودار كرامته، ورحمهم بها أعظم رحمة، وتصدون لنصرتها والدعوة إليها والذب عنها، لا أن تكونوا أنتم قطاع طريقها،

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٩/ ٨٥)؛ أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري (٢/ ٢٠١).

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، (ص١٦١).

(٣) التفسير الميسر، نخبة من الأساتذة، (ص١٦١).

(٤) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، (ص٢١٨).

الصادين الناس عنها، فإن هذا كفر لنعمة الله ومحادة لله[1]، وقوله: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ﴾، أي: وتذكروا نعمة الله عليكم، حيث كنتم قليلي العدد والمال، فوفَّر عددَكم بكثرة النسل. وزاد أموالكم فأغناكم. وقوله:﴿وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾، أي: وتفكَّروا في عاقبة من أفسدوا قبلكم من الأُمم المجاورة لكم، مثل قوم نوح، وعاد، وثمود. واعتبروا بما حلّ بهم بعد عصيانهم. وقوله:﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ﴾، هذا وصف للواقع، فطائفة تصدق وطائفة تكذب، أو تستمر على التكذيب، «أي: إن كان بعضكم قد آمن بما أرسلني الله به إليكم من التوحيد وحسن الأخلاق، وبعضكم لم يؤمن بما أرسلت به بل أصر على شركه وعناده، فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا وبينكم بحكمه العادل، الذى يتجلى في نصرة المؤمنين، وإهلاك الظالمين، وهو سبحانه خير الحاكمين»[2].

وقوله: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾، الملأ: هم الزعماء والرؤساء وأصحاب النفوذ والسلطة، لم يكتفوا بالتكذيب وإنما أظهروا الاستكبار والجحود وقالوا: ﴿لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾، قالوها مستصغرين شأنه ودينه هو وأتباعه، إما أن يعودوا عن دينهم إلى دين الملأ أو يخرجوهم من وطنهم[3]. وكأنهم ليس لهم حق في وطنهم إلا إذا رضي الملأ عنهم.

ولم يكتفوا بذلك بل زادوا في تخويفهم ووعيدهم، فقالوا: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾، أي: وقال الرؤساءُ المستكبرون الذين أصرّوا على الكفر من قوم شعيب عليه السلام بعدما أيقنوا بصلابته ومن آمن معه في الإيمان وإصرارهم عليه،

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٢٩٦).

(٢) التفسير الوسيط، الطنطاوي، (ص١٦٤٧).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث، (٣/ ١٤٧١).

وخافوا إقبال الناس على دعوته، اتجهوا إلى تخويف عامة الناس من قبول دعوته، فقالوا: إنكم لخاسرون، أي: دينكم الَّذِى أنتم عليه، وخاسرون دنياكم بفقدان مزاياكم التي تتمتعون بها بيننا في المسالمة والتبادل التجاري، والرضا عنكم، والإخلاص لكم، وفقدان المكاسب التي تحصلون عليها بالبخس وتطفيف الكيل والميزان وغير ذلك(١).

وبعد أَن حكى القرآن الكريم تكذيب أَهلِ مدين أَخاهم شعيبا وأنهم رفضوا دعوته عُتوًّا واستكبارًا وحث رؤساؤهم أَتباعَهم على عدم اتباعه، شرع يبين كيفية إهلاك هؤلاء الطغاة المتجبرين، فقال تعالى:﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾، أي: فأَهلكتهم الزلزلة الشديدة فأَصبحوا باركين على ركبهم هالكين هلاك الذلة والصغار في أَماكنهم لا ينتقلون منها(٢).

وقد جاءَ في سورة هود أَن قوم شعيب عليه السلام أُهلكوا بالصيحة، ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود:٩٤]، وفي الشعراءِ أنهم أُهلكوا بعذاب يوم الظلة، ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٨٩]، ويوجَّه هذا الاختلاف فيما أُهلكوا به بأَن شعيبًا عليه السلام أُرسل إِلى أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة، فأَما أَصحاب الأَيكة فقد أُهلكوا بعذاب يوم الظلة، وأَما أَهل مدين فقد أُهلكوا بعذابين، أَحدهما سبب والآخر مسبَّب، فأَما السبب فهو الصيحة، وأَما المسبب فهو الزلزلة، فنسب هلاكهم تارة إلى السبب الأَول وهو الصيحة، وتارة إلى السبب الثاني، وهو الرجفة التي ترتبت على الصيحة فلا تعارض بين الآيات(٣).

(١) ينظر: المرجع السابق، (٣/ ١٤٧٢).

(٢) ينظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (٢/ ٢٠٦).

(٣) التفسير الوسيط، مجمع البحوث، (٣/ ١٤٧٢) باختصار.

فهذه الآيات التي ذكرت قوم شعيب عليه السلام في سور القرآن، فيها كثير من اللطائف في أبواب الدعوة والتعامل مع المدعوين، ومن ذلك:

١ـ أنهم أظهروا استهزاء بشعيب عليه السلام وبدينه واستفزوه: فقالوا: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١]، وهذا مع أنّ كلامه أفصح وأوضح كلام وأحسنه. واستهزأوا بعبادته، فقالوا: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، إذ كانوا متضايقين مما رأوه عليه من المواظبة على عبادة الله، والتضرّع بين يديه، شأنهم في ذلك شأن خصوم الرسالات الإلهية في جميع العصور. لكن شعيبا لم يسلك في الرد على قومه مسلكهم في المراء والاستهزاء، بل رد عليهم الرد اللائق بمقام الأنبياء والمصلحين، مؤكدا لهم أن التعليمات التي بلغها إليهم هو أول من ينفذها(١).

٢ـ يتبيّن من الآيات ضرورة وجود عناصر الصيانة للحركة في المجتمع كله، فالمجتمع إن لم تُصَنْ حركته يفسد(٢).

٣ـ الإخلاص والصدق في النصح سمة بارزة للنجاح في الدعوة، ففيما حكاه القرآن الكريم عن شعيب عليه السلام: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٣]، فها هنا يتحدّث شعيب عليه السلام عن النصيحة الخالصة التي لم يزل يسديها إلى قومه، فلم يعر لها الملأ منهم التفاتًا ولا اعتبارًا، ونفس الشيء تحدّث عنه نوح وهود وصالح عليهما السلام، كما حكى الله ذلك عنهم جميعًا(٣).

---

(١) ينظر: التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي، (٣/ ١٤٠).

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي (الخواطر)، (١١/ ٦٦١١).

(٣) التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي، (٢/ ٢٤٦).

٤ـ الداعية عليه البلاغ المبين، والتأثير والقبول يكون من الله تعالى، وقد يمنع التأثير موانع ذاتية في المدعو أو موانع خارجية عنه، ولكن تتوفر لها بيئة قابلة في المدعو. وتبقى مسؤولية الاستجابة في الأغلب على المدعو نفسه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، فقوله: ﴿أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ﴾ أي: من وجه سمعه، وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له. وهذا هو شرط التأثير بالكلام. وقوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾، أي شاهد القلب حاضر، غير غائب. وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثر، وهو سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يقال له، والنظر فيه وتأمله. وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [يس:٧٠]، أي: حي القلب. فهذه شروط التأثر والتأثير: حصول المؤثر، وهو القرآن، والمحل القابل، وهو القلب الحي، ووجود الشرط، وهو الإصغاء، وانتفاء المانع، وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر: حصل الأثر، وهو الانتفاع بالقرآن والتذكر.

والناس مختلفون في ذلك فمنهم من يكون حي القلب، تام الفطرة، يدله قلبه على صحة القرآن وأنه الحق، وهذا حال صاحب القلب الحي الواعي. فهو بين قلبه وبين معاني القرآن أتم الاتصال. ومن الناس من لا يكون تام الاستعداد واعي القلب كامل الحياة، فيحتاج إلى شاهد يميز له بين الحق والباطل، ومن الناس من هو دون ذلك لا يميز الحق ولا يقبله لما ران على قلبه من الباطل أو من الصد عن الحق[(١)]، ومن هنا يأتي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فعلى الداعي بذل الجهد وتحرّي البلاغ المبين، والنتائج ليست من مهمته ولا شأنه.

(١) ينظر: تفسير القرآن الكريم، ابن القيم، (ص٤٨٤-٤٨٥).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبعد هذا التطواف في أفياء علمي التفسير والدعوة يطيب للبحث أن يسجل النتائج والتوصيات الآتية:

أولا: أهم النتائج:

١ـ التفسير الدعوي هو: تفسير يبحث في ألفاظ القرآن ومقاصده وأحكامه، واستخلاص ما يفيد الدعوة والداعية والمدعو من الهدايات والدلالات، خدمة للدعوة وقضاياها المتنوعة.

٢ـ أن القرآن الكريم قد رسم طريق الدعوة من حيث المنهج والوسائل والأساليب، ووضع لكلّ قضية من قضايا الدعوة ولكلّ جانب من جوانبها مخططًا واضحًا ينبغي أن يؤخذ به عند السير في سبيل الدعوة.

٣ـ التفسير الدعوي للقرآن كاتجاه واهتمام نشأ من أوّل يوم نزل فيه القرآن على النبي ﷺ، وكان ذلك موجبًا لأن تسترشد به الدعوة من أول يوم في جميع جوانبها المنهجيّة والمقاصديّة.

٤ـ تأصيل التفسير الدعوي يأتي من خلال الضرورة الدعويّة والبيان القرآني والنبوي.

٥ـ تفسير القرآن على المستوى الدعوي هو من الأُسس الضروريّة للدعوة والدعاة، ليتم البيان ولتقوم الحجة، وخصوصًا في هذا الزمان الذي قلّت فيه البصيرة بكتاب الله تعالى، فهو واجب على الكفاية.

٦ـ مصادر التفسير الدعوي هي نفس مصادر أنواع التفسير الأخرى، مع زيادة مصادر خاصة به.

٧ـ هناك مبادئ أساسيّة اصطلح عليها العلماء في كل العلوم والفنون، تُعتبر مفاتيح أساسيّة لكلّ علْم وفن، وهي نفسها تنطبق على التفسير الدعوي للقرآن الكريم.

٨ـ ينقسم التفسير الدعوي إلى تفسير دعوي للموضوع القرآني، وتفسير دعوي للسورة القرآنيّة، وتفسير دعوي للآية أو الآيات القرآنيّة، وتفسير دعوي للمصطلح القرآني.

٩ـ ضوابط التفسير الدعوي هي نفسها ضوابط عموم تفسير القرآن المصطلح عليها عن العلماء.

ثانيا: أهم التوصيات:

١. يوصي الباحث بأن يهتم الباحثون بهذا النوع من التفسير وفق الضوابط والتنوّع المذكور في البحث، ومن خلال المصادر المعتبرة في التفسير.

٢. القرآن المكي فيه نماذج دعويّة عظيمة حريّة بالدراسة على مستوى المنهج والوسائل والموضوعات.

٣. دراسة السور المدنيّة لبيان التشريعات الدعويّة التي ترتبط بالأخلاق، وأصول المعاملات الاجتماعية.

فهرس المصادر والمراجع

١. **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

٢. **أحكام القرآن**، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.

٣. **أحكام القرآن**، أحمد بن علي الجصاص الحنفي، تحقيق: عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٤. **أحكام القرآن**، علي بن محمد الطبري، المعروف بالكيا الهراسي، تحقيق: موسى محمد علي، وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

٥. **أساس البلاغة**، أبو القاسم محمود بن عمر بن الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٦. **الاعتصام**، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الشهير بالشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٧. **إعجاز القرآن**، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة، ١٩٩٧م.

٨. **إعراب القرآن**، علي بن الحسين بن علي الأَصْفهاني الباقولي، تحقيق ودراسة: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠ هـ.

٩. **الأمثال في القرآن**، محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: أبي حذيفة إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة، طنطا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

١٠. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ.

١١. **البرهان في أصول الفقه**، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الملقب بإمام الحرمين، تحقيق: صلاح عويضة، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٢. **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٣. **بيان المعاني**، عبد القادر بن ملّا حويش العاني، مطبعة الترقي–دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ–١٩٦٥م.

١٤. **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.

١٥. **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

١٦. **التدرج في دعوة النبي**، إبراهيم بن عبد الله المطلق، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٧. **التسهيل لعلوم التنزيل**، محمد بن أحمد بن محمد ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ

١٨. **تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)**، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

١٩. **التفسير الحديث**، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

٢٠. **تفسير الراغب الأصفهاني**، أبو القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢١. **تفسير الشعراوي (الخواطر)**، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٧م.

٢٢. **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٣. **تفسير القرآن الكريم**، محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٢٤. **التفسير اللغوي للقرآن الكريم**، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.

٢٥. **التفسير الموضوعي بين الأصالة والتجديد**، محمد عبد السلام الحضيري، بحث مقدم للمؤتمر القرآني الدولي السنوي الرابع الذي ينظمه مركز بحوث القرآن بجامعة ملايا – ماليزيا،١٤ – ١٥/ ٤/ ٢٠١٤م.

٢٦. **التفسير الميسر**، نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٢٧. **التفسير الوسيط**، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية الطبعة الأولى، ١٩٧٣-١٩٩٣م.

٢٨. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٢٩. **التفسير الوسيط**، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٠. **التفسير والمفسرون: أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث**، فضل حسن عبَّاس، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

٣١. **التفسير والمفسرون**، محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة.

٣٢. **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٣٣. **التوقيف على مهمات التعاريف**، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٣٤. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٣٥. **التيسير في أحاديث التفسير**، محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٦. **التيسير في أصول واتجاهات التفسير**، عماد علي عبد السميع، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.

٣٧. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٣٨. **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٣٩. **جهاد الأعداء ووجوب التعاون بين المسلمين**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٤١هـ.

٤٠. **درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول**، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٤١. **درء تعارض العقل والنقل**، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

٤٢. **الدعوة الإسلامية أصولها وضوابطها**، أحمد غلوش، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الثانية.

٤٣. **الدعوة إلى الله: خصائصها، مقوماتها، مناهجها**، أبو المجد السيد نوفل، ١٩٧٧م.

٤٤. **الدعوة والإنسان**، عبد الله يوسف الشاذلي، المكتبة القومية الحديثة، طنطا، الطبعة الأولى.

٤٥. **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ.

٤٦. **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: شعَيب الأرناؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

٤٧. **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

٤٨. **صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٩. **صحيح مسلم، (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)** مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٠. **علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر**، عبد المنعم النمر، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٥١. **علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر**، عبد المنعم النمر (المتوفى: ١٩٩١م)، دار الكتب الاسلامية - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

٥٢. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الحنفى، بدر الدين العينى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٣. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٥٤. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.

٥٥. **فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد**، صفوت محمود سالم، دار نور المكتبات، جدة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٥٦. **فضل الإسلام**، محمد بن عبد الوهاب النجدي، بشرح صالح آل الشيخ، تحقيق وعناية: عادل بن محمد مرسي رفاعي، مكتبة دار الحجاز، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

٥٧. **القرآنُ الكريمُ وقَضايا العقيدةِ**، علي بن نايف الشحود، د.م، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠.

٥٨. **القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني**، عدوية عبد الجبار كريم الشرع، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

٥٩. **قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير – دراسة تأصيلية تطبيقية**، عبير بنت عبد الله النعيم، دار التدمرية، الرياض، الأولى، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.

٦٠. **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالخازن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٦١. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور المصري الإفريقى، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٦٢. **مباحث في التفسير الموضوعي**، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٥م.

٦٣. **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ.

٦٤. **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٦٥. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٦٦. **المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية**، خالد المزيني، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٦٧. **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، جماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٦هـ.

٦٨. **المدخل إلى علوم القرآن الكريم**، محمد فاروق النبهان، دار عالم القرآن، حلب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٦٩. **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، محمد بن محمد أبو شُهبة، مكتبه السنة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

٧٠. **المستصفى**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٧١. **مسند الإمام أحمد**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٧٢. **المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ**، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.

٧٣. **معالم التنزيل**، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٧٤. **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٧٥. **معجم اللغة العربية المعاصرة**، أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٧٦. **المعجم الوسيط**، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وآخرون، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، إسطنبول.

٧٧. **مفاتيح الغيب أو (التفسير الكبير)**، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٧٨. **مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة**، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، د.ت.

٧٩. **مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

٨٠. **مقدمة في أصول التفسير**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٤٩٠هـ.

٨١. **المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره**، محمد علي الحسن، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٨٢. **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

٨٣. **المنتخب في تفسير القرآن الكريم**، لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة الثامنة عشر، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٨٤. **المنتخب في تفسير القرآن الكريم**، لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، طبع مؤسسة الأهرام.

٨٥. **منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر**، عدنان العرعور، جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٨٦. **الموافقات في أصول الشريعة**، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٨٧. **الموسوعة القرآنية المتخصصة**، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، نشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣هـ.

٨٨. **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، عبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	١٢٥
المقدمة	١٢٦
المبحث الأول: مدخل تمهيدي إلى التفسير الدعوي	
المطلب الأول: تعريف التفسير الدعوي	١٣١
المطلب الثاني: نشأة التفسير الدعوي للقرآن الكريم وتطوره	١٣٤
المطلب الثالث: علاقة التفسير الدعوي بأنواع التفسير الأخرى، وحكمه	١٤٣
المطلب الرابع: مصادر التفسير الدعوي	١٤٨
المطلب الخامس: مبادئ التفسير الدعوي	١٥٤
المبحث الثاني: أقسام التفسير الدعوي وضوابطه وتطبيقاته	
المطلب الأول: أقسام التفسير الدعوي	١٥٧
المطلب الثاني: ضوابط التفسير الدعوي	١٦٣
المطلب الثالث: نماذج تطبيقية من التفسير الدعوي في ضوء أركان الدعوة	١٧٠
الخاتمة	١٩٠
فهرس المصادر والمراجع	١٩٢
فهرس الموضوعات	٢٠٠

مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية

الإعجاز القرآني في مقدمات كتب التفسير

دراسة نحوية دلالية

إعداد

د. حمدان بن حميد بن بريك السلمي

الأستاذ المشارك بقسم الثقافة الإسلامية والمهارات اللغوية، جامعة جدة

• من مواليد عام ١٣٩٠هـ بمدينة ساية بالمملكة العربية السعودية.
• تخرج في الكلية الجامعية بمدينة مكة عام ١٤١٥هـ.
• نال شهادة الماجستير من قسم الكتاب والسنة، بجامعة أم القرى عام ١٤٢٨هـ بأطروحة: "ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من سورة الجاثية إلى سورة ق: دراسة ومقارنة"، كما نال شهادة الدكتوراه من قسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الاسلامية عام ١٤٣٣هـ بأطروحة: "تفسير الفرات النمير في تفسير الكتاب المنير للإمام الضمدي: من سورة الأحزاب إلى سورة الناس، دراسة وتحقيق ".
• البريد الشبكي: nab3ha@gmail.com

(قدم للنشر في ١٤٤٤/٣/٦هـ ؛ وقبل للنشر في ١٤٤٤/٤/٩هـ)

الـمـلـخـص

إن علم الإعجاز القرآني من أقدم العلوم حيث بدأ التأليف فيه مع بداية القرن الثالث الهجري.

ومن خلال استقراء مقدمات كتب المفسرين نجد بروز هذا العلم، وكان منهجي في البحث أن قسمته إلى مقدمة ومبحثين، فكان المبحث الأول مقدمات عن إعجاز القرآن وفيها مفهوم الإعجاز ونبذة تاريخية عنه، ووجوه الإعجاز ثم مراحل تدَّرج الإعجاز والتحدي به، وذكرت أن إعجاز القرآن لا يقف عند جمال الأسلوب وروعة البيان وإنما ينتظم فيما ينتظم أموراً كثيرةً، وختمت المبحث بأهمية مقدمات كتب التفاسير والتعريف بها ونشأتها وأوائل من كتب التفسير المتضمنة لإعجاز القرآن.

أما المبحث الثاني فذكرتُ النتائج المُستخلصة من استقراء مقدمات كتب التفسير من حيث محاور وموضوعات إعجاز القرآن والتعليق عليها، وختمت المبحث بموازنة بين موضوعات إعجاز القرآن في مقدمات كتب التفسير.

واعتمدت في طريقة بحثي على الاستقراء والموازنة والتحليل ،فكان من نتائج بحثي أن ممن ألَّف في التفسير من أهتم بذكر الإعجاز القرآني في مقدمات تفاسيرهم وكان من أولهم ابن جرير الطبري، وقد تباينت طرائقهم في تناول الإعجاز من بين مستقلٍ ومستكثر، وتبن لنا أن من أكثر المفسرين تفصيلاً في وجوه إعجاز القرآن الإمام القرطبي وابن عاشور، وقد كُتب في إعجاز القرآن عندهم رسالة ماجستير مستقلة.

وقد أوصى الباحث أن يتم التقعيد لمفهوم إعجاز القرآن ووجوهه بالاعتماد على مقدمات المفسرين لبيان تحديد الإعجاز العلمي في القرآن وأن تُفرد له بحوث علمية لطلاب الماجستير والدكتوراه في الإعجاز في قصص القرآن من خلال حياة الأنبياء.

الكلمات المفتاحية : الإعجاز، القرآن، كتب، مقدمات التفسير.

المقدمـــة

إن الإعجاز القرآني من أكثر القضايا حساسيةً وأشدها دقةً خاصةً وأنها وثيقة الصلة بكتاب الله تعالى، من حيث كونه كتاب هدايةٍ وإعجازٍ معاً، لذلك نالت هذه القضية اهتماماً كبيراً وجهوداً حثيثةً على مر الأزمان والعصور حتى يومنا هذا.

ولقد تناول العلماء الحديث عن أوجه إعجاز القرآن الكريم فأجادوا، وعددوا فأكثروا، وفصلوا فبينوا، وذلك بما يفتح الله عليهم من درر كتابه التي لا منتهى لها فهو نبعٌ فياضٌ ، إنه كنزُ معالمٍ ، وبحرُ حقائقٍ .

ونهرُ جواهرٍ، ودرجُ زواهرٍ، ومعينُ دررٍ، وعالمُ علمٍ، وعذوبةُ لفظٍ، ودقةُ أسلوبٍ، وجمالُ بيانٍ.

كريمٌ بعطائه، لا يبخل على مَن قصده، يفتح بابه لمن طرقه، يجيب كلَّ من سأله، يعطي كلاً بما هو أهله.

ومن خلال النظر في هذا الموضوع، واستقراء مقدمات المفسرين في كتب التفسير.

وبعد التنقيح والدراسة والمشاورة، انتهيت – بعون الله تعالى – إلى أن أكتب بحث بعنوان: الاعجاز القرآني في مقدمات كتب التفسير ".

أسأل الله تعالى أن يشرّفنا بخدمة كتابه الكريم، وأن يمنّ علينا بالإخلاص والسداد، وبالعلم النافع والعمل الصالح.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

إن الدافع الرئيس للبحث في هذا الموضوع هو الرغبة في نَيل شرف خدمة كتاب الله تعالى، وبركة النظر فيما يحويه هذا السفر العظيم –أعني كتاب الله–ورجاء الثمار اليانعة التي سوف يجنيها كل من يعيش مع إعجازه ، مع شعوري بأهمية الدراسات القرآنية الموضوعية – لا سيما المتعلقة في إعجاز القرآن – مما ينضبط بالمعايير العلمية التي تحافظ على جدية الدراسة وعمق تأثيرها.

وبطبيعة الحال، ومع انطلاقي مما سبق: عملت على أن يكون للموضوع المختار أهميةً تحفّز على بذل الجهد المضاعف والوقت الممتد، رجاء أن تكون الفائدة قيّمة، ينتفع منها الباحث قبل غيره، ثم من يحتاج إليها من إخوانه المسلمين.

وإن أهمية هذا الموضوع يمكن أن تظهر من خلال ما يلي:

١- بروز جهود المفسرين في بيان اعجاز القرآن ووجوه في مقدمات تفاسيرهم.

٢- أن مقدمات التفاسير اشتملت على مادة علمية قيمة ثرية ، احتوت آراء كثير من المفسرين ، في كثير من مسائل إعجاز القرآن ووجوه .

٣- مما تجدر الإشارة إليه ، ويدل على أهمية هذا الموضوع أن المفسرين أشاروا إلى موضوع الاعجاز في مقدمات تفاسيرهم مع بداية القرن الثالث الهجري ، وهذا دلالة على قدم البحث في هذا الموضوع .

الدراسات السابقة حول الموضوع:

بناء على ما قمت به من البحث في أدوات البحث الموضوعي: من فهارس المراكز العلمية، والبحث في شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، وسؤال جملة من الباحثين والمتخصصين، والتواصل مع قاعدة المعلومات بمركز الملك فيصل للدراسات والأبحاث، وقاعدة المعلومات القرآنية التابعة لمعهد الإمام الشاطبي بجدة: تبين أنه لم يسبق وأن تناولت الدراسات العلمية موضوع "الاعجاز القرآني في مقدمات التفاسير" عموماً، فضلاً عن تناوله من خلال الدراسة القرآنية الموضوعية .

خطة البحث:

سوف يحوي البحث بعون الله تعالى على مقدمة ومبحثين وفيها مطالب وخاتمة

وفهارس، كالتالي:

المبحث الأول: مقدمات عن إعجاز القرآن الكريم، وفيه خمسة مطالب .

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز.

المطلب الثاني: نبذةٌ تاريخيةٌ عن بدءِ التحدث في الإعجاز.

المطلب الثالث: وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: تدرُّج الإعجاز مع مراحل التحدي.

المطلب الخامس: أهمية مقدمات التفاسير والتعريف بها ونشأتها.

المطلب السادس: أهم كتب التفسير المتضمنة لإعجاز القرآن الكريم .

المبحث الثاني: النتائج المستخلصة من استقراء مقدمات كتب التفسير، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: محاور وموضوعات إعجاز القرآن الكريم في مقدمات كتب التفسير.

المطلب الثاني: مقدمات كتب التفسير وما فيها من موضوعات إعجاز القرآن الكريم.

المطلب الثالث: التعليق على الجداول.

المطلب الرابع: الموازنة بين موضوعات إعجاز القرآن الكريم في مقدمات كتب التفسير.

الخاتمة : وتتضمن خلاصة البحث وأبرز نتائجه الكلية والتوصيات.

بين يدي البحث

أهمية علم إعجاز القرآن

فإن علوم القرآن من أشرف العلوم وأجلها، وأعظمها بركة، وأوسعها معرفة، وحاجة الأمة إليها ماسة، وقد شرف اللهُ علماءَ التفسير وأهل العناية بالقرآن ورفع مكانهم وجعلهم مرجعاً لعباده في فهم كلامه ومعرفة مراده وكفى بذلك فضلاً وشرفاً، وعلم طالب العلم بفضل علوم القرآن وعلو شأنها وجلالة قدره مما يعين على إقبال النفس على تعلمه وأخذه بقوة وجد واجتهاد.

ومن جملة علوم القرآن: علم إعجاز القرآن الكريم، فقد اعتنى الأئمة بهذا العلم وأفردوه بالتصنيف قديماً وحديثاً، وهو علم جليل عظيم القدر لأن نبوة النبي ﷺ معجزتها الباقية القرآن، وهو يستلزم الاهتمام بسبر موضوع الإعجاز قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، يقول الباقلاني «فلولا أن سماعه إياه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه ولا تكون حجة إلا وهي معجزة»(١).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت:٥٠-٥١] فأخبر أن الكتاب آية من آياته وأنه كاف في الدلالة، قائم مقام معجزات غيره وآيات سواه من الأنبياء، ولما بعث النبي ﷺ وجاء بالقرآن إلى قومه وكانوا أفصح الناس وتحداهم أن يأتوا بمثله فعجزوا حتى تحداهم بسورة وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **ما مِنَ الأنْبِياءِ نَبِيٌّ إلَّا أُعْطِيَ**

(١) إعجاز القرآن، للباقلاني (٩/ ١).

ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه البَشَرُ، وإنَّما كانَ الذي أُوتِيتُ وَحْيًا أوْحاهُ اللَّهُ إلَيَّ، فأرْجُو أنْ أكُونَ أكْثَرَهُمْ تابِعًا يَومَ القِيامَةِ»[1].

(١) أخرجه البخاري، باب قول النبي ﷺ بعثت بجوامع الكلم حديث رقم ٧٢٧٤ (٩/ ٩٢). ومسلم- باب وجوب الايمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته حديث رقم ٧٠ (١/ ١٣٤).

المبحث الأول

مقدمات عن إعجاز القرآن الكريم

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول : مفهوم الإعجاز

أولاً: تعريف الإعجاز والمعجزة لغةً واصطلاحاً

التعريف لغة:

العين والجيم والزاي أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء(١).

قال الراغب الاصفهاني: أصل العجز التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر، أي مؤخَّره، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة(٢).

وقال ابن منظور: العجز نقيض الحزم(٣)، والمعجزة في اللغة اسم فاعل مشتقة من الفعل الرباعي المهموز أعجز، وهي مَا أَعْجَزَ بِهِ الخصمَ عِنْد التَّحدِّي، والهاءُ لِلْمُبَالَغَة، والجمْع مُعجِزاتٌ.

التعريف اصطلاحاً:

تباين تعريف المعجزة اصطلاحاً عند العلماء وإليك نماذج منها:

١. عرفها جلال الدين السيوطي بقوله: «اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة»(٤).

---

(١) مقاييس اللغة (٢٣٢/ ٤).

(٢) مفردات الراغب (٥٤٧/ ٤).

(٣) لسان العرب (٢٨١٦/ ٤).

(٤) الإتقان في علوم القرآن (١١٦/ ٢).

٢. وعرفها الإمام عبد القاهر البغداديُّ بقوله: «وحقيقة المعجزة عند المتكلمين : ظهور أمر خلاف العادة في دار التكليف لإظهار صدق ذي نبوّة من الأنبياء أو ذي كرامة من الأولياء مع نكول من يُتحدى به عن المعارضة»[(١)].

٣. ويقول الشريف الجرجاني: «الإعجاز في الكلام هو أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق. كما قال أيضا: حدّ الإعجاز هو أن يرتقي الكلام في بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضتهم»[(٢)].

كما يذكر القرطبي في كتابه (الجامع لأحكام القرآن) خمسة شروط لا يصح من دونها لحادث أن يسمى معجزة وهي[(٣)]:

١- الحادث ينبغي أن يكون ممّا لا يستطيعه إلا الله.

٢- يجب أن يخرق قوانين الطبيعة.

٣- ينبغي أن ينبئ عنه الحكيم قبل أن يقع.

٤- يجب أن يكون الحادث الواقع موافقا لما قيل.

٥- ألاّ يكون في استطاعة أحد أن يجري مثل هذا الامر.

تعريف مصطلح "إعجاز القرآن":

مصطلح "إعجاز القرآن" مركب إضافي، يقول القاضي عبد الجبار الهمذاني: «معنى قولنا في القرآن أنه معجز؛ أنه يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله، في القدر الذي اختص به»، وقد عرفه العلماء بقولهم: «إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة -وهي القرآن -وعجز الأجيال بعدهم»[(٤)].

---

(١) أصول الدين، (١٧٠).

(٢) معجم التعريفات (٣٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي(١/ ٧٠).

(٤)"مباحث في علوم القرآن"، مناع القطان (٢٥٠).

أما الزرقاني في مناهل العرفان فعرف إعجاز القرآن بقوله: «إثبات عجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله»[(١)].

وليس المقصود من إعجاز القرآن هو تعجيز البشر لذات التعجيز أي تعريفهم بعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن، فإنّ ذلك معلوم لدى كل عاقل، وإنما الغرض هو إظهار أنّ هذا الكتاب حق، وأنّ الرسول الذي جاء به رسول صدق، وهكذا سائر الأنبياء الكرام[(٢)].

ثانياً: ورود الإعجاز والمعجزة في القرآن الكريم:

لم يرد في كتاب الله تعالى مصطلح "الإعجاز" أو لفظة "معجزة"، إلا أن القرآن الكريم استعمل مجموعة من الألفاظ تدل على جزء من معنى الإعجاز والمعجزة الذي يشمل أكثر من معنى جزئيّ واحد؛ وهذا الجزء يقابل كلمة دليل أو حجّة [(٣)]، ومن هذه الألفاظ:

- **الآية:**

قال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾. [الأنعام:١٠٩].

- **البرهان:** ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾. [القصص: ٣٢]

- **السلطان:** قال عزّ وجل: ﴿ تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ [إبراهيم: ١٠].

- **البيّنة:** قال تبارك وتعالى: ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ [الأعراف: ٧٣].

---

(١) مناهل العرفان، للزرقاني (١/ ٧٣).

(٢) "البيان في علوم القرآن" للصابوني (٨٩-٩٠).

(٣) التحرير والتنوير (١٠١/ ١).

وقد وردت مشتقات هذه المادة في ستة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم، على النحو التالي:

اللفظ	عدد المرات	الآيات
أَعَجَزتُ	١	[المائدة:٣١]
نُعجِزُ	١	[الجن:١٢]
نُعجِزَهُ	١	[الجن:١٢]
لِيُعجِزَهُ	١	[فاطر:٤٤]
يُعجِزُونَ	١	[الأنفال:٥٩]
مُعَاجِزِينَ	٣	[الحج:٥١]، [سبأ: ٥]، [سبأ: ٣٨]
بِمُعْجِزٍ	١	[الأحقاف:٣٢]
مُعْجِزِي	٢	[التوبة: ٢]، [التوبة: ٣]
مُعْجِزِينَ	٩	[الأنعام:١٣٤]، [يونس:٥٣]،[هود:٢٠]، [هود:٣٣]، [النحل:٤٦] [النور:٥٧]، [العنكبوت:٢٢]، [الزمر:٥١]،[الشورى: ٣١].

المطلب الثاني : نبذةٌ تاريخيةٌ عن بدءِ التحدث في الإعجاز

لقد بدأ أول حديث عن الإعجاز على يد أبي عبيدة (١١٠-٢٠٩هـ) في كتابه (مجاز القرآن) والفراء المتوفى سنة ٢٠٧هـ في كتابه (معاني القرآن) ولكنّها كانت دراسات لغوية بيانية أكثر منها في الإعجاز، غير أنّ أكثر العلماء يقررون أن أول من تكلّم في الإعجاز هو إبراهيم بن سيّار النّظام المعتزلي المتوفى ٢٢٤هـ شيخ الجاحظ، وبعده عيسى بن صبيح المزدار المتوفى سنة ٢٥٣هـ، والجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ، وكان من ميزات القرن الثالث كثرة العناية بعلم الكلام، ومن أشهر المتكلمين الذين تناولوا الإعجاز: الواسطي، المتوفى سنة ٣٠٦هـ، والرماني المتوفى سنة ٣٨٤هـ ،

وأحمد بن محمد الخطّابي المتوفى سنة ٣٨٨هـ، والباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣هـ، ومحمد بن يحيى بن سراقة المتوفى سنة ٤١٠هـ، والشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦هـ، وأبو اسحاق الإسفراييني المتوفى سنة ٤١٨هـ، وابن حزمٍ المتوفى سنة ٤٥٦هـ، والغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ، والقاضي عياض المتوفى سنة ٥٤٤هـ[١].

وفي نهاية القرن الرابع ومع وفاة الباقلاني تقريباً أخذت أكثرُ نظريات الإعجاز في علم الكلام شكلها النهائي، وسارت الأعصرُ التاليةُ على غرار الأولى في التأليف وكانت مهمتها جمع ما قاله المتقدمون، ولم تكن مهمة المتكلم فيها وضع براهين جديدة، بل وضع هذه البراهين في صورٍ جديدةٍ، فالماوردي مثلاً يعدّ عشرين دليلاً على الإعجاز وليس فيها جديد.

أما المفسرون، فكان الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، من أوائل المفسرين الذين تكلموا في مسألة الإعجاز، وقد جاء على أثر الطبري من المفسرين الأولين المتحدثين في الإعجاز الراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢هـ، والزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ، وابن عطية الغرناطي المتوفى سنة ٥٤٢هـ، وفخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ، والقرطبي المتوفى ٦٧١هـ، وابن جزي الكلبي الغرناطي المتوفى ٧٤١هـ، وأبو حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ، وبدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ، وجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، وابن كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٠هـ، وأبو السعود المتوفى سنة٩٨٢هـ، والألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ، والطاهر ابن عاشور المتوفى سنة ١٣٩٣هـ[٢].

المطلب الثالث: وجوه الإعجاز في القرآن الكريم

يقول الطاهر بن عاشور: «لم أر غرضاً تناضلت له سهام الأفهام، ولا غاية

(١) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، عبد السلام اللوح (٢٥).

(٢) انظر: علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، محمد حقي (٣٧٦/ ٢).

تسابقت إليها جياد الهمم فرجعت دونها حسرى، واقتنعت بما بلغته من صبابة نزراً، مثل الخوض في وجوه إعجاز القرآن، فإنه لم يزل شغل أهل البلاغة الشاغل، وموردها للمعلول والناهل، ومغلى سبائها للنديم والواغل»[(١)]، ولذا تجد العلماء من يعدد وجوه الإعجاز إلى عشرة كما فعل القرطبي، وإلى اثني عشر وجهاً عند الزركشي، وقد لخص جلال الدين السيوطي جهود من سبقه في كتابيه (الإتقان في علوم القرآن) و(معترك الاقرن في إعجاز القرآن)، وذكر أنّ بعض العلماء أنهى وجوه الاعجاز إلى ثمانين، وقد رأى بعض العلماء أنّه لا نهاية لوجوه الاعجاز أخذاً برأي السّكاكي في المفتاح حيث قال: «اعلم أن إعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحة، وكما يدرك طيب النغم العارض لهذا الصوت، ولا يدرك تحصيله لغير ذوي الفطر السليمة إلا بإتقان علمي المعاني والبيان والتمرين فيهما»[(٢)].

والغرض هنا الوقوف على طريقة المؤلفين في تحديد أشهر وجوه الإعجاز لإنّ الإعجاز في ذاته لا خلاف فيه، ومن خلال النظر في كتب التفسير وعلوم القرآن نجد أن وجوه الإعجاز تتمثل فيما يلي:

أولاً: وجوه إعجاز القرآن الكريم عند القدماء.

الوجه الأول: هو الإيجاز والبلاغة، حتى اشتملت الألفاظ اليسيرة على المعاني الكثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ فجمع في كلمتين، عدد حروفهما عشرة أحرف، معاني كلام كثير[(٣)].

الوجه الثاني: البيان والفصاحة التي أعجزت الفصحاء معارضته، وأعيت

(١) التحرير والتنوير(١٠١/ ١).

(٢) معترك الأقران، للسيوطي(٥).

(٣) النكت والعيون، للماوردي (٣٠/ ١).

الألباء مناقضته، وأخرست البلغاء مشاكلته، ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] (١).

يقول القرطبي رحمه الله تعالى: «بلاغة القرآن في أعلى طبقات الإحسان، وأرفع درجات الإيجاز والبيان، بل تجاوزت حد الإحسان والإجادة إلى حيز الإرباء والزيادة»(٢).

الوجه الثالث: النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وغيرها (٣)، وسماه الماوردي: «الوصف الذي تنقضي به العادة حتى صار خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر فلا يدخل في شيء منها ولا يختلط بها مع كون ألفاظه وحروفه في كلامهم، ومستعملة في نظمهم ونثرهم»(٤).

الوجه الرابع: الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب(٥).

الوجه الخامس: الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال، قال ابن الحصار: «وهذه الثلاثة من النظم، والأسلوب، والجزالة، لازمة كل سورة، بل هي لازمة كل آية، وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسموع كل آية وكل سورة عن سائر كلام البشر»(٦).

الوجه السادس: أن قارئه لا يكلّ وسامعه لا يمل، وإكثار تلاوته تزيده حلاوةً في النفوس، وميلاً في القلوب(٧).

الوجه السابع: الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى وقت نزوله من أمّي ما كان يتلو من قبله من كتاب، ولا يخطّه بيمينه، كإخباره عن قصة أهل

(١) النكت والعيون، للماوردي (٣٠/ ١)، وابن جزي (٢٣/ ١).
(٢) تفسير القرطبي: (٧٧/ ١).
(٣) المصدر السابق (٧٣/ ١).
(٤) النكت والعيون، للماوردي (٣١/ ١).
(٥) انظر: تفسير القرطبي: (٧٣/ ١).
(٦) المصدر السابق (٧٣/ ١).
(٧) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٣١/ ١).

الكهف، وشأن موسى مع الخضر عليهما السلام، وحال ذي القرنين وغير ذلك من أخبار الغيب[١].

الوجه الثامن: الإخبار عن المغيبات في المستقبل، وما سيكون، وهذا لا يعلمه إلا الله سبحانه كقوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم:٢-٣][٢].

الوجه التاسع: كونه جامعاً لعلوم لم تكن فيهم آلاتها، ولا تتعاطى العرب الكلام فيها، ولا يحيط بها من علماء الأمم واحد، ولا يشمل عليها كتاب[٣].

الوجه العاشر: الوفاء بالوعد المدرك بالحس في العيان، في كل ما وعد الله سبحانه وينقسم إلى أخباره المطلقة كوعده بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم، وأخبار مقيده كقوله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣][٤].

الوجه الحادي عشر: ما تضمنه القرآن من العلم الذي هو قوام جميع الأنام، في الحلال والحرام، وفي سائر الأحكام، وما أرشد إليه من مكارم الأخلاق[٥].

الوجه الثاني عشر: الحكم البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر مع كثرتها من آدمي[٦].

الوجه الثالث عشر: التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف، قال تعالى ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢][٧].

الوجه الرابع عشر: ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله، وذكر صفاته

---

(١) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٣٢/ ١) وابن عطية: (٥٩/ ١).

(٢) انظر: تفسر القرطبي (٧٤/ ١) ومناهل العرفان (٣٦٧/ ٢).

(٣) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٣٢ / ١).

(٤) انظر: تفسير القرطبي: (٧٤ / ١).

(٥) المصدر السابق (٧٥ / ١) وابن جزي: (٢٤ / ١).

(٦) انظر: تفسير القرطبي: (٧٥ / ١).

(٧) المصدر السابق (٧٥ / ١).

وأسمائه وما يجوز عليه وما يستحيل، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده، وغير ذلك مما يوحي بأنه من لدن عليم خبير، ويرى ابن عطية أن هذا الوجه يكون معجزاً لمن قد آمن بالله وتقررت الشريعة ونبوة محمد ﷺ في نفسه(١).

الوجه الخامس عشر: كونه محفوظاً من الزيادة والنقصان، محروساً عن التغيير والتبديل على طول الزمان(٢).

الوجه السادس عشر: تيسيره للحفظ(٣).

الوجه السابع عشر: عجز المخلوقين في زمان نزوله وبعد ذلك عن الإتيان بمثله(٤).

الوجه الثامن عشر: القول بالصرفة والمنع(٥): من قالوا بذلك ذهبوا إلى أن نظم القرآن ليس معجزاً وإنما الصرفة هي المعجزة. وهما فريقان:

الفريق الأول : يرى أن الله عزّ وجلّ سلبهم القدرة على المعارضة.

الفريق الثاني: أن الله تعالى صرف قلوبهم وهممهم مع وجود جميع الإمكانات لديهم للمعارضة، وهؤلاء يعتقدون أنّ نظم القرآن هو المعجز الأعظم، ولكنه ليس الوجه الوحيد للإعجاز ومنها الصرفة، وذهب عدد منهم إلى أنّ الصرفة وجه ضعيف ولكن لا حرج من القول به على سبيل التنَزُّلِ في الجدل.

وقد أثبت العلماء الأفذاذ بالحجة والبرهان خطأ هذا الرأي وخروجه عن الجادة، نذكر منهم الخطابي والباقلاني، والقاضي عبد الجبار، وابن عطية والقرطبي وأبو حيان

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: (٥٩ / ١) وابن جزي (٢٤ / ١) .

(٢) انظر: تفسير ابن جزي: (٢٤ / ١).

(٣) المصدر السابق (٢٤ / ١).

(٤) انظر: تفسير ابن جزي: (٢٤ / ١) وتفسير ابن عطية: (٦٠ / ١) .

(٥) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٣٣ / ١) وتفسير القرطبي: (٧٥ / ١) وتفسير أبي حيان: (١٧ / ١) وتفسير ابن عطية: (٦٠ / ١).

الأندلسي، والرازي وغيرهم.

ثانياً: وجوه الاعجاز عند المحدثين.

لقد عرف القرن الرابع عشر الهجري –العشرون ميلادي–حركة بحث في موضوع الإعجاز وإبراز وجوهه وألفوا فيه أسفاراً قيّمةً وكان الدافع الرد على تلك الهجمة الشرسة التي قادها المستشرقون وما يحملونه من أفكار وضعية متجلية في مذاهب اجتماعية واقتصادية ورأسمالية واشتراكية مشككة في الدور الايجابي للدين، بل تلفيق التهم والشبهات للقرآن العظيم ولهذا تشكلت عندهم مجموعة من الاتجاهات منها(١):

الاتجاه الاول: أصحاب النزعة العلمية: لقد اهتم هؤلاء بوجوه الإعجاز من الناحية العلمية، وقد كان لهذه النزعة جذور في تاريخ الفكر الإسلامي عند أبي حامد الغزالي والقاضي عياض، وابن رشد والإمام فخر الدين الرازي، وابن تيمية وابن القيم وغيرهم ولكنها اشتدت في هذه الفترة وهي محاولة للتوفيق بين القرآن والعلم، غير أن هناك منْ بالغ لحدِّ الاسراف وتحميل النص ما لا يحمله وفرقة ثانية التزمت الاعتدال في الطرح ولم يستشهدوا إلا بالمسلم به من المقررات العلمية المتطابقة مع نصوص القرآن.

الاتجاه الثاني: حصروا وجوه الإعجاز في مواضيع رئيسية تندرج تحتها معظم تلك الوجوه، فجعلوها ثلاثة أقسام: الإعجاز اللغوي (البياني)، وهو الذي وقع من جهته التحدي بالقرآن جملةً وتفصيلاً، الإعجاز العلمي، الاعجاز التشريعي التهذيبي الاجتماعي»(٢)، يقول محمد عبد الله دراز في كتابه (النبأ العظيم): «لعمري لئن كانت للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب ترتيبه معجزات، وفي

(١) الإعجاز المفهوم والمنهج، عبد القادر جعيد.

(٢) النبأ العظيم، عبد الله دراز (٧٩).

نبوءاته الصادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات ومعجزات فلعمري أنه في ترتيب آيه على هذا الوجه، لهو معجزة المعجزات»(١).

الاتجاه الثالث أصحاب النزعة الأدبية: يقصر الإعجاز على الجانب البياني من القرآن لأنه الوجه الذي يبرز فيه التحدي، أما ما فيه من حقائق علمية وأخبار الامم السابقة وكل الغيبيات هي دلائل نبوة المصطفى وأنّ هذا الكتاب هو من عند الله عزّ وجلّ، نذكر من هؤلاء مصطفى صادق الرافعي في كتابه (إعجاز القرآن).

المطلب الرابع : تدرُّج الإعجاز مع مراحل التحدي

لقد أنكر كفار قريش على سيدنا محمد ﷺ الرسالة واتهموه بالكذب، ونعتوه بالسحر قال تعالى: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر:٢٤] ، ووصفوه بالجنون، وقال قائلهم بأنه شاعر، ولم يكتفوا عند هذا الحد بل تحدّوه على أنهم قادرون على أن يأتوا بمثله لو أرادوا، وجاء الوحي يتحداهم أن يأتوا بكتاب من عند الله قال تعالى:﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [القصص:٤٩] ، فلما لم يستجيبوا تحداهم أن يأتوا بعشرِ سورٍ من مثله، ثم تدّرج معهم إلى سورة قال سبحانه: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣].

ثم أغلق الباب وأثبت عجزهم في الحاضر وفي المستقبل قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤].

وهكذا دعوى التحدي ظلت قائمة طيلة نزول الوحي وبعده بل هناك من ادعى النبوة بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى كمسيلمة الكذّاب وقد تنبأ بكلام تمجّه الأسماع وترفضه الاذواق، ومنهم أيضاً طليحة الاسدي، وسجاح بنت

(١) النبأ العظيم، عبد الله دراز (٢١١).

الحارث التميمية، وعبهلة بن كعب الملقب بالأسود العنسي الذي تنبأ باليمن، والجميع لم تسعفهم قرائحهم مجاراة القرآن، فسقطت أقنعة المشركين وأبانت زيف ادعائهم.

ولقد اتفق كل منْ كتبوا في الاعجاز على أنّ القرآن معجزة وأنه دليل النبوَّة، وقد نال هذا الشرف دون غيره من الكتب السماوية، لأنَّ نظمها ليس معجزاً وإن كان ما يتضمنه من الأخبار عن الغيوب معجزاً، وليس القرآن كذلك لأنه يشاركها في هذه الدلالة ويزيد عليها في أن نظمه معجز»[(١)].

لقد اختلف العلماء في تحديد وجه الإعجاز كما بينا سابقاً، فمنهم من قصره على الوجه البياني دون سواه، ومنهم من جعله إعجازاً عاماً يشملُ البيانَ وغيرَه، فلا بد أن ندرس آيات التحدي دراسةً منهجيةً موضوعيةً، وهذه الآيات نجدها في سورة الطور وهود ويونس والبقرة والإسراء.

- قال تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٤].
- قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود: ١٣].
- قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨].
- قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].
- قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣].

«وتأملاً في هذه الآيات الكريمة نجد أنها رغم اتفاقها في موضوع واحد إلا أن

(١) إعجاز القرآن للباقلاني (١٤ – ١٥).

هناك فروقاً بينها في أوجه متعددة:

أولاً: فالآيات الأربع تشترك في كونها مكية التنزيل، أما الآية الأخيرة فهي مدنيةٌ دون نزاع، هذا أولاً.

ثانياً: فإننا نجد الآيات الأُول جاءت في سياقٍ واحدٍ وهو خطاب العرب الذين نزل القرآن الكريم فيهم.

أما آية البقرة فلقد كانت في سياق أوسع دائرة ذلك أنها تخاطب الناس جميعاً، ورجوعاً إلى الآيات الكريمة ندرك ذلك إدراكاً لا يتطرق إليه الريب، ويكفي هنا أن نقرأ ما جاء في سورة البقرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾، ولا يستطيع أحدٌ أن يدعي أن العرب وحدهم هم المخاطبون بهذه الآيات الكريمة.

وثمةَ فرقٌ ثالثٌ من حيث الأسلوب، فالآيات الأُول جاءت فيها كلمةُ (مثل) دون حرف (مِنْ)، وجاءت آيةُ البقرة وحدها بهذا الأسلوب ﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾، وذلك أن معنى (مِنْ) هنا للتبعيض وأن الضمير راجعٌ للقرآن الكريم، يعني: من مثل هذا القرآن؛ قاله مجاهد وقتادة، واختاره ابن جرير[(١)] أي مما في هذا القرآن الكريم من وجوه الإعجاز.

ومما تقدم ندرك أن مراحل التحدي رغم اتفاقها في موضوع واحد إلا أن المرحلة الأخيرة تختلف عما سبقها من حيث التنزيل والسياق والأسلوب، لذلك فإننا نرى أن التحدي في مراحله الأولى كان بيانياً، فالعرب الذين وُجِّه لهم كان

(١) انظر: تفسير ابن كثير(١/ ١٩٩).

البيان بضاعتهم دون منازعٍ، أما سورة البقرة التي وُجّه الخطابُ فيها للناس جميعاً فإننا نرى أن التحدي فيها كان عاماً لا يقف عند البيان وحده، لذا كانت آيةُ البقرة آخر مراحل التحدي.

فإعجاز القرآن إذن لا يقف عند جمال الأسلوب وروعة البيان وإنما ينتظم فيما ينتظم أموراً كثيرةً»[١].

المطلب الخامس : أهمية مقدمات التفاسير والتعريف بها ونشأتها

أولاً: تعريف المقدمة.

في اللغة: القاف والدال والميم أصل صحيح يدل على سبق ورعف، والمقدِّمة: الناصية، وما استقبل من الجبهة والجبين[٢]، ومقدمة الجيش أوله الذين يتقدمون الجيش، قال ابن منظور: وقيل يجوز بالفتح (مقدَّمة)[٣].

أما في **الاصطلاح:** قال التفتازاني: يقال مقدمة الكتاب لطائفة من كلامه قدمت أمام المقصود لارتباط له بها، وانتفاع بها فيه، سواء توقف عليها أم لا[٤].

وفي الكليات: مقدمة الكتاب: ما يتوقف عليه الشرح على بصيرة[٥].

وقال التهانوي: مقدمة الكتاب طائفة من الألفاظ قدمت أمام المقصود لدلالتها على ما ينفع في تحصيل المقصود، سواء كان مما يتوقف المقصود عليه فيكون مقدمة العلم، أو لا فيكون من معاني مقدمة الكتاب، من غير أن يكون مقدمة العلم[٦].

وحول هذا المعنى تحدث القلقشندي في مقدمة كتابة (صبح الأعشى) فقال:

---

(١) إعجاز القرآن الكريم لفضل عباس (٢٨).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٦٥ / ٥).

(٣) لسان العرب لابن منظور (٤٦٨ / ١٢).

(٤) المطول على التلخيص للتفتازاني (١٣).

(٥) الكليات لأبي البقاء(٦٣٦).

(٦) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١٢١٦/ ٥).

المقدمة للكتاب كالأساس من البنيان، ثم قال: والطريق إلى إصابة المعنى في هذه المقدمات أن تجعل مشتملة على ما بعدها من المقاصد والأغراض[١].

قال ابن عطية في تفسيره: ولنقدم بين يدي التفسير أشياء قد قدم أكثرها المفسرون، وأشياء ينبغي أن تكون راسخة في حفظ الناظر في هذا العلم مجتمعة لذهنه[٢].

ثانيا: نشأة مقدمات التفاسير.

كان من أوائل من كتب مقدمة بين يدي تفسيره عبد الرزاق الصنعاني المتوفى سنة(٢١١هـ) غير أنه لم يتوسع في مقدمته فقد اكتفى بتقديم جملة من الآثار في بعض المواضيع المتعلقة بنزول القرآن[٣]، ثم تلاه ابن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١٠هـ) ثم تبعهما آخرون توسعوا في موضوعات مقدماتهم، وجمعوا أدلة وآثار وناقشوها، كما اهتموا بالتعليق والتعقيب على أقوال من سبقهم من المفسرين، وممن اشتهر بعلم المقدمات أهل المغرب والأندلس فاهتموا بذلك اهتماماً بالغاً، وكان في مقدمتهم ابن عطية والقرطبي وابن جزي وغيرهم.

ثم جاء السيوطي ليضع كتابه الماتع (الإتقان في علوم القرآن) كمقدمة كبيرة، لتفسيره المسمى (مجمع البحرين ومطلع البدرين، الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية)[٤]، ولكن الكتاب لسعته وعدم كمال أصله أخذ استقلاليته.

المطلب السادس: أهم كتب التفسير المتضمنة لإعجاز القرآن الكريم

أما المفسرون فيرجع أول ما نعرفه عنهم في الإعجاز إلى نهاية القرن الثالث أو بداية القرن الرابع، فمما أُلِّفَ في القرن الثالث كتاب ابن جرير الطبري المتوفى سنة

(١) صبح الأعشى للقلقشندي (٢٦٧/ ٥).

(٢) انظر: تفسير ابن عطية (١٢ / ١).

(٣) علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير لمحمد حقي (٢٣ / ١).

(٤) انظر: الإتقان للسيوطي (١٦/ ١).

٣١٠هـ، ويقع هذا الكتاب في ثلاثين مجلداً كبيراً، وكان مثالاً احتذاه المفسرون المتأخرون كلهم.

وقد جاء على أثر الطبري من المفسرين الأولين المتحدثين في الإعجاز الراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢هـ، والزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ، وابن عطية الغرناطي المتوفى سنة ٥٤٢هـ، وفخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ، وابن كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٠هـ، وأبو السعود المتوفى سنة ٩٨٢هـ، والألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ، ومحمد رشيد رضا، وطنطاوي جوهري من المعاصرين.

رقم	المفسر	الكتاب
١.	محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)	جامع البيان عن تأويل آي القرآن
٢.	أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)	تفسير الماوردي المسمى النكت والعيون
٣.	أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)	تفسير الراغب الأصفهاني
٤.	أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل
٥.	أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز
٦.	أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)	مفاتيح الغيب المسمى التفسير الكبير

٧.	أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)	تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن
٨.	أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)	التسهيل لعلوم التنزيل
٩.	أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ).	البحر المحيط في التفسير
١٠.	شمس الدين احمد بن سليمان بن كمال باشا الرومي الحنفي (المتوفى: سنة ٩٤٠هـ)	تفسير ابن كمال باشا
١١.	أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)	تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم
١٢.	شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني
١٣.	محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)	محاسن التأويل(تفسير القاسمي)
١٤.	محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)	التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)

المبحث الثاني

نتائج استقراء إعجاز القرآن في مقدمات أشهر كتب التفسير

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: محاور وموضوعات إعجاز القرآن الكريم في مقدمات كتب التفسير.

رقم	الكتاب	موضوعات إعجاز القرآن
١.	جامع البيان عن تأويل آي القرآن	حفظ القرآن، إعجاز الفصاحة والبيان[١].
٢.	تفسير الماوردي المسمى النكت والعيون	ذكر ثمانية أوجه من وجوه إعجاز القرآن وهي: ١- الإعجاز والبلاغة . ٢-البيان والفصاحة . ٣- الوصف الذي تنقضي به العادة . ٤-قارئه لا يكل، وسامعه لا يمل تلاوته تزيده حلاوةً في النفوس، وميلاً إلى القلوب . ٥- ما فيه من الإخبار بما كان مما علموه، أو لم يعلموه . ٦-ما فيه من علم الغيب، والإخبار بما يكون٧-كونه جامعاً لعلوم لم تكن فيهم آلاتها. ٨- الصرفة بنوعيها.
٣.	تفسير الراغب الأصفهاني	معجزات الأنبياء وأنواعها: ١-حسي ٢-عقلي، إعجاز القرآن عل مر العصور.

(١) وقد اقتصر الطبري في مقدمته على الإلماح لموضوع إعجاز القرآن بينما فصل فيه في ثنايا تفسيره.

		ما هو المعجز في القرآن: اللفظ أم المعنى أم النظم أم ثلاثتها: إعجازه بالنظم المخصوص، مراتب النظم، تعريف المعجز وضوابطه، وجوه الإعجاز ١- إعجاز الفصاحة ٢- الصرفة. [١]
٤.	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز	وجوه الإعجاز: ١- التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات٢-إن التحدي وقع بما في كتاب الله تعالى من الأنباء الصادقة، والغيوب المسرودة٣- الإعجاز بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه وهو الصحيح، بطلان من قال بالصرفة والرد عليهم[٢].
٥.	تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن	-تعريف المعجزة – شروط المعجزة: ١-أَنْ تَكُونَ مِمَّا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللهُ - ٢ - أَنْ تَخْرِقَ الْعَادة ٣-أَنْ يَسْتَشْهِدَ بِهَا مُدَّعِي الرِّسَالَةِ عَلَى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ - ٤ - أَنْ تَقَعَ عَلَى وَفْقِ دَعْوَى الْمُتَحَدِّي بِهَا - ٥-ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة. -أنواع المعجزات: أولاً :مَا اشْتَهَرَ نَقْلُهُ وَانْقَرَضَ عَصْرُهُ بِمَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَالثَّانِي مَا تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ بِصِحَّتِهِ وَحُصُولِهِ، وَاسْتَفَاضَتْ بِثُبُوتِهِ وَوُجُودِهِ، بقاء معجزة القرآن على مر العصور وحفظ من التحريف. *وجوه إعجاز القرآن عشرة: ١-النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها ٢- الأسلوب المخالف لجميع

(١) تفسير الراغب (٤٢-٤٥/ ١).

(٢) المحرر الوجيز(٥٢/ ١).

		أساليب العرب ٣-الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال ٤- التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي، حتى يقع منهم الاتفاق من جميعهم على إصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه ٥- الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا ٦- الوفاء بالوعد من الله ٧-الإخبار عن المغيبات في المستقبل ٨-ما تضمنه القرآن من العلم ٩-الحكم البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها وشرفها من آدمي ١٠-التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف، بطلان القول بالصرفة والرد على من قال بها.
٦.	التسهيل لعلوم التنزيل	وجوه الإعجاز عشرة:١- فصاحته التي امتاز بها عن كلام المخلوقين ٢-نظمه العجيب ٣-عجز المخلوقين في زمان نزوله وبعد ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله ٤-ما أخبر فيه من أخبار الأمم السالفة ٥-ما أخبر فيه من الغيوب المستقبلة ٦-ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله ٧-ما شرع فيه من الأحكام وبين من الحلال والحرام، وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق ٨-كونه محفوظاً عن الزيادة والنقصان ٩-تيسيره للحفظ ١٠- كونه لا يمله قارئه ولا سامعه على كثرة الترديد[١]

(١) التسهيل لعلوم التنزيل(٢٦/ ١).

٧.	البحر المحيط في التفسير	وجوه الإعجاز: إعجاز الفصاحة والبلاغة، الصرفة وذكر بطلان القول بها، ذكر نماذج ممن أدرك إعجاز القرآن فأسلم ومن أدركها فكفر وعاند، ذكره للتفاسير
٨.	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني	ذكر وجوه الإعجاز: إعجاز في النظم والوزن والأسلوب، إعجاز البلاغة، إعجازه في ذكر المغيبات، إعجازه في كونه غير متناقض ولا مختلف، موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى، إعجازه قدمه، الصرفة، الإعجاز بجملته وبالنظر إلى نظمه وبلاغته وإخباره عن الغيب، الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأنه لا يمله تاليه بل يزداد حبا له بالترديد، وكونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه، مناقشة جميع وجوه الإعجاز وذكر أقوال المعترضين والرد عليها ،الذي يراه ويقول به: أن القرآن معجز بالنظر إلى نظمه وبلاغته وإخباره عن الغيب وموافقته لقضية العقل ودقيق المعنى.
٩.	محاسن التأويل (تفسير القاسمي)	وجوه إعجاز القرآن الكريم: الأسلوب البديع، ومنها الإخبار بالقصص والأحكام والملل السابقة، ومنها الإخبار بأحوال مستقبلة، ومنها الدرجة العليا في البلاغة مما ليس مقدوراً للبشر، ومن جملة وجوه الإعجاز ما لا يتيسر فهمه لغير المتدبرين في أسرار الشرائع.
١٠.	التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد	ذكر من ألف في إعجاز القرآن، ومراتبهم في ذلك، وجوه الإعجاز: الصرفة، بُلُوغُ الْقُرْآنِ فِي دَرَجَاتِ الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ مَبْلَغًا تَعْجِزُ قُدْرَةُ بُلَغَاءِ الْعَرَبِ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي يعْتَمِدُهُ وَيسِيرُ عَلَيْهِ.

	مـــــن تفســـــير الكتاب المجيد)	-نَرَى مِلَاكَ وُجُوهِ الْإِعْجَازِ رَاجِعًا إِلَى ثَلَاثِ جِهَاتٍ: الْجِهَةُ الْأُولَى: بُلُوغُهُ الْغَايَةَ الْقُصْوَى مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَبْلُغَهُ الْكَلَامُ الْعَرَبِيُّ الْبَلِيغُ مِنْ حُصُولِ كَيْفِيَّاتٍ فِي نَظْمِهِ مُفِيدَةٍ مَعَانِيَ دَقِيقَةً وَنُكَتًا مِنْ أَغْرَاضِ الْخَاصَّةِ مِنْ بُلَغَاءِ الْعَرَبِ مِمَّا لَا يُفِيدُهُ أَصْلُ وَضْعِ اللُّغَةِ، بِحَيْثُ يَكْثُرُ فِيهِ ذَلِكَ كَثْرَةً لَا يُدَانِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْبُلَغَاءِ مِنْ شُعَرَائِهِمْ وَخُطَبَائِهِمْ. الْجِهَةُ الثَّانِيَةُ: مَا أَبْدَعَهُ الْقُرْآنُ مِنْ أَفَانِينِ التَّصَرُّفِ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ مَعْهُودًا فِي أَسَالِيبِ الْعَرَبِ، وَلكنه غير خارج عَمَّا تَسْمَحُ بِهِ اللُّغَةُ. الْجِهَةُ الثَّالِثَةُ: مَا أُودِعَ فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي الْحِكَمِيَّةِ وَالْإِشَارَاتِ إِلَى الْحَقَائِقِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ مِمَّا لَمْ تَبْلُغْ إِلَيْهِ عُقُولُ الْبَشَرِ فِي عَصْرِ نُزُولِ الْقُرْآنِ وَفِي عُصُورٍ بَعْدَهُ مُتَفَاوِتَةٍ، وَهَذِهِ الْجِهَةُ أَغْفَلَهَا الْمُتَكَلِّمُونَ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ مِنْ عُلَمَائِنَا مِثْلَ أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيِّ وَالْقَاضِي عِيَاضٍ. -مَا انْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ مِمَّا دَلَّ عَلَى أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عَلَّامِ الْغُيُوبِ. - مَا أَنْبَأَ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ - إِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْمُعْجِزَةُ الْمُسْتَمِرَّةُ عَلَى تَعَاقُبِ السِّنِينَ. - مبتكرات الْقُرْآن: فَمِنْهَا أَنَّهُ جَاءَ عَلَى أُسْلُوبٍ يُخَالِفُ الشِّعْرَ لَا مُحَالَةَ، وَمِنْهَا أَنْ جَاءَ عَلَى أُسْلُوبِ التَّقْسِيمِ وَالتَّسْوِيرِ، وَمِنْهَا الْأُسْلُوبُ الْقَصَصِيُّ فِي حِكَايَةِ أَحْوَالِ النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، ومنها إيجاز القرآن بأنواعه، ومنها الجزالة والرقة. - عادات القرآن - أقسام الإعجاز العلمي.

المطلب الثاني: مقدمات كتب التفسير وما فيها من موضوعات إعجاز القرآن الكريم.

موضوعات إعجاز القرآن الكريم	المفسر
تعريف الإعجاز والمعجزة وشروطها	القرطبي، الراغب الأصفهاني، ابن عاشور
ذكر من ألف في إعجاز القرآن، ومراتبهم في ذلك	ابن عاشور
معجزات الرسول، ومعجزات الأنبياء وأنواعها	القرطبي، الراغب الأصفهاني
ذكر نماذج ممن أدرك إعجاز القرآن فأسلم ومن أدركها فكفر وعاند	أبو حيان
أوجه الإعجاز	الماوردي، وابن عطية، والقرطبي، وابن جزي، وأبو حيان والراغب الأصفهاني والزمخشري والرازي والألوسي وابن عاشور: الماوردي، وابن عطية، والقرطبي ، وابن جزي، وأبو حيان.
وجه: الصرفة والمنع والقول ببطلانها	الماوردي، الراغب الأصفهاني، ابن عطية، الرازي، القرطبي، أبو حيان، الألوسي، ابن عاشور.
وجه: الإعجاز والبلاغة	الماوردي والقرطبي، أبو حيان، الألوسي، القاسمي، ابن عاشور
وجه: البيان والفصاحة	الطبري،الماوردي،ابن جزي، الزمخشري

وجه: النظم البديع ومراتب النظم	الراغـــب الأصـــفهاني، الزمخشـــري، القرطبـي، ابـن جـزي، المـاوردي، ابـن عطية، أبو حيان، الألوسي
وجـــه: الأســـلوب المخـــالف لجميـــع أساليب العرب	القرطبـي، ابـن جـزي، الألـوسي، ابـن عاشور
وجه الجزالة	القرطبي، ابن عاشور
وجه: أن قارئه لا يكلّ وسامعه لا يمل، وإكثار تلاوته تزيده حلاوة في النفوس	الماوردي، ابن جزي، الألوسي
وجه: الإخبار عن الأمور التي تقدمت	المـاوردي، ابـن عطيـة، القرطبـي، ابـن جزي، ابن عاشور
وجه: الإخبار عن المغيبات في المستقبل	المـاوردي، القرطبـي، الألـوسي، ابـن عاشور
وجه: كونـه جامعـا لعلـوم لم تكـن فـيهم آلاتها، ولا تتعاطى العرب الكلام فيها	الماوردي، ابن عاشور
وجه: الوفـاء بالوعـد المـدرك بـالحس في العيان	القرطبي
وجه: ما تضمنه القرآن من العلـم الـذي هو قوام جميع الأنام، في الحلال والحرام، وفي سائر الأحكام، ومـا أرشـد إليـه مـن مكارم الأخلاق	القرطبي، ابن جزي
وجه: الحكـم البالغـة التـي لم تجـر العـادة بأن تصدر مع كثرتها من آدمي	القرطبي، ابن عاشور

وجه: التناسب في جميع ما تضمنه ظاهرا وباطنا من غير اختلاف	القرطبي، الألوسي
وجه: موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى.	الألوسي، ابن عاشور
وجه: ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله	ابن عطية، ابن جزي
وجه: كونه محفوظاً من الزيادة والنقصان	الطبري، القرطبي، ابن جزي، الألوسي.
وجه: تيسير القرآن للحفظ	ابن جزي
وجه: عجز المخلوقين في زمان نزوله وبعد ذلك عن الإتيان بمثله	ابن جزي، ابن عطية، ابن عاشور

المطلب الثالث: التعليق على الجداول

من خلال النظر في مقدمات كتب التفسير، يظهر أن أغلب مباحث موضوعات إعجاز القرآن فيها ترتكز على موضوعات رئيسية تندرج تحتها عدة مباحث، وهي كالتالي:

أولاً: تعريف المعجزة والإعجاز وشروط المعجزة: كان ممن تناول هذا المحور القرطبي والراغب الأصفهاني وابن عاشور، وانفرد القرطبي بذكر شروط المعجزة حيث يقول: «المعجزة واحدة، معجزات الأنبياء الدالة على صدقهم صلوات الله عليهم، وسميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، وشرائطها خمسة فإن اختل منها شرط لا تكون معجزة:

فالشرط الأول: من شروطها أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه...

والشرط الثاني: هو أن تخرق العادة..

والشرط الثالث: هو أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عز وجل.

الشرط الرابع: هو أن تقع على وفق دعوى المتحدي بها المستشهد بكونها معجزة له.

والشرط الخامس: من شروط المعجزة ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة.

فإن تم الأمر المتحدى به المستشهد به على النبوة على هذا الشرط مع الشروط المتقدمة فهي معجزة دالة على نبوة من ظهرت على يده، فإن أقام الله تعالى من يعارضه حتى يأتي بمثل ما أتى به ويعمل مثل ما عمل بطل كونه نبياً، وخرج عن كونه معجزا ولم يدل على صدقه، ولهذا قال المولى سبحانه:" فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين»[(١)].

ثانياً: ذكر من ألف في إعجاز القرآن، ومراتبهم في ذلك: يقول ابن عاشور في مقدمة تفسيره الجامعة[(٢)]: «ولعلك تجد في هذه المقدمة أصولاً ونكتاً أغفلها من تقدموا ممن تكلموا في إعجاز القرآن مثل الباقلاني، والرماني، وعبد القاهر، والخطابي، وعياض، والسكاكي، فكونوا منها بالمرصاد.. ».

ثالثاً: معجزات الرسول، ومعجزات الأنبياء وأنواعها: يقول الراغب الأصفهاني في تفسيره[(٣)]: «المعجزات التي أتى بها الأنبياء - عليهم السلام - ضربان: حسي وعقلي: فالحسي: ما يدرك بالبصر، كناقة صالح، وطوفان نوح، ونار إبراهيم وعصى موسى - عليهم السلام - والعقلي: ما يدرك بالبصيرة، كالإخبار عن الغيب تعريضاً وتصريحاً، والإتيان بحقائق العلوم التي حصلت عن غير تعلم، فأما الحسي: فيشترك في إدراكه العامة والخاصة، وهو أوقع عند طبقات العامة، وأخذ بمجامع قلوبهم، وأسرع لإدراكهم».

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٦٩-٧٢ / ١).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٠١/ ١).

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني (٤٢ / ١).

أما القرطبي فيرى أن المعجزات على ضربين آخرين فيقول[١]: «إذا ثبت هذا فاعلم أن المعجزات على ضربين:

الأول: ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبي ﷺ.

والثاني ما تواترت الأخبار بصحته وحصوله، واستفاضت بثبوته ووجوده، ووقع لسامعها العلم بذلك ضرورة، ومن شروطه أن يكون الناقلون له: خلقا كثيراً وجماً غفيراً، وأن يكونوا عالمين بما نقلوه علماً ضرورياً، وأن يستوي في النقل أولهم وآخرهم ووسطهم في كثرة العدد، حتى يستحيل عليهم التواطؤ على الكذب، وهذه صفة نقل القرآن».

رابعاً: ذكر نماذج ممن أدرك إعجاز القرآن فأسلم ومن أدركها فكفر وعاند:

قال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط[٢]: «فمن أدرك إعجازه، فوفق وأسلم بأول سماع سمعه، أبو ذر، رضي الله عنه، قرأ عليه رسول الله ﷺ من أوائل فصلت آيات فأسلم للوقت، وخبره في إسلامه مشهور، وممن أدرك إعجازه وكفر عناداً عتبة بن ربيعة، وكان من عقلاء الكفار، حتى كان يتوهم أمية بن الصلت أنه هو، يعني عتبة يكون النبي المنبعث في قريش ، فلما بعث الله محمداً ﷺ، حسده عتبة وأضرابه، مع علمهم بصدقه، وأن ما جاء به معجز ، وكذلك الوليد بن المغيرة، روي عنه أنه قال لبني مخزوم: والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن ، إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يعلى، ومع هذا الاعتراف غلب عليه الحسد والأشر، حتى قال، ما حكى الله عنه: إن هذا إلا سحر يؤثر، إن هذا إلا قول البشر، وممن لم يدرك إعجازه، أو أدرك وعاند وعارض، مسيلمة الكذاب، أتى بكلمات زعم أنها أوحيت إليه، انتهت

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٢ / ١).

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان (١٨/ ١).

في الفهاهة والعي والغثاثة، بحيث صارت هزأة للسامع».

خامساً: الصرفة والمنع وبيان بطلانها: وهي من أكثر موضوعات الإعجاز طروقاً في مقدمات كتب التفسير، وكان ممن تعرض لها في مقدمة تفسيره: الماوردي والراغب الأصفهاني، وابن عطية، والقرطبي، وأبو حيان، والألوسي، وابن عاشور.

يقول ابن عطية: «وبهذا النظر يبطل قول من قال: «إن العرب كان من قدرتها أن تأتي بمثل القرآن فلما جاء محمد ﷺ صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه»، والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يصنع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولاً كاملاً، ثم تعطى لآخر نظيره فيأخذها بقريحة جامة فيبدل فيها وينقح ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل، كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد»[(١)].

ويقول الألوسي في روح المعاني مبينا أوجه الرد على من قال بالصرفة: «واعترض بأربعة أوجه:

الأول: أنه يستلزم أن يكون المعجز الصرفة لا القرآن وهو خلاف ما عليه إجماع المسلمين من قبل.

الثاني: أن التحدي وقع بالقرآن على كل العرب فلو كان الإعجاز بالصرفة لكانت على خلاف المعتاد بالنسبة إلى كل واحد ضرورة تحقق الصرفة بالنسبة إليه فيكون الإتيان بمثل كلام القرآن معتاداً له والمعتاد لكل ليس هو الكلام الفصيح بل خلافه فيلزم أن يكون القرآن كذلك وليس كذلك.

الثالث: أنه يستلزم أن يكون مثل القرآن معتاداً من قبل لتحقق الصرفة من بعد فتجوز المعارضة بما وجد من كلامهم مثل القرآن قبلها.

---

(١) المحرر الوجيز، لابن عطية (٥٢ / ١).

الرابع: وهو خاص بمذهب المرتضى أنه لو كان الإعجاز بفقدهم العلوم لتناطقوا به ولو تناطقوا لشاع إذ العادة جارية بالتحدث بالخوارق فحيث لم يكن دل على فساد الصرفة بهذا الاعتبار.

واستدل بعضهم على فساد القول بها بقوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾ [الإسراء: ٨٨] الآية فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم لأنه بمنزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره ولا بأس بانضمامه إلى ما ذكرناه، وأما الاكتفاء به في الاستدلال فلا أظنك ترضاه»[(١)].

سادساً: وجوه الإعجاز: فذكر الماوردي ثمانية أوجه، واكتفى ابن عطية وأبو حيان والراغب الأصفهاني بوجهين من الأوجه الثمانية، واشترك القرطبي وابن جزي في ذكر عشرة أوجه، أما الألوسي فذكر أحد عشر وجهاً وناقشها، واقتصر القاسمي على خمسة أوجه.

يقول الطاهر ابن عاشور: «لم أر غرضا تناضلت له سهام الأفهام، ولا غاية تسابقت إليها جياد الهمم فرجعت دونها حسرى، واقتنعت بما بلغته من صبابة نزرا، مثل الخوض في وجوه إعجاز القرآن، فإنه لم يزل شغل أهل البلاغة الشاغل، وموردها للمعلول والناهل، ومغلى سبائها للنديم والواغل، ولقد سبق أن ألف علم البلاغة مشتملا على نماذج من وجوه إعجازه، والتفرقة بين حقيقته ومجازه، إلا أنه باحث عن كل خصائص الكلام العربي البليغ ليكون معيارا للنقد أو آلة للصنع، ثم ليظهر من جراء ذلك كيف تفوق القرآن على كل كلام بليغ بما توفر فيه من الخصائص التي لا تجتمع في كلام آخر للبلغاء حتى عجز السابقون واللاحقون منهم عن الإتيان بمثله»[(٢)].

---

(١) روح المعاني للألوسي (٢٩-٣٠/ ١).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٠١/ ١).

سابعاً: وجه الإعجاز والبلاغة: وهو أول وجه يورده المفسرون غالباً في بيان وجوه إعجاز القرآن، وقد ذكر هذا الوجه من وجوه الإعجاز كلاً من: الماوردي والقرطبي، وأبو حيان، والألوسي، وابن عاشور.

يقول الماوردي: «فأما إعجاز القرآن الذي عجزت به العرب عن الإتيان بمثله، فقد اختلف العلماء فيه على ثمانية أوجه: أحدها: أن وجه إعجازه، هو الإعجاز والبلاغة، حتى يشتمل يسير لفظه على كثير المعاني، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ فجمع في كلمتين، عدد حروفهما عشرة أحرف، معاني كلام كثير..».

ثامناً: وجه البيان والفصاحة: أي فصاحة وبيان القرآن التي امتاز بها عن كلام المخلوقين وقد ألمح إلى هذا الوجه الطبري، وذكره صريحا كلاً من: الماوردي، ابن جزي.

يقول الطبري في مقدمة تفسيره: «فلا شك أن أعلى منازل البيان درجةً، وأسنى مراتبه مرتبةً، أبلغُه في حاجة المُبِين عن نفسه، وأبينُه عن مراد قائله، وأقربُه من فهم سامعه ، فإن تجاوز ذلك المقدار، وارتفع عن وُسْع الأنام، وعجز عن أن يأتي بمثله جميعُ العباد، كان حجةً وعَلَماً لرسل الواحد القهار -كما كان حجةً وعَلَماً لها إحياءُ الموتى وإبراءُ الأبرص وذوي العمى، بارتفاع ذلك عن مقادير أعلى منازل طبّ المتطببين وأرفع مراتب عِلاج المعالجين، إلى ما يعجز عنه جميع العالَمِين»[(١)].

تاسعاً: النظم البديع ومراتب النظم: وقد تناول هذا الوجه من وجوه الإعجاز كلاً من: الراغب الأصفهاني، والقرطبي، وابن جزي، والماوردي، وابن عطية، وأبو حيان، والألوسي.

يقول القرطبي[(٢)]: «من وجوه الإعجاز: النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها، لأن نظمه ليس من نظم الشعر في شيء».

---

(١) انظر : جامع البيان للطبري (٩/ ١).

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٣/ ١).

يقول الراغب الأصفهاني في مقدمة تفسيره[١]: «فإذا ثبت أن الإعجاز المختص بالقرآن متعلق بالنظم المخصوص، وبيان كونه معجزاً هو أن نبين نظم الكلام، ثم نبين أن هذا النظم مخالف لنظم سائره، فنقول: لتأليف الكلام خمس مراتب:

الأولى: ضم حروف التهجي بعضها إلى بعض، حتى يتركب منها الكلمات الثلاث: الاسم والفعل والحرف.

والثانية: أن يؤلف بعض ذلك مع بعض حتى يتركب منها لجمل المفيدة، وهي النوع الذي يتداوله الناس جميعاً في مخاطباتهم، وقضاء حوائجهم، ويقال له: المنثور من الكلام.

والثالثة: أن يضم بعض ذلك إلى بعض ضماً له مبادئ ومقاطع، ومداخل ومخارج، ويقال له المنظوم.

والرابعة: أن يجعل له في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ويقال له: المسجع.

الخامسة: أن يجعل له مع ذلك وزن مخصوص، ويقال له الشعر.

وبالحق صار كذلك: فإن الكلام إما منثور فقط، أو مع النثر نظم، أو مع النظم سجع، أو مع السجع وزن، والمنظوم: إما محاورة، ويقال لها: الخطابة، وإما مكاتبة، ويقال لها: الرسالة، وأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الجملة، ولكن من ذلك نظم مخصوص، والقرآن حاو لمحاسن جميعه بنظم ليس هو نظم شيء منها بدلالة أنه لا يصح أن يقال: القرآن رسالة، أو خطابة، أو شعر، كما يصح أن يقال: هو كلام، ومن قرع سمعه فصل بينه وبين سائر النظم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت:٤١-٤٢]».

عاشراً: وجه الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب: وقد ذكر هذا الوجه كلاً من: الطبري والقرطبي، وابن جزي، والألوسي، والقاسمي، وابن عاشور.

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (٤٥/ ١).

يقول ابن عاشور في التحرير والتنوير[1]: «فمنها أنه جاء على أسلوب يخالف الشعر لا محالة، وقد نبه عليه العلماء المتقدمون، وأنا أضم إلى ذلك أن أسلوبه يخالف أسلوب الخطابة بعض المخالفة، بل جاء بطريقة كتاب يقصد حفظه وتلاوته، وذلك من وجوه إعجازه إذ كان نظمه على طريقة مبتكرة ليس فيها اتباع لطرائقها القديمة في الكلام».

الحادي عشر: جزالة ألفاظ القرآن: وقد أورد هذا الوجه كلاً من القرطبي وابن عاشور، يقول القرطبي: «منها: الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال، وتأمل ذلك في سورة ق، قال تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ إلى آخرها، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] إلى آخر السورة، وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢] إلى آخر السورة. قال ابن الحصار: فمن علم أن الله سبحانه وتعالى هو الحق، علم أن مثل هذه الجزالة لا تصح في خطاب غيره ، لا يصح من أعظم ملوك الدنيا أن يقول: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، ولا أن يقول: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ١٣].

الثاني عشر: وجه: أن قارئه لا يكلّ وسامعه لا يمل، وإكثار تلاوته تزيده حلاوة في النفوس: ذكر هذا الوجه كلاً من الماوردي، وابن جزي، والألوسي.

يقول الماوردي في مقدمة تفسيره النكت والعيون[2]:«والرابع: أن وجه إعجازه، هو أن قارئه لا يكل، وسامعه لا يمل، وإكثار تلاوته تزيده حلاوةً في النفوس، وميلاً إلى القلوب، وغيره من الكلام، وإن كان مستحسن النظم مستعذب النثر، يمل إذا أعيد ويستثقل إذا ردد».

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٢٠/ ١).

(٢) النكت والعيون للماوردي (٣٢/ ١).

الثالث عشر: وجه إخبار القرآن عن الأمور التي تقدمت: وقد جعله أحد أوجه الإعجاز كلاً من: الماوردي، وابن عطية، والقرطبي، وابن جزي، والقاسمي، وابن عاشور.

يقول القرطبي(١): «الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى وقت تزوله من أمي ما كان يتلو من قبله من كتاب، ولا يخطه بيمينه، فأخبر بما كان من قصص الأنبياء مع أممها، والقرون الخالية في دهرها، وذكر ما سأله أهل الكتاب عنه، وتحدوه به من قصص أهل الكهف، وشأن موسى والخضر عليهما السلام، وحال ذي القرنين، فجاءهم وهو أمي من أمة أمية، ليس لها بذلك علم بما عرفوا من الكتب السالفة صحته، فتحققوا صدقه ، قال القاضي ابن الطيب: ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل إليه إلا عن تعلم، وإذا كان معروفاً أنه لم يكن ملابساً لأهل الآثار، وحملة، الأخبار، والا متردداً إلى المتعلم منهم، ولا كان منن يقرأ فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه، علم أنه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي».

الرابع عشر: وجه الإخبار عن المغيبات في المستقبل: أورد هذا الوجه من وجوه الإعجاز كلاً من: الماوردي، القرطبي، الألوسي، والقاسمي، وابن عاشور.

يقول القرطبي(٢): الإخبار عن المغيبات في المستقبل التي لا يطلع عليها إلا بالوحي، فمن ذلك: ما وعد الله نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣] الآية، ففعل ذلك ، وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم الله في إظهار دينه، ليثقوا بالنصر، وليستيقنوا بالنجح،

(١) انظر : تفسير القرطبي (٧٤/ ١).

(٢) المصدر السابق (٧٥ / ١).

وكان عمر يفعل ذلك: فلم يزل الفتح يتوالى شرقاً وغرباً، براً وبحراً، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور:٥٥]، وقال: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]. وقال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧] فهذه كلها أخبار عن الغيوب التي لا يقف عليها إلا رب العالمين، أو من أوقفه عليها رب العالمين».

ويقول ابن عاشور[(١)]: «وقد عد كثير من العلماء من وجوه إعجاز القرآن ما يعد جهة رابعة هي ما انطوى عليه من الأخبار عن المغيبات مما دل على أنه منزل من علام الغيوب».

الخامس عشر: كونه جامعاً لعلوم لم تكن فيهم آلاتها، ولا تتعاطى العرب الكلام فيها: وقد أورد هذا الوجه: الماوردي وابن عاشور، يقول الماوردي[(٢)]: «والسابع: أن وجه إعجازه، هو كونه جامعاً لعلوم لم تكن فيهم آلاتها، ولا تتعاطى العرب الكلام فيها، ولا يحيط بها من علماء الأمم واحد، ولا يشتمل عليها كتاب وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقال: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] وقال النبي ﷺ: «**فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم هو الحق ليس بالهزل من طلب الهدى من غيره ضل**» وهذا لا يكون إلا عند الله الذي أحاط بكل شيء علماً».

السادس عشر: وجه: الوفاء بالوعد المدرك بالحس في العيان: يقول القرطبي[(٣)]: «ومن وجوه الإعجاز الوفاء بالوعد، المدرك بالحس في العيان، في كل ما وعد الله

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور(١٠٥/ ١).

(٢) النكت والعيون، للماوردي (٣٢/ ١).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي(٧٤/ ١).

سبحانه، وينقسم: إلى أخباره المطلقة، كوعده بنصر رسوله عليه السلام، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه، وإلى مقيد بشرط، كقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] ».

السابع عشر: ما تضمنه القرآن من العلم الذي هو قوام جميع الأنام، في الحلال والحرام، وفي سائر الأحكام، وما أرشد إليه من مكارم الأخلاق: وقد ذكر هذا الوجه القرطبي، وابن جزي، يقول ابن جزي[١]: «ومن وجوه إعجازه ما شرع فيه من الأحكام وبين من الحلال والحرام، وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق، وذلك غاية الحكمة وثمرة العلوم».

الثامن عشر: الحكم البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر مع كثرتها من آدمي[٢]: وقد ذكره كلاً من القرطبي، ابن عاشور.

التاسع عشر: التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف: وقد أورد هذا الوجه كلاً من القرطبي، الألوسي، يقول الألوسي: «وجه الإعجاز عدم التناقض والاختلاف مع الطول والامتداد»[٣]، ويقول القرطبي: «ومنها التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف: قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

العشرون: وجه موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى: أورد هذا الوجه كلاً من الألوسي، ابن عاشور.

يقول الألوسي في مقدمة روح المعاني[٤]: «وأما إعجاز موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى فلأنه اشتمل على توحيد الله تعالى وتنزيهه والدعاء إلى طاعته وبيان

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢٦/ ١).
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٥/ ١).
(٣) المصدر السابق (٧٥/ ١).
(٤) روح المعاني، للألوسي (٣٣/ ١).

طرق عبادته من تحليل وتحريم ووعظ وتعليم وأمر بمعروف ونهي عن منكر وإشارة إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساويها واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يرى أولى منه ولا أليق ولا يتصور أحرى من ذاك ولا أخلق جامعاً بين الحجة والمحتج له والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه وامتثال ما أمر به واجتناب ما نهي عنه».

الحادي والعشرون: ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله: وقد ذكر هذا الوجه ابن عطية، وابن جزي، يقول ابن جزي[(١)]: «ومن وجوه إعجازه: ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله ، وذكر صفاته وأسمائه، وما يجوز عليه ، وما يستحيل عليه، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده، وإقامة البراهين القاطعة، والحجج الواضحة، والردّ على أصناف الكفار، وذلك كله يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه، بل بوحي من العليم الخبير، ولا يشك عاقل في صدق من عرف الله تلك المعرفة وعظم جلاله ذلك التعظيم ودعا عباد الله إلى صراطه المستقيم».

الثاني والعشرون: كونه محفوظا من الزيادة والنقصان: وقد ذكر هذا الوجه كلاً من الطبري، القرطبي، ابن جزي، الألوسي.

الثالث والعشرون: وجه: تيسير القرآن للحفظ[(٢)]: وذلك معلوم بالمعاينة ذكره ابن جزي.

الرابع والعشرون: عجز المخلوقين في زمان نزوله وبعد ذلك عن الإتيان بمثله: وقد ذكره كلاً من: ابن جزي، وابن عطية، وابن عاشور.

الخامس والعشرون: ما لا يتيسر فهمه لغير المتدبرين في أسرار الشرائع:

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢٦/ ١).

(٢) المصدر السابق.

يقول القاسمي في مقدمة تفسيره[١]: «من جملة وجوه الإعجاز ما لا يتيسر فهمه لغير المتدبرين في أسرار الشرائع.

وذلك أن العلوم الخمسة نفسها، تدل على أن القرآن نازل من عند الله لهداية بني آدم، كما أن عالم الطب إذا نظر في القانون ولا حظ تحقيقه وتدقيقه في بيان أسباب الأمراض وعلاماتها، ووصف الأدوية -لا يشك أن المؤلف كامل في صناعة الطب، كذلك إذا علم عالم أسرار الشرائع ما ينبغي إلقاؤه على أفراد الناس في تهذيب النفوس، ثم يتأمل في الفنون الخمسة- يتحقق أن هذه الفنون قد وقعت موقعها بوجه لا يتصور أحسن منه، والنور يدل نفسه على نفسه».

المطلب الرابع: الموازنة بين موضوعات إعجاز القرآن الكريم في مقدمات كتب التفسير.

أهم موضوعات إعجاز القرآن التي أشار إليها المفسرون في مقدماتهم	- تعريف المعجزة والإعجاز - الصرفة والمنع وبيان بطلانها - وجوه الإعجاز، وأهمها - وجه الإعجاز والبلاغة - وجه البيان والفصاحة - النظم البديع للقرآن - الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب - إخبار القرآن عن الأمور التي تقدمت والمغيبات التي ستحصل في المستقبل.

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (١٧٨/ ١).

	- كـون القـرآن محفوظـاً مـن الزيـادة والنقصان.
الموضوع المشترك بين جميع المفسرين بلا استثناء	وجوه إعجاز القرآن، إلا أنهم تباينوا في ذكر هذه الوجوه.
الموضوع المذكور عند غالبيتهم	الصرفة وبيان بطلانها
الموضوعات التي زادها المتأخرون على المتقدمين	- وجـه موافقـة القـرآن لقضـية العقـل ودقيق المعنى. - مـا لا يتيسر فهمـه لغـير المتـدبرين في أسرار الشرائع
خصائص مقـدمات التفسـير فـيما يتعلـق بإعجاز القرآن	١-الإشارة إلى من سبق في هذا الفن. ٢-التنبيـه عـلى تعـدد وجـوه الإعجـاز وذكر نماذج من هذه الوجوه. ٣-الاعتنـاء بـالرد عـلى الوجـوه الباطلـة للإعجاز. ٤-التفصـيل في وجـوه فصـاحة وبلاغـة القرآن وبديع نظمه.

الخاتمة

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره أن من عليّ بإتمام هذا البحث القرآني وأسأله سبحانه أن ينفع به ويكتب له القبول.

هذا وإن الناظر في جهود المفسرين في بيان إعجاز القرآن ووجوهه في مقدمات تفاسيرهم يجدها حاضرة بشكل بارز، وهم يتفاوتون في التفصيل فيها ويتباينون في ذكر وجوهها ومسائلها، وهذه المرور السريع في جزء يسير من إرث الأمة في هذا العلم لا يمكن بحال أن يكون قد أحاط بجوانب هذا العلم وحصره على سبيل الاستقصاء، مما يستلزم من الباحثين مواصلة المسير وبذل الجهد في هذ الميدان.

وبدراسة تحليلية لمقدمات أشهر كتب التفسير يمكن أن نلخص نتائج البحث بما يلي:

١- إن مقدمات التفاسير اشتملت على مادة علمية قيمة، وقد احتوت آراء المفسرين في كثير من المسائل والموضوعات وهي آراء من الأهمية بمكان، ورغم ذلك لم تأخذ حظها من البحث والدراسة كما ينبغي.

٢- المفسرون الذين تناولوا موضوع الإعجاز في مقدماتهم هم: الطبري والماوردي والراغب الأصفهاني وابن عطية الأندلسي والقرطبي وابن جزي وأبو حيان والألوسي والقاسمي وابن عاشور.

٣- تباينت طرائق المفسرين في تناول إعجاز القرآن الكريم وذكر موضوعاته فمستقل ومستكثر، وبعضهم انتقى موضوعات مخصوصة فصل فيها.

٤- استفاد المتأخرون ممن سبقهم في ذكر وجوه الإعجاز وأثروها وزادوا عليها.

٥- بدأت الإشارة إلى موضوع إعجاز القرآن الكريم في القرن الثالث الهجري في مقدمات كتب التفسير ثم أصبحت تفرد بمصنفات مستقلة.

٦- من أكثر موضوعات إعجاز القرآن لدى المفسرين هي ذكر وجوه إعجاز القرآن، فذكر الماوردي ثمانية أوجه، واكتفى ابن عطية وأبو حيان والراغب الأصفهاني بوجهين من الأوجه الثمانية، واشترك القرطبي وابن جزي في ذكر عشرة أوجه، أما الألوسي فذكر أحد عشر وجهاً وناقشها، واقتصر ذكر القاسمي على خمسة أوجه.

٧- يتناول كثير من المفسرين قضية الصرفة والمنع ويناقشها ويبين بطلانها من وجوه.

٨- يغلب على مقدمات المفسرين عند التطرق لقضية الإعجاز بيان أنها قضية تعددت فيها الآراء وكثرت فيها الأوجه ثم يبين كل مفسر ما يقدمه منها.

٩- من أكثر المفسرين تفصيلاً في وجوه إعجاز القرآن هو الإمام القرطبي في مقدمة تفسيره، ومن أنفسها مقدمة التحرير والتنوير لابن عاشور، وقد كتب في إعجاز القرآن عند كل منهما رسالة ماجستير مستقلة.

١٠- مناقشة معنى الإعجاز والمعجزة وبيان شروطها لدى بعض المفسرين جعل بعض وجوه الإعجاز التي أوردها المفسرون تخرج عن هذا المعنى ولا يستقيم إدراجها ضمن وجوه الإعجاز.

١١- من أهم موضوعات إعجاز القرآن التي تناولتها مقدمات المفسرين: تعريف المعجزة والإعجاز، الصرفة والمنع وبيان بطلانها، وجوه الإعجاز، ومن أهمها: وجه الإعجاز والبلاغة، وجه البيان والفصاحة، النظم البديع للقرآن الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب، إخبار القرآن عن الأمور التي تقدمت والمغيبات التي ستحصل في المستقبل، كون القرآن محفوظاً من الزيادة والنقصان.

وغيرها من النتائج التي لا يعدم الناظر في هذا البحث من الوقوف عليها.

التوصية:

نوصي بأن تولى مقدمات المفسرين مزيد أهمية ودراسة لدى الباحثين، وأن يتم التقعيد لمفهوم إعجاز القرآن الكريم ووجوهه بالاعتماد على مقدمات المفسرين لبيان وتحديد ما يسمى اليوم بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

أن تُفرد بحوث علمية ماجستير ودكتوراه حول الاعجاز في قصص القرآن من خلال حياة الأنبياء.

والله الموفق

فهرس المصادر والمراجع

١. **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، عدد الأجزاء: ٤.

٢. **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، عبد السلام حمدان اللوح، رسالة ماجستير نوقشت سنة ١٩٨٦م، كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية بغزة، مكتبة آفاق.

٣. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٤. **أسباب نزول القرآن**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (المتوفى:٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح- الدمام، ط:٢، ١٤١٢هـ.

٥. **إعجاز القرآن**، المؤلف: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ)، المحقق: السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١.

٦. **إعجاز القرآن**، حسن فضل عباس، سناء فضل عباس، دار النفائس، الطبعة الثامنة، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

٧. **أصول الدين**، المؤلف. عبد القاهر بن طاهر البغدادي، عدد الأجزاء: ١ الطبعة الأولى، لبنان. المحقق: أحمد شمس الدين.

٨. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى:١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٩. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى:٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط:٢، ١٤١٨هـ.

١٠. **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى:٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط:١٤٢٠هـ.

١١. **البيان في مباحث من علوم القرآن**، عبد الوهاب عبد المجيد غزلان، عدد الأجزاء: ١، الطبعة الأولى ، مطبعة دار التأليف.

١٢. **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٣. **التحرير والتنوير**، الإمام الشيخ: محمد الطاهر، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر- تونس، ١٩٨٤م.

١٤. **التعريفات**، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: ١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٥. **التَّفْسِيرُ البَسِيْط**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط:١، ١٤٣٠هـ.

١٦. **تفسير القرآن**، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض- السعودية، ط:١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٧. **تفسير القرآن العظيم**، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية، ط:٣، ١٤١٩هـ.

١٨. **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى:٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٩. **تفسير الراغب الأصفهاني**، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، جزء١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب-جامعة طنطا، الطبعة الأولى:١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.

٢٠. **التفسير المظهري**، المظهري، محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – الباكستان، ١٤١٢هـ.

٢١. **التوقيف على مهمات التعاريف**، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط:١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٢. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى:١٣٧٦ه)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢٣. **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (المتوفى:٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٤. **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط:٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢٥. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

٢٦. **حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)**، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.

٢٧. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر – بيروت.

٢٨. **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، المؤلف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، عدد الأجزاء: ١٥ .

٢٩. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط:٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٠. **علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير** من نشأتها إلى نهاية القرن الثامن الهجري، محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥-٢٠٠٤، عدد المجلدات: ٢.

٣١. **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣٢. **فتح القدير**، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط:١، ١٤١٤هـ.

٣٣. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

٣٤. **القاموس المحيط**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، ط:٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٣٥. **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط:١، ١٩٩٦م.

٣٦. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط:١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

٣٧. **لسان العرب، محمد بن مكرم بن على**، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، دار صادر- بيروت، ط: ٣، ١٤١٤هـ.

٣٨. **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١، ١٤١٥هـ.

٣٩. **اللباب في علوم الكتاب**، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط:١، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م.

٤٠. **مباحث في علوم القرآن**، مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ١.

٤١. **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١، ١٤١٨هـ.

٤٢. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١، ١٤٢٢هـ.

٤٣. **مختار الصحاح**، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط:٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٤٤. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط:١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

٤٥. **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط:١ ، ١٤٢٠هـ.

٤٦. **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٤٧. **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، دار الدعوة.

٤٨. **معجم التعريفات**، المؤلف: علي بن محمد السيد الشريف الجرحاني، المحقق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، عدد المجلدات: ١.

٤٩. **معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى:٩١١هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ٣.

٥٠. **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط:٣، ١٤٢٠هـ.

٥١. **المفردات في غريب القرآن**: المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢ هـ.

٥٢. **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم**، المؤلف : محمد بن عبد الله دراز (المتوفى : ١٣٧٧هـ)، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية، الناشر : دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة : طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٥٣. **النكت والعيون**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى:٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

٥٤. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي(المتوفى:٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط:١، ١٤١٥ هـ.

٥٥. **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، د. ماهر أحمد الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٩هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	٢٠٣
المقدمة	٢٠٤
أهمية الموضوع وأسباب اختياره	٢٠٤
الدراسات السابقة حول الموضوع	٢٠٥
خطة البحث	٢٠٥
بين يدي البحث	٢٠٧
المبحث الأول : مقدمات عن إعجاز القرآن الكريم	
المطلب الأول : مفهوم الإعجاز	٢٠٩
المطلب الثاني : نبذةٌ تاريخيةٌ عن بدءِ التحدث في الإعجاز	٢١٢
المطلب الثالث: وجوه الإعجاز في القرآن الكريم	٢١٣
المطلب الرابع : تدرُّج الإعجاز مع مراحل التحدي	٢١٩
المطلب الخامس: أهمية مقدمات التفاسير والتعريف بها ونشأتها	٢٢٢
المطلب السادس: أهم كتب التفسير المتضمنة لإعجاز القرآن الكريم	٢٢٣
المبحث الثاني : نتائج استقراء إعجاز القرآن في مقدمات أشهر كتب التفسير	
المطلب الأول: محاور وموضوعات إعجاز القرآن الكريم في مقدمات كتب التفسير	٢٢٦
المطلب الثاني: مقدمات كتب التفسير وما فيها من موضوعات إعجاز القرآن الكريم	٢٣١
المطلب الثالث: التعليق على الجداول	٢٣٣
المطلب الرابع: الموازنة بين موضوعات إعجاز القرآن الكريم في مقدمات كتب التفسير	٢٤٥
الخاتمة	٢٤٧
فهرس المصادر والمراجع	٢٥٠
فهرس الموضوعات	٢٥٦

العدد الحمصي

دراسة استقرائية تحليلية

إعداد

د. صالح بن أحمد العماري

الأستاذ المشارك بقسم القراءات- كلية الدعوة وأصول الدين -
جامعة أم القرى

• من مواليد بلْقرن تهامة –العرضية الجنوبية– بالمملكة العربية السعودية.
• تخرج في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة جامعة أم القرى بمدينة مكة المكرمة عام ١٤٢٨هـ.
• نال شهادة الماجستير من قسم القراءات كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية عام ١٤٣٣هـ، بأطروحة: "رسالة في بيان رسوم المصاحف العثمانية الستة" لمحمد بن بير علي البركوي (ت: ٩٨١هـ) دراسة وتحقيق، كما نال شهادة الدكتوراه من قسم القراءات كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى عام ١٤٣٧هـ، بأطروحة: "الشفاء في علل القراءات، لأبي الفضل الحريري البخاري دراسة وتحقيق" (مطبوعة).
• البريد الشبكي: alriyhi@gmail.com

(قدم للنشر في ١٤٤٤/٤/١هـ ؛ وقبل للنشر في ١٤٤٤/٦/١هـ)

الملخص

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذا البحث المسمى: العدد الحمصي، قمت فيه بدراسة استقرائية تحليلية، سلكت فيها مسلك الاستقراء والتتبع للعدد الحمصي في جميع مظانِّه مما وقفت عليه إلى مطلع القرن الثامن، وتركت من بعدَهم؛ لاعتمادهم على من قبلَهم، ثم سلكت المسلك التحليلي فيما جمعته من كلام الأئمة مما يتعلق بالعدد الحمصي من خلال الكتب الأمهات في علم العدِّ، ومن خلال كتب القراءات التي تضمنت علم العدد، وقد ذكرتُ في هذا البحث أيضًا المراد بعلم العدد عمومًا، وبالعدد الحمصي خصوصًا، وقمت بالتعريف به وبنسبته، وبأسانيده، والمصنفات التي تضمنت العدد الحمصي، وكذا ذكرت موقف الأئمة منه، وتناولت بالدراسة أيضًا انفرادات العدد الحمصي عدًّا وتركًا واختلاف الأئمة في ذلك، والغرض من هذه الدراسة الوقوف على ما كتبه الأقدمون من الأئمة حول العدد الحمصي، ولِيُعلمَ منهج الأئمة في تناوله، وقد خلصت في خاتمة البحث إلى نتائجَ مهمة، أبرزها: أنَّ العدد الحمصي قد ترك العمل به، وسبب ذلك: دثوره، وعدم نقلِه، وأنّ أوَّل من شذذه هو الهذلي في كتابه الكامل، كما خلصت إلى أنَّ الأقرب في مصدر التفصيل في العدد الحمصي هو كتاب ابن شنبوذ، لأدلة ذكرتها في موضعها، سائلًا الله عزَّ وجلَّ التوفيق والسداد، والهداية والرشاد، والحمد لله رب العالمين[(١)].

الكلمات المفتاحية: العدد، الحمصي، موقف، انفرادات.

(١) فرغت من كتابة هذا البحث يوم السبت ٢٤ من ذي الحجة لعام ١٤٤٣هـ، والحمد لله أولًا وآخرًا.

المـقدمـة

الحمد لله عدد ما خلقَ، والحمد لله ملء ما خلقَ، والحمد لله عدد ما في السموات والأرض، والحمد لله ملءَ ما في السماوات والأرض، والحمد لله عددَ ما أحصى كتابُه، والحمد لله ملءَ ما أحصى كتابُه، والحمد لله عددَ كلِّ شيء، والحمد لله ملءَ كلِّ شيء، وسبحان الله عدد ما خلق، وسبحان الله ملءَ ما خلقَ، وسبحان الله عددَ ما في السموات والأرض، وسبحان الله ملءَ ما في السموات والأرض، وسبحان الله عدد ما أحصى كتابُه، وسبحان الله ملءَ ما أحصى كتابُه، وسبحان الله عددَ كلِّ شيء، وسبحان الله ملءَ كلِّ شيء[(١)].

وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد عدد ما ذكره الذاكرون، وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد

فأشرف ما شُغلت به الأوقات وعُمرت به الأعمار العلمُ والعملُ، وإن أشرف العلوم ما كان متصلًا بكتاب الله عز وجل، ومن ذلك القراءات وعلومها كرواية القراءات، وتوجيهها، وتجويدها، ورسم المصاحف، وضبطها، وعدِّ آيِها وسورها وكلماتها وحروفها، كلُّها علومٌ لا غنى لطالب القراءات عنها، لا ينفك بعضها عن بعض.

وإن علم العدِّ من العلوم التي قلَّ طالبُها، وندَر سالكُها، وعزَّ ضابطُها، وهو مع هذا فقد احتوى مسائل لا زالت في حاجة إلى مزيد تحرير وبيان، من جمع متفرِّقٍ، وكشف مشكلٍ، وتوضيح مشتبِه، فمن ذلك ما يتعلق بالعدد الحمصي، فإنه من المسائل التي يقف عندها طلاب العلم على طرفٍ يسير جدًّا مما كتبه أئمةُ هذا الفنِّ، المصنفون الأوائل الذين هم أهل التحقيق والعلم والدراية، ومن بعدَهم

(١) روي هذا التحميد والتسبيح من حديث أبي أمامة ﷺ مرفوعًا، وفي رواية عن أبي أمامة الباهلي ﷺ أن رسول الله ﷺ مرَّ به وهو يحرك شفتيه، فقال: ماذا تقول يا أبا أمامة؟ قال: أذكر ربي، قال: ألا أخبرك بأكثر أو أفضل من ذكرك الليل مع النهار؟ أن تقول .. فذكره. ينظر: مسند الإمام أحمد (٣٦/ ٤٥٩) - قال محققه: «إسناده قوي»-، وعمل اليوم والليلة للنسائي (١/ ٢١٥).

عالةٌ عليهم، فأردت بهذا البحث إظهار ونشر ما كتبه أئمتنا، ليستفيد منه المعتنون بهذا العلم الشريف، وأسأل الله عز وجل صلاح القول والعمل، والنجاة من الوقوع في الزلل والـخَطَل، آمين.

ثم إني أحمد الله عزَّ وجلَّ، وأشكر له سبحانه تيسيره هذا العمل، وأسأله سبحانه صلاح القول والعمل، آمين.

ثم إني أشكر للمشايخ الفضلاء، الأساتذة الأجلَّاء، الذين كانوا عونًا وسندًا وردءًا لي، في إتمام هذا البحث، وتفضَّلوا عليَّ بقراءتِه وتصويبِه وتقويمِه، جزاهم الله عني خير الجزاء، وبارك فيهم، ونفع بهم الإسلام والمسلمين، آمين.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- شرف كل علم بشرف متعلقه، فعلم العدِّ متعلق بكتاب الله جلَّ جلالُه، وما كان كذلك فإنه في الدرجات العالية، والمقامات السامية.

- هجر هذا العلم من قِبَلِ أصحاب تخصص القراءات فضلًا عن غيرهم يدفع طلبة العلم إلى إحيائه ودراسته ومدارسته، وتعلمه وتعليمه، ومن ثمَّ الكتابة فيه، وتحرير مسائله، وجمع شتاته.

- التزهيد في علم العدِّ، وفي ذلك قال الهذلي رَحِمَهُ اللَّهُ : «اعلم أن قومًا جهلوا العدد فقالوا: ليس بعلم، وإنما اشتغل به بعضهم ليروج به سوقه، ويتكبر به عند الناس.. وهذا جهل من قائله، لم يعلم مواقع العدد، وما يحتوي عليه من العلم»[(١)].

- العدد الحمصي من الأعداد التي اختلفت فيها أقاويل أهل العلم، قديمًا وحديثًا، ولم أقف على دراسة تحرِّر القول فيه، وتجمع متفرِّقَ كلامِ أهل العلم عنه، فأردت بهذا البحث تلخيصَ الفوائدِ وتقريبَ المتباعدِ.

- يقف كثير من الباحثين والدارسين المعاصرين في العدد الحمصي عندَ ما

(١) الكامل (٣/ ١٣٠).

سُطِّر في الفرائد الحسان، وشرحه: نفائس البيان، ولا يتجاوزون ذلك إلى ما دوَّنه الأوائل في مصنفاتهم، وهذا البحث يهدف للوقوف على ما كتبه الأقدمون من الأئمة حول العدد الحمصي، ولِيُعلمَ منهج الأئمة في تناوله.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة سابقة تناولت العدد الحمصي وفق منهجية البحث التي سلكتها، ووقفت على بحث بعنوان: «مفردات العد الحمصي من جملة المختلف فيه من الآي جمعًا وتوثيقًا»[(١)] وقد كانت أبرز الفروقات ما يلي:

أولًا: ذكرتُ في التمهيد التعريف بعلم العدِّ بناءً على ما جرى عليه عمل المصنِّفين الأوائل في كتبهم، وإني لأرجو أن يكون ما ذكرتُه صوابًا في حدِّ علم العدد، خلافًا لمسلك المتأخرين في تعريف علم العدد، وهو ما جرى عليه عمل الباحثة.

ثانيًا: ذكرت في بحثي المصنَّفات التي ذكرت العدد الحمصي، استقلالًا وضِمنًا، وحرَصت على الاستقصاء في ذلك.

ثالثًا: عقدت مبحثًا للتعريف بالعدد الحمصي، ونسبته، وأسانيده عند المتقدِّمين، بدأتُ بابن المنادِي (ت: ٣٣٦ هـ) وانتهيت بالجعبري (ت: ٧٣٢ هـ)، وقد كان منهجي في ذلك التفصيل والتحرير، مع المقارنة والترجيح عند الاختلاف.

رابعًا: عقدتُ مبحثًا لبيان منهج الأئمة المتقدمين في تناول العدد الحمصي، بدأتُ بابن المنادِي، وانتهيت بالجعبري، وقد سلكتُ في ذلك مسلك التفصيل والتحليل.

خامسًا: عقدت مبحثين لما انفرد به العدد الحمصي عدًّا وتركًا، وقد كان معتمدي في ذلك مصنَّفات الأوائل إلى الجعبري، ولم يكن من مصادري أحدٌ ممن بعدَهم.

---

(١) منشور في مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة، إعداد الباحثة: خلود الحساني (أستاذ القراءات المشارك بجامعة شقراء).

وهذان المبحثان يشتركان مع عمل الباحثة من حيث الاسم والإجمال، وأمَّا التفصيل فالاختلاف ظاهر بيِّن، فقد ذكرتُ الانفرادات من خلال تسعة كتب: (اختلاف العدد لابن المنادِي، البيان في عدِّ آي القرآن للدَّاني، كتاب العدد من الكامل للهذلي، الجامع المنسوب لأبي معشر الطبري، الجامع للأداء للمعدّل، الكتاب الأوسط للعُمَاني، فنون الأفنان لابن الجوزي، مبهج الأسرار للهمَذاني، حسن المدد للجعبري) مع المقارنة والتحرير والترجيح، وأمَّا الباحثة فقد كان معتمدُها الأصلي: الفرائد الحسان لعبد الفتاح القاضي (ت: ١٤٠٣هـ) كما ذكرت في منهجية بحثها، مع رجوعها لغيره أحيانًا.

سادسًا: عقدت مبحثًا في آخر البحث بعنوان: «هل تعدُّ الآي في المصاحف على العدد الحمصي»، ولم تتعرَّض له الباحثة، والله الموفِّق.

خطة البحث:

جعلت البحث في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة ضمنتها أبرز النتائج.

فأما المقدمة ففيها بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهجي في البحث.

وأما التمهيد فذكرت فيه التعريف بعلم العدِّ، وأبرز المصنفات في علم العد، والمصنفات التي تناولت العدد الحمصي.

ثم ذكرت مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالعدد الحمصي، ونسبته، وأسانيده.

المبحث الثاني: موقف العلماء من العدد الحمصي.

المبحث الثالث: انفرادات العدد الحمصي عدًّا واختلاف الأئمة في ذلك.

المبحث الرابع: انفرادات العدد الحمصي تركًا واختلاف الأئمة في ذلك.

المبحث الخامس: هل تعدُّ الآي في المصاحف على العدد الحمصي.

ثم ختمت البحث بالنتائج، وذيلتها بالفهارس.

منهجي في البحث:

- سلكت مسلك الاستقراء والتتبع للعدد الحمصي في جميع مظانِّه مما وقفت عليه إلى مطلع القرن الثامن، وتركت من بعدَهم؛ لاعتمادهم على من قبلَهم.

- ثم سلكت المسلك التحليلي فيما جمعته من كلام الأئمة مما يتعلق بالعدد الحمصي.

- الترجمة للأعلام الذين دعت حاجة البحث إلى ترجمتهم كرجالات العدد الحمصي، ونحو ذلك.

- كتابة الآيات برسم المصحف الكوفي، والتزام العدد الكوفي في أرقام الآيات.

التمهيد

التعريف بعلم العدِّ[(١)]:

العدُّ لغة:

العين والدال أصل صحيح واحد، منَ العدِّ، قال الخليل: عددت الشيء: حسَبته وأحصيته، فالعدُّ هو الـحِسَابُ، تقول: حسَبتُ الشيء: عددته، وأما الإحصاء فأعمُّ، فكلُّ إحصاء عدٌّ، وليس كلُّ عدٍّ إحصاء، فالإحصاء فيه زيادة على معنى العدِّ، وهي الإحاطة بالمعدود، فالإحصاء: بلوغُ النهاية في المعدود، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤][(٢)].

اصطلاحًا: لم أقف في كلام المتقدمين على حدٍّ جامعٍ مانعٍ لعلم العددِ، ومن خلال مقدمات الأئمة، والأبواب التي عقدوها، والتي تناولوا فيها عدد السور والآي والكلمات والحروف في كتاب الله عزَّ وجلَّ، يمكن أن يعرَّف علم العدِّ بـأنَّه: علمٌ يُعرَف به عددُ سورِ وآيِ القرآن، وحروفِه، وكلماتِه[(٣)]، إجمالًا وتفصيلًا،

---

(١) عرّفت العدَّ وتركت تعريف الآية، والتي جرى عمل الباحثين على تعريفها، لأنني اخترت تسمية العلم بـ: علم العدِّ، فليست كلمة: (الآية) ضمن الاسم.

(٢) العين(١/ ٧٩)، تهذيب اللغة (١/ ٦٩)، المخصص (٤/ ٣٦٧)، مقاييس اللغة (٤/ ٢٩)، أفادني بهذا التحرير الشيخ الـمُفَسِّر: عبد الرحمن السديس حفظه الله ورعاه.

(٣) هذا الذي جرى عليه العمل عند جمعٍ من الأئمة، فلم يقتصروا على عدد الآي، كأبي العباس الورَّاق (ت: ٢٧٠هـ)، في كتابه: «كتاب فيه اختلاف عدد آي القرآن وأحرفه وكلامه...»، وكالعطار في كتابه التبيان (١٣٣) حيث قال: «فهذه كلمات جمعتها في تبيان اختلاف تنزيل القرآن ... وذكر عدد أوائلها وأواخرها، ثم أذكر في كل سورة عدد كلماتها وحروفها، وأخماسها وأعشارها..»، وكالداني في كتابه البيان (٦٠) حيث قال: «هذا كتابُ عدد آيِ القرآنِ وكلِمِه وحروفِه، ومعرفة خموسه وعشوره..»، وكالهذلي في كتابه الكامل (٣/ ١٣٤) حيث قال: «ومن جحد علم العدد فقد جحد علم الحروف والكلمات والأعشار والأخماس والسور...»، وكالعماني في كتابه: الكتاب الأوسط (٤٥٢) حيث قال: ««باب في عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه»، وكالهمذاني في كتابه مبهج الأسرار (٣٩) حيث قال: «فأولُ ما أبتدئُ به بدء الوحي ... ثم تنزيل كل سورة، وجملةُ كلِمِها وحروفِها، ثم أذكر اختلافَ أهل العدد في جملة آيها..»=

وما اتفق واختلف فيه أئمة العدِّ، معزوًّا لناقله[(١)].

وبهذا تُعرف سبب تسمية هذا العلم بـ: علم العدد عند الأوائل، ولم يطلقوا عليه: علمَ الفواصل، فإنَّ الفواصلَ مِن علم العدد، ولم يقتصروا في مصنفاتهم على الفواصل فحسب، بل ذكروا عدد السور والآي والحروف والكلمات، وغيرها مما هو ملحق بها، كما هو ظاهر لمن قرأ في كتب الأوائل.

أبرز المصنفات في عد الآي:

١- كتاب فيه اختلاف عدد آي القرآن وأحرفه وكلامه ومكيه ومدنيه، لأبي العباس أحمد بن إبراهيم الوراق (ت:٢٧٠هـ) وهو أقدم مصنف في العدِّ وصل إلينا، وهو في العدد الكوفي والمدني والبصري[(٢)].

٢- سور القرآن وآياته وحروفه ونزوله المنسوب لأبي العباس الفضل بن شاذان (ت: ٢٩٠ هـ)[(٣)].

٣- كتاب عدد آي القرآن والاختلاف فيه، لمحمد بن خلف بن حيان الضبي المعروف بوكيع (ت: ٣٠٦ هـ)[(٤)].

=وكالجعبري في حسن المدد (١٩٣) حيث قال: «الحمد لله الذي أنزل القرآن سورًا وآيات، مركبة من كلمات متنوعات، مؤلفة من حروف متتابعات...» ثم قال: «والباب الرابع: في جملة عدد السور والآي والكلم والحروف، وائتلاف الأئمة عليه، والاختلاف فيه»، ومرادُ الأئمة بالأعشار والأخماس الآياتُ؛ عشرًا عشرًا، وخمسًا خمسًا.

(١) تتابع الأئمة المتقدمون على ذكر المكي والمدني، ولم أدخله في التعريف؛ لأنه مما يُلحق بعلم العدد وليس منه، ولعلَّ إدراج الأئمة له للتنصيص على نزول بعض آيات السورة في غير ما نزل فيه معظمُها، كأن يقال: السورة مكية إلا ثلاث آيات، أو مدنية إلا آية كذا، ونحو ذلك، وهذا مما يعين على معرفة مبتدأ الآي ومنتهاها.

(٢) مخطوط يقع في (٧٠) لوحًا، سُجِّل في رسالة علمية في جامعة أم القرى للباحثة: أفنان فلاتة، ويعمل على تحقيقه أيضًا: بشير الحميري كما أفاد بذلك.

(٣) مطبوع بتحقيق: بشير الحميري، من إصدارات دار ابن حزم، عام ١٤٣٠هـ.

(٤) مطبوع بتحقيق: عبد الرزاق البكري، من إصدارات دار طيبة الخضراء، عام ١٤٤١ هـ، ويعمل على تحقيقه أيضًا: بشير الحميري كما أفاد بذلك.

٤- عدد آي القرآن على مذهب أهل البصرة لأبي العباس محمد بن يعقوب البصري المعروف بالمعدّل (ت: ٣٢٠ هـ)[١].

٥- اختلاف العدد لأبي الحسين أحمد بن جعفر بن محمد ابن المنادي الحنبلي (ت: ٣٣٦ هـ)[٢].

٦- كتاب عدد آي القرآن للمكي والمدنيين والكوفي والبصري والشامي المتفق عليه والمختلف فيه لأبي الحسن علي بن محمد بن إسماعيل الأنطاكي (ت:٣٧٧ هـ)[٣].

٧- تنزيل القرآن وعدد آياته واختلاف الناس فيه، لأبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة [٤].

٨- التبيان في معرفة تنزيل القرآن واختلاف عدد آيات القرآن على أقاويل القراء أهل البلدان، لأبي حفص عمر بن محمد العطار (ت: نحو ٤٣٢ هـ)[٥].

٩- البيان في عدِّ آي القرآن لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت: ٤٤٤ هـ)[٦].

١٠- عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه وتلخيص مكيه من مدنيه، لأبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي (ت: نحو ٤٥٠ هـ)[٧].

١١- مبهج الأسرار في معرفة اختلاف العدد والأخماس والأعشار على نهاية الإيجاز والاختصار، للإمام أبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني

---

(١) مخطوط يقع في ١٤٨ لوحًا، حققه: بشير الحميري، وسيُطبع ضمن إصدارات جائزة دبي للقرآن الكريم.

(٢) سيأتي الكلام عنه.

(٣) مطبوع بتحقيق: محمد الطبراني، من إصدارات مؤسسة الفرقان، عام ١٤٣٢ هـ.

(٤) من علماء القرن الرابع، وكتابه هذا مطبوع بتحقيق: غانم قدوري الحمد، من إصدارات دار عمار، عام ١٤٣٠هـ.

(٥) مطبوع بتحقيق: الشريف هاشم الشنبري، من إصدارات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، عام ١٤٣٣هـ.

(٦) سيأتي الكلام عنه.

(٧) مطبوع بتحقيق: خالد أبو الجود، من إصدارات مكتبة الإمام البخاري، عام ١٤٣١ هـ.

العطار (ت: ٥٦٩ هـ)[١].

المؤلفات في العدد الحمصي:

صنَّف العلماء كتبًا في علم العدد تضمنت العدد الحمصي، وهي كالتالي:

١- كتاب في العدد لـخالد بن معدان الكلاعي الحمصي (ت: ١٠٣ هـ)، ذكره ابن النديم[٢]، وهو مفقود.

- كتاب في العدد لـمحمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت، المعروف بابن شنبوذ (ت: ٣٢٨ هـ)، ذكره المعدل قال: «قال ابن شنبوذ: وما كان في كتابنا من عدد أهل حمص»[٣]، وهذا نصٌّ عزيز يفيد بأن لابن شنبوذ كتابًا في العدد، ويظهر أنه كتاب مفرد في علم العدد، ومثل هذا يبعُدُ أن يكون ضمن كتابٍ في القراءات، ويقرُب أن يكون كتابًا مستقلًّا في العدد كما صنع معاصره ابن المنادي.

١- اختلاف العدد لأبي الحسين أحمد بن جعفر بن محمد ابن المنادي الحنبلي (ت: ٣٣٦ هـ)[٤]، وهو الأقدم والأنفس في ما وصل إلينا من الكتب التي ذكرت العدد الحمصي.

٢- البيان في عدِّ آي القرآن لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت: ٤٤٤ هـ)[٥].

٣- مبهج الأسرار في معرفة اختلاف العدد والأخماس والأعشار على نهاية الإيجاز والاختصار، لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار (ت: ٥٦٩ هـ)[٦].

٤- الكتاب الكبير في العدد لأبي العلاء الهَمَذاني، -لم أقف على اسمه- وهذا وصفُه، وهو أصلُ كتابه: مبهج الأسرار، فقد ذكر أنه مختصر من كتاب آخر له في

(١) سيأتي الكلام عنه.

(٢) الفهرست (٥٧).

(٣) الجامع للأداء (٢/ ٢٥٩)، وفي موضع قبله قال: «وما كان في كتابنا من عدد أهل دمشق».

(٤) مخطوط يقع في ٦٩ لوحًا، حققه: بشير الحميري، ولم أقف عليه مطبوعًا.

(٥) مطبوع طبعة مزيدة بتحقيق: غانم قدوري الحمد، من إصدارات دار الغوثاني، ١٤٣٩هـ.

(٦) مطبوع بتحقيق: خالد أبو الجود، من إصدارات مكتبة الإمام البخاري، عام ١٤٣٥هـ.

العدد أشار له بقوله: «فإن هذا كتاب في العدد اختصرته.... ثم قال في موضع آخر الكتاب: وقد ذكرنا الأسانيد الباقية في كتابنا الكبير في العدد»[(١)].

٥- حسن المدد في فنِّ العدد لبرهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري (ت:٧٣٢ هـ)[(٢)].

٦- عقد الدرر في عدد آي السور للجعبري[(٣)].

٧- تحقيق البيان في عد آي القرآن، لمحمد بن أحمد المتولي (ت: ١٣١٣ هـ)[(٤)].

٨- سعادة الدارين في بيان وعدِّ معجز آي الثقلين على ما ثبت عند أئمة الأمصار وجرى عليه العمل في سائر الأقطار، لمحمد بن علي بن خلف الحسيني، الشهير بالحداد (ت: ١٣٥٧هـ)[(٥)].

٩- الفرائد الحسان في عدِّ آي القرآن لعبد الفتاح بن عبد الغني القاضي (ت: ١٤٠٣هـ)[(٦)].

١٠- الموجز الفاصل في علم الفواصل لعبد الفتاح بن عبد الغني القاضي[(٧)].

١١- المحصي لعدِّ آي الحمصي لإبراهيم بن علي بن شحاثة السمنودي (ت: ١٤٢٩هـ)[(٨)].

---

(١) مبهج الأسرار (٣٧، ٣١٩).

(٢) مطبوع بتحقيق: بشير الحميري، من إصدارات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، عام ١٤٣١هـ.

(٣) منظومة تقع في ١٧٠ بيتًا، حققت في رسالة علمية للباحث: سعد بن حميد العصيمي، ولم تطبع بعد.

(٤) منظومة تقع في ١٣٠ بيتًا، لم أقف على نسخة محققة لها، وقد طبعت ضمن شرحيها: الموجز الفاصل، والمحرر الوجيز.

(٥) مطبوع بتحقيق: جمال الشايب، من إصدارات المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤٢٦هـ.

(٦) منظومة تقع في ١٣٠ بيتًا، وقد طبع عدة طبعات منها: تحقيق: علي الغامدي، من إصدارات دار طيبة الخضراء، عام ١٤٣١ هـ، وشرَحها الناظمُ في كتابه: نفائس البيان، مطبوع بتحقيق: عبد الله المطيري، من إصدارات دار ابن الجوزي، ١٤٢٩هـ.

(٧) شرح لمنظومة تحقيق البيان للمتولي في العد، طُبِعَ عدة طبعات منها: دار السلام، مصر، ١٤٣٩هـ.

(٨) منظومة في العدد الحمصي تقع في ٣٦ بيتًا، طُبِعَت بتحقيق: ياسر المزروعي، من إصدارات وزارة الأوقاف الكويتية، عام ١٤٢٨هـ.

١٢- المحرر الوجيز في عدد آي الكتاب العزيز، لعبد الرازق بن علي بن إبراهيم موسى (ت: ١٤٢٩هـ)[(١)].

١٣- مرشد الخلان إلى معرفة عد آي القرآن لعبد الرازق موسى[(٢)].

١٤- متن التسهيل في عدِّ آي التنزيل، لإيهاب بن أحمد فكري[(٣)].

- الكتب المؤلفة في غير علم العدد، وضُمِّنت مذاهب أهل الأمصار في العدد ومنها الحمصي:

١- الروضة في القراءات الإحدى عشرة، لأبي علي الحسن بن إبراهيم المالكي (ت: ٤٣٨ هـ)[(٤)].

٢- الكامل في القراءات لأبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي (ت: ٤٦٥ هـ)[(٥)].

٣- الجامع في القراءات العشر المنسوب لأبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري (ت: ٤٧٨ هـ)[(٦)].

٤- الجامع للأداء روضة الحفاظ، المعروف بـ: (روضة المُعدّل) لموسى بن الحسين بن إسماعيل المُعدّل المصري، (ت: نحو عام ٥٠٠ هـ)[(٧)].

٥- الكتاب الأوسط أو القراءات الثمان، لأبي محمد الحسن بن علي بن سعيد العُمَاني[(٨)].

---

(١) شرح لمنظومة تحقيق البيان للمتولي في العد، من إصدارات مكتبة المعارف، عام ١٤٠٨هـ.

(٢) شرح لمنظومة الفرائد الحسان، من إصدارات المكتبة العصرية، عام ١٤٠٩هـ.

(٣) منظومة تقع في ٩٠ بيتًا، من إصدارات المكتبة الإسلامية بالقاهرة، عام ١٤٢٨هـ.

(٤) مطبوع بتحقيق: مصطفى بن عدنان بن محمد، من إصدارات مكتبة العلوم والحكم عام ١٤٢٤هـ.

(٥) له عدة طبعات منها ما حققه: أبو إبراهيم عمر بن عبد الله، من إصدارات دار سما للكتاب، عام ١٤٣٥هـ، وكذا استأنست بالنسخة المحققة لكتاب العدد وهو جزء من كتاب الكامل، فقد أفرده بالتحقيق: مصطفى العيثاوي، وعمار الددو.

(٦) حققه: محمد سيدي محمد الأمين في رسالة علمية، عام ١٤٠٧هـ، ولم يطبع بعدُ.

(٧) مطبوع بتحقيق: خالد أبو الجود، من إصدارات دار ابن حزم، عام ١٤٣٦هـ.

(٨) من علماء القرن السادس، وكتابه هذا مطبوع بتحقيق: عزة حسن، من إصدارات دار الفكر، عام ١٤٢٧هـ.

٦- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ)[١].

٧- لطائف الإشارات لفنون القراءات، لأبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت: ٩٢٣ هـ)[٢].

٨- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لأحمد بن محمد الدمياطي (ت: ١١١٧هـ)[٣].

(١) مطبوع بتحقيق: حسن ضياء الدين عتر، من إصدارات دار البشائر، عام ١٤٠٨هـ.

(٢) مطبوع بتحقيق مركز الدراسات القرآنية، من إصدارات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، عام ١٤٣٤هـ.

(٣) مطبوع بتحقيق: أنس مهرة، في دار الكتب العلمية بلبنان، عام ١٤٢٧هـ.

المبحث الأول

التعريف بالعدد الحمصي ونسبته، وأسانيده

أولًا: التعريف بالعدد الحمصي ونسبته:

جرت عادة المصنفين في العدِّ نسبة العدد إلى الأمصار وهذا هو الأصل في نسبةِ الأعداد، وكان هذا صنيعهم مع العدد الحمصي، فنسبوه إلى أهل حمص، قال ابن المنادي: «ثم صار إلينا بعد ذلك عددٌ يُنسب إلى أهل حمص»[(١)]، وقال الداني: «ولأهل حمص عدد سابع»[(٢)]، ونَقَلَ عن كثير المذحجي أنه قال: «هذا عدد أهل حمص»[(٣)]، وكذا الهذلي في الكامل، قال: «وأما عدد أهل حمص...»[(٤)].

وقد كان من طريقة المصنفين في العَدَدِ بعد نسبته إلى الأمصار أن يُنسبَ العددُ إلى أئمتِها، الذين انتهت إليهم طبقته، ووقَفَت عليهم روايته بالأمصار[(٥)].

فالعدد المدني ينسب إلى: أبي جعفر، وشيبة، ونافع، وإسماعيل بن جعفر، والكوفي يُنسب إلى أبي عبد الرحمن السلمي، والبصري يُنسب إلى عاصم الجحدري، والشامي ينسب إلى ابن عامر ويحيى الذماري.. وهكذا.

وأما العدد الحمصي فاختُلف في نسبته، فنُسِب إلى أربعة أئمة:

أولهم: خالد بن معدان الحمصي[(٦)].

نسبه إليه الدانيُّ في كتابه البيان، فقال: «ولأهل حمص عدد سابع ... وأوقفته

---

(١) اختلاف العدد ١٠/ أ.

(٢) البيان (٢٥٦).

(٣) البيان (٢٥٧).

(٤) الكامل (٣/ ١٣٩).

(٥) هكذا وصفهم الجعبري، حيث قال: «الباب الثاني في أئمة العدد الذين انتهت إليهم طبقته، ووقفت عليهم روايته بالأمصار». حسن المدد (٢٢٣).

(٦) تابعي ثقة، عابد زاهد، من رجال الشيخين البخاري ومسلم، له روايات عن المقدام وأبي أمامة ﷺ، توفي سنة ١٠٣هـ. ينظر في ترجمته: الطبقات لابن سعد (٧/ ٣١٦)، التاريخ الكبير (٣/ ١٧٦)، مشاهير علماء الأمصار (١/ ١٨٣).

جماعتهم على خالد بن معدان رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو من كبار تابعي الشاميين»[١].

وكذا نَقَلَ عن كثير المذحجي قوله: «هذا عدد أهل حمص الذي استخرجوه من مصحف خالد بن معدان»[٢].

وكذا نَقَلَ عن ابن شنبوذ قولَه: «عدد أهل حمص، وهو عدد خالد بن معدان»[٣].

وكذا نسبه إليه الـمُعدّل في كتابه الجامع للأداء روضة الحفاظ، فنقل عن كثير المذحجي قوله: «هذا عدد قُرَّاء أهل حمص الذي استخرجوه من مصحف خالد بن معدان، واستخرجتُ منه هذا العدد»[٤].

واشتهر ابن معدان بأن له مصحفًا منسوبًا إليه، جاء في كتاب المصاحف لابن أبي داود بإسناد حسنٍ إلى بقيَّة بن الوليد[٥]: «دفَع إليَّ بحيرٌ مصحفًا لخالد بن معدان فيه عِلْمُه، أخذه منه مكتوبًا، في تَخْتَين[٦]، وله دفَّتي المصحف، وله عُرى وأزرار»[٧].

ومصحفه هذا وإن كان يُطلق عليه مصحف أهل حمص فليس هو المصحف الذي قال فيه الداني: «مرسومان بالباء في مصحف أهل حمص الذي بعث عثمان إلى الشام»[٨]، وقال: «وفي مصحف أهل حمص الذي بعث به عثمان إلى الشام»[٩]، سليمان بن نجاح: «وقياس قراءتهم يوجب أن تكون في مصاحف أهل الحرمين

(١) البيان (٢٥٦).

(٢) البيان (٢٥٦).

(٣) البيان (٢٥٧).

(٤) الجامع للأداء (٢/ ٢٥٩).

(٥) رُمِي بقية بن الوليد بالتدليس إلا أنه صرَّح هنا بأنَّ شيخه بحير بن سعد هو الذي دفع إليه المصحف كما بيَّنه محقق كتاب المصاحف، وعليه فالخبر مقبول.

(٦) التَّخْتُ: صندوق يصان فيه الذهب والثياب وما كان ثمينًا. ينظر: المخصص (١/ ٣٩٦)، لسان العرب (١/ ٤٢٢).

(٧) المصاحف لابن أبي داود (٥٤١).

(٨) المقنع (٢/ ٣٠٧).

(٩) المقنع (٢/ ٣٣٨).

وحمص والبصرة بغير ألف كما قدمنا..»[(١)]، وقال الهذلي في ترجمة ابن عامر: «وعنه أُخذت قراءة أهل الشام، وتولى المصحف الذي أُنفِذ إلى حمص»[(٢)].

فإن مقصودهم جميعًا مصحف أهل الشام، فقد جاء في صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أُفُقٍ بمصحف مما نسخوا»[(٣)].

ففي هذا الخبر وغيره الدليل على أن المصحفَ الإمام كانت له نُسخ، وقد بعث بها عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الأمصار، وقد اختلفت أقاويل العلماء في عدد الأمصار وتعيينها، فمنهم من يقول، إن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جعله على أربع نسخ في أربعة أمصار:

نسخة أمسكها لنفسه في المدينة، والكوفة والبصرة والشام، وهو مذهب أكثر العلماء، كما قال أبو عمرو الداني[(٤)]، فهذه الأمصار مجمع عليها، واختلف على غيرها، وبذلك يتبين على وجه اليقين أنه لم يُرسَلْ إلى الشام إلَّا مصحفٌ واحدٌ، وأمَّا ما جاء في كلام الأئمة من نسبته إلى (حمص) فلا يتعارض؛ فإن حمصًا من الشام، ولعلَّه استقرَّ زمنًا في حمص فنُسب إليها، وغير ممتنع أنه كان يُنقَل، فقد قال عنه ابن كثير: «وأما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذي في الشام، بجامع دمشق عند الركن، شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله، وقد كان قديمًا بمدينة طبرية، ثم نُقل منها إلى دمشق في حدود ثماني عشرة وخمسمائة»[(٥)] والله أعلم.

وثانيهم: سوادة بن زياد[(٦)]:

ذكره ابن المنادي، فقال: «ثم صار إلينا بعد ذلك عددٌ يُنسب إلى أهل حمص في

(١) مختصر التبيين (٣/ ٨٢٠)، (٤/ ١١١٨).

(٢) الكامل (١/ ٨١).

(٣) صحيح البخاري (٦/ ١٨٣).

(٤) ينظر: المقنع (١/ ٣٥١).

(٥) فضائل القرآن لابن كثير (٨٩).

(٦) هو سوادة بن زياد البُرحيُّ الحمصي، حدَّث عن خالد بن معدان، وعنه إسماعيل بن عياش، ذكره أبو الفداء في كتابه: الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة. ينظر: المصاحف (٢٦٨)، الإكمال في رفع الارتياب (١/ ٤٢٠)، توضيح المشتبه (١/ ٤٢٣)، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (٥/ ١٧٥).

جمل آي القرآن بلا تفصيل..بإسناده.. إلى إسماعيل بن [عياش][(١)] الحمصي، قال: حدثنا سوادة بن زياد البُرَحيُّ بجمل آي سورة سورة من القرآن[(٢)]..»[(٣)].

وساق بإسناده في باب جملة عدِّ الحمصي آي القرآن إلى سوادة بن زياد الحمصي، قال: «ستة آلاف ومائتان واثنان وثلاثون آية»[(٤)].

وأما الداني فجعل عدد سوادة إنما هو عدد خالد بن معدان الحمصي، قال: «قال ابن شنبوذ: وحدثني أبو معاوية بإسناد ذكره... عن سوادة بن زياد البرحي بجملة فواتح السور على هذا العددِ، عددِ أهل حمص، وهو عدد خالد بن معدان»[(٥)].

وممن ذكر سوادةَ العُمَانيُّ في بعض المواضع في فرش العدد، في سياق ذكر انفرادة الحمصي في سورة البروج، نسبها إلى سوادة بن زياد، ثم قال: «وهي رواية شاذة، لا يُعتدُّ بها»[(٦)]، وهو بذلك يريد هذا الموضع فيما ظهر لي، لا رواية سوادة بكمالها.

وجاء في الجامع المنسوب لأبي معشر نسبتُه إلى يزيد بن سوادة البرحي، والمقصود به: سوادة بن زياد كما بيَّنه المحقق[(٧)]، إلا إن كان المراد: يزيد عن سوادة البرحي، فهذا الكتاب -أعني الجامع- قيل إنما هو اختصار لكتاب الهذلي، ولا تصح نسبته للطبري، والهذلي يذهب إلى نسبة العدد الحمصي إلى يزيد بن قطيب كما سيأتي، فيكون المرادُ بما في الجامع: يزيد عن سوادة، فـ: يزيدُ معاصر لسوادة وابن معدان، والله أعلم[(٨)].

---

(١) في الأصل: عباس، وهو تصحيف.

(٢) هكذا في الأصل، والمراد: بجمل آيِ القرآنِ سورة سورة.

(٣) اختلاف العدد (١٠/ أ).

(٤) اختلاف العدد (٣/ أ).

(٥) البيان (٢٥٧).

(٦) الكتاب الأوسط (٤٧٥).

(٧) الجامع (٣٢٠).

(٨) يَرِدُ على هذا الاحتمال أن المصنِّف في فرش سورة التوبة قال: «عدَّها الحمصي واسمه: يزيد بن سوادة=

وثالثهم: شريح بن يزيد أبو حيوة[(١)]:

نسبه إليه الهَمَذاني في مبهج الأسرار قال: «عددُ أبي حيوة»[(٢)]، ثم ذكر أنه مسند إلى أبي عبد الله خالد بن معدان الكلاعي.

ونقل الداني عن ابن شنبوذ بإسناده إلى موسى بن محمد السكوني، قال: قرأت على أبي حيوة شريح بن يزيد الحضرمي، قارئ أهل حمص بعدِّ آيات القرآن، سورة سورة، على هذا العدد، عدد أهل حمص»[(٣)].

وكذا جعله الجعبري من أئمة العدد الذين انتهت إليهم طبقته ووقَفَت عليهم روايته بالأمصار، إلا أنه في باب الإسناد وصله إلى خالد بن معدان[(٤)].

ورابعهم: يزيد بن قُطَيْبٍ[(٥)]:

نسبه إليه الهذلي في كتابه الكامل فقال: «وأما عدد أهل حمص فوصل إلينا من طريق ابن شنبوذ عن [ابن عبد الله][(٦)] عن ابن خالد عن يزيد بن قطيب...»[(٧)].

=البرحي»، وفي آية أخرى: «عدها الدمشقي واسمه: يحيى بن الحارث الذماري» الجامع (٦٣٦)، فهذا يقوِّي أن المصنِّف قصد التسمية والنسبة، والله أعلم.

(١) شريح بن يزيد الحضرمي الحمصي مقرئ الشام، صدوق عالم، وثقه ابن حبان، قرأ على أبي البرهسم، وروى عنه ابنه: حيوة، وكثير بن عبيد، روى له أبو داود والنسائي، توفي عام ٢٠٣ هـ. ينظر: الثقات لابن حبان (٨/ ٣١٣)، تهذيب الكمال (١٢/ ٤٥٦)، غاية النهاية (٢/ ١٨٧).

(٢) مبهج الأسرار (٦٨).

(٣) البيان في عدد آي القرآن (٢٥٨).

(٤) حسن المدد (٢٢٥، ٢٣١).

(٥) يزيد بن قطيب السكوني الحمصي، ثقة له اختيار، قرين خالد بن معدان الحمصي، وهما تلميذَا التابعي المشهور: أبي بحرية عبد الله بن قيس، وقرأ أبو بحرية على الصحابي الجليل معاذ بن جبل ﷺ. ينظر: الكاشف (٢/ ٣٨٨)، غاية النهاية (٤/ ١٤٢).

(٦) بياض في الأصل كما بيَّنه المحقق، وفي تحقيق: عمر حمدان رأى أنه: علي بن عبد الله الحمصي شيخ ابن شنبوذ. ينظر في ترجمته في غاية النهاية (٢/ ٧٨٤).

(٧) الكامل (٣/ ١٣٩).

تفرَّد بهذا الهذلي ولم أجد من قال بهذا فيما وقفت عليه.

والتحقيق في النسبة أن هذا العدد هو عدد خالد بن معدان الكلاعي، إمام هذا العدد، كما ذكر الداني، قال: «ولأهل حمص عدد سابع ... وأوقفته جماعتهم على خالد بن معدان رَحِمَهُ اللَّهُ...».

وما جاء في النسبة إلى أبي حيوة أو سوادة إنما هو نسبة رواية أو طريق، يدل عليه أن أسانيدهما موصولة إلى خالد بن معدان، وكما جاء عن الداني في موضع آخر عند الكلام عن العدد الشامي، قال: «وهو مخالف لعدد أهل حمص، المأخوذ عن مصحف خالد بن معدان، وبه كان يعد أبو حيوة شريح بن يزيد قارئهم، وعليه مصاحفهم إلى اليوم»[(١)].

وأما ما جاء في الكامل من النسبة إلى يزيد بن قطيب فلعله ممن يمر السند به، فإنه حمصي وهو قرين خالد بن معدان كما في ترجمته.

وقد تفرَّد بهذا الهذلي ولم أقف على من وافقه في ذلك، إلا ما كان في الجامع المنسوب لأبي معشر في قوله: يزيد بن سوادة، إذا كان الصحيح فيها: يزيد عن سوادة.

ثانيًا: أسانيده:

رُوي العدد الحمصي بأسانيد مختلفة من طرق متعددة، وأذكر هنا ما وقفت عليه:

إسناد ابن المنادي:

قال: حدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة[(٢)]، قال: حدثني:

---

(١) البيان (١٩٦).

(٢) أبو بكر الحنبلي الحافظ البغدادي، تلميذ الإمام أحمد بن حنبل، روى عنه أبو الحسين ابن المنادِي، وأبو بكر الخلال، وابن مجاهد، قال عنه الدارقطني: ثقة ثقة، توفي عام ٢٩٣هـ. ينظر: تاريخ بغداد: (٥/ ٢٤٤)، طبقات الحنابلة (١/ ٦٤)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٨٣).

مخاشن بن عبدالله الحمصي[(١)]، قال: حدثنا أبو ثوبان مزداد بن جميل[(٢)]، قال حدثنا المعافى بن عمران[(٣)]، قال: حدثنا إسماعيل بن عياش الحمصي[(٤)]، قال: حدثنا سوادة بن زياد الحمصي البرحي[(٥)].

إسناد الداني:

لم يسند الداني العدد الحمصي بخلاف الأعداد الأخرى، وإنما ذكر إسناد ابن

---

(١) هكذا قال ابن المنادي هنا، وفي موضع آخر: مخاشن بن عبد الله أبو علي الحمصي، ولم أقف له على ترجمة بهذا الاسم، إلا أن يكون: مخاشن بن الخير الغساني، ذكره ابن شنبوذ كما في الإكمال لابن ماكولا، وهو شيخ شيخه، وكذا ذكره ابن الجزري في الغاية باسم: محاسن في غير موضع، منها: محاسن بن الخير بن نجبة أبو علي الغساني الحمصي، قال عنه الداني: مقرئ متصدر، وفي موضع آخر قال ابن الجزري: محاسن بن الحسين، روى القراءة عن إبراهيم بن خلي الحمصي، وروى عنه: علي بن عبد الله بن هارون الحمصي شيخ ابن شنبوذ، قال ابن حجر: دارت عليه قراءة أبي بحرية. ينظر: الإكمال (٧/ ١٧٤)، غاية النهاية (١/ ١١٩)، (٢/ ٧٨٤)، (٣/ ١١٩)، لسان الميزان (٦/ ٦).

(٢) أبو ثوبان مزْدَاد بن جميل البهراني الحمصي، حدَّث عن الإمام أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الخولاني الحمصي، وروى عن المعافى بن عمران، وروى عنه: عبد الغافر بن سلامة الحمصي قال: سمعت منه مجالس كثيرة. ينظر: فتح الباب في الكنى والألقاب (١/ ١٧٩)، تاريخ دمشق (٣٦/ ٤٢٦)، تاريخ الإسلام (٦/ ٢١٤).

(٣) أبو عمران الحمصي، المعافى بن عمران الظهري الحميري، روى عن إسماعيل بن عياش ومالك بن أنس، ذكره ابن حبان في الثقات، توفي بعد المائتين. ينظر: الجرح والتعديل(٨/ ٤٠٠)، تهذيب الكمال: (٢٨/ ١٥٦)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٨٦).

(٤) إسماعيل بن عياش بن سليم، أبو عتبة الحمصي، عالِم الشاميين، قال عنه البخاري: إذا حدث عن أهل حمص فصحيح، وقال دحيم: هو في الشاميين غاية، توفي عام ١٨١ هـ. تاريخ بغداد (٦/ ٢١٩)، تهذيب الكمال (٣/ ١٧٦)، الكاشف (١/ ٢٤٨)، تاريخ الإسلام (٤/ ٨٠٩).

(٥) هو سوادة بن زياد البُرحيُّ الحمصي، حدَّث عن خالد بن معدان، وعنه إسماعيل بن عياش، وله رواية في كتاب المصاحف لابن أبي داود في باب اختلاف مصاحف الأمصار التي نسخت من الإمام، ذكره أبو الفداء في كتابه: الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، وله رواية صحيحة عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى الناس: «إنه لا رأي لأحد مع سُنَّةٍ سنَّها رسول الله ﷺ» ينظر: المصاحف (٢٦٨)، الإكمال في رفع الارتياب(١/ ٤٢٠)، توضيح المشتبه (١/ ٤٢٣)، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (٥/ ١٧٥)، السنة للمروزي (٣١)، جامع بيان العلم وفضله (١/ ٧٨١).

شنبوذ بلاغًا فقال: «قال أبو الحسن بن شنبوذ[١] في ما بلغني عنه: حدثني أبو معاوية عثمان بن عمر الحمصي[٢]، قال: حدثني كثير بن عبد الله المذحجي[٣] - مقرئ أهل مسجد حمص- قال: هذا عدد أهل حمص الذي استخرجوه من مصحف خالد بن معدان»[٤].

وذكر إسنادًا آخر لابن شنبوذ أيضا، قال: «قال ابن شنبوذ: وحدثني أبو معاوية بإسناد ذكره، عن المعافى بن عمران، عن إسماعيل بن عياش، عن سوادة بن زياد البرحي بجملة فواتح السور على هذا العددِ، عددِ أهل حمص، وهو عدد خالد بن معدان»[٥].

وساق إسنادًا ثالثًا، قال: «قال ابن شنبوذ: وحدثني أحمد بن عبد الله بن زياد الإيادي[٦]، قال: أنا موسى بن محمد السكوني[٧]، قال: قرأت على أبي حيوة شريح

(١) هو محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ، أبو الحسن البغدادي، شيخ الإقراء بالعراق، كان معروفا بالثقة والخير والصلاح والعلم كما قال ابن الجزري، توفي عام ٣٢٨هـ. ينظر: تاريخ بغداد (١/ ٢٩٥)، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٦٤)، غاية النهاية (٣/ ١٤٧)، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (٢/ ٤٣).

(٢) لم أقف على من ترجم له، وذكره ابن الجزري في ترجمة شيخيه: كثير المذحجي، ومخاشن بن الخير، هو عثمان بن عمير السلمي الحمصي، وفي موضع آخر قال: عثمان بن عمر، ذكر ابن الجزري روايته عن مخاشن من طريق كتاب الكامل، ولم أجدها في النسخة المحققة من الكامل. ينظر: غاية النهاية (٣/ ٨٨)، (١١٩).

(٣) هو كثير بن عبيد بن بشير أبو الحسن المذحجي، مقرئ مصدّر، إمام جامع حمص، قال عنه أبو حاتم: ثقة، قيل إن أباه: عبدالله، وخطأه ابن الجزري، وصوّب: عبيد الله، وهو تلميذ أبي حيوة شريح الحمصي، توفي ٢٥٠هـ أو بعدها. ينظر: الجرح والتعديل (٧/ ١٥٥)، تاريخ دمشق (٥٠/ ٤٠)، تاريخ الإسلام (٥/ ١٢٠٨)، غاية النهاية (٣/ ٨٨).

(٤) البيان (٢٥٧).

(٥) المصدر السابق.

(٦) أبو علي أحمد بن عبد الله بن زياد بن زكريا بن إسماعيل الجبلي الأعرج الإيادي، ذكره الخطيب فيمن روى عن يزيد بن قبيس أبي سهل الشامي، وذكره المزي فيمن روى عن عبد الوهاب بن الضحاك الحمصي، وذكره ابن الجزري في ترجمة شيخه: موسى بن محمد السكوني، أبو سعيد الحمصي، قال صاحب الإرشاد عنه: مقبول. ينظر: تالي تلخيص المتشابه (٢/ ٣٨٨)، تهذيب الكمال (١٨/ ٤٩٥)، غاية النهاية (٣/ ٨٢١)، إرشاد القاصي (١/ ١٣٠).

(٧) موسى بن محمد السكوني، أبو سعيد الحمصي، تلميذ أبي حيوة شريح بن يزيد. ينظر: غاية النهاية (٣/ ٨٢١).

بن يزيد الحضرمي[(١)] قارئ أهل حمص، بعدٍّ آيات القرآن سورة سورة على هذا العدد، عدد أهل حمص»[(٢)].

إسناد الهذلي:

لم يسند الهذلي أيضًا العدد الحمصي، وإنما ذكر إسناد ابن شنبوذ، فقال:

«وأما عدد أهل حمص فوصل إلينا من طريق ابن شنبوذ عن [ابن عبد الله][(٣)] عن ابن خالد[(٤)] عن يزيد بن قطيب[(٥)]..»[(٦)].

إسناد المعدَّل:

لم يُسند المعدّل العدد الحمصي وإنما نقل عن ابن شنبوذ، قال: «قال ابن شنبوذ: وما كان في كتابنا من عدد أهل حمص فإن كثير بن عبيد المذحجي مقرئ أهل الجامع بحمص قال: هذا عدد قُرَّاء أهل حمص الذي استخرجوه من مصحف خالد بن معدان، واستخرجتُ منه هذا العدد»[(٧)].

---

(١) شريح بن يزيد الحضرمي الحمصي مقرئ الشام، صدوق عالم، وثقه ابن حبان، قرأ على أبي البرهسم، وروى عنه ابنه: حيوة، وكثير بن عبيد، روى له أبو داود والنسائي، توفي عام ٢٠٣ هـ. ينظر: الثقات لابن حبان (٨/ ٣١٣)، تهذيب الكمال (١٢/ ٤٥٦)، غاية النهاية (٢/ ١٨٧).

(٢) البيان (٢٥٨).

(٣) بياض في الأصل كما بيَّنه المحقق، وفي تحقيق: عمر حمدان رأى أنه: علي بن عبد الله بن هارون أبو الحسن الكندي الحمصي شيخ ابن شنبوذ، وهو من تلاميذ مخاشن. ينظر: غاية النهاية (٢/ ٧٨٤).

(٤) لم يتبين لي من هو، والإسناد كما هو ظاهر فيه انقطاع، فبين الهذلي وابن شنبوذ أربعة رجال، وبين ابن شنبوذ ويزيد بن قطيب خمسة رجال كما ذكره الهذلي في اختيار أبي بحرية فقد ذكر إسناده بالقراءة إلى أبي بحرية الحمصي. ينظر: الكامل (٤/ ٣٧٥).

(٥) يزيد بن قطيب السكوني الحمصي، ثقة له اختيار، قرين خالد بن معدان الحمصي، وهما تلميذَا التابعي المشهور: أبي بحرية عبد الله بن قيس، وقرأ أبو بحرية على الصحابي الجليل معاذ بن جبل ﷺ. ينظر: الكاشف (٢/ ٣٨٨)، غاية النهاية (٤/ ١٤٢).

(٦) الكامل (٣/ ١٣٩).

(٧) الجامع للأداء (٢/ ٢٥٩).

إسناد الجعبري:

عقد الجعبري بابًا لأسانيده، فذكر أسانيده للأعداد، وعند العدد الحمصي قال: «وبإسنادي إلى الداني قال: بلغني عن أبي الحسن بن شنبوذ عن أحمد الأيادي، عن موسى، عن أبي حيوة شريح إلى خالد بن معدان[١].

فهذه أسانيد العدد الحمصي في كتب العدد فيما وقفت عليه، ولم أجد غيرها.

فأما إسناد ابن المنادي فأوقفهُ على سوادة وذكره في موضعين من كتابه.

- الموضع الأول: في باب سياق جملة عد الحمصي آي القرآن، قال سوادة: «ستة آلاف ومائتان واثنان وثلاثون آية»[٢].
- الموضع الثاني: في سياق كلامه عن بداية العدد الحمصي، وأنه حُدِّثَ به في جُمَل آي القرآن بلا تفصيل وساقه بهذا الإسناد إلى إسماعيل بن عياش الحمصي قال: «حدثنا سوادة بن زياد البُرَحيُّ بجمل آي سورة سورة[٣] من القرآن، فألفيت جملتهم موافقة لجمل أهل الشام إلا في ست وعشرين سورة فإنهم يخالفونهم في جملتها ولا أعرف السبب الذي أصار أهل حمص إلى خلاف أهل دمشق في ذلك أمِن جهة الاختيار أم من جهة المصاحف»[٤].

ولم أجد من ذكر إسنادًا تامًّا سوى ما ذكره ابن المنادي، وهو كما هو ظاهر في العدد الحمصي إجمالًا بلا تفصيل، ثم هو ينتهي بسوادة البرحي.

وأما الداني فلم يُسند العدد الحمصي، وإنما ذكر ثلاثة أسانيد لابن شنبوذ، وبينه وبين ابن شنبوذ انقطاع ظاهر.

ذكر في النقل الأول إسناد ابن شنبوذ إلى كثير المذحجي أنه قال: هذا عدد أهل

---

(١) حسن المدد (٢٣١).

(٢) اختلاف العدد (٣/ أ).

(٣) هكذا في الأصل، والمراد: بجمل آيِ القرآنِ سورة سورة.

(٤) اختلاف العدد (١٠/ أ).

حمص الذي استخرجوه من مصحف خالد بن معدان.

والإسناد الثاني يلتقي مع إسناد ابن المنادي في رواية المعافى بن عمران عن إسماعيل عن سوادة بجملة فواتح السور على عدد أهل حمص.

وأما الإسناد الثالث فقد ذكره عن ابن شنبوذ بإسناده إلى أبي حيوة شريح بن يزيد قارئ أهل حمص، بعدِّ آيات القرآن سورة سورة على هذا العدد.

وأما المعدّل فذكر هذا الأخير بلا إسناد، وفيه زيادة مهمة عن ابن شنبوذ أنه قال: «وما كان في كتابنا من عدد أهل حمص...»، ففيها أن ابن شنبوذ قد دوَّن العدد الحمصي في كتابٍ، وعن كتابه يصدر الأئمة.

وعند تأمُّل المنقول عن ابن شنبوذ[1] يُعلَم من أين أتى التفصيل في العدد الحمصي، خلافًا لابن المنادِي الذي وقف على الإجمال ولم يبلغه التفصيل، وهو معاصر لابن شنبوذ.

فالذي يظهر والله أعلم أن مصدر ذلك التفصيل هو كتاب ابن شنبوذ الذي ذكره المعدّل في الروضة، فهذه الأسانيد وإن كانت منقطعة بين الداني وابن شنبوذ فقد يُجبر هذا الانقطاع إن كانت روايتهم له من كتاب ابن شنبوذ المذكور، وهو الغالب، وجَبْرُ الانقطاع عند الرواية عن كتابٍ معروف عند أهل التحقيق، كما في رواية ابن أبي نجيح وليث بن أبي سليم وغيرهما عن مجاهد بن جبر، فلم يسمعوا من مجاهد وإنما أخذوا من كتاب القاسم بن أبي بزة وهو ممن سمع التفسير من مجاهد، فروايتهما مقبولة[2].

(١) أعني كَقَوْلِ كثير المذحجي، وهو تلميذ أبي حيوة: «هذا عدد أهل حمص»، وقول موسى السكوني: «قرأت على أبي حيوة شريح بن يزيد الحضرمي قارئ أهل حمص، بعدِّ آيات القرآن سورة سورة على هذا العدد، عدد أهل حمص» فدلالتها على التفصيل ظاهرة. ينظر: البيان (٢٥٧ – ٢٥٨).

(٢) ينظر: الثقات لابن حبان (٧/ ٥، ٣٣١).

ولذلك اعتمد الدانيُّ ابنَ شنبوذ، قال الذهبي: «واعتمده أبو عمرو الداني والكبار؛ وثوقًا بنقله وإتقانه...»[(١)]، فلأجل هذا والله أعلم نقلَ الأئمة تفصيلَ العدد الحمصي.

وأما الهذلي فلم يذكره بإسناده، وإنما نقله عن ابن شنبوذ إلى يزيد بن قطيب بإسناد غير تام فيه سقط ظاهر بين ابن شنبوذ وابن قطيب، وليس كما جاء عند الداني، فبين ابن شنبوذ وابن قطيب خمسة رجال كما جاء عند الهذلي في إسناده لاختيار أبي بحرية[(٢)]، فلو كان الانقطاع بين الهذلي وابن شنبوذ فحسب فقد يقال إن الهذليَّ رواه من كتاب لابن شنبوذ كما سبق بيانه، ولكن الانقطاع ظاهرٌ ومؤثِّر.

وأما ما جاء عن الجعبري فالكلام عليه كالكلام في أسانيد الداني، فلم يخرج عنه.

(١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٦٥).

(٢) ينظر: الكامل (٤/ ٣٧٥).

المبحث الثاني

موقف العلماء من العدد الحمصي

اختلف العلماء المتقدمون والمتأخرون في العدد الحمصي، وقد اقتصرت في هذا المبحث على ذكر القدماء وانتهيت إلى الجعبري، ولم أذكر مواقف المتأخرين، وقد سبق في التمهيد ذكر المؤلفات التي تناولت العدد الحمصي، وسأذكر في هذا المبحث موقف مؤلفيها من العدد الحمصي مرتبًا ذكرهم ترتيبًا زمنيًّا، فأقول وبالله التوفيق، ومنه أستمدُّ العون والتسديد:

أولًا: كتابُ اختلاف العدد:

يعدُّ هذا المصنَّف أقدم كتاب في علم العدد وصل إلينا ممن تناول العدد الحمصي، وهو الأنفس فقد جاء فيه ما ليس في غيره، ومؤلفه الإمام أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد ابن المنادي الحنبلي المتوفى عام ٣٣٦ هـ، عالم محقق متفنن، كثير التصنيف، قال عنه ابن أبي يعلى: «كان حجة فيما يرويه، محصلًا لما يحكيه، صنَّف كتبًا كثيرة، وجمع علومًا جمَّة..»[(١)]، وقال عنه ابن الجزري: «أحمد بن جعفر بن محمد أبو الحسين البغدادي، المعروف بابن المنادِي، الإمام المشهور، حافظ، ثقة، محقق، ضابط..»[(٢)].

وقد وقفت على كتابه هذا مخطوطًا، ويقع في ٦٩ لوحًا، ونسخته فريدة، وقد كان مفقودًا حينًا من الدهر، حتى أعلن مركز الملك فيصل عن وجود نسخة له.

وقد جعل المصنِّف كتابه في اختلاف العدد في الأمصار، ومنها عدد أهل حمص، وكان منهجه في ذلك كالآتي:

❖ عند ذكر المصنف لمصدر العدد الشامي وإسناده، ذكر العدد الحمصي فقال: «ثم صار إلينا بعد ذلك عددٌ يُنسب إلى أهل حمص في جمل آي القرآن بلا

(١) طبقات الحنابلة (٢/ ٣).

(٢) غاية النهاية (١/ ٢٠٢).

تفصيل..»، ثم ساق إسناده به إلى إسماعيل بن عياش الحمصي قال: «حدثنا سوادة بن زياد البُرَحيُّ بجمل آي سورة سورة[١] من القرآن، فألفيت جملتهم موافقة لجمل أهل الشام إلا في ست وعشرين سورة فإنهم يخالفونهم في جملتها ولا أعرف السبب الذي أصار أهل حمص إلى خلاف أهل دمشق في ذلك أمِن جهة الاختيار أم من جهة المصاحف»[٢].

❖ عقد أبوابًا لجملة عدد آي القرآن لأئمة العدد، وقد ساق ذلك بأسانيده، ثم عقد بابًا للعددِ الحمصيِّ فقال: «سياقُ جملةِ عدِّ الحمصيِّ آيَ القرآن»[٣]، ثم ساق بإسناده إلى سوادة بن زياد الحمصي، قال: «ستة آلاف ومائتان واثنان وثلاثون آية»[٤].

❖ سلك ابن المنادي مسلك الإجمال، فعند ذكره مخالفة العدد الحمصي للشامي في عدد آي القرآن فإنه يُجمل ولا يفصل، قال: «ونُجمل أهلَ حمصٍ؛ فإن وافقَ أهلُ حمصٍ أهلَ الشام الذين لهم السبب الأقوى في العدد أدرجناهم في الوصف، فقلنا: عدَّ أهلُ الشام، لم يعُدَّ أهل الشام، فإن وقع بينهم خلاف أفردنا أهل حمص بالذكر، وكذلك نفعل بأهل الشام الذين هم الدمشقيون المشتهرون بالعدد»[٥].

وقال أيضا: «ولا نحيط علمًا بالذي خالفوا فيه أهل الشام المذكورين أول هذه الأبواب من هذه الست أو السبع الآيات لأنه لا تفصيل لهم عندنا...»[٦].

(١) هكذا في الأصل، والمراد: بجمل آيِ القرآنِ سورة سورة.
(٢) اختلاف العدد (١٠/ أ).
(٣) اختلاف العدد (٣/ أ).
(٤) اختلاف العدد (٣/ أ).
(٥) اختلاف العدد (١٥/ أ).
(٦) اختلاف العدد (٣/ أ).

وقال أيضا في سورة التَّحِلَّة (التحريم)، قال: «اثنتا عشرة آية في عد الجميع لا اختلاف بينهم في شيء منها إلا أن أهل حمص [زادوا][(١)] آية على هذه الجملة ولا علم لنا بالآية التي أوجبت لهم الزيادة على ذلك ما هي من هذه السورة..» [(٢)].

وقال أيضًا في انفرادة الحمصي التي في سورة البروج: «فإن كانوا عدُّوا: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ آية، وإلا فإنَّا لا ندري مم جاءت زيادتهم على السائر...»[(٣)].

وقال في ختام باب خلاف أهل حمص لسائر أهل العدد: «..ولكن [لا][(٤)] تفصيل عندنا لشيء من هذه السور...»[(٥)].

❖ إذا اتفق عدد آي السورة بين الدمشقي والحمصي، فإنه يقول: (عدّ الشامي)، ويدخل معه الحمصي وإن كان مخالفًا له في التفصيل، وذلك في ثمان سور هي: (آل عمران، والتوبة، والرعد، والقصص، والصافات، وص، والزمر، والدخان)[(٦)] فاكتفى ابن المنادي بذكر عدد آيها عند الشامي، ولم يُشر إلى الخلاف بينهما من حيث التفصيل، وذلك لتساوي عدد الآي من حيث الإجمال.

❖ وإذا خالف الحمصيُّ الدمشقيَّ في الإجمال فإنه يقول في فرش الحروف: (الشامي سوى أهل حمص) ولا يذكر تفصيل الخلاف بينهما، وهذه طريقته في ست وعشرين سورة[(٧)]: (هود، وإبراهيم، وطه، والمؤمنون، والنور، والعنكبوت،

---

(١) في الأصل: زاد، وأثْبَتُّ الصواب من فنون الأفنان، فقد نقله عنه بنصِّه.

(٢) اختلاف العدد (٤٨/ ب).

(٣) اختلاف العدد (٥٣/ أ).

(٤) زيادة يقتضيها السياق، ويدل عليها ما سبق من نفيه العلمَ بتفصيلِ الخلافِ في العدد الحمصيِّ.

(٥) اختلاف العدد (٦٥/ ب).

(٦) هناك خلاف بين علماء العدد في ثلاث سور (هود، والطلاق، والبينة)، هل الحمصي والدمشقي متفقان في عدد آيها، واختار ابن المنادي اختلافهما في هود والطلاق قولًا واحدًا، وذكر الخلاف في البينة في الفرش، إلا أنه أعرض عن ذكرها في الباب الذي عقده لذكر السور التي وقع فيها الخلاف بين الحمصي والدمشقي ترجيحًا منه لاتفاقهما في عدد آيِها.

(٧) جعل ابن المنادي سورة البيِّنة في الفرش مما خالف الحمصي الدمشقي في عدد آيها، فهي ثمان عند=

وفاطر، وغافر، والشورى، ومحمد، والنجم، والطلاق، والتحريم، والحاقة، والمعارج، ونوح، والمزمل، والمدثر، والقيامة، وعبس، والبروج، والعلق، والزلزلة، والقارعة، وقريش، والماعون)[(١)]، والإجمال هو منهجه الغالب، لم يفصِّل إلا في موضعين :

الموضع الأول: في سورة الأعلام (الشورى) قال: «ونرى أن الزيادة التي جاءت من أهل حمص على أهل الشام في الجملة من أجل أنهم كانوا يعدُّون: ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ آية، وإلا فليس لأحد منهم، ولا ممن سواهم في حروف الهجاء شِرْكَةٌ مع الكوفي..»[(٢)].

الموضع الثاني: سورة البروج: «اثنتان وعشرون آية في قول الجميع لا اختلاف بينهم في شيء منها إلا في قول أهل حمص فإنها في عدِّهم ثلاث وعشرون آية بزيادة آية، فإن كانوا عدُّوا: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ آية، وإلا فإنَّا لا ندري مم جاءت زيادتهم على السائر...»[(٣)].

=الحمصي، وتسع عند الدمشقي، فيكون مجموع السور التي وقع فيها الخلاف ٢٧ سورة، إلا أنه أعرض عن ذكر سورة البينة في الباب المعقود لذكر السور التي وقع فيها الخلاف بينهما، وذلك لأجل رواية ابن العباس وابن الصقر في عدم عدِّ ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ للدمشقي، كما فصَّله في عدة مواضع من كتابه: (٦/ ب)، (٥٦/ ب)، والله أعلم.

(١) ذكرتُ أسماء السور هنا على المشهور، وقد سمَّى المصنف جملة من السور بغير المشهور، فمن ذلك: تسمية سورة طه بـ:سورة موسى، وسورة ص بـ: سورة داود، وسورة الطلاق بـ: سورة: العِدَّة، وسورة التحريم بـ: سورة التَّحِلَّة، والماعون بـ: سورة الدِّين.

(٢) اختلاف العدد (٤٢/ ب)، والتحقيق في زيادة أهل حمص هنا ليس كما قال المصنِّف، وإنما هو لعَدِّهم مع الكوفي: ﴿عَسَقَ﴾[الشورى: ٢]، وأمَّا: ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ فقد انفرد بعدِّها الكوفي كما بيَّنه المصنِّف نفسُه في باب ما انفرد بعدِّه الكوفي، وكذا تتابع عليه الأئمة كالداني والهذلي وغيرهما، وهذا يؤكد قوله في نفي العلم بتفصيل الخلاف: «ولا نحيط علمًا بالذي خالفوا فيه أهل الشام المذكورين ... لأنه لا تفصيل لهم عندنا...» اختلاف العدد (٣/ أ).

(٣) اختلاف العدد (٥٣/ أ).

❖ عقد بابا جمعَ فيه السور التي وقع فيها الخلاف بين الشامي والحمصي، وقد سبق ذِكرُه لذلك في الفرش، في بداية السوَرِ التي وقع فيها الخلاف، فجمعه في باب واحد، وعَنْوَن له بـ: «سياق الموجود بين الشامي والحمصي من الخلاف» وذكر أن الخلاف وقع بينهما في عدد آي السور في ست وعشرين سورة، ثم ذكر السور وعدد آيها عند الدمشقيين والحمصيين إجمالًا، وختم الباب بقوله: «فذلك ست وعشرون سورة وقع في جملتها خلاف بين الحمصيين وبين إخوانهم الدمشقيين، ثم هم بعد ذلك يوافقونهم على جمل آي السور..»[(١)].

❖ ثم ساق بابًا في خلاف أهل حمص لسائر أهل العدد، وذكر أنه وقع في ثماني سور وهي: (طه، والنور، والعنكبوت، وفاطر، والشورى، والطلاق، والتحريم، والبروج) ثم ختم بقوله: «لم يوافقهم على شيء في ذلك أحد من أئمة العدد، ولكن [لا][(٢)] تفصيل عندنا لشيء من هذه السور...»[(٣)].

❖ عقد أبوابًا لما انفرد بعدِّه أهل كل عدد، وجعلها ستة أبواب: (الشامي، والكوفي، والمكي، والمدني الأول، والمدني الأخير، والبصري) ولم يذكر انفرادات الحمصي، لأجل ما سبق ذكره.

❖ عقد أبوابًا لما انفرد بتركه أهل كل عدد إلا الحمصي فلم يعقد له بابًا، وقد جعلها أبوابًا: (الشامي، الكوفي، المكي، المدنيان، المدني الأول، المدني الأخير، أبو جعفر وشيبة، البصري).

ثانيا: البيان في عدِّ آي القرآن:

هذا الكتاب الثاني الذي تناول العدد الحمصي، وهو كتاب عظيم نفيس، لعالم نحرير محقق مدقق، عثمان بن سعيد الداني المتوفى عام ٤٤٤هـ، صاحب التصانيف الشهيرة النافعة، وكان منهجه في العدد الحمصي كالآتي:

---

(١) اختلاف العدد (٦٤/ أ).

(٢) زيادة يقتضيها السياق، ويدل عليها ما سبق من نفيه العلم بتفصيل الخلاف في العدد الحمصي.

(٣) اختلاف العدد (٦٥/ ب).

❖ عقد بابًا عنْون له بـ: «باب ذكر الأعداد وإلى من تنسب من أئمة الأمصار ومن رواها عنهم» ذكر فيه الأعداد الستة المعروفة (عدد المدني الأول، عدد المدني الأخير، عدد أهل مكة، عدد أهل الكوفة، عدد أهل البصرة، عدد أهل الشام) ثم قال: «ولأهل حمص عدد سابع كانوا يعدُّون به قديمًا، وافقوا في بعضه أهل دمشق، وخالفوهم في بعضه...»(١).

❖ ذكر أن هذا العدد موقوف على التابعي الجليل ابن معدان، فقال: «وأوقفته جماعتهم على خالد بن معدان رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو من كبار تابعي الشاميين»(٢).

❖ ثم ذكر ثلاثة نقول عن ابن شنبوذ في العدد الحمصي ولم يذكر إسناده إلى ابن شنبوذ، وأول نقول ابن شنبوذ ينتهي إلى كثير المذحجي، وثانيها إلى سوادة بن زياد، وثالثها إلى أبي حيوة شريح الحضرمي، وسبق الكلام عليها في مبحث الأسانيد(٣).

❖ ثم ذكر طريقته في تناول العدد الحمصي، قال: «وقد ذكرتُ في كتابي هذا من عددِهم ما انفردوا بعدِّهِ وإسقاطه خاصَّةً، دون ما وافقوا فيه غيرهم من أئمة أهل العدد»(٤).

❖ وقد ذكر انفرادات العدد الحمصي في باب ما انفرد العادون بعدِّه وإسقاطه من جملة المختلف فيه من الآي، فذكر ستة عشر موضعًا لما انفرد بعده، وأربعة عشر موضعًا لما انفرد بتركه.

❖ عقد بابًا للسند الذي أدَّى إليه هذه الأعداد عن الأئمة، ولم يذكر العدد الحمصي فيها، ولهذا السبب ولقوله عن العدد الحمصي: «لدثور عددهم وعدمِ من

(١) البيان (٢٥٦).
(٢) المصدر السابق.
(٣) البيان (٢٥٧).
(٤) البيان (٢٥٦).

يتولاه ويأخذ به من المتصدرين بالشامِ وغيرها..»[(١)] اقتصر في ذكره له على الانفرادات ولم يذكره في الفرشِ فيما وافقوا فيه غيرهم، فكأن الباعث على ترك العدد الحمصي عنده هو انقطاع سنده، وعدم نقلِه، ولذلك قال: «كانوا يعدون به قديمًا»، أي: ثم تركوا، والله أعلم.

ثالثا: الكامل في القراءات:

لأبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي المتوفى سنة ٤٦٥هـ، قال عنه ابن الجزري: «فلا أعلم أحدًا في هذه الأمة رحل في القراءات رِحْلته، ولا لقي من لقي من الشيوخ..». تتلمذ على ثلاثمائة وخمسة وستين شيخًا، وكتابه الكامل من أوسع ما كُتب في القراءات وعلومها، وقد أفرد فيه كتابا سماه: «كتاب العدد» ذكر فيه الأعداد المشهورة، وتناول العدد الحمصي، وكان منهجه فيه كالتالي:

❖ في مقدمة كتاب العدد ذكر أن عدد آي القرآن عند أهل حمص: ست آلاف ومائتان وأربع وخمسون أو ست وخمسون[(٢)]، ولم أقف على من وافقه على ذلك.

❖ ذكر أن العدد الحمصي وصله من طريق ابن شنبوذ، ولم يذكر الهذليُّ شيخَه الذي أخذ عنه العددَ الحمصي فقال: «وأما عدد أهل حمص فوصل إلينا من طريق ابن شنبوذ»[(٣)]، بخلاف العدد المدني والمكي والشامي والتي رواها عن شيخه الشيرازي، والعدد البصري والكوفي، رواهما عن شيخه: أبي محمد الذراع الطيرائي .

❖ ذكر إسناد ابن شنبوذ وانتهى إلى: يزيد بن قُطَيْبٍ الحمصي تلميذ أبي بحرية، ولم أقف على من نسبه إلى يزيد غيره، وقد سبق الكلام على هذا الإسناد وما فيه من الانقطاع.

---

(١) البيان (٢٥٦).

(٢) الكامل (٢/ ١٣٠).

(٣) الكامل (٣/ ١٣٩).

❖ حكم على العدد الحمصي بالشذوذ، ومع حكمه بالشذوذ عليه الْتزم ذِكرَه، قال: «وهو شاذٌّ، لكنَّا نُبيِّن الجميع إن شاء الله عز وجل»[(١)] فبيَّنَ ما انفردوا به، وما وافقوا فيه غيرهم.

❖ ذكره في الفرش في كل القرآن، فإذا اتفق (الدمشقي والحمصي) قال: شامي، وإذا اختلفا فرَّق بينهما، يذكرُ عدد آي السورة إجمالًا عند الشامي، وعند الاختلاف يذكر عدد آيها عند الدمشقي، وعند الحمصي، ثم يذكر التفصيل فيما عُدَّ وأُسقِط.

❖ وقفت على بعض الأخطاء فيما يتعلق بالعدد الحمصي، ذكرتها في مبحث الانفرادات، وسببها: النسخة الخطية الوحيدة للكتاب، التي اعتمد عليها المحققون للكتاب، ولم يجدوا له نُسخًا أخرى.

رابعًا: الجامع في القراءات العشر:

وهو منسوب لأبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري، المتوفى عام ٤٧٨ هـ، وقد ذكر العدد الحمصي، وكان منهجه كالتالي:

❖ بوَّب بابًا بعنوان: «ذكر اختلاف أهل الأمصار في عدد آي السور»[(٢)]، ذكر فيه الأعداد المشهورة، وذكر عدد أهل حمص ونسبه إلى يزيد بن سوادة البرحي[(٣)]، وفيه نظر، وقد سبق التنبيه عليه في مبحث النسبة.

❖ في باب جملة عدد آي القرآن ذكر عدده عند أهل الشام، ولم يذكر عدده عند أهل حمص[(٤)].

❖ ذكر مذاهب أهل العدد -ومنهم أهل حمص- في عدد آي السور، وما

(١) الكامل (٣/ ١٣٩).
(٢) الجامع (٣١٧).
(٣) الجامع (٣٢٠).
(٤) الجامع (٣٢٤).

اختلفوا فيه تفصيلًا في أوائل السور بعد ذكر المكي والمدني، ذكر ما انفردوا به وما وافقوا فيه غيرهم، فإذا اتفق الدمشقي والحمصي قال: شامي، وإذا اختلفا فرَّق بينهما.

❖ انفرد الطبري في عدد من المواضع التي أجمع الأئمة على كونها انفرادة للحمصي، فيجعل الدمشقي معه، قائلًا: عدَّها الشامي وحده، أو تركها الشامي وحده، وليس مرادُه بالشامي الحمصيَّ كما بيَّنته في موضعه في مبحث الانفرادات.

خامسًا: الجامع للأداء روضة الحفاظ:

وهو لأبي إسماعيل موسى بن الحسين بن إسماعيل الـمُعدّل المصري، أستاذ عارف كما قال ابن الجزري[(١)]، وكتابه هذا من أصول النشر، ذكر فيه القراءات العشر، وما زاد عليها، وعقد بابًا للعدد عنوانه: «باب ذكر من ينسب إليه العدد المذكور في كتابنا على ما قدمناه في السور»[(٢)]، ذكر فيه الأعداد المشهورة، وذكر العدد الحمصي، وكان منهجه فيه كالتالي:

❖ ذكر إسناده بالأعداد المشهورة عن شيخه الطرابلسي وابن محمود الفقيه، من طريق ابن شاذان إلى من تُنسب إليهم، ولم يذكر العدد الحمصي فيهم.

❖ ثم ذكر الأعداد المشهورة عن شيخه المصاحفي من طريق ابن شنبوذ بإسناده، وذكر العدد الحمصي، وأوقفه على ابن معدان، ونقل قول ابن شنبوذ: «وما كان في كتابنا من عدد أهل حمص فإن كثير بن عبيد المذحجي مقرئ أهل الجامع بحمص قال: هذا عدد قُرَّاء أهل حمص الذي استخرجوه من مصحف خالد بن معدان، واستخرجتُ منه هذا العدد»[(٣)].

---

(١) غاية النهاية (٣/ ٨١٠).

(٢) الجامع للأداء (٢/ ٢٥٥).

(٣) الجامع للأداء (٢/ ٢٥٩).

❖ سلك مسلك الإيجاز والاختصار فيما ذكره من الأعداد المروية، قال: «فهذه جملة أنساب أهل العدد من أهل الأمصار، قد بيَّنَّاه على الإيجاز والاختصار، من طريق الشيخين ابن شاذان[١] وابن شنبوذ إمامي أهل الأقطار، وبالله التوفيق»[٢].

❖ ذكر عدد آي السورة إجمالا عند الشامي، وعند الاختلاف يذكر عدد آيها عند الدمشقي، وعند الحمصي، ثم يذكر التفصيل فيما عُدَّ وأُسقِط.

● الْتزم ذكر العدد الحمصي في فرش الحروف من أول القرآن إلى آخره، فبيَّنَ ما انفردوا به، وما وافقوا فيه غيرهم، فإذا اتفق (الدمشقي والحمصي) قال: شامي، وإذا اختلفا فرَّق بينهما.

سادسًا: الكتاب الأوسط:

وهو لأبي محمد الحسن بن علي بن سعيد العُمَاني، قال عنه ابن الجزري: «إمام محقق فاضل»[٣]، وكتابه هذا في القراءات الثمان ضمَّنه بابًا عنوانه: «باب في عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه»، ذكر فيه الأعداد المشهورة، وذكر العدد الحمصي، وكان منهجه فيه كالتالي:

❖ ذكر الأعداد المتداولة وإلى من تُنسب، ونسب العدد الشامي إلى الذماري، وأخبر أنه مُسند إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولم يذكر نسبة العدد الحمصي، إلا ما كان منه في موضع البروج في نسبته ذلك إلى سوادة بن زياد، وقد سبق الكلام عليه في مبحث النسبة.

---

(١) هكذا قال بعدما ساق الأعداد المتداولة، إلا أنه ذكر العدد الحمصي من طريق ابن شنبوذ فحسب، ولم يذكره عند ذكر طريق ابن شاذان، وإنما اكتفى بذكر عدد (الكوفة، والبصرة، والمدينة، ومكة، والشام)، وعند ذكر طريق ابن شنبوذ ذكر هذه الأمصار مضيفًا إليها: (أهل حمص).

(٢) الجامع للأداء (٢/ ٢٥٩).

(٣) غاية النهاية (١/ ٧٤٩).

❖ التزم ذكر الخلاف بين الحمصي والدمشقي في فرش الحروف، قال: «وربما يختلف أهل حمص وأهل دمشق، والفريقان من أهل الشام، وإذا مررنا بمواضع الخلاف بيَّناه إن شاء الله»[(١)].

❖ ذكر عدد آيات القرآن إجمالا في مذاهب أئمة الأمصار، ولم يذكر عددها في مذهب الحمصي.

❖ ذكر عدد آي كل سورة في أولها للعادين، إذا اتفق الدمشقي والحمصي في عددها قال: شامي، وإذا اختلفا فرَّق بينهما، فيذكر عدد آيها عند الدمشقي، وعند الحمصي، هذا من حيث الإجمال.

❖ وأما التفصيل فالْتزم ذكر العدد الحمصي في فرش الحروف من أول القرآن إلى آخره، فبيَّنَ ما انفردوا به، وما وافقوا فيه غيرهم، وإذا قال: (شامي) فإنه يريد به: الدمشقي والحمصي، وإذا اختلفا فرَّق بينهما.

❖ عقد بابًا للمواضع التي شذَّت، فقال: «السور التي لم يختلف في عدد آياتها إلا أهلُ الشام أو غيرهم ممن شذَّ، ولم يُعتدَّ به»[(٢)] فذكر سبع سور: يونس، وسبأ، والتحريم، والمعارج، والتكوير، والبروج، والمسد.

وقوله هنا: «أهل الشام» يعني به: الشامي (الدمشقي والحمصي) في موضع يونس وسبأ، والدمشقي وحده في موضع المعارج، ويريد به: الحمصي وحده في موضعي التحريم والمسد، ورواية سوادة في موضع البروج[(٣)]، وقوله: «غيرهم» يريد به: أبا جعفر في موضع التكوير.

---

(١) الكتاب الأوسط (٤٧٧).

(٢) الكتاب الأوسط (٤٧).

(٣) قال في سياق ذكر انفرادة الحمصي في سورة البروج، بعدما نسبها إلى سوادة بن زياد: «وهي رواية شاذة، لا يُعتدُّ بها» وهو بذلك يريد هذه الرواية لهذا الموضع، والله أعلم.

وعلَّة تشذيذه فيما يظهر: مخالفتهم عنده إجماع أئمة الأمصار في عدد آيات هذه السُّور، وعدم اعتباره الخلاف في هذه السور.

سابعًا: مبهج الأسرار في معرفة اختلاف العدد:

لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار، الإمام الحافظ الأستاذ كما قال ابن الجزري[١]، وله مصنفات عديدة، ومنها هذا الكتاب القيِّم[٢]، في علم العدد تناول فيه مذاهب أئمة الأمصار، وذكر منهم العدد الحمصي، وكان منهجه في الآتي:

❖ ذكر أئمة العدد الذين تنسب إليهم الأعداد، فقال: «اعلم أن أئمة العدد في جميع الأقطار عشرة رجال من ستة أمصار... ثم قال: ومن أهل الشام: أبو عمران عبد الله بن عامر اليحصبي، وأبو عمرو يحيى بن الحارث الذماري، أبو حيوة شريح بن يزيد الحضرمي الحمصي»، والثالث هو إمام العدد الحمصي عند المصنِّف.

❖ ثم ذكر معتمَد عدد أبي حيوة فقال:

«وعدد أبي حيوة مسند إلى أبي عبد الله خالد بن معدان الكلاعي السلمي الحمصي، وهو من كبار التابعين، سمع أبا عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي ، وأبا محمد عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي...وغيرهم من الصحابة والتابعين، وحكى عنه أبو عمرو صفوان بن عمرو السكسكي أنه قال: لقيت سبعين رجلًا من أصحاب النبي ﷺ»[٣].

❖ ذكر منهجه في إيراده العدد الحمصي وأنه إذا ذكر أبا حيوة وحده قال: حمصي، فإذا اتفق ابن عامر والذماري قال: دمشقي، وإذا اتفق الثلاثة قال: شامي[٤].

---

(١) ينظر: غاية النهاية (١/ ٦٩٧).

(٢) هذا الكتاب مختصر من كتاب آخر له في العدد أشار له بقوله: «فإن هذا كتاب في العدد اختصرته...ثم قال في موضع آخر الكتاب: وقد ذكرنا الأسانيد الباقية في كتابنا الكبير في العدد» مبهج الأسرار (٣٧، ٣١٩).

(٣) مبهج الأسرار (٦٨- ٦٩).

(٤) مبهج الأسرار (٦٩- ٧٠).

❖ ثم شرع في الفرش مبتدئًا بعدد آي السور ثم ذكر مواضع الخلاف مما عُدَّ وتُرِك في مذاهب أهل العدد -ومنهم العدد الحمصي- من أول القرآن إلى آخره، ما انفردوا فيه، وما وافقوا فيه غيرهم.

❖ عقد بابًا في ذكر جمل القرآن وآيه، وذكر عدد آي القرآن في مذهب أهل حمص، فقال: «ومبلغه في عدد أهل حمص: اثنتان وثلاثون آية»[(١)]، أي: فوق ستة آلاف ومائتي آية.

❖ ثم ذكر عدد حروف القرآن عند أئمة العدد، فعددها في مذهب أبي حيوة: ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستمائة وخمسة وتسعون حرفًا[(٢)].

ثامنًا: فنون الأفنان في عيون علوم القرآن:

لأبي الفرج عبد الرحمن الجوزي، قال عنه ابن الجزري: «شيخ العراق وإمام الآفاق، تلا بالعشر..»[(٣)]، وهو كثير التصنيف، وكتابه هذا في علوم القرآن، وضمَّنه بابًا موجزًا عنوانه: «باب عدد سور القرآن، وآياته، وكلماته، وحروفه، ونقطه»[(٤)].

وقد كان معتمده في ذكر العدد، كتاب: اختلاف العدد لابن المنادِي[(٥)] الذي سبق الكلام عنه، إلا أنه أوجز العبارة، ولم يخرج عنه في الجملة، إلا أنه زاد عليه في بعض المواضع، ببيان المجمل، وتقييد المطلق كما سيظهر جليًّا في مبحث انفرادات الحمصي عدًّا وتركًا، وقد تكون تلك الزيادات موجودة في نسخة أخرى لكتاب ابن المنادِي، فلم أقف إلا على نسخة وحيدة متأخرة لكتاب ابن المنادي، أو تكون تلك الزيادات مما نقله ابن الجوزي عن غيره.

(١) مبهج الأسرار (٣١٢، ٣١٣).
(٢) مبهج الأسرار (٣١٦).
(٣) غاية النهاية (٢/ ٣٣٣).
(٤) فنون الأفنان (٢٣٣).
(٥) ويدلُّ على هذا أيضًا ما ذكره ابن الجوزي في مطلع باب العدد حيث قال: «فقال أبو الحسين ابن المنادِي».

تاسعًا: حسن المدد في معرفة العدد:

لبرهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري، العلامة الأستاذ ألَّف التصانيف في أنواع العلوم[١]، له كتاب حسن المدد في معرفة فن العدد، من أوسع ما كُتب في علم العدد، وهو يشبه كثيرًا كتاب أبي العلاء مبهج الأسرار، تناول فيه المصنفُ علمَ العدد رواية ودراية، وعليه المعوَّل عند المتأخرين، وقد ذكر فيه العدد الحمصي، وكان منهجه فيه كالآتي:

❖ عقد بابًا لأئمة العدد الذين انتهت إليهم طبقته ووقفت عليهم روايته بالأمصار، وذكر عشرة، كما فعل الهمذاني، ففي الشام ثلاثة: ابن عامر، والذماري، وأبو حيوة شريح بن يزيد الحضرمي، ثم قال بعد ذلك: «فهؤلاء هم الذين تصدَّوا لتعليمه، فاشتهر عنهم، ودار عليهم مع ما انضم إليهم من الحفظ والضبط والدين، مع سلامة العقائد...»[٢].

❖ إذا اتفق أئمة الشام الثلاثة قال: شامي، وإذا اتفق ابن عامر والذماري قال: دمشقي، وإذا انفرد أبو حيوة قال: حمصي.

❖ وقد كان هذا منهجه في الإجمال والتفصيل، أعني في ذكر عدد آي السور، وكذلك في الفرش، من أول القرآن إلى آخره.

❖ عند ذكر إسناده للعدد الحمصي قال: «وبإسنادي إلى الداني قال: بلغني عن أبي الحسن بن شنبوذ عن أحمد الأيادي، عن موسى، عن أبي حيوة شريح إلى خالد بن معدان»[٣]، فأوصله إلى خالد بن معدان.

❖ ثم قال: «قال الداني: وهذه الأسانيد وإن كانت موقوفة فيما بلغنا، فهي

(١) غاية النهاية (١/ ١٣٨).

(٢) حسن المدد (٢٢٥).

(٣) حسن المدد (٢٣١).

مرفوعة إلى النبي ﷺ»[(١)].

وصنيعه هذا يوهم بأن العدد الحمصي داخل في قول الداني، وذاك خلاف ما في البيان للداني، فقد قال هذا عند ذكر الأعداد الستة وأسانيدها، وبعد ذلك قال: «ولأهل حمص عدد سابع، كانوا يعدون به قديمًا...»[(٢)].

❖ عقد بابًا في ذكر جملة عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه ذكر فيه عدد حروف القرآن في مذهب أبي حيوة فقال: «ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفًا وستمائة وخمسة وتسعون حرفًا»[(٣)].

ومن الأئمة من ذكر الحمصي في مواضع يسيرة كالمالكي صاحب كتاب الروضة في القراءات الإحدى عشرة، فقد عقد بابًا عنونه بـ: (باب نذكر فيه ما اختلفوا فيه من الآي)، ضمنه العدد المدني الأول والأخير، والمكي، والكوفي، والبصري، والشامي -ويعني بالشامي: الدمشقي-، ولم يذكر العدد الحمصي إلا في موضعين هما:

الموضع الأول: في فرش سورة طه، ذكر عدد آيِها عند الحمصي، فقال: «وعدد آيِها مائة وثلاثون واثنتان: بصريٌّ، وأربعٌ مدنيان ومكيٌّ، وخمس كوفيٌّ، وثمانٍ حمصيٌّ، وأربعون شاميٌّ في غير رواية أهل حمص»[(٤)]، وإجماله هذا كإجمال ابن المنادي في بداية سورة طه، قال: «مائة واثنان وثلاثون آية في عدِّ البصري وعطاءٍ، وأربعٌ في عد المكي والمدنيين، وخمس في عدِّ الكوفي، وثمانٍ في عدِّ أهل حمصٍ، وأربعون في عدِّ الشامي سوى أهل حمص»[(٥)].

(١) نقل الجعبري قول الداني بتصرف. حسن المدد (٢٣١).
(٢) البيان في عد آي القرآن (٢٥٦).
(٣) حسن المدد (٢٣٩).
(٤) الروضة للمالكي (٤١٧).
(٥) اختلاف العدد (٣٠/ ب).

ثم لم يذكر الموضعين اللذَين انفرد بعدِّهما الحمصي في سورة طه وهما: ﴿فِي ٱلۡيَمِّ﴾ [٣٩]، و﴿ضَنكٗا﴾ [١٢٤].

الموضع الثاني: في فرش سورة النور ذكر عدد آيِها عند الحمصي فقال: «وعدد آيها ستون آية واثنتان في عدد المدنيين والمكي، وثلاث في عدد الحمصي..»[(١)]، كإجمال ابن المنادِي في سورة النور، قال: «اثنتان وستون آية في عد المكي والمدنيين، وثلاث في عد أهل حمص، وأربع في عدِّ الشامي سوى أهل حمص»[(٢)].

ثم لم يذكر الموضع الذي انفردَ الحمصي بترك عدِّه وهو: ﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [٤٤].

ولم يتبيَّن لي علَّة اقتصاره في ذكر العدد الحمصي على هذين الموضعين.

(١) اختلاف العدد (٣٣/ ب).

(٢) الروضة للمالكي (٤١٧).

المبحث الثالث

انفرادات العدد الحمصي عدًّا واختلاف الأئمة في ذلك[١]

انفرد العدد الحمصي بعدِّ جملة من المواضع، وقد تتابع أكثر الأئمة -ممن ذكر الحمصي- على ذكر انفرادات العدد الحمصي عدًّا وتركًا، إلا أنه كان بينهم اختلاف في كثير منها، فذكرت الداني والهذلي والطبري والـمُعدّل والعُماني والهَمَذاني والجعبري، والْتزمت ذكر هؤلاء الأئمة السبعة لذكرهم انفرادات الحمصي في كل القرآن.

وقد أذكر في بعض المواضع من لم يلتزِم ذكر ذلك في كل المواضع، كابن المنادي وابن الجوزي فقد اختلف منهجهم عن الدانيِّ وذلك لوقوف ابن المنادِي على الإجمال في العدد الحمصي، ولم يبلغه التفصيل إلا قليلًا كما سبق بيانه في غير موضع.

والآن أشرع في بيان الانفرادات على هذا النحو، فأقول وبالله التوفيق ومنه أستمدُّ العون والتسديد:

الموضع الأول: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦].

ذكره الداني، والهذلي، والطبري، والـمُعدّل، والعُماني، والهَمَذاني، والجعبري[٢].

الموضع الثاني: ﴿ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ [الرعد: ١٧].

ذكره الداني، والطبري، والعُماني، والهَمَذاني، والجعبري[٣]، ولم يذكره الهذلي والـمُعدّل، اتفقا على أن اختلافَ سورة الرعد خمسُ آيات، وليس منها هذا الموضع[٤].

---

(١) اقتصرت في ذكر ذلك على كتب المتقدمين إلى الجعبري، ولم أذكر مذاهب المتأخرين كالقاضي وغيره، فهم تَبَعٌ لمن قبلهم.

(٢) ينظر: البيان (٣١٨)، الكامل (٣/ ١٤٧)، الجامع (٦٣٦)، الجامع للأداء (٢/ ٢٩٣)، الكتاب الأوسط (٤٨٥)، مبهج الأسرار (١٠٢)، حسن المدد (٢٥٩، ٣٣١).

(٣) ينظر: البيان (٣١٨)، الجامع (٧٠١)، الكتاب الأوسط (٤٨٧)، مبهج الأسرار (١١٢)، حسن المدد (٢٥٩، ٣٤٥).

(٤) ينظر: الكامل (٣/ ١٤٩)، والجامع للأداء (٢/ ٣١٠).

الموضع الثالث: ﴿فِي ٱلْيَمِّ﴾ [طه: ٣٩].

ذكره الداني، والهذلي، والطبري، والـمُعدّل، والعُماني، والهَمَذاني، والجعبري[١].

وأما ابن المنادي فقد ذكر عدد آي السورة في عدد أهل حمص فقال: «مائة واثنان وثلاثون آية في عدِّ البصري وعطاءٍ، وأربعٌ في عد المكي والمدنيين، وخمس في عدِّ الكوفي، وثمان في عدِّ أهل حمصٍ، وأربعون في عدِّ الشامي سوى أهل حمص»[٢]، ولم يعيِّن مواضع الخلاف، وهو في عدد آيها موافق لمن عيَّن هذا الموضع، وتبعه في الإجمال المالكي في الروضة[٣]، ونقل ابن الجوزي نصَّ كلام ابن المنادي إلا أنه عيَّنَ هذا الموضع فنصَّ عليه[٤].

الموضع الرابع: ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

ذكره الداني، والهذلي، والطبري، والـمُعدّل، والعُماني، والهَمَذاني، والجعبري[٥].

وأما ابن المنادي فقد ذكر عدد آي السورة في عدد أهل حمص كما سبق ذكر قوله في الموضع الثالث، ولم يعيِّن مواضع الخلاف، وتبعه في الإجمال المالكي في الروضة[٦]، وكذا ابن الجوزي تبع ابن المنادي في الإجمال، ولم يعيِّن هذا الموضع كما صنع في الموضع الذي قبله[٧].

---

(١) ينظر: البيان (٣١٨)، الكامل (٣/ ١٥٢)، الجامع (٨٠٣)، الجامع للأداء (٢/ ٣٣٤)، الكتاب الأوسط (٤٩١)، مبهج الأسرار (١٣١)، حسن المدد (٢٥٩، ٣٦٥).

(٢) اختلاف العدد (٣٠/ ب)، وسمّى سورة طه بـ: (سورة موسى).

(٣) الروضة للمالكي (٤١٧).

(٤) ينظر: فنون الأفنان (٢٩٢).

(٥) ينظر: البيان (٣١٨)، الكامل (٣/ ١٥٢)، الجامع (٨٠٢)، الجامع للأداء (٢/ ٣٣٧)، الكتاب الأوسط (٤٩٢)، مبهج الأسرار (١٣١)، حسن المدد (٢٥٩، ٣٦٥).

(٦) الروضة للمالكي (٤١٧).

(٧) ينظر: فنون الأفنان (٢٩٢).

الموضع الخامس: ﴿عَلَى ٱلطِّينِ﴾ [القصص: ٣٨].

ذكره الداني، والهذلي، والطبري، والـمُعدّل، والعُماني، والهَمَذاني، والجعبري[١].

الموضع السادس: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

ذكره الداني، والهذلي، والطبري، والـمُعدّل، والعُماني، والهَمَذاني، والجعبري[٢].

وأما ابن المنادي فقد ذكر عدد آي السورة في عدد أهل حمص فقال: «تسع وستون آية ليس في جملتها بينهم اختلاف إلا في قول أهل حمص، فإنها في عدِّهم سبعون آية»[٣]، وتبعه ابن الجوزي إلا أنَّه عيَّنه فقال: «وروي عن أهل حمص أنهم عدُّوا: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾»[٤].

الموضع السابع: ﴿ دُحُورًا﴾ [الصافات: ٩].

ذكره الداني، والهذلي[٥]، والعُماني، والهَمَذاني، والجعبري[٦]، ولم يذكره الطبري ولا الـمُعدّل[٧].

---

(١) ينظر: البيان (٣١٨)، الكامل (٣/ ١٥٥)، الجامع (٨٨٣)، الجامع للأداء (٢/ ٣٦٣)، الكتاب الأوسط (٤٩٦)، مبهج الأسرار (١٥٣)، حسن المدد (٢٥٩، ٣٩٠).

(٢) ينظر: البيان (٣١٨)، الكامل (٣/ ١٥٦)، الجامع (٨٩٠)، الجامع للأداء (٢/ ٣٦٦)، الكتاب الأوسط (٤٩٧)، مبهج الأسرار (١٥٥)، حسن المدد (٢٥٩، ٣٩٣).

(٣) اختلاف العدد (٣٦/ ب).

(٤) فنون الأفنان (٢٩٩).

(٥) جاء في تحقيق: عمرو بن عبد الله: «عدَّ البصري: ﴿مِنكُلِّ جَانِبٍ﴾ وأسقط: ﴿ دُحُورًا﴾ »، وكذا في تحقيق: عمار الددو، وهو خطأ ظاهر، وفيها قَلبٌ، إما سبق قلم من المصنِّف، أو من الناسخ، فلم يذكره أحد عن البصري، وليس هو مراد الهذلي، فقد قال قبلها: «أسقط البصري: ﴿يَعْبُدُونَ﴾ [الصافات: ٢٢]» وانتهى كلامه عن البصري، فمذهب الهذلي في الحمصي في هذين الموضعين كالداني ومن معه، وعليه فصواب الجملة: «عدَّ الحمصي: ﴿ دُحُورًا﴾ وأسقط: ﴿مِنكُلِّ جَانِبٍ﴾».

(٦) ينظر: البيان (٣١٨)، الكامل (٣/ ١٥٨)، الكتاب الأوسط (٤٩٩)، مبهج الأسرار (١٧١)، حسن المدد (٢٥٩، ٤١٠).

(٧) ينظر: الجامع (٩٤٠)، الجامع للأداء (٢/ ٣٨٤).

ووافق ابن المنادي الأئمة في عدد آي السورة، ولم ينصَّ على أهل حمص لموافقته العدد الشامي في عدد آي السورة(١)، وكذا ابن الجوزي وزاد عليه بتعيين المواضع فقال: «وجميع العادين عدُّوا: ﴿مِنكُلِّجَانِبٍ﴾ آية إلا أهل حمص فإنهم لم يعدُّوها آية، وعدُّوا ﴿دُحُورًا﴾ آية»(٢).

الموضع الثامن: ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤].

ذكره الداني، والهذلي، والـمُعدّل، والعُماني، والهَمَذاني، والجعبري(٣)، وذكره الطبري فيما عده الشامي، فجعل الدمشقي عادًّا له كالحمصي، وليس مراده بالشامي هنا الحمصي وحده كما قال محقق الجامع، فإن المصنِّف ذكر في أول السورة عددها عند الشامي فقال: «وأربعون بصري شامي»(٤)، بخلاف ما عليه الأئمة من أنَّ عددها: تسع وثلاثون عند الدمشقي، وأربعون عند الحمصي(٥).

وأما ابن المنادي فذكر عدد آيات السورة للحمصي، ولم يعيِّن مواضع الخلاف للحمصي، فقال: «وأربعون في عدِّ البصري وعطاء وأهل حمص»(٦)، وتبعه في الإجمال ابن الجوزي، فنقل قوله بنصِّه(٧).

الموضع التاسع: ﴿فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾ [محمد: ٤].

ذكره الداني، والهذلي، والـمُعدّل، والعُماني، والهَمَذاني، والجعبري(٨)، وذكره

(١) ينظر: اختلاف العدد (٣٩/ ب).

(٢) فنون الأفنان (٣٠٢).

(٣) ينظر: البيان (٣١٨)، الكامل (٣/ ١٦١)، الجامع للأداء(٢/ ٤١٧)، الكتاب الأوسط (٥٠٤)، مبهج الأسرار (١٩٧)، حسن المدد (٢٥٩، ٤٣٦).

(٤) الجامع (١٠٠٩، ١٠١٠).

(٥) ينظر: الكامل (٣/ ١٦١)، الجامع للأداء (٢/ ٤١٧)، حسن المدد (٤٣٦).

(٦) اختلاف العدد (٤٤/ أ).

(٧) فنون الأفنان (٣٠٨).

(٨) ينظر: البيان (٣١٨)، الكامل (٣/ ١٦١)، الجامع للأداء(٢/ ٤١٧)، الكتاب الأوسط (٥٠٤)، مبهج=

الطبري فيما عده الشامي، فجعل الدمشقي عادًّا له كالحمصي[١].

وأما ابن المنادي فذكر عدد آيات السورة للحمصي، ولم يعيِّن مواضع الخلاف للحمصي كما في الموضع الثامن، وتبعه في الإجمال ابن الجوزي، فنقل قوله بنصِّه[٢].

الموضع العاشر: ﴿لَانتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ [محمد: ٤].

ذكره الداني، والهذلي، والـمُعدّل، والهَمَذاني، والجعبري[٣]، ولم يذكره الطبري ولا العُماني[٤].

وأما ابن المنادي فذكر عدد آيات السورة للحمصي، ولم يعيِّن مواضع الخلاف للحمصي كما في الموضع الثامن، وتبعه في الإجمال ابن الجوزي، فنقل قوله بنصِّه[٥].

الموضع الحادي عشر: ﴿مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾[الطلاق: ١١].

انفرد الطبري بذكر هذا الموضع[٦]، ولم أجده عند غيره، ولم يذكر الموضع الآخر ﴿قَدِيرٌ﴾ [الطلاق: ١٢]، والذي أجمع على ذكره المصنفون ممن ذكر العدد الحمصي كما سيأتي، فلعلَّه سهو من الطبري، وذلك لأن الحمصيَّ انفرد بعدِّ موضعين آخرهما: ﴿مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ في سورة التحريم [٨]، والبروج [١١] وكلاهما لم يذكره الطبري، فالأقرب هنا أنه إنما أراد ما انفرد الحمصي بعدِّه إجماعًا: ﴿قَدِيرٌ﴾ [الطلاق: ١٢]، فقد ذكر في أول السورة أن اختلافها في أربع آيٍ، وهذا رابعها.

=الأسرار (١٩٧)، حسن المدد (٢٥٩، ٤٣٦).

(١) الجامع (١٠١٠).

(٢) فنون الأفنان (٣٠٨).

(٣) ينظر: البيان (٣١٨)، الكامل (٣/ ١٦١)، الجامع للأداء (٢/ ٤١٧)، مبهج الأسرار (١٩٧)، حسن المدد (٢٥٩، ٤٣٦).

(٤) ينظر: الجامع (١٠١٠)، الكتاب الأوسط (٥٠٤).

(٥) فنون الأفنان (٣٠٨).

(٦) ينظر: الجامع (١٠٩٣).

الموضع الثاني عشر: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الطلاق: ١٢].

ذكره الداني، والهذلي، والـمُعدّل، والعُماني، والهَمَذاني، والجعبري[(١)]، ولم يذكره الطبريُّ[(٢)].

وأما ابن المنادي فذكر عدد آيات السورة للحمصي، ولم يعيِّن موضع الخلاف للحمصي، فقال: «وثلاث عشرة في عدِّ أهل حمص»[(٣)] ومذهبه كمذهبهم، وتبعه في الإجمال ابن الجوزي، فنقل قوله بنصِّه[(٤)].

الموضع الثالث عشر: ﴿مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨].

ذكره الداني، والهذلي، والـمُعدّل، والهَمَذاني، والجعبري[(٥)]، ولم يذكره الطبريُّ[(٦)]، ولا العُماني إلا على وجه الإجمال، فقال: «السور التي لم يختلف في عدد آياتها إلا أهلُ الشام أو غيرهم ممن شذَّ، ولم يُعتدَّ به»[(٧)] وذكر منها: التحريم، واختلافها في آية واحدة إجماعًا، فعُلِم بهذا أن مراده هذه الآية في العدد الحمصي.

وأما ابن المنادي فذكر عدد آيات السورة للحمصي، فقال: «وسورة التَّحِلَّة[(٨)] اثنتا عشرة آية في عد الجميع لا اختلاف بينهم في شيء منها إلا أن أهل حمص [زادوا][(٩)] آية على هذه الجملة ولا علم لنا بالآية التي أوجبت لهم الزيادة على

---

(١) ينظر: البيان (٣١٨)، الكامل (٣/ ١٦٥)، الجامع للأداء(٢/ ٤٥٣)، الكتاب الأوسط (٥٠٨)، مبهج الأسرار (٢٢٦)، حسن المدد (٢٥٩، ٤٧٠).

(٢) ينظر: الجامع (١٠٩٣).

(٣) اختلاف العدد (٤٨/ أ).

(٤) فنون الأفنان (٣١٤).

(٥) ينظر: البيان (٣١٨)، الكامل (٣/ ١٦٦)، الجامع للأداء (٢/ ٤٥٤)، مبهج الأسرار (٢٢٧)، حسن المدد (٢٥٩، ٤٧٢).

(٦) ينظر: الجامع (١٠٩٥).

(٧) الكتاب الأوسط (٤٧٢).

(٨) هكذا سمَّاها أخذًا من قوله تعالى: ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ [التحريم: ٢].

(٩) في الأصل: زاد، وأثبتُّ الصواب من فنون الأفنان، فقد نقله عنه بنصِّه.

ذلك..»[(١)]، ونقل هذا عنه ابن الجوزي إلا أنه عيَّن الموضع فقال: «وذكر غيره - يعني ابن المنادي- أنَّ تلك الآية: ﴿وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨]»[(٢)].

الموضع الرابع عشر: ﴿حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧].

ذكره الداني، والهذلي، والـمُعدّل، والعُمَاني، والهَمَذاني، والجعبري[(٣)]، ولم يذكره الطبري فيما عدَّه الحمصي، وإنما ذكر انفراد المعلَّى بن عيسى بعدِّه، وهو أحد رواة العدد البصري، وهو مرجوح في العدد البصري، والراجح ما ذكره الطبري نفسه من أن عدد آي السورة في رواية شهاب البصري: واحد وخمسون آية[(٤)]، ولا يعدُّ هذا الموضع، وهو الذي عليه عامة المصنفين، وقد حكى الجعبري عدَّ هذا الموضع مضعِّفًا له بقوله: «وقيل»[(٥)].

وأما ابن المنادي فذكر عدد آي السورة للحمصي، فقال: «واثنتان وخمسون في عدِّ الكوفي، والمكي، والمدنيين وأهل حمص..»[(٦)]، ولم يعيِّن موضع العدِّ، وكذا ابن الجوزي[(٧)].

الموضع الخامس عشر: ﴿فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦].

ذكره الداني، والهذلي، والـمُعدّل، والعُمَاني، والهَمَذاني، والجعبري[(٨)]، وذكره

(١) اختلاف العدد (٤٨/ ب).

(٢) فنون الأفنان (٣١٥).

(٣) ينظر: البيان (٣١٨)، الكامل (٣/ ١٦٦)، الجامع للأداء(٢/ ٤٥٩)، الكتاب الأوسط (٥٠٩)، مبهج الأسرار (٢٣٣)، حسن المدد (٢٥٩، ٤٧٨).

(٤) الجامع (١١٠٤).

(٥) حسن المدد (٤٧٨).

(٦) اختلاف العدد (٤٩/ أ).

(٧) ينظر: فنون الأفنان (٣١٥).

(٨) ينظر: البيان (٣١٨)، الكامل (٣/ ١٦٦)، الجامع للأداء (٢/ ٤٦٢)، الكتاب الأوسط (٥١٠)، مبهج الأسرار (٢٣٦)، حسن المدد (٢٥٩، ٤٨٣).

الطبري فيما عده الشامي، فجعل الدمشقي عادًّا له كالحمصي، وليس مراده بالشامي هنا الحمصي وحده كما قال محقق الجامع، فإن المصنِّف ذكر في أول السورة عددها عند الشامي، فقال: «ثمان وعشرون آية كوفي، وتسع بصري، وثلاثون في الباقين»[(١)]، بخلاف ما عليه الأئمة من أنَّ عددها: تسع وعشرون عند الدمشقي، وثلاثون عند الحمصي[(٢)].

وأما ابن المنادي فذكر عدد آيات السورة للحمصي، ولم يعيِّن موضع الخلاف للحمصي، فقال: «وثلاثون آية في عدِّ المكي والمدنيين وأهل حمص»[(٣)]، ونقل قوله هذا ابن الجوزي وزاد بتعيين الموضع، فقال: «ورُوِيَ عن أهل حمص أنهم عدُّوا: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾»[(٤)].

الموضع السادس عشر: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ [الانشقاق: ٦].

ذكره الداني، والهذلي، والـمُعدّل، والعُماني، والهَمَذاني، والجعبري[(٥)]، وذكره الطبري فيما عدَّه الشاميُّ وحده[(٦)]، فجعل الدمشقي مع الحمصي، وقد انفرد بهذا فيما وقفت عليه.

الموضع السابع عشر: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾[الانشقاق: ٦].

ذكره الداني، والهذلي، والـمُعدّل، والعُمَاني، والهَمَذاني، والجعبري[(٧)]،

---

(١) الجامع (١٠٨٩).

(٢) ينظر: الكامل (٣/ ١٦٦)، الجامع للأداء (٢/ ٤٦٢)، حسن المدد (٤٨٣).

(٣) اختلاف العدد (٤٩/ ب).

(٤) فنون الأفنان (٣١٤).

(٥) ينظر: البيان (٣١٨)، الكامل (٣/ ١٦٩)، الجامع للأداء (٢/ ٤٨٦)، الكتاب الأوسط (٥١٣)، مبهج الأسرار (٢٦٣)، حسن المدد (٢٥٩، ٥٠٨).

(٦) الجامع (١١٢٦).

(٧) ينظر: البيان (٣١٨)، الكامل (٣/ ١٦٩)، الجامع للأداء (٢/ ٤٨٦)، الكتاب الأوسط (٥١٣)، مبهج الأسرار (٢٦٣)، حسن المدد (٢٥٩، ٥٠٨).

ولم يذكره الطبري[(١)].

إلا أن يكون قوله: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ في الآية السادسة ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ في هذه الآية عدَّهما الشامي وحده» سهوًا منه أو خطأ من الناسخ، وقد كان يريد: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحًا﴾ بدل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ وذلك لأن قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ لم يعده أحد فيما وقفت عليه، والله أعلم.

الموضع الثامن عشر: ﴿مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [البروج: ١١].

ذكره الهذلي، والهَمَذاني[(٢)]، ولم يذكره الداني، ولا الطبري، ولا المُعدّل، ولا الجعبري[(٣)].

وأمَّا العُمَاني فذكر هذا الموضع على وجه الإجمال، فقال: «السور التي لم يختلف في عدد آياتها إلا أهلُ الشام أو غيرهم ممن شذَّ، ولم يُعتدَّ به»[(٤)] وذكر منها: البروج، واختلافها في آية واحدة إجماعًا، فعُلِم بهذا أن مراده هذه الآية في العدد الحمصي.

ثم نصَّ عليه في الفرش منسوبًا إلى سوادة بن زياد، ثم قال بعده: «وهي رواية شاذة، لا يُعتدُّ بها»[(٥)].

وأما ابن المنادي فذكر مذهب أهل حمص إجمالا، ثم عيَّن الموضِع، ولم يجزم به فقال: «وسورة البروج: اثنتان وعشرون آية في قول الجميع لا اختلاف بينهم في شيء منها، إلا في قول أهل حمص فإنها في عدِّهم ثلاث وعشرون آية بزيادة آية، فإن كانوا عدُّوا: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ آية، وإلا فإنَّا لا ندري مم جاءت زيادتهم على

(١) الجامع (١١٢٦).

(٢) ينظر: الكامل (٣/ ١٦٩)، مبهج الأسرار (٢٦٤).

(٣) ينظر: البيان (٣١٨)، الجامع (١١٢٨)، الجامع للأداء (٢/ ٤٨٦)، حسن المدد (٢٥٩، ٥١٠).

(٤) الكتاب الأوسط (٤٧٢- ٤٧٣).

(٥) الكتاب الأوسط (٤٧٥).

السائر»[(١)]، وتبعه ابن الجوزي فنقل قوله بنصِّه[(٢)].

الموضع التاسع عشر: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾[المسد: ١].

ذكره العُمَاني عن أهل حمص فقال: «قال أهل حمص: ست آيات، وعدُّوا: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾»[(٣)]، وهي عنده مما شذَّ، قال في أول الباب: «السور التي لم يختلف في عدد آياتها إلا أهلُ الشام أو غيرهم ممن شذَّ، ولم يُعتدَّ به»[(٤)]، وذكر منها سورة: تَبَّت، واختلافها في آية واحدة إجماعًا، فعُلِم بهذا أن مراده هذه الآية في العدد الحمصي.

وذكر الجعبري هذا الخلاف إلا أنه نسبه لأهل الشام فقال: «قال ابن شنبوذ: قال عطاء عن الشامي: ست، ولعله عدَّ: ﴿أَبِى لَهَبٍ﴾ وهي تشبه الفاصلة»[(٥)].

وأما الهذلي فجعل رأس الآية ﴿تَبَّتْ﴾ قال: «روى عثمان بن عطاء: ستًّا، وعدَّ: ﴿تَبَّتْ﴾» ولعلَّ العبارة قد صُحِّفت وأن مراده: ﴿لَهَبٍ﴾ كما جاء عن العُماني والجعبري.

وأما الداني فلم يذكر هذا الموضع، وإنما جعله مما يشبه الفواصل[(٦)]، وكذا لم يذكره الطبري ولا الـمُعدّل ولا الهَمَذاني[(٧)].

(١) اختلاف العدد (٥٣/ أ).

(٢) فنون الأفنان (٣٢١).

(٣) فنون الأفنان (٣٢١).

(٤) الكتاب الأوسط (٤٧٢- ٤٧٣).

(٥) حسن المدد (٥٤١).

(٦) البيان (٥٧٩).

(٧) ينظر: الجامع (١١٧٦)، الجامع للأداء (٥٢٥)، مبهج الأسرار (٣٠٣).

المبحث الرابع

انفرادات العدد الحمصي تركًا، واختلاف الأئمة في ذلك

انفرد العدد الحمصي بترك عدِّ جملة من رؤوس الآي، خلافا للأعداد الأخرى فقد أجمعوا على عدِّها، إلا أن العلماء اختلفوا أيضا في جملة مما انفرد بإسقاطه الحمصي، وبيان هذا كالتالي:

الموضع الأول: ﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: ٤٤].

ذكره الداني، والهذلي، والـمُعدّل، والعُمَاني، والهَمَذاني، والجعبري[(١)]، ولم يذكره الطبري[(٢)].

وأما ابن المنادي فذكر عدد آيات السورة للحمصي، ولم يعيِّن موضع الخلاف للحمصي، فقال: «وسورة النور اثنتان وستون آية في عدِّ المكي والمدنيين، وثلاث في عدِّ أهل حمص»[(٣)]، ومذهبه كمذهب الأئمة، ونقل قوله هذا ابن الجوزي وزاد بتعيين الموضع، فقال: «وعدُّوا كلهم غير أهل حمص: ﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾»[(٤)].

الموضع الثاني: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [القصص: ٣٣].

ذكره الداني، والهذلي[(٥)]، والطبري، والـمُعدّل، والعُمَاني، والهَمَذاني،

---

(١) ينظر: البيان (٣١٩)، الكامل (٣/ ١٥٤)، الجامع للأداء (٢/ ٣٥٠)، الكتاب الأوسط (٤٩٥)، مبهج الأسرار (١٤٣)، حسن المدد (٢٦٠، ٣٧٩).

(٢) ينظر: الجامع (٨٤٦).

(٣) اختلاف العدد (٣٣/ ب).

(٤) فنون الأفنان (٢٩٦).

(٥) جاء في الكامل (٣/ ١٥٥) في تحقيق عمرو بن عبد الله: «﴿عَلَى ٱلطِّينِ﴾ حمصي. أسقطها: ﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ الحمصي» والعبارة هكذا مضطربة، فإن ﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ معدودةٌ اتفاقًا.
وفي تحقيق الددو والعيثاوي جاءت العبارة هكذا: ﴿عَلَى ٱلطِّينِ﴾ حمصي أسقطها» وحُذِفَت جملة: «﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ الحمصي» ولا يستقيم بها الكلام، فإن ﴿عَلَى ٱلطِّينِ﴾ معدودة عنده ولم يسقطها فهي من انفراداته عدًّا، وبحذف جملة: «﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ الحمصي» يكون السقط ظاهرا، فإن الهذلي ذكر أن خلاف سورة القصص أربعُ آيات، والمحذوف هو الرابع، فلعلَّ الأقرب أن العبارة أصابها التصحيف فيكون صواب الجملة: «أسقط: ﴿أَن يَقْتُلُونِ﴾ الحمصيُّ» فيكون مذهبه هنا كالداني ومن معه، والله أعلم.

والـجعبـري[١].

الموضع الثالث: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر: ١٢].

ذكره الداني، والهذلي، والـمُعدّل[٢]، والعُمَاني، والهَمَذاني، والجعبري[٣]. ولم يذكره الطبري[٤].

وأما ابن المنادي فذكر عدد آيات السورة للحمصي، ولم يعيِّن مواضع الخلاف للحمصي، فقال: «وسورة الملائكة أربع وأربعون آية في عدِّ أهل حمص»[٥]، ومذهبه كمذهب الأئمة، وتبعه في ذلك ابن الجوزي[٦].

الموضع الرابع: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣].

ذكره الداني، والهذلي[٧]، والـمُعدّل، والعُمَاني، والهَمَذاني، والجعبري[٨]، وذكره

---

(١) ينظر: البيان (٣١٩)، الكامل (٣/ ١٥٥)، الجامع (٨٨٣)، الجامع للأداء (٢/ ٣٦٣)، الكتاب الأوسط (٤٩٦)، مبهج الأسرار (١٥٣)، حسن المدد (٢٦٠، ٣٩٠).

(٢) لم يُذكر هذا الموضع في المطبوع، والتحقيق أن المصنِّف ذكره، يدل عليه ما يلي: في النسخة المحققة: قال الـمُعدّل عن عدد آيات سورة فاطر: «وهي أربعون وست آيات: دمشقي مدني الأخير، وأربعٌ: حمصي، وخمس في الباقي، واختلافها: سبعٌ» ثم ذكر ثمانية مواضع، وهي كذلك في النسخ الخطية، فقوله: «سبعٌ» خطأ من الناسخ، والصواب: «تسعٌ»، والموضع الذي فات: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[فاطر: ١٢]، ويؤكد هذا أن عدد الآي عند الحمصي كما في كلام الـمُعدّل: أربع وأربعون، كما هو مذهب الأئمة.

(٣) ينظر: البيان (٣١٩)، الكامل (٣/ ١٥٨)، الجامع للأداء (٢/ ٣٧٩)، الكتاب الأوسط (٤٩٨)، مبهج الأسرار (١٦٧)، حسن المدد (٢٦٠، ٤٠٦).

(٤) ينظر: الجامع (٩٢٤).

(٥) اختلاف العدد (٣٨/ ب).

(٦) ينظر: فنون الأفنان (٣٠٠).

(٧) ذكرها الهذلي فيما أسقطه الحمصي، إلا أنه لم يجعلها مما انفرد به، فذهب إلى أن البصري كذلك يتركها، وليس بصواب، وليس هو مذهب الهذلي جزمًا، يدلُّ عليه أن الهذلي في أول كلامه في فرش السورة ذكر أن عدد آي السورة عند البصري خمس وأربعون كما عند الأئمة، فهو يعدُّ هذه الآية، ولا يوافق الحمصي في تركها، ولعلَّ الناسخ أخطأ في موضع الآية، فقد جعلها بعد: ﴿بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر: ١٦]، والتي يُسقِطها البصري والحمصي، فمحلُّها بعد ﴿تَشْكُرُونَ﴾ كما هي طريقة الهذلي في جَمْعِ المواضع فيكون صواب الجملة: «﴿تَشْكُرُونَ﴾﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أسقطها الحمصيُّ»، والله أعلم.

(٨) ينظر: البيان (٣١٩)، الكامل (٣/ ١٥٨)، الجامع للأداء(٢/ ٣٧٩)، الكتاب الأوسط (٤٩٨)، مبهج الأسرار (١٦٧)، حسن المدد (٢٦٠، ٤٠٦).

الطبري فيما تركه الشامي، فجعل الدمشقيَّ تاركًا لعدِّ هذا الموضع، وقد تفرَّد الطبري بهذا فيما وقفت عليه. فجعل الدمشقي تاركًا له كالحمصي، وليس مراده بالشامي هنا الحمصي وحده كما قال محقق الجامع، فإن المصنِّف ذكر في أول السورة عددها عند الشامي فقال: «وهي خمس وأربعون آية كوفي وبصري، ومدني الأول، وست في الباقين»[(١)]، أي: وست وأربعون، بخلاف ما عليه الأئمة من أنَّ عدد آيها ست وأربعون عند الدمشقي، وأربع وأربعون عند الحمصي.

وأما ابن المنادي فذكر عدد آيات السورة للحمصي، ولم يعيِّن مواضع الخلاف للحمصي، فقال: «وسورة الملائكة أربع وأربعون آية في عدِّ أهل حمص»[(٢)]، وتبعه في ذلك ابن الجوزي[(٣)].

الموضع الخامس: ﴿مِنكُلِّجَانِبٍ﴾ [الصافات: ٨].

ذكره الداني، والهذلي[(٤)]، والعُمَاني، والهَمَذاني، والجعبري[(٥)]، ولم يذكره الطبري ولا الـمُعدّل[(٦)].

وأما ابن المنادي فذكر عدد آي السورة، ولم ينصَّ على أهل حمص لموافقته العدد الشامي في عدد آي السورة[(٧)]، وكذا ابن الجوزي وزاد عليه بتعيين المواضع فقال: «وجميع العادين عدُّوا: ﴿مِنكُلِّجَانِبٍ﴾ آية إلا أهل حمص فإنهم لم يعدُّوها آية، وعدُّوا

(١) الجامع (٩٢٣).

(٢) اختلاف العدد (٣٨/ ب).

(٣) ينظر: فنون الأفنان (٣٠٠).

(٤) الذي في الكامل: «عدَّ البصري: ﴿مِنكُلِّجَانِبٍ﴾ وأسقط: ﴿دُحُورًا﴾»، وقد سبق البيان بأن فيها تصحيفًا وقلبًا، وصوابها: «عدَّ الحمصي: ﴿دُحُورًا﴾ وأسقط: ﴿مِنكُلِّجَانِبٍ﴾».

(٥) ينظر: البيان (٣١٩)، الكامل (٣/ ١٥٨)، الكتاب الأوسط (٤٩٩)، مبهج الأسرار (١٧١)، حسن المدد (٢٦٠، ٤١٠).

(٦) ينظر: الجامع (٩٤٠)، الجامع للأداء (٢/ ٣٧٩).

(٧) ينظر: اختلاف العدد (٣٩/ ب).

﴿ دُحُورًا ﴾ آيـــة»[١].

الموضع السادس: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴾ [ص: ٦٧].

ذكره الداني، والهذلي، والـمُعدّل، والعُماني، والهَمَذاني، والجعبري[٢]، وذكره الطبري للشامي، فجعل الدمشقي معه[٣]، ولم أقف على من وافقه، وقد سبق بيان مراد الطبري بالشامي.

الموضع السابع: ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٥].

ذكره الداني، والهذلي، والعُماني، والهَمَذاني، والجعبري[٤]، ولم يذكره الـمُعدّل[٥]، وذكره الطبري فيما تركه الشامي، فجعل الدمشقي عادًّا له كالحمصي، وليس مراده بالشامي هنا الحمصي وحده كما قال محقق الجامع، فإن المصنِّف ذكر في أول السورة عددها عند الشامي فقال: «وأربعون بصري شامي»[٦]، بخلاف ما عليه الأئمة من أنَّ عددها: تسع وثلاثون عند الدمشقي، وأربعون عند الحمصي[٧].

أمَّا ابن المنادي فقد ذكر عدد آي السورة على مذهب أهل حمص، فقال: «وأربعون في عدِّ البصري وعطاء وأهل حمص»[٨]، ولم يعيِّن مواضع الخلاف، وتبعه ابن الجوزي[٩].

---

(١) فنون الأفنان (٣٠٢).

(٢) ينظر: البيان (٣١٩)، الكامل (٣/ ١٥٨)، الجامع للأداء (٢/ ٣٨٨)، الكتاب الأوسط (٥٠٠)، مبهج الأسرار (١٧٥)، حسن المدد (٢٦٠، ٤١٥).

(٣) ينظر: الجامع (٩٤٧).

(٤) ينظر: البيان (٣١٩)، الكامل (٣/ ١٦١)، الكتاب الأوسط (٥٠٤)، مبهج الأسرار (١٩٧)، حسن المدد (٢٦٠، ٤٣٦).

(٥) الجامع للأداء (٢/ ٤١٧).

(٦) الجامع (١٠٠٩، ١٠١٠).

(٧) ينظر: الكامل (٣/ ١٦١)، الجامع للأداء (٢/ ٤١٧)، حسن المدد (٤٣٦).

(٨) اختلاف العدد (٤٤/ أ).

(٩) ينظر: فنون الأفنان (٣٠٨).

الموضع الثامن: ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

ذكره الداني، والهذلي، والـمُعدّل، والعُمَاني، والهَمَذاني، والجعبري[(١)]، ولم يذكره الطبري[(٢)].

الموضع التاسع: ﴿أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَآءً﴾ [الواقعة: ٣٥].

ذكره الداني وتبعه الجعبري[(٣)]، وهو خطأٌ غير مقصود، قد يكونُ من الناسخ، فليس هو مذهب الداني، فقد نصَّ على هذا الموضع فيما انفرد البصري بإسقاطه، فقال: «باب ذكر ما أسقط، وذلك ثلاث عشرة آية... وفي الواقعة: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَآءً﴾»[(٤)].

وقد تبعه الجعبري في ذلك كلِّه فذكره فيما انفرد بتركه الحمصي، وفيما انفرد بتركه البصري، إلا أنَّه عند ذكر فرش سورة الواقعة أتى به على الصواب[(٥)].

وقد أجمع الأئمة على ذكر هذا الموضع فيما انفرد البصري بإسقاطه، فهذا ابن المنادي بوَّبَ لما انفرد به البصري فقال: «سياق ما انفرد بإلغائه البصري من الآي المعدودة في قول السائر، وهو ثلاثة عشر آية: ... وآية في الواقعة، قوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَآءً﴾»، وعلى هذا الهذلي، والطبري، والـمُعدّل، والعُمَاني، والهَمَذاني[(٦)].

ولا يُشكل عليه ما جاء في الكتاب الأوسط في قوله: «ترك بصري وشامي: ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة: ١٥]، وزاد بصري: ﴿إِنشَآءً﴾».

---

(١) ينظر: البيان (٣١٩)، الكامل (٣/ ١٦١)، الجامع للأداء(٢/ ٤١٧)، الكتاب الأوسط(٥٠٤)، مبهج الأسرار (١٩٧)، حسن المدد (٢٦٠، ٤٣٦).

(٢) الجامع (١٠١٠).

(٣) ينظر: البيان (٣١٩)، حسن المدد (٢٥٧، ٢٦٠).

(٤) ينظر: البيان (٣١٦).

(٥) ينظر: حسن المدد (٤٥٦).

(٦) ينظر: اختلاف العدد (٤٦/ ب)، (٦٣/ أ)، الكامل (٣/ ١٦٤)، الجامع (١٠٤٦)، الجامع للأداء (٢/ ٤٣٦)، الكتاب الأوسط (٥٠٧)، مبهج الأسرار (٢١٢).

فقد فهم المحقق من قوله: «وزاد بصري» أنها مما عدَّه، وليس كما قال، فإن المقصودَ يُعلم من السياق، فقد جاء قبلها: «ترك بصري وشامي: ﴿مَّوۡضُونَةٖ﴾» ثم قال: «وزاد بصري» أي: زاد البصريُّ على الشاميِّ في المتروكِ قولَه: ﴿إِنشَآءٗ﴾ فهي مما تركه لا مما عدَّه.

الموضع العاشر: ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾[الواقعة: ٤٨].

ذكره الداني، والهذلي، والـمُعدّل، والعُماني، والهَمَذاني، والجعبري[(١)]، ولم يذكره الطبري[(٢)].

الموضع الحادي عشر: ﴿أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا﴾[المزمل: ١٢].

ذكره الداني، والهذلي، والـمُعدّل، والعُماني، والهَمَذاني، والجعبري[(٣)]، ولم يذكره الطبري[(٤)].

أمَّا ابن المنادي فقد ذكر عدد آي السورة على مذهب أهل حمص، فقال: «وتسع عشرة آية في عدِّ البصري وعطاء وأهل حمص»[(٥)]، ولم يعيِّن مواضع الخلاف، وتبعه ابن الجوزي[(٦)].

الموضع الثاني عشر: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾[الانشقاق: ٦].

ذكره الداني، والهذلي، والـمُعدّل، والعُماني، والهَمَذاني، والجعبري[(٧)]، وذكره

---

(١) ينظر: البيان (٣١٩)، الكامل (٣/ ١٦٤)، الجامع للأداء (٢/ ٤٣٨) الكتاب الأوسط (٥٠٧)، مبهج الأسرار (٢١٢)، حسن المدد (٢٦٠، ٤٥٦).

(٢) ينظر: الجامع (١٠٤٦).

(٣) ينظر: البيان (٣١٩)، الكامل (٣/ ١٦٧)، الجامع للأداء (٢/ ٤٦٨)، الكتاب الأوسط (٥١١)، مبهج الأسرار (٢٤١)، حسن المدد (٢٦٠، ٤٨٧).

(٤) ينظر: الجامع (١٠٩٧).

(٥) اختلاف العدد (٥٠/ أ).

(٦) ينظر: فنون الأفنان (٣١٨).

(٧) ينظر: البيان (٣١٩)، الكامل (٣/ ١٦٩)، الجامع للأداء(٢/ ٤٨٦)، الكتاب الأوسط (٥١٣)، مبهج الأسرار (٢٦٣)، حسن المدد (٢٦٠، ٥٠٨).

الطبري فيما تركه الشاميُّ[(١)]، فجعل الدمشقي معه، وليس مراده بالشامي هنا: الحمصي، يدلُّ على ذلك ما ذكره في عدد آي السورة، وقد انفرد بذلك، كما بينته في غير موضع.

الموضع الثالث عشر: ﴿رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥].

ذكره الداني، والهذلي، والمُعدّل، والعُماني، والهَمَذاني، والجعبري[(٢)]، ولم يذكره الطبري[(٣)].

وأما ابن المنادي فذكر عدد آي السورة في عدِّ أهل الشام، ولم ينصَّ على عدد أهل حمص لموافقته إجمالا في عدد آي السورة[(٤)]، وتبعه ابن الجوزي في الإجمال، وزاد بتعيين ما انفرد بتركه الحمصي فقال: «وعدُّوا كلهم غير أهل حمص: ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾ آية»[(٥)].

الموضع الرابع عشر: ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾[الشمس: ١٤].

ذكره الداني، والهذلي، والمُعدّل، والعُماني، والهَمَذاني، والجعبري[(٦)]، ولم

---

(١) في النسخة المحققة للجامع: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ في الآية السادسة ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ في هذه الآية عدَّهما الشامي وحده، وتركهما الباقون. ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾﴿بِيَمِينِهِۦ﴾ رأس سبع آيات ﴿وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ﴾ رأس عشرة تركها البصري وحده»، وفيها اضطراب ظاهر، بيانه فيما يلي:

- في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾: انفرد صاحب الجامع بهذا فيما وقفت عليه، فلم يعدَّ هذا الموضع أحد من أهل العد، ومذهب الشامي كذلك، ولعلَّه يريد: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحًا﴾ بدل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾، كما سبق بيانه.

- عند الرجوع لإحدى النسخ الخطية للجامع وجدت النصَّ: «وتركها: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾» ولا يوجد فيها كلمة: «الباقون»، ولعلَّ صواب الجملة: «﴿إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحًا﴾ في الآية السادسة ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ في هذه الآية عدَّهما الشامي وحده، وترك: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾»، والله أعلم.

(٢) ينظر: البيان (٣١٩)، الكامل (٣/ ١٧٠)، الجامع للأداء(٢/ ٤٩٤)، الكتاب الأوسط (٥١٤)، مبهج الأسرار (٢٧٢)، حسن المدد (٢٦٠، ٥١٤).

(٣) ينظر: الجامع (١١٣٥).

(٤) ينظر: اختلاف العدد (٥٣/ ب).

(٥) فنون الأفنان (٣٢٢).

(٦) ينظر: البيان (٣١٩)، الكامل (٣/ ١٧٠)، الجامع للأداء(٢/ ٤٩٨)، الكتاب الأوسط (٥١٥)، مبهج الأسرار (٢٧٥)، حسن المدد (٢٦٠، ٥١٧).

يذكره الطبري[(١)].

الموضع الخامس عشر: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[الفلق: ١].

ذكره الـمُعدّل والهَمَذاني والجعبري منسوبًا إلى أبي حيوة الحمصي.

قال الـمُعدّل: «وقال ابن شنبوذ عن [أبي][(٢)] حيوة الحمصي أنه عدَّها أربعا، قال: ولست أدري ما ترك منها إلا أن يكون لم يعد: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وعدَّ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ فإن كان أراد هذا فهو وجه حسن، والله أعلم»[(٣)]، وبنحوه مختصرا قال الهَمَذاني والجعبري[(٤)].

ولم يذكره الداني ولا الهذلي، ولا الطبري، ولا العُمَاني، وكذا ابن المنادِي ولا ابن الجوزي، بل نصُّوا جميعا على أنها خمس آيات في جميع العدد، لا اختلاف بينهم في شيء منها[(٥)].

(١) ينظر: الجامع (١١٤١).

(٢) في المطبوع: (ابن)، وهو خطأ ظاهر.

(٣) الجامع للأداء (٥٢٧).

(٤) مبهج الأسرار (٣٠٥)، حسن المدد (٥٤٣).

(٥) ينظر: اختلاف العدد (٥٥/ ب)، البيان (٥٨٠)، الكامل (٣/ ١٧٣)، الجامع (١١٧٩)، الكتاب الأوسط (٤٦٩)، فنون الأفنان (٣٢٧).

المبحث الخامس

هل تعدُّ الآي في المصاحف على العدد الحمصي

المتقرر عند أهل العلم التلازم بين القراءة والعدد، قال ابن المنادي: «ليُعلَم أن أهلَ كلِّ بلدٍ من الأمهات الخمس -المسجدين والشام والعراقين- ما زادوا معتكفين على ما تلقوه من القرآن بتعداد آيه ممن أقرأهم إياه من الصدر الأول كما تلقوه منهم»[(١)]، وقال أيضا: «لم يشكُّوا أن السُّلَميَّ أخذ العدد عن عليٍّ كأخذه عنه القراءة...»[(٢)].

وعلى هذا فكلُّ مصحف منسوب إلى مصرٍ من الأمصار فإن القراءة والعدد يكونان على مذهب أهلِ ذلك الـمِصْر.

وقد دلَّ على ذلك أيضًا جملة من النصوص، قال ابن المنادي عن عدِّ أهل مكة: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾: «فأمَّا الرازيان فزادوا آية..؛ لأنهما ألفياها مرسومة في مصحفهم كذلك، وعلى ذلك العمل ثابت إلى الآن..»[(٣)]، وفي موضع آخر عنهما في زيادة آية في سورة الناس قال: «لأنهما ألفياها في مصحفهم العتيق مرسومة كذلك، وعلى ذلك العمل ثابت إلى الآن..»[(٤)].

وقال أبو عمرو الداني عن العدد البصري: «وهو العدد الذي عليه مصاحفهم حتى الآن»[(٥)].

وقال ابن الجزري: «رؤوس الآي المماثلة في الإحدى عشرة سورة متفق عليها، ومختلف فيها.

(١) اختلاف العدد (٩/ ب).
(٢) اختلاف العدد (١١/ أ).
(٣) اختلاف العدد (٦/ ب).
(٤) اختلاف العدد (٧/ أ).
(٥) البيان (٢٩٦).

فالمختلف فيه مبني على مذهب المميل من العادِّين، والأعداد المشهورة في ذلك ستة، وهي: المدني الأول، والمدني الأخير، والمكي، والبصري، والشامي، والكوفي، فلا بد من معرفة اختلافهم في هذه السور لتعرف مذاهب القراء فيها، والمحتاج إلى معرفته من ذلك هو: عدد المدني الأخير؛ لأنه عدد نافع وأصحابه، وعليه مدار قراءة أصحابه المميلين رؤوس الآي، وعدد البصري لتعرف به قراءة أبي عمرو في رواية الإمالة...»[١].

وكذا يدلُّ عليه قول ابن الجزري في رسم المصاحف ويلحق به ما يتعلَّق برؤوس الآي فبابها واحد، قال:

«إذا اختلفت المصاحف في رسم حرفٍ فينبغي أن يتبع في تلك المصاحف مذاهب أئمَّة أمصارِ تلك المصاحف، فينبغي إذا كان مكتوبًا مثلا في مصاحف المدينة أن يجرى ذلك في قراءة نافع وأبي جعفر، وإذا كان في المصحف المكي فقراءة ابن كثير، والمصحف الشامي فقراءة ابن عامر، والبصري فقراءة أبي عمرو ويعقوب، والكوفي فقراءة الكوفيين، هذا هو الأليق بمذاهبهم، والأصوب بأصولهم، والله أعلم»[٢].

وكذا في العدِّ هذا هو الأليق بمذاهبهم، والأصوب بأصولهم.

إذا عُلِم هذا فليُعلَم أن المصحف الشامي موافِقٌ لقراءة ابن عامر، ورؤوس الآي فيه على العدد الشامي، لا العدد الحمصي[٣]، وذلك لأنه قد تُرِك العمل به كما بينته عند ذكر بيان منهج الأئمة في التعامل مع العدد الحمصي.

---

(١) النشر (٣/ ١٧٣٤).

(٢) النشر (٣/ ١٩٧٤).

(٣) وعليه فالعدد الحمصي مقصور على مصاحف أهل حمص كما قال الداني عن عدد أهل حمص: «..المأخوذ عن مصحف خالد بن معدان، وبه كان يعد أبو حيوة شريح بن يزيد قارئهم، وعليه مصاحفهم إلى اليوم» البيان (١٩٦).

الخاتمة والنتائج

● إن الناظر في مصنفات العدد وما تضمنته من الأعداد التي نقلها الأئمة، والعناية البالغة في معرفة عدد السور والآيات والحروف والكلمات ليعلم فضلهم العظيم على الأمة في حفظِ كتاب الله، ونقلِه بأمانة وصدق، وأن الله اصطفاهم لهذا الأمر الجليل، وصدق الله جل جلاله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر: ٩].

● وكان من هذا الحفظِ ضبطُهم الأعداد المتداولة في الأمصار، ومعرفة ما صحَّ منها وما شذَّ، وقد بدا هذا وظهر بجلاء في منهجهم في تناول العدد الحمصي.

● يعدُّ كتاب اختلاف العدد لابن المنادي الأهمَّ في كتب المتقدمين فيمن ذكر العدد الحمصي، فقد احتوى على نصوص قيمة نفيسة تكشف جانبًا من وقوف أهل العلم على الإجمال في الكلام عن العدد الحمصي، وترك التفصيل، وسبب ذلك هو وقوف ابن المنادي على ما سمِعَ، وقد أحسنَ من انتهى إلى ما سَمِع.

● كان سبب ترك العدد الحمصي وهجر العمل به دثورَه، وعدمَ نقلِه، وقد كانت كلمةُ الإمام المحقِّق الداني خلاصةَ مذاهب الأئمة، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولأهل حمص عدد سابع كانوا يعدُّون به قديمًا، وافقوا في بعضه أهل دمشق، وخالفوهم في بعضه لدثور عددهم وعدمِ من يتولاه ويأخذ به من المتصدرين بالشامِ وغيرها..»[(١)].

● أول من شذَّذ العدد الحمصي فيما وقفت عليه الهذلي في الكامل، قال: «وهو شاذٌّ»[(٢)]، وليس الداني كما يقوله كثير من الباحثين فعلَّة الترك عنده عدم النقل، وانقطاع السند، وعليه فإنه يُروى ولا يُعمل به لانقطاع إسناده.

● ما جاء في قول العماني «السور التي لم يختلف في عدد آياتها إلا أهلُ الشام أو

(١) البيان ٢٥٦.

(٢) الكامل ٣/ ١٣٩.

غيرهم ممن شذَّ، ولم يُعتدَّ به»[١] ليس تشذيذًا للحمصي كله، بل لموضع التحريم والمسد والبروج عنده، كما أنه شذذ الشامي في موضع يونس وسبأ، وشذذ عدد أبي جعفر في موضع التكوير كما بينته عند ذكر منهج العماني.

● الأقرب عند الباحث في مصدر التفصيل في العدد الحمصي هو كتاب ابن شنبوذ في عدد أهل الشام، كما بينته في مبحث أسانيد العدد الحمصي.

(١) الكتاب الأوسط (٤٧٢).

فهرس المصادر والمراجع

١. **اختلاف العدد**، لأبي الحسين أحمد بن جعفر بن محمد ابن المنادي الحنبلي (ت: ٣٣٦ هـ)، مخطوط ، ٦٩ لوحا، مركز الملك فيصل، الرياض، برقم ٤٦١١.

٢. **إرشاد القاصي والداني إلى تراجم شيوخ الطبراني**، لأبي الطيب نايف بن صلاح المنصوري، تقديم: سعد الحميد، دار الكيان، الرياض.

٣. **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف**، في الأسماء والكنى والألقاب، لأبي نصر علي بن هبة الله بن ماكولا، (ت: ٤٧٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١) ١٤١١هـ.

٤. **البيان في عد آي القرآن**، لأبي عمرو، عثمان بن سعيد الداني، (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: د.غانم قدوري الحمد، دار الغوثاني، سوريا، دمشق ط(١) ١٤٣٩هـ.

٥. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط(١)، ٢٠٠٣م.

٦. **تاريخ بغداد**، لأبي بكر، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤١٧.

٧. **تاريخ دمشق**، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت:٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط ١٤١٥.

٨. **التاريخ الكبير**، لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، (ت: ٢٥٦هـ)، اعتنى به: محمد عبد المعيد خان، طبعة دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن.

٩. **تالي تلخيص المتشابه**، لأبي بكر، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، (ت: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار الصميعي، الرياض، ط (١)، ١٤١٧هـ.

١٠. **توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم**، لأبي بكر محمد بن أحمد بن مجاهد الدمشقي، الشهير بابن ناصر الدين، (ت:٨٤٢هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (١)، ١٩٩٣ م.

١١. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، لأبي محمد يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف المزي، (ت: ٧٤٢ هـ)، تحقيق: بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(١)، ١٤٠٠هـ.

١٢. **الثقات**، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، (ت: ٣٥٤ هـ)، طبع بعناية: محمد بن عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ط (١)، ١٣٩٣هـ.

١٣. **الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة**، لأبي الفداء زين الدين قاسم بن قطلوبغا الجمالي الحنفي، (ت: ٨٧٩هـ)، تحقيق: شادي بن محمد آل نعمان، مركز النعمان، صنعاء، ط(١)، ١٤٣٢هـ.

١٤. **جامع بيان العلم وفضله**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الرياض، ط (١)، ١٤١٤هـ.

١٥. **الجامع في القراءات العشر** المنسوب لأبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري، (ت: عام ٤٧٨هـ)، حققه: الأستاذ محمد سيدي محمد الأمين في رسالة علمية، عام ١٤٠٧هـ.

١٦. **الجامع للأداء روضة الحفاظ المعروف بـ: (روضة المُعدّل)** لموسى بن الحسين بن إسماعيل الـمُعدّل المصري، المتوفى نحو عام ٥٠٠هـ، تحقيق: خالد أبو الجود، دار ابن حزم، ط(١)، ١٤٣٦هـ.

١٧. **الجرح والتعديل** لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، ابن أبي حاتم، (ت:٣٢٧هـ)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ط(١)، ١٢٧١هـ.

١٨. **حسن المدد في فنِّ العدد لبرهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري**، (ت: ٧٣٢ هـ)، تحقيق: بشير بن حسن الحميري، مجمع الملك فهد، بالمدينة النبوية، ط (١)، ١٤٣١هـ.

١٩. **الروضة في القراءات الإحدى عشرة**، لأبي علي الحسن بن إبراهيم البغدادي المالكي، (ت: ٤٣٨هـ)، حققه: مصطفى بن عدنان ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، ط(١)، ١٤٢٤هـ.

٢٠. **السنة**، لأبي عبد الله محمد بن نصر المروزي ، (ت: ٢٩٤هـ)، تحقيق: سالم بن أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط (١)، ١٤٠٨هـ.

٢١. **سير أعلام النبلاء**، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي(ت:٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط (٣)، ١٤٠٥.

٢٢. **صحيح البخاري**، لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، (ت: ٢٥٦ هـ)، تحقيق: الناصر محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط (١)، ١٤٢٢.

٢٣. **طبقات الحنابلة**، لأبي الحسين بن أبي يعلى، محمد بن محمد (ت: ٥٢٦هـ)، محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

٢٤. **الطبقات الكبرى**، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠.

٢٥. **العين**: لأبي عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار الهلال.

٢٦. **غاية النهاية في طبقات القراء**، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي ابن الجزري (ت: ٨٣٣ هـ)، تحقيق: أبي إبراهيم عمرو عبد الله، دار اللؤلؤة، القاهرة، ط(١)، ١٤٣٨هـ.

٢٧. **فتح الباب في الكنى والألقاب**، لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: أبي قتيبة نظر الفاريبي، مكتبة الكوثر، الرياض، ط(١)، ١٤١٧هـ.

٢٨. **فضائل القرآن**، لأبي الفداء لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (ت:٧٧٤هـ) ، مكتبة ابن تيمية، ط (١)، ١٤١٦هـ.

٢٩. **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن**، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، كتاب في علوم القرآن، حققه: حسن ضياء الدين ، دار البشائر، بيروت، ط (١)، ١٤٠٨هـ.

٣٠. **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، المحقق: تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، مؤسسة علوم القرآن، جدة، ط (١)، ١٤١٣هـ.

٣١. **الكامل في القراءات**، لأبي القاسم، يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل الهذلي، (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: أبي إبراهيم عمرو بن عبد الله، دار سما، ط(١)، ١٤٣٥هـ.، وكذلك من المراجع: الكامل بتحقيق: عمر حمدان، تغريد حمدان، جامعة طيبة، ط (١)، ١٤٣٥هـ.

٣٢. **الكتاب الأوسط –أو القراءات الثمان–**، لأبي محمد الحسن بن علي ين سعيد العماني، تحقيق: عزة حسن، دار الفكر، دمشق، ط (١)، ١٤٢٧هـ.

٣٣. **كتاب العدد** لأبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: مصطفى العيثاوي، وعمار الددو، مجلة الشريعة، العدد ٢٥، ١٤٢٦هـ.

٣٤. كتاب المصاحف، لأبي بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان الأشعث السجستاني (ت: ٣١٦ هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار غراس، الكويت، ط(١)، ١٤٢٧هـ.

٣٥. **لسان العرب**، لأبي الفضل، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين، ابن منظور، (ت:٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.

٣٦. **لسان الميزان**، لأبي الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢ هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط (١)، ٢٠٠٢م.

٣٧. **مبهج الأسرار في معرفة اختلاف العدد والأخماس والأعشار على نهاية الإيجاز والاختصار**، للإمام أبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار (ت: ٥٦٩هـ)، تحقيق: خالد أبو الجود، مكتبة الإمام البخاري، مصر، ط (١) ١٤٣٥هـ.

٣٨. **مختصر التبيين لهجاء التنزيل**، لأبي داود، سليمان بن نجاح الأندلسي، (ت: ٤٩٦هـ)، تحقيق: أحمد بن أحمد شرشال، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، ١٤٢٣هـ.

٣٩. **المخصص**، لأبي الحسن، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث، بيروت، ط (١)، ١٤١٧.

٤٠. **مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار**، لأبي حاتم، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: مرزوق علي ابراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط (١)، ١٤١١.

٤١. **مقاييس اللغة**، لأبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي، (ت: ٣٩٥)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩.

٤٢. **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار**، لأبي عمرو، عثمان بن سعيد الداني، (ت: ٤٤٤ هـ)، تحقيق: بشير بن حسن الحميري، مكتبة نظام يعقوبي، البحرين، ط(١)، ١٤٣٥هـ.

٤٣. **نشر القراءات العشر**، لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي يوسف بن الجزري، (ت: ٨٣٣ هـ)، تحقيق: أيمن بن رشدي سويد، دار الغوثاني، سوريا، ط(٢)،١٤٤٠هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	٢٥٩
المقدمة	٢٦٠
أهمية الموضوع وأسباب اختياره	٢٦١
الدراسات السابقة	٢٦٢
خطة البحث	٢٦٣
منهجي في البحث	٢٦٤
التمهيد	٢٦٥
التعريف بعلم العدِّ	٢٦٥
أبرز المصنفات في عد الآي	٢٦٦
المؤلفات في العدد الحمصي	٢٦٨
المبحث الأول: التعريف بالعدد الحمصي ونسبته، وأسانيده	٢٧٢
أولًا: التعريف بالعدد الحمصي ونسبته	٢٧٢
ثانيًا: أسانيده	٢٧٧
المبحث الثاني: موقف العلماء من العدد الحمصي	٢٨٤
المبحث الثالث: انفرادات العدد الحمصي عدًّا واختلاف الأئمة في ذلك	٣٠٠
المبحث الرابع: انفرادات العدد الحمصي تركًا، واختلاف الأئمة في ذلك	٣١٠
المبحث الخامس: هل تعدُّ الآي في المصاحف على العدد الحمصي؟	٣١٨
الخاتمة	٣٢٠
فهرس المصادر والمراجع	٣٢٢
فهرس الموضوعات	٣٢٦

مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية

جماليات التّنَاسب في سورة الفاتحة
(المقصد المحوري مثالاً)

إعداد

د. مريم بنت عبد الهادي بن محمد القحطاني

الأستاذ المشارك بقسم الأدب- كلية اللغة العربية -
جامعة أم القُرَى بمكة المكرمة

• من مواليد عام ١٣٨٧هـ بمدينة الخُرْمَة بالمملكة العربية السعودية.
• تخرجت في كلية اللغة العربية، قسم الأدب بجامعة أُمّ القُرى بمدينة مكة عام ١٤١٣هـ.
• نالت شهادة الماجستير من قسم الأدب، كلية اللغة العربية بجامعة أُمّ القُرى عام ١٤١٨هـ بأطروحة: "الإسراف، بين الخطاب القرآني ورؤية الشاعر الجاهلي "، كما نالت شهادة الدكتوراه منه عام ١٤٢٩هـ بأطروحة: "بناء القصيدة الجاهلية ووحدتها: المُفَضّليّات نموذجا ".
• من أعمالها المنشورة: "معلقة طرفة بن العبد والنقد الحديث، قراءة في المنهج"، "الصورة الأم معيارا نقديًّا"، "رؤية الشاعر للشعر بين أبي تمام والبحتري من خلال ديوانيهما "، "أسس الرؤية التجديدية لدراسة الشعر القديم ونقده عند الشيخ محمود محمد شاكر"، "سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي، ورده عليه".
• البريد الشبكي: m-q-44@Hotmail.com

(قدم للنشر في ١٤٤٣/١٢/٤هـ؛ وقبل للنشر في ١٤٤٤/٣/١٣هـ)

الملخص

اعتنى البحث بتطبيق منهج علم المناسبة في دراسة سورة الفاتحة، وبيان أوجه العلاقات والمناسبات بكل أنواعها في السورة، واهتم ببيان المقصد المحوري للسورة خاصة؛ لأنه مما تعددت فيه أقوال العلماء، فبحث أسباب ذلك، ثم حدد المقصد المحوري للسورة، وبيّن أدلة ذلك القول، من خلال التحليل النصي لبناء الكلام داخل سورة الفاتحة، والتحليل النصي لبناء الكلام من خارج سورة الفاتحة، أي في سائر القرآن الكريم، كي يتبين الفرق بين المقاصد العامة للقرآن كله، والمقصد المحوري الخاص بكل سورة، ويذهب البحث إلى أن المقصد المحوري للفاتحة هو المقصد المحوري للقرآن الكريم كله؛ لأنها أم القرآن، وبعد فلكل سورة مقصد محوري يختص بها، يتفرع من ذلك المقصد المحوري الأكبر، ومما يعين الباحث على تحديد مقصد سورة ما: تطبيق منهج المناسبة الذي يكشف علاقات الكلام، وأوجه ترتيبه.

الكلمات المفتاحية: سورة الفاتحة، علم المناسبات، المقصد العام، مقاصد السور.

المقدّمة

الحمد لله منزل القرآن رحمةً وهدى وشفاءً للأنام، والصلاة والسَّلام على النَّبي العربي الأُمِيِّ محمد بن عبد الله، عليه أطيب الصلاة ، وأزكى السَّلام، وبعد .

فإنَّ خيرَ ما مضتْ فيه الأعمار، وأشرف ما اشتغل به العلماء والباحثون: تدبُّر كلام الله، وأولُ ذلك وأشرفه: سورة الفاتحة، أمُّ القرآن، وقد تَوَارَدَ على تفسيرها، وجَلَاءِ أسرارها علماءُ الإسلامِ عبر القرون، ولكنّ القرآن مائدةُ الله في الأرض، لا تفنى أسراره، ولا تنقضي عجائبه، وقد وجدت أنّ البحث عن المقصد المحوري لسورة الفاتحة خاصة مما ينبغي أن تتوجّه له الهمم؛ لأن الفاتحة أمُّ القرآن، وبالتالي فإن مقصدها المحوري هو المقصد العام للقرآن الكريم كله، وكذلك لما شابه من تعدد الأقوال، ومن هنا ظهرت مشكلة البحث: هل للقرآن الكريم كله مقصد محوري عام تندرج تحته كل المقاصد الفرعية في السور؟ ثم هل يوجد لكل سورة مقصد محوري خاص تنفرد به عما سواها، وذلك المقصد الفرعي متفرع من المقصد العام الأكبر؟ أيكون ذلك المقصد واحدا أم يتعدد [(١)]؟.

وقبل ذلك كله: ما الأسس التي من خلالها نستطيع تحديد المقصد المحوري لسورة ما، الذي يطوي تحت أجنحته كل موضوعات السورة الفرعية ؟

ولحل هذا الإشكال لابد من اتخاذ منهج علمي نابع من القرآن، فكان منهج علم المناسبة أوفق منهج يوصل للمراد، ولذا لابد للباحث عن المقصد المحوري لسورة ما أن يتغلغل في كل أوجه التناسب الصوتية، واللغوية، والنحوية، والبلاغية في السورة موضع البحث، ومن ثم يتجه للبحث في العلاقات على المستوى التأويلي، وإذا تتبعتَ كلام العلماء عن أوجه التناسب السالفة في سورة الفاتحة وجدتها متفرقة

(١) زعم أحد الباحثين أن بعض السور لها عدة محاور تدور حولها، أنظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ٤٣.

في كتب عديدة؛ لأن لكل عالم جانب يجعله محلَّ عنايته أكثر مما سواه، فتجد منْ يوجِّه عنايته للتفسير اللغوي، ومنهم من يجعلها لاستخراج الأحكام الفقيهة، ومنهم من يُوْلِي البلاغةَ في السورة عنايته، وآخر يُعْنَى بالنحو فيها، وكل واحد منهم بين موجز للقول وباسط له، ولذا رأيت أن السبيل لجلاء المقصد المحوري لسورة الفاتحة هو دراستها بمنهج مستمد من علم المناسبات القرآني، وهذا يستلزم الوقوف على مدارج التناسب الصوتية، واللغوية، والنحوية، والبلاغية، حتى يترقَّى البحثُ ويصل إلى المستوى التأويلي الذي ينظر في العلاقات النصية داخل بناء الكلام، وخارجه، وذلك لأن الذي ينظر في تفسير الفاتحة يجد نفسه مضطرا لمراجعة أمهات كتب التفسير التي بسطت القولَ فيها، ومن ثم يستخرج ما اتفقوا عليه، ويرصد ما اختلفوا فيه، ويرجح -قدر طاقته- بعد النظر والمراجعة، فالبحث يهدف إلى:

- تطبيق منهج علم المناسبة على سورة الفاتحة، بحيث تتضح كيفية تطبيق المعطيات النظرية في علم المناسبة على سورة الفاتحة.
- الكشف عن أوجه التناسب بكل أنواعها في السورة، تلك الأوجه التي ترى العديد منها متناثرًا في كتب متفرقة، ويستغرق تتبعها الكثير من الوقت والجهد، ولا يتأتّى كشف التناسب إلا ببيان تلك الأوجه كافة.
- الوصول لترجيح المقصد المحوري الرئيس للفاتحة، ترجيحًا مبنيا على أدلة من تحليل بناء الكلام، وعلاقاته، وروابطه، وذلك بعد استعراض أقوال العلماء عن المقصد المحوري للسورة.

وقد قسمت البحث إلى تمهيد، عن سورة الفاتحة، ثم عن علم المناسبة، وأهميته، ونفعه الجليل في تحليل الكلام، وأنه من سَنَن العرب في كلامها، ولذا خاطبهم الله بلسانهم، وطرائقهم في كلامهم.

ثم صلب البحث عن تفسير السورة وفق منهج علم المناسبات، وذلك في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: المستوى الاستكشافي.

المبحث الثاني: المستوى التفسيري.

المبحث الثالث: المستوى التأويلي.

ثم **خاتمة** تضم نتائج البحث وتوصياته.

وقد اعتنى علماء الإسلام بتفسير الفاتحة، والنظر في معانيها، من جوانب متنوعة كثيرة تفوق الحصر، ولكن أقرب تلك الدراسات لموضوع البحث هي كتب التفسير التي تعنى بالبحث في العلاقات وأوجه المناسبة، ومن أهمها :

مفاتيح الغيب للفخر الرازي (ت ٦٠٤هـ)، وابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) في: البرهان في تناسب سور القرآن، والبقاعي (ت ٨٨٥ هـ) في نظم الدرر، ومصاعد النظر، والسيوطي (ت ٩١١هـ) في: تناسق الدرر في تناسب السور، والألوسي في : روح المعاني (ت ١٢٧٠هـ)، بل إنك واجدٌ عند الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في ثنايا تفسيره : جامع البيان، وقفات عند أوجه المناسبة والارتباط بين الآيات .

ومما نمّى هذا الاتجاه ما كتبه العلماء عن مقاصد القرآن، خاصة عند الشاطبي(ت ٧٩٠ هـ).

وتصاعد الاهتمام بهذا الجانب في العصر الحديث، خاصة فيما عُرفَ عند الباحثين بالتفسير الموضوعي[(١)]، فظهرت الكثير من الدراسات التي تبرز أوجه المناسبات، ونظام بناء الكلام في السورة، أو بين مجموعة سور. ومن تلك الدراسات عن سورة الفاتحة:

- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، أعدته لجنة من علماء التفسير وعلوم القرآن الكريم في جامعة الشارقة، وكانت سورة الفاتحة من ضمن السور التي وردت في عملهم، لكنه كان عملا مختصرا، وجعلوا لسورة الفاتحة محاور عديدة،

(١) عرّفه أحد الباحثين فقال: "هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر" أنظر : مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم ، ط٤ ، ٢٠٠٥م (ص١٦).

وهذا لا يتفق وما يراه علماء المناسبة من أن للسورة محورًا واحدًا .

• سورة الفاتحة، دراسة موضوعية، بسام رضوان شحادة عليان، وهو رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية في غزة، في عام ٢٠٠٨م، وقد جعل التفسير الموضوعي للفاتحة في المبحث الثاني من البحث، ثم فصّل القول عن الموضوعات الفرعية للسورة، وهي ما سماه: القضايا، وجعل المحور الرئيس للسورة: تقرير العبودية لله تعالى، واكتفى في كلامه عن تحديد المحور الرئيس للفاتحة بصفحة ونصف، في كلام موجز جدا، دون تقديم براهين نصية على ذلك .

• الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة، طه عابدين طه، بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ٢٠١٢م .

وجاء كلامه عن الوحدة الموضوعية في السورة في المبحث الرابع، وقد رأى الباحث أن محورها الرئيس هو: تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى التي من أجلها خلق الخلق، وأن هذا هو الموضوع الرئيس في القرآن كله، وكذلك لم يتجاوز كلامه عن مقصد الفاتحة صفحتين فحسب، دون أدلة من الفاتحة ترجح ما ذهب إليه .

▪ الهداية في سورة الفاتحة، زينب بشير الغصني، بحث منشور في مجلة الجامعة الأسمرية الإسلامية، س ١٤، ع٢٩، ٢٠١٧م.

اقتربت الباحثة من تحديد محور الفاتحة، ولكن كان تحديدها لجزء من المحور، ثم لم تقدم البراهين النصية الكافية على ما حددته، فقد ذكرت الباحثة أن معاني السورة تدور على موضوع محوري هو موضوع الهداية إلى الله سبحانه، ولم تشر إلى أن محورها : سؤال الهداية إلى الصراط المستقيم تحديدا، ولم تقدم البراهين اللغوية من النص القرآني، وشرعت في بيان أنواع الهداية المعرفية والقلبية والنفسية، وبذلك لم يتضح في البحث أسس تحديد المحور المذكور ببيان واف شاف، كما أنها لم تتتبَّع أثر ذلك المحور في تشكيل بناء السورة .

- التفسير القرآني لسورة الفاتحة، زينب عبد المحسن، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، مج ٥، ع ٥٠، ٢٠١٦م .

هذا بحث مختصر عن سورة الفاتحة، وجاء الكلام عن المعنى الإجمالي للسورة في نصف صفحة أو أقل، وجعلته الباحثة أشبه بالشرح العام للسورة كاملة، ثم أتبعته بذكر مقاصد السورة، حيث عادت وجعلت موضوعات السورة في نقاط حسب معنى كل آية من آيات الفاتحة في نصف صفحة أيضا، وبذا يتبين أنها لم تعتن بتحديد المحور العام للسورة، ولا أسس استخراجه وبيانه.

- البلاغة في سورة الفاتحة، عبد الحكيم حسام الدين، بحث منشور في مجلة جماعة أنصار السنة المحمدية، س٤٦، ع٥١٤، ٢٠١٦م. والبحث من صفحتين فقط، وشديد الاختصار، واقتصر فيه على بعض مسائل البلاغة كالذكر والحذف والخبر والإنشاء، ولم يذكر شيئا عن تحديد محور السورة، وأوجه التناسب فيها .

- النظم البلاغي في سورة الفاتحة، نايف جردو أحمد حسن الساداني، بحث منشور في مجلة جامعة الموصل، العراق، ع ٦٩، ٢٠١٤م.

اعتنى البحث الكريم بما يخص سمات النظم البلاغي في سورة الفاتحة، وفق علوم البلاغة الثلاثة، ولكن ليس من منطلق علم المناسبات، ولذا اقتصر ذكره للتناسب على نصف صفحة فقط من البحث .

أما عن غرض سورة الفاتحة فقد تابع البقاعي فيما جعله محورا للفاتحة في كتابه (نظم الدرر)، ونقل عنه نقلا حرفيا تاما في هذا الجانب .

وقد سار هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، يعضده منهج علم المناسبة في دراسة سورة الفاتحة .

- أضواء على الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة، صالح بن محمد الزهراني – بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات القرآنية، ع ٤، السنة الثانية .

وقد قدّم الباحث الكريم دراسة تعنى بمجالات الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة، حيث قسمه إلى مبحثين : الأول : الدلائل البلاغية العامة لإعجاز السورة، والثاني : من بلاغة الكلمات والتراكيب في السورة .

ويسعى البحث لتحقيق الأهداف التالية :

- تقديم نموذج تطبيقي لمنهجية علم المناسبات عند دراسة السور القرآنية.
- تركيز الضوء على أهمية البحث في المقصد المحوري للسورة موضع الدراسة، وبيان الإجراءات النصية التي تعين الباحث على اكتشاف ذلك المقصد .
- عرض جهود العلماء في بحثهم عن المقصد المحوري للفاتحة، وبيان تعدد أقوالهم في ذلك، وترجيح أسباب هذه الظاهرة .
- بيان مدارج منهج علم المناسبة عندما يُطبَّق على سورة ما، في كلِّ مستوياته التحليلية : المستوى الاستكشافي، ثم المستوى التفسيري، ثم المستوى التأويلي.

التمهيد

أولاً: بين يدي السورة، أسماء السورة :

١. اسم السورة :

إن النظر في اسم السورة من أقوى ما يعين الباحث عن المقصد المحوري للسورة، ويدلُّه عليه، وأسماء السور توقيفية على رأي الجمهور[١]، وقد جعل السيوطي من أنواع المناسبات: مناسبة أسماء السور لمقاصدها، وضرب أمثلة متنوعة لذلك[٢] .

وقد روى لنا البقاعي تجربته الملهمة في تأمل العلاقة بين اسم السورة ومقصدها، حيث قال : «وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كل سورة مترجمٌ عن مقصودها؛ لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه الدال إجمالا عن تفصيل ما فيه»[٣].

وفي كتاب له آخر بَيّنَ رَحِمَهُ اللَّهُ القيمة البيانية العالية لاسم أي سورة، وهي: الدلالة على المقصد، حيث قال: «من عرف اسم السورة عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها عرف تناسب آيها، وقصصها، وجميع أجزائها».[٤]

ولشرف الفاتحة، وعلو منزلتها تعددتْ أسماؤها، قال السيوطي: «وقفت لها على نيف وعشرين اسما، وذلك يدلُّ على شرفها، فإنَّ كثرة الأسماء دالـةٌ على

(١) قال السيوطي في الإتقان : "ثبت أن أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك " انظر : الإتقان في علوم القرآن (١٤٠).

(٢) الإتقان ، السيوطي (٧٠٤).

(٣) نظم الدرر ، البقاعي (ج١ / ١٣).

(٤) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ، (ج١ / ١٤٩) .

شرف المسمى»[١].

وقد صحَّ الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**هي أُمُّ القرآن، وهي فاتحة الكتاب، هي السبع المثاني**» وفي صحيح أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : «**الحمد لله رب العالمين أُمُّ القرآن، وأُمُّ الكتاب، والسبع الثاني**».[٢]

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة مرفوعا: «**أم القرآن هي السبع الثاني**».[٣]

وفي الحديث الذي رواه أبو سعيد بن المعلى أن رسول الله ﷺ قال: «**الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم الذي أُوتيته**».[٤]

وسميت **فاتحة الكتاب** لأنها يُفتتح بها المصاحف، ويُقرأ بها في الصلوات، فهي فواتح لما يتلوها من سور القرآن في الكتابة والقراءة، قال رسول الله ﷺ:«**لا صلاةَ لمن لم يقرأ بفاتحة**».[٥]

وسميت **أُمُّ القرآن وأمُّ الكتاب**؛ لتقدمها على سائر سور القرآن، وتأخر ما سواها خلفها، والعرب تسمي كل جامع أمرا، أو مقدّم لأمر إذا كان له توابع تتبعه، هو لها إمام جامع: أُمًّا، فيقولون للجِلدةِ التي تجمع الدماغ : أُمّ الرأس، ويسمون الراية التي يجتمع تحتها الجيش : أُمّا، وسميت مكة أم القرى لأنها متقدمة أمام جميع القرى، وقيل: لأن الأرض دُحِيَتْ منها، أي سميت أم القرآن وأم الكتاب لأنها أصله، وأوله، وتشمل المعاني التي في القرآن.

وسميت **السبع المثاني** لأنها سبع آيات، ولم يختلف أحد من القُرَّاء والعلماء في أن عدد آيات سبع آيات والمثاني لأنها تُثنَّى قراءتها، في كل صلاة تطوع ومكتوبة[٦]،

(١) الإتقان في علوم القرآن (١٤١).

(٢) صحيح أبي داود، رقم (١٤٥٧) (حديث صحيح) أخرجه أحمد، والدارمي، وأخرجه البخاري (٤٧٠٤).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ١٩٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٤٧٤).

(٥) المصدر نفسه (٧٥٦).

(٦) المصدر نفسه (ج١ / ١١٧).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

ثانياً: مفهوم علم المناسبات لغة واصطلاحا:

تعريفه لغة: «النَّسَبُ: القَرَابَات»(١)، «والنون والسين والباء كلمة واحدة، قياسها: اتصال شيء بشيء، منه: النسب؛ لاتصاله، وللاتصال به»(٢)، وقد استعملت الكلمة بعد ذلك مجازا، قال الزمخشري: «ومن المجاز: بين الشيئين مناسبة وتناسبا».(٣)

اصطلاحا :فهو-كما عرفه البقاعي(٤)- «علمٌ تعرف منه عِلل ترتيب أجزاء القرآن ، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها، عام أو خاص، عقلي ، أو حسي، أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين، ونحوه».(٥)

وعرّفه الدكتور محمد بازمول، فقال: «في الاصطلاح العام: المناسبة هي علة الترتيب، وعند علماء علوم القرآن العظيم: مناسبات القرآن العظيم: هي عللُ ترتيب أجزائه بعضها ببعض، أو بعبارة أخرى : مناسبات القرآن العظيم: هي المعنى الذي يربط بين سوره وآياته»(٦)ويتميز تعريفه هذا بإدراك الأهمية البالغة

(١) لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت ، نسب.

(٢) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس (أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل، بيروت ، (ج٥/ ٤٢٣).

(٣) أساس البلاغة، الزمخشري، جار الله، أبو القاسم، محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان، د ط ، ١٩٨٩م ، ٦٢٩.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، برهان الدين، أبو الحسن، إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ) ، خرَّج آياته وأحاديثه : عبد الرزق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م ، (١/ ٦) ، وقد ذكر التعريف ذاته في كتابه الذي ألَّفه بعد نظم الدرر، واسمه : مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (ج١ / ١٤٢).

(٥) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، حققه وعلق عليه : فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، د ط ، ٢٠١٠م، ٦٩٥ .

(٦) علم المناسبات في السور والآيات، محمد بن عمر بازمول، المكتبة المكية ، مكة المكرمة ، ط١، ٢٠٠٢م، ص٣٧.

لوجوب تحديد المعنى الرابط بين السور والآيات في سورة ما، وهو ما سار هذا البحث على تسميته بالمقصد المحوري للسورة، لأنه هو الرابط الذي يجمع كل أجزاء سورة ما، ويوجهه كل لبنات السورة لتحقيق ذلك المقصد المحوري .

وهذا العلم، أي علم المناسبة مبني على القول الراجح بأن ترتيب سور القرآن العظيم ترتيب توقيفي من الله عز وجل[١]، ومن هنا يأتي اجتهاد علماء هذه الأمة المباركة في النظر في وجوه ذلك الترتيب، وأسراره، تعبدا لله عز وجل، وهذه هي بداية النظر في علم المناسبات، لأنه إذا علم أن ترتيب سور القرآن العظيم كان توقيفا من الله سبحانه، علمنا يقينا «أن الله عز وجل ما قدّم هذه السورة على تلك، وما استفتح بهذه الآية هذه السورة، وما ختم تلك السورة بكذا، إلا لمناسبة، قد تظهر حتى يعلمها المتدبر لكتاب الله تبارك وتعالى، وقد تدقُّ حتى لا تكاد تعلمها، أو لا تُعْلَمُ على وجه اليقين أصلا»[٢].

١ – أهمية علم المناسبات[٣]:

قال الإمام الزركشي: «واعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول»[٤].

ومما يدخل تحت مظلة هذا العلم الجليل ما سماه العلماء: علم مقاصد السور، وهو مبني على علم المناسبات، بل هو ثمرته، ونتيجته، وقد عرَّفه البِقَاعِيُّ، فقال : «علمٌ يُعرف منه مَقَاصد السور، وموضوعه: آيات السور، كل سورة على حيالها، وغايته: معرفة الحق من تفسير كل آية من آيات تلك السورة، ومنفعته: التبحر في

(١) علم المناسبات في السور والآيات، محمد بن عمر بازمول ، ص١٦ .

(٢) المرجع نفسه ، محمد بن عمر بازمول ، ص ١٨ .

(٣) انظر: علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه، نور الدين عتر، دار الغوثاني للدراسات القرآنية ، دمشق ، ط١، ٢٠١١م ، ص٥ وما بعدها .

(٤) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١/ ٣٦).

علم التفسير».[١]

٢ – أصل علم المناسبة:

يُعنى علم المناسبة ببناء الكلام، ونظمه وتركيبه، بدءا من أصغر وحدة في الكلام، وهي الحرف، ثم الكلمة، ثم الجملة، ثم الوحدة بين مجموعة جمل، ثم النص كله، ثم ما قبله وما بعده من نظم السور، ولذا لا يمكن للباحث في علم المناسبة تجاوز الوحدات الصغرى لبنية الكلام، والقفز إلى معاني الكلام وموضوعات السورة العامة، لأن: «التناسب يبدأ من الوحدات الصغرى والتراكيب، وينتهي إلى علاقة الجملة بالجملة التي تليها في مراتب الفصل والوصل لتفسير السببية الحاصلة بين الجمل».[٢]

٣ – فوائد علم المناسبات:

- التناسب معيار أساسي في الحكم على الكلام، وتقديم بعضه على بعض:

فمن المعلوم عند أرباب الفصاحة، وعلماء البيان أن أهم معيار يتفاضل به كلام على كلام، وتتفاوت به رتبة بليغ عن بليغ هي : تحقق المناسبة بين أقسام كلامه، مما يجعل كلامه كأنما أُفرغ إفراغا واحدا في تناسب أوله بخاتمته، ومطلعه بمقصده، وحسن انتقاله بين موضوعات كلامه الصغرى ، بما يجعلها على تعددها مرتبطة أحسن ارتباط ببعضها، وبما تهدف إليه في مجملها، وقد كانت العرب تتنافس في تجويد كلامها، وتقوية ارتباط بعضه ببعض، وبه يعلو كلام على كلام، وبيان على بيان .

وقد كانت العرب منذ أيام جاهليتها تعنى أشد العناية بتلاحم كلام المتكلم، وتناسبه، وقوة بنائه، وقد عبروا عن ذلك بمصطلحات عديدة، منها : النحت،

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد الآيات والسور، البقاعي برهان الدين، أبو الحسن، إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ) ، مكتبة المعارف ، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م – (ج١ / ١٥٥).

(٢) علم المناسبة القرآنية، مدخل في الماهية والأسس، بن صالح غربي – بحث منشور في مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، مج ٢٤ ، ع١ ، ٢٠٢٢م، ٨٣٨.

والسبك، والصوغ، والنسج، والتأليف، وهذه المصطلحات تشير إلى صنعة المتكلم في بناء كلامه، كي يخرجه متلاحما، متآلفا، وعماد ذلك تحقيق المناسبة .

ولذا عابوا على الشَّاعر ضعف النَّسْجِ، وهو افتقاد التناسب، فقالوا :

وَبَعْضُ قَرِيْضِ القومِ أَوْلَادُ عِلَّةٍ يَكِدّ لِسَانَ النَّاطِقِ المُتَحَفظِ[١]

فشبّه القائلُ شعرَ الشاعر الذي يكون التناسب فيه ضعيفا واهيا بعلاقة النسب التي تكون بين الإخوة من أمهات شتى، وإن كان الأب واحدًا .

وشاع عندهم تشبيه التناسب بين الأبيات، بعلاقة النسب بين الناس، ويروى أن الشاعر عمر بن لجأ قال لبعض الشعراء : «أنا أشعر منك، قال: وبم ذلك ؟ قال: لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه».[٢]

وكانوا ينظرون في تقييمهم لشعر شاعر ما على النظر في مجمل شعره، وسَمْتِ كلامه، وما فيه من تحقق التناسب، وقوة التلاحم، ومما يبين ذلك قصة مَنْ حكم بين الزِّبْرِقَانِ بن بَدْرٍ، وعَبْدَة بن الطَّيْب، والمُخَبّل السَّعْدِيّ، وعَمْرُو بن الأَهْتَم، حيث قال للزِّبْرِقَان: «أما أنت فشِعْرُكَ كَلَحْمٍ أُسْخِنَ، لا هو أُنضجَ فَأُكِلَ، ولا تُرك نيئا فيُنْتَفَعُ به، وأما أنتَ يا عمرو فإنَّ شعرك كَبُرُود حَبِرَة، يتلألأ فيها البصر، فكلما أُعيد فيها النظر نقص البصر، وأما أنت يا مُخَبّل فإنَّ شعرك قَصُرَ عن شعرهم، وارتفع عن شعر غيرك، وأما أنت يا عَبْدَة فإنَّ شعرك كَمَزَادَةٍ أُحْكِمَ خَرْزُهَا فليس تقطر ولا تمطر»[٣] وكل هذه الأحكام منطلقة من النظر في كل شعر الشاعر، ومدى نجاحه في تحقيق المناسبة في بناء شعره.

ولذا نبّه النقاد العرب القدامى كثيرا على أهمية التناسب في الكلام، قال الجاحظ :

---

(١) إعجاز القرآن ، الباقلاني ، ١٠٧.

(٢) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت، ب ط،١٩٩٢م، (ج١/١٥٦).

(٣) الموشح، المرزباني، محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ) ، تحقيق : علي بن محمد البجاوي، دار الفكر العربي ، القاهرة، د ط ، د ت،٩٢ .

«وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخرج، فتعلم بذلك أنه قد أُفرغ إفراغا واحدا، وسُبِكَ سبكًا واحدًا، فهو يجري في اللسان كما يجري الدهان»[(١)].

ويقول الحاتمي: «القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر، أو باينه في صحة التركيب، غادر الجسم عاهة تتخون محاسنه، وتعفي معالم جماله».[(٢)]

ولو ذهبنا نتتبع ما قالوه ونبهوا إليه لطال القول، واتسع عند الجرجاني، وعند حازم القرطاجني، وابن الأثير، وغيرهم كثير .

ومما يذكر من المصطلحات مع التناسب : مصطلح المؤاخاة، ولكن التناسب مصطلح أعم من مصطلح المؤاخاة، ولذا عدّ ابن الأثير المؤاخاة بين المعاني قسما من التناسب بين المعاني [(٣)].

وبذلك يتضح أن المناسبة في اللسان العربي، وبيانه العالي أساس في الحكم على جودة القول، وبلاغة القائل، وحين نزل القرآن الكريم مخاطبا ذلك الجيل من العرب الفصحاء فقد خاطبهم بِسَنَنِهم في كلامهم، فإن كانت المناسبة في كلام العرب الفصحاء بليغة، فهي في كلام الله – عزّ وجل– معجزة، ووجب على المسلم تدبر الإعجاز في كلامه عز وجل، ومن أوجه التدبر العالية: النظر في وجوه التناسب في سوره وآياته، وأولى السور بذلك : سورة الفاتحة .

- إذا امتلك الباحث في كلام ما الوعي بالتناسب، فإنه مما يعينه على اكتشاف المعنى المقصود المحوري في ذلك الكلام، وهما أمران متلازمان يفضي أحدهما للآخر، «لأن معرفة مقصود السورة لا يتمُّ إلا بمعرفة جميع جملها، وتدبر سياقها

(١) البيان والتبيين، (ج١/ ٥٠) .

(٢) العمدة في محاسن الشعر ونقده ، ابن رشيق القيرواني، (ج٢ / ١١٧).

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د ط ،١٩٩٥م ، (ج٢/ ٢٧٦) .

من بدايته إلى منتهاه، فيتوقف معرفة المناسبات على معرفة السياق ، والسياق يكون خادمًا لعلم المناسبات، في إبراز علل الترتيب التي يراها المفسر»[١].

ولذا لا يمكن تحديد مقصد محوري في سورة، أو في قصيدة إلا بعد ربط كل أجزائها بمحورها العام الأكبر، وسبيل الكشف عنه بتطبيق منهج علم المناسبة .

- بناء على الفائدة السابقة فإن الوعي بالتناسب، وأوجهه، وأنواعه باب عظيم من أبواب تدبر كتاب الله الكريم، وإدراك مقدار علوه على كلام الناس أجمعين، فمثلا أوجه التناسب الخارجية التي في القرآن الكريم، وهي النظر في علاقة مطلع سورة بخاتمة السورة التي قبلها، وعلاقة خاتمتها بمطلع التي بعدها، وعلاقة مطلعها بمقصد السورة التي بعدها، وغيرها كثير من أوجه التناسب الخارجية، لا توجد مطلقا في كلام الأدباء، وأرباب الفصاحة، وهي قد جاءت في كتاب الله العزيز في أرفع صور التناسب، مما تقصر عنه قدرات المتكلمين مهما بلغوا من الفصاحة والبلاغة، وفي سبيل ذلك اتجهت عناية البحث لتدبر سورة الفاتحة وفق **منهج علم المناسبات** :

وذلك ضمن ثلاث مستويات، تشكل ثلاثة مباحث، هي: (المستوى الاستكشافي، ثم المستوى التفسيري، ثم المستوى التأويلي) .

(١) المناسبة، وعلاقتها بالتماسك النصي بين النظرية والتطبيق، خليل عبد المعطي المايع، بحث منشور في مجلة أبحاث جامعة البصرة للعلوم الإنسانية، العدد ١، مج ٤٣ ، ٢٠١٨ م ، ٤٨٢ .

المبحث الأول

المستوى الاستكشافي

في هذا المستوى يتجه نظر الباحث لتشكيل تصور أولي عام عن السورة موضع الدراسة، فيسعى لتحديد أقسامها، والمضامين العامة لتلك الأقسام، وهذا المستوى مرقاة لما بعده، ومهيئ له .

- **أقسام السورة :**

وفق ما ورد في الحديث الصحيح فيما رواه رسول الله عن ربه فإن السورة تنقسم إلى نصفين : حمد وثناء وتمجيد لله، ثم سؤال لله ، وداخل كل قسم أفكار فرعية ، وعندما ندقق في هذين القسمين نجد أن فيهما ثلاثة محاور تأتي لتحقيقها

القسم الأول: الذي لله، ويضم المحور الأول :

المحور الأول: التعريف بالمعبود الحق ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾.

ويندرج تحت هذا القسم محاور فرعية هي :

الابتداء باسم الله الذي لا معبود بحق سواه، الثناء علي الله بما يستحق من كمال الحمد، وأنه الرحمن الرحيم ، والإقرار له بالربوبية للعالمين، وأنه مالك يوم الدين، وكل ذلك ثناء على الله .

القسم الثاني: ما يسأله العبد، ويضم المحورين الثاني والثالث :

المحور الثاني: التعريف بكيفية عبادة الله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

وهما أمران : العبادة، والاستعانة، وأنهما لله وحده دون سواه .

المحور الثالث: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

وتحته المطلب الأعظم وهو سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم، وبيان لهذا الصراط، ومن هم أهله، ومن الحائدون، من أهل الشقاوة والهلاك، وبيانُ مآل مَنْ عَبَدَ الله، ومَنْ لم يعبد الله.

المبحث الثاني

المستوى التفسيري

وفيه يكشف البحث أوجه التناسب بكل أنواعها في السورة موضع الدراسة، وكلها من المناسبات الداخلية، وهي أوجه التناسب التي تكون داخل السورة ذاتها، ولها أنواع، تتدرج من أصغر لبنة في بناء الكلام، وهي (الحرف)، ثم إلى الكلمة، ثم الجملة، وهي: **التناسب الصوتي، التناسب اللغوي، والتناسب النحوي، والتناسب البلاغي.**

أولا – التناسب الصوتي:

يعدّ الحرف اللبنة الأولى في بناء الكلام، ولذا فإن اختيار المتكلم البليغ لحروف كلامه مرتبط أشد الارتباط بمقصده، ولذا تجد التناسب متحققًا بين الحروف التي تأتي في كلام ذلك المتكلم، وبين مقصده من كلامه، فتراه يستدعي حروف الهمس في مواضع السّرار، ومحادثة النفس، وتراه يأتي بحروف الجهر في سياقات تستدعي مثل ذلك .

وهذا يستلزم من الباحث بمنهجية علم المناسبة أن يتنبه للحروف في النص الذي يدرسه، ويراعي السياق الذي وقعت فيه، ويكون له معرفة بصفات تلك الحروف ؛ في سبيل كشف وجه المناسبة بين تلك الحروف والنص موضع البحث .

وهذا التناسب الصوتي في كلام البلغاء بليغ، وفي كلام الله معجز يفوت قدرة البشر، «ويعدُّ التناسب الصوتي وجهًا من وجوه الإعجاز، سواء أكان هذا التناسب في الفواصل، أو في نغمات الحروف المتلائم بعضها مع بعض»[(١)]، وقد جذب التناسب الصوتي في القرآن الكريم أسماع من تليت عليهم آياته، حتى من غير المؤمنين به، بل عند من لا يفهم العربية، «ولقد كان لموسيقى القرآن ونظمه روعة

(١) التناسب الصوتي في القرآن الكريم ، أم سلمة عبد الباقي يوسف ، رسالة ماجستير من جامعة أم درمان الإسلامية بالخرطوم، ١٩٩٧م ، ٦٢.

عند كل سامع، حتى من لا يفهم العربية، فإن لكلماته، ونظمه، ومده، وغنته، ونهاية فواصله، ووقفه، ما يسترعي من لا يفهم العربية»[(١)] فإذا نظرت في حروف سورة الفاتحة ستجد أنه قد جاء فيها واحد وعشرون حرفا من حروف العربية، هي : **(ب، س، م، ا، ل، هـ، ر، ح، ن، ي، د، ع، غ، ك، و، ت، ص، ط، ق، ذ، ض)** وعدد آيات الفاتحة سبع آيات، والعدد واحد وعشرون من مضاعفات العدد سبعة.

وحين ننظر في حروف البسملة نجدها تسعة عشر حرفًا، وقد روى وكيع عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «من أراد الله أن ينجيه من الزبانية التسعة عشر فليقرأ : "بسم الله الرحمن الرحيم " ليجعل الله تعالى له بكل حرف منها جُنّة من كل واحد، فالبسملة تسعة عشر حرفا على عدد ملائكة أهل النار الذين قال الله فيهم ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر:٣٠] ».[(٢)]

وفي اسم الجلالة (الله) عجائب، منها : ما ذكره ابن القيم، عن ابن فورك، قال : «الحكمة في وجود الألف في أوله أنها من أقصى مخارج الصوت، قريبا من القلب، الذي هو محل المعرفة إليه، ثم الهاء في آخره مخرجها من هناك أيضا ؛ لأن المبتدأ منه، والمعاد إليه، والإعادة أهون من الابتداء ، وكذلك لفظ الهاء أهون من الهمزة».[(٣)]

وأكثر تلك الحروف تكرارًا في الفاتحة حسب العدد ، هو حرف : الألف، حيث كان الأكثر تكرارا ، يليه في العدد حرف اللام، ثم يليهما في العدد حرف الميم، ويتقدم حرفا الألف واللام عدديا على الميم ؛ فما سر ذلك ؟ لعل سره أن الألف واللام أول حرفين في اسم الجلالة (الله)، وهو أول الأسماء الحسنى في سورة الفاتحة، وذهب العديد من العلماء إلى أنه اسم الله الأعظم، فكان تكرار هذين

(١) المعجزة الكبرى، القرآن ، محمد أبو زهرة (ت ١٣٩٤هـ) ، دار الفكر العربي ، ١٠١.

(٢) الجامع لإحكام القرآن، المجلد الأول (٨٨، ٨٩) .

(٣) تفسير القرآن الكريم، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (٧٥١ هـ) المحقق : مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١ ، ١٤١٠ هـ .

الحرفين أكثر من سواهما في سورة الفاتحة وجها من وجوه التناسب الصوتي في السورة الكريمة، وإظهارًا لمنزلة هذا الاسم الجليل (الله) وتنبيها لفضله، وقد وجدت في عدد من قصائد الشعر الجاهلي أن الشاعر حين يبدأ قصيدته باسم صاحبته التي يعشقها ترى حروف اسمها الأكثر حضورا في القصيدة كلها، وأنظر في قصيدة الحادرة التي مطلعها : «بَكَرَتْ سُمَيَّةُ بُكرةً فَتَمَتَّعِ»[(١)] وتتبع حروف القصيدة كلها ستجد أن حروف السين والميم والياء تكثر فيها، وكأنها رنين ممتد في القصيدة كلها .

ومما يستدعي التأمل أن هذه الحروف الثلاثة :(الألف، واللام، والميم) التي كانت الأكثر حضورا في سورة الفاتحة، جاءت أيضا في مفتتح سورة البقرة، بعد الفاتحة مباشرة ، لقوله تعالى في مفتتح البقرة : ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة:١] وهذا من لطائف المناسبة بين السورتين .

وكذلك فإن هذه الحروف المقطعة الثلاثة : الألف، واللام، والميم ، كانت أكثر الحروف المقطعة تكرارا في القرآن، حيث جاءت في مفتتح ست سور، هي : البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة، بصيغة : (الم) ، وانضمت لهم حروف أخرى في مفتتح سورتين، هما : (المص) في الأعراف، و (المر) في الرعد، فمجمل ذلك ثمانية مواضع افتتحت سور قرآنية بها، وذلك لأن الفاتحة أم القرآن، وحضور أهم ثلاثة أحرف فيها في بقية القرآن مصداق لذلك، ورابطة تناسب جلية بين الفاتحة وبقية القرآن من الناحية الصوتية .

والميم من الحروف الشفوية، التي مخرجها من الشفتين، أما النون واللام فمن الحروف الذلقية، التي مخرجها من ذلق اللسان، أي طرفه .

في المقابل هناك سبعة أحرف لم ترد في سورة الفاتحة مطلقا، هي: (ث، ج، خ، ز،

(١) المفضليات، المفضل الضبي (ت نحو ١٦٨هـ)، ٤٣.

ش، ظ، ف) ويرى الفخر الرازي أن هذه الحروف السبعة التي لم ترد في الفاتحة تشعر بالعذاب، لأنها ذكرت في القرآن في شيء يوجب العذاب(١)، ومن العجيب أن تلك الحروف التي لم ترد في الفاتحة كذلك لم ترد في الحروف المقطعة التي افتتحت بها بعض السور القرآنية، وهذا مصداق لمدى التناسب الصوتي الذي بين حروف الفاتحة وبقية الحروف المقطعة في القرآن الكريم؛ لأنها أم القرآن، وفاتحة الكتاب.

فواصل الفاتحة: بحث الكثير من العلماء فواصل القرآن، إما في أبحاث خاصة بها، وإما ضمن أمهات كتب التفسير، وقد استقر عند أهل الإسلام أن «من خصائص فواصل القرآن الكريم التي أعجزت البلغاء أنها نازلة في مواضعها، ملائمة لمواقعها، بريئة من التكلف، تتبعُ فيها الألفاظ المعاني، وتنهض خير نهوض بما تتطلبه المعاني»(٢)، وعرّف الزركشي الفاصلة في قوله : «هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع»، وهي من أسطع علامات التناسب الصوتي في القرآن الكريم .

وعند النظر في فواصل سورة الفاتحة ترى (الميم) قد تكررت ثلاث مرات، و(النون) أربع مرات، أي أن الفاصلة التي جاءت في الفاتحة كانت بحرفين، هما : الميم، والنون، وقد توالیا على هذا النحو: (م، ن، م، ن، ن، م، ن) فتكرر حرف الميم ثلاث مرات، وتكرر حرف النون أربع مرات، وكان حرف الميم في آية المطلع، وحرف النون في آية المقطع، وتكررا في الوسط، وهما حرفان متقاربان في المخرج، وحين نتتبع حرف النون فيما ورد من الحروف المقطعة في القرآن نجده آخر حرف افتتحت به سورة، وهي سورة القلم، في قوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم:١]، وكأن مجيئه في مقطع الفاتحة مؤذن بمجيئه آخر الحروف المقطعة في القرآن الكريم، ومن حيث علاقة الصوت بالمعنى، فيلاحظ مجيء صوت (ض) في

(١) مفاتيح الغيب ، المجلد الأول، (١٨٤، ١٨٥).

(٢) من القيم الدلالية لفواصل القرآن الكريم، نائل إسماعيل، بحث منشور في مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، مج ٢٦ ، ع ٦ ، ٢٠١٢ م ، ١٣٤٧.

موضعين فيهما ذكر أهل الضلال، وهما : المغضوب عليهم، الضالين ،بينما جاء صوت (ع) في : أنعمت، نعبدك، نستعين .

ثانيا – التناسب اللغوي :

إن انتقاء المتكلم لمفردات كلامه مرتبط أشد الارتباط بمناسبة ذلك لمقصده العام، فلا توضع لفظة إلا حيث لا يمكن أن يأتي سواها في موضعها، ولذا فإن البحث في هذا القسم سيسعى لكشف الخصوصية اللغوية التي تتميز بها كل مفردة من مفردات سورة الفاتحة، من حيث مناسبتها للسورة الشريفة .

فالبحث في التناسب اللغوي في الفاتحة سيتناول أمرين :

أ : مناسبة اسم السورة لمقصدها .

ب : مناسبة مفردات الفاتحة لمقصدها .

أ – مناسبة اسم السورة لمقصدها :

إن أول ما عليك البحث عنه لبيانه وجلائه ، هو : وجه المناسبة بين اسم السورة ومقصدها، وهذا النوع من المناسبة خفي المسلك، لابد للمتأمل فيه من دقة النظر، وحسن البصيرة، وهو باب عال من أبواب البيان، ولم تكن العرب قبل نزول القرآن تضع الأسماء للقصائد، إلا أن يطلق الناس على القصيدة اسما من عندهم، كتسمية المعلقات، ونحوها، لذا كان التزام إطلاق اسم لكل سورة في القرآن الكريم أقوى للنظر في وجه التسمية، وأن إدراك سبب التسمية يعين على الوصول إلى مقصد السورة، ولذا قال البِقَاعِيُّ: «مَنْ عَرَفَ المرادَ مِن اسم السورة عَرَفَ مقصودها، وَمَنْ حَقَّقَ المقصودَ منها عَرَفَ تناسبَ آياتها، وقصصها، وجميع أجزائها»[(١)] وهذا النص بالغ الأهمية والنفع، لأنه يضع بين يديك منهجا دقيقا يدلك على مقصد السورة، وهذا في غاية الجلال، وقد ظن البعض أن السورة

(١) مصاعد النظر ، (ج١/ ١٤٩) .

الواحدة تتعدد مقاصدها، وهذا غير صحيح، وإنما أوقعهم في ذلك خلطهم بين فروع المقصد، والمقصد ذاته، وقد نبَّه البقاعي أن المقصد في السورة واحدٌ لا يتعدد، فقال : «فإن كُلَّ سورة لها مقصد واحد يُدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه، على أتقن وجه، وأبهج نهج»[(١)].

ويرى البقاعي أن مقصد الفاتحة الذي دلتْ عليه أسماؤها المتعددة، هو: مراقبة العباد لربهم[(٢)]؛ لأن «مدار هذه الأسماء كما ترى على أمر خفي كاف لكل مراد، وذلك هو المراقبة، وكل شيء لا تفتتح بها لا اعتداد به».[(٣)]

وأن هذا هو أعظم مقصود ؛ لأن الفاتحة هي أعظم سورة في القرآن[(٤)]، ويحرص على بيان الفرق بين مقصد القرآن عامة، ومقصد الفاتحة خاصة، حيث يقول : «مقصود القرآن: تعريف الخلق بالمَلِك، وبما يرضيه، ومقصود الفاتحة غاية ذلك، لكونها غاية له، وذلك هو المراقبة المذكورة المستفادة من التزام ذكره تعالى في كل حركة وسكون»[(٥)].

لكن إن أخذنا بأن مقصود الفاتحة هو: سؤال الله تعالى الهداية إلى الطريق المستقيم، كما سيأتي بيانه ، فإن اسم الفاتحة مناسب له ؛ لأن فاتحة طريق الهداية، وصراطها المستقيم هو هذه السورة المباركة .

وتسميتها بأم القرآن داخل في ذلك أيضا، لأن أمَّ الشيء ما يضم كل أجزائه، والفاتحة تضمّ المقصد المحوري للقرآن كله، ولذا ناسب اسم السورة مقصدها .

---

(١) مصاعد النظر ، (ج١/ ١٤٩).

(٢) المصدر نفسه ، (ج١ / ٢٠٩).

(٣) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٤) المصدر نفسه ، (ج١/ ٢١٠) .

(٥) المصدر نفسه ، (ج١/ ٢١٠).

ب – مناسبة مفردات الفاتحة لمقصدها:

قبل البدء بقراءة الفاتحة فإن القارىء يُشرعُ له الاستعاذة، فيقول : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» فما سبب تقديم الاستعاذة قبل الشروع في القراءة ؟

الجواب : لأن «الاستعاذة تطهّر القلبَ عن كل ما يكون مانعًا من الاستغراق في الله[١] ثم تليها التسمية ، فما وجه البدء بالتسمية، وأنها أول آية ؟ لأن «التسمية توجه القلب إلي هيبة جلال الله»[٢].

ثم جاءت (بسم الله) وهذا ذكر، ثم (الحمد لله) وهذا شكر، فلما قال (بسم الله) استحق الرحمة من اسم الرحمن ، ولما قال (الحمد لله) استحق رحمة أخرى من اسم الرحيم، وقوله (رب العالمين) لبداية حال الخلق، وربوبية الله لهم، وصفة الرحمن لوسط حالهم، وصفة الملك لنهاية حالهم [٣].

﴿بِسۡمِ﴾ :

الباء حرف جر، ولفظ الجلالة بعده اسم مجرور، وعلامة جره الكسرة.

ثم توالت بعد ذلك ثلاثة من أسماء الله الحسنى: الله، الرحمن، الرحيم، ومن أهم ما ورد في سورة الفاتحة ما ذكر فيها من أسماء الله الحسنى، وعلى المفسر حين يتجه لتفسير سورة ما أن ينظر: ما الأسماء الحسنى التي وردت فيها ؟ لأن ذلك من أهم أوجه التناسب القوية الصلة بمقصد السورة وروحها.

وقد جاء في سورة الفاتحة خمسة أسماء لله عز وجل، هي: الله، رب العالمين، الرحمن، الرحيم، مالك يوم الدين .

وجاء فيها كذلك خمس صفات للعبد: العبودية، الاستعانة، طلب الهداية، طلب الاستقامة، طلب النعمة.

---

(١) مفاتح الغيب، المجلد الأول ، ٦٩.

(٢) المصدر نفسه، المجلد الأول ، ٦٩.

(٣) المصدر نفسه ، المجلد الأول، ٢٩٣.

فكان كل اسم من تلك الأسماء الحسنى متجه له تلك المسألة من العباد، فإياك نعبد لأنك أنت الله، وإياك نستعين لأنك أنت الرب، اهدنا الصراط المستقيم لأن أنت الرحمن، وارزقنا الاستقامة لأنك أنت الرحيم، وأفض علينا سجال نعمك وكرمك لأنك أنت مالك يوم الدين[١].

ويلاحظ ترتيب تلك الأسماء الحسنى، فما وجه ذلك؟ ولماذا قدّم اسم (الله) قبلها كلها، حيث تقدم اسم الله على الرحمن الرحيم؟ «لأن من شأن العرب إذا أرادوا الإخبار عن مخبَر عنه أن يقدموا اسمه، ثم يتبعونه صفاته، ونعوته، وهذا هو الواجب في الحكم، أن يكون الاسم مقدّمًا قبل نعته وصفته، ... فكان من الواجب أن تُقَدّم أسماؤه التي هي له خاصة دون جميع خلقه ؛ ليعرف السامع ذلك مَنْ توجَّهَ إليه الحمد والتمجيد، ثم يتبع ذلك بأسمائه التي قد تسمى بها غيره ... فبدأ باسمه الذي هو: الله، لأن الألوهية ليست لغيره -جلَّ ثناؤه -... ثم ثنَّى باسمه (الرحمن) إذ كان قد منع خلقه من التسمي به، ... وإن كان مِنْ خلقه مَنْ قد يستحق تسميته ببعض معانيه، فقد يوصف كثير ممن دون الله من خلقه ببعض صفات الرحمة، وغير جائز أن يستحق بعض الألوهية أحد دونه ؛ فلذلك جاء اسم (الرحمن) تاليًا لاسمه الذي هو (الله)»[٢].

وجه مجيء (الرحمن الرحيم) بعد (رب العالمين) : لأن اتصاف الله برب العالمين فيه ترهيب للنفوس، فأتبعه بهذين الاسمين اللذين يتضمنان الترغيب، فيجمع في صفاته بين الرغبة والرهبة، فيكون أعون على طاعته[٣].

﴿ٱللَّهِ﴾ :

قدَّم الله عز وجل اسمه (الله) على بقية الأسماء في البسملة، وبعد الحمد، فهو الاسم الذي يتفرد به سبحانه، والألوهية ليست لغيره، وقد اختار الطحاوي وابن

(١) مفاتيح الغيب، المجلد الأول، ٢٨٨.

(٢) جامع البيان ، المجلد الأول، ١٣١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، المجلد الأول، ١٣٦.

القيم أن (الله) هو الاسم الأعظم؛ لأنه دال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، متضمنٌ كل معانيها إجمالا، وهو الأصل في كل أسماء الله، وكل الأسماء مضافة إليه، ويختص بأن كل اسم إذا دخلت عليه ياء النداء سقطت منه (ال) التعريف ، فتقول : يا رحمن، يا رحيم، إلا (الله) فإن المعرفة لا تزول عنه أبدا، وكل الأسماء الحسنى هي تفصيل وبيان لصفات الإلهية التي في اسم (الله)، فهو المألوه المعبود الذي تعبده الخلائق محبة وتعظيما ورجاء وخوفا .

وفي معناه قولان: **الأول:** أنه عَلَمٌ لله تعالى، ليس بمشتق، وقد اختار الفخر الرازي القول بأن (الله) اسم علم لله تعالى، وأنه ليس بمشتق ألبتة، وهو قول الخليل، وسيبويه وقول أكثر الأصوليين والفقهاء.(١)

الثاني: أنه مأخوذ من (إله)، وذكر في لسان العرب أن ذلك «مأخوذ من أَلِهَ يأْلَهُ، إذا تحيَّر، لأن العقول تَأْلَهُ في عظمته، وأَلِهَ يَأْلَهُ أَلْهًا أي تحيّر، وأصله من وَلِهَ يَولَهُ وَلَهًا»(٢)، وذلك «لأن الأوهام تتحير في معرفة المعبود، وتدهش الفطن»(٣) وقيل : هو مأخوذ من أَلِهَ يَأْلَهُ إلى كذا، أي: لجأ إليه، لأنه سبحانه المَفْزَعُ الذي يُلجأ إليه في كل أمر...وأن الخلق يولهون إليه في حوائجهم، ويضرعون إليه فيما يصيبهم، ويفزعون إليه فيما ينوبهم ،كما يَولَهُ كل طفل إلى أمه»(٤)، وكلمة (الله) أصلها (إله) ولا يكون إلها حتى يكون معبودا .(٥)

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ و ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾:

ويشتركان في الدلالة على الرحمة، فهما مشتقان من الرحمة على سبيل المبالغة، ولكن بينهما فروق كثيرة .

(١) مفاتيح الغيب، المجلد الأول ، ١٦٢.

(٢) لسان العرب ، أله.

(٣) الكشاف ، (ج١/ ٤٠).

(٤) لسان العرب، أله.

(٥) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى ، محمد الحمود النجدي ، ٥٠.

١) اسم الرحمن أشد مبالغة من اسم الرحيم؛ لأن بناء (فعلان) أشد مبالغة من بناء (فعيل) .

٢) واسم الرحمن يعني الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة، أما (الرحيم) فهو الذي له رحمة خاصة بالمؤمنين .

٣) وكذلك فإن الرحمن صفة ذاتية قائمة به سبحانه، أما الرحيم فهو صفة فعلية.

٤) (الرحمن) اسم منع الله من التسمية به، أي اختص الله به وحده سبحانه، أما (الرحيم) .

فلم يختص الله به فقط، فقد وصف به نبيه قال: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] ولذا يقال : رجل رحيم، ولا يقال : رجل رحمن.

سؤال: لماذا كرر اسم الرحمن الرحيم مرتين: في البسملة، وفي آية الرحمن الرحيم، دون غيرهم من الأسماء الحسنى التي جاءت في السورة ؟ ليشعر بأن رحمته سبحانه قريبة من عباده، غلبت غضبه، وأنها رحمة مضاعفة[١]، وإذا علم العبد ذلك تيقن ووثق به عزّ وجل، وأنه سيهديه الصراط المستقيم، الذي هو المقصد العام للسورة .

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾:

الحمد في كلام العرب معناه الثناء الكامل، والألف واللام لاستغراق الجنس من المحامد[٢]، وقد بدأت السورة بالحمد ؛ لأنه فاتحة الشكر، فجعلها الله فاتحة كتابه، وفاتحة كلامه، وهي آخر كلام أهل الجنة: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[يونس:١٠]، «والحمد نقيض الذم،...والحمد أعم من الشكر؛ لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية، وعلى عطائه، ولا تشكره على صفاته، والحمد رأس الشكر فهو شكر وزيادة»[٣]، والحمد يكون لكل إنعام وصل إليك أو

(١) مفاتيح الغيب، المجلد الأول، ٢٤٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، المجلد الأول، ١٣٠.

(٣) لسان العرب، حمد.

إلى غيرك، أما الشكر فللإنعام الذي وصل إليك وحدك ، فالله هو المستحق لجميع المحامد، وذلك بالحمد الكامل الذي يحيط بكل الأفعال والأوصاف، فإن قيل: ما سبب مجيء ال التعريف، ولماذا لم يقل: حمدا لله رب العالمين؟ مجيء ال التعريف معناه أن جميع المحامد والشكر الكامل لله، وجاء معرفا بال المستغرقة للجنس، فتشمل كل أنواع المحامد، وتوجهها لله وحده.

فإن قيل: ما الفرق بين (الحمد لله) و(الشكر لله) ؟ الحمد لله ثناء على الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، والشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه[١].

وقد جاءت في القرآن الكريم خمس سور مفتتحة بالحمد، هي: الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر .

ووجه التناسب بين هذا اللفظ: (الحمد) ومقصد السورة : أن الإله المستحق لكل جنس المحامد، الذي أقرّ عبده له بذلك، وأثنى به عليه، جدير بأن يتم أعظم محمدة عليه، وهي الهداية إلى الصراط المستقيم، الذي لا سعادة له، ولا نجاة إلا بالهداية إليه.

﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

الرَّب: هو المصلح للشيء، ربيت الشيء أربُّه رَبًّا إذا أصلحته، وقمت عليه، ورب الشيء مالكه، وكل من ملك شيئا فهو ربه، ولذا يقال: رب الدار، «والربُّ في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالا فحال إلى حد التمام»[٢]ولا يأتي معرفا بال التعريف إلا لله، فيقال: الرب، له سبحانه، أي أن اسم (الرب) يدل على: المالك، والسيد المطاع، والمصلح.

والعالمين: جمع عالَم، والعالَم جمع لا واحد له من لفظه، مثل لفظ: الجيش، والرهط، والعالَم اسم لأصناف الأمم، فالإنس عالَمٌ، والجن عالَمٌ، وكذلك سائر

(١) جامع البيان، (ج١/ ١٣٣).

(٢) مفردات القرآن ، ١٨٤.

أجناس الخلق[١]، فالعالمين : كل موجود سوى الله تعالى [٢] .

والثناء على الله بهذا الاسم الجليل (ربّ العالمين) توسل آخر لله باسمه الدال على ملكه لكل شيء، وإصلاحه له، ورعايته إياه، وغاية الإصلاح والرعاية : الهداية إلى الصراط المستقيم .

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾:

اختلف القُرّاءُ في هذه الكلمة، فمنهم من قرأ (مالك)، ومنهم من قرأ (ملك) وكلاهما صحيح متواتر في السبع[٣]، والفرق بينهما أن المالك ذو المِلك بكسر الميم، والملك ذو المُلك بضم الميم، وفي الجمع بين القراءتين فائدة عظيمة لأن الله مَالك ومَلك، وملكه باق، وملك غيره زائل [٤]، والمالك مأخوذ من الملك ، وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفي ملكه ما عداه ؛ لأنه تقدم الإخبار بأنه رب العالمين، وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحدٌ هنالك شيئا، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه سبحانه ،بينما كان في الدنيا منازعين في الملك، مثل فرعون والنمرود، أما في يوم الدين فلا ينازعه أحدٌ في ملكه سبحانه [٥].

ويوم الدين هو يوم الجزاء على الأعمال، والحساب[٦]، والدين: الجزاء والحساب [٧].

وبذلك فقد جاء في سورة الفاتحة خمسة أسماء لله عز وجل، هي على الترتيب:

الله، رب العالمين، الرحمن، الرحيم، مالك يوم الدين، «كأنه يقول: خلقتك أولا فأنا إله، ثم ربيتك بوجوه النعم فأنا الرب، ثم عصيت فسترت عليك فأنا الرحمن،

(١) جامع البيان ، (ج١/ ١٣٧).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، المجلد الأول، ١٣٥ .
(٣) تفسير القرآن العظيم، (ج١/ ٣٩).
(٤) الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة ، ١٥٩ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن، المجلد الأول، ١٤٠ .
(٦) المصدر نفسه ، المجلد الأول ، ١٤٠ .
(٧) تفسير القرآن العظيم (ج١/ ٤٠) .

ثم تبتَ فغفرت لك فأنا الرحيم، ثم لابد من إيصال الجزاء إليك فأنا مالك يوم الدين»[١]، وكل تلك الأسماء الحسنى توسل لله، وتقرب إليه بها، لنيل غاية السعادة وهي الهداية للصراط المستقيم، واختيار تلك الأسماء الحسنى دون سواها في الفاتحة دال على عمق مناسبتها لمقصد الفاتحة الذي ورد .

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾:

لما في هذه الآية الكريمة من الأهمية البالغة ألَّفَ عنها الهروي كتاب: (منازل السائرين) وجاء ابن القيم فشرح ذلك الكتاب في كتابه: (مدراج السالكين)، وقد جاء فيها التفات من الغيبة إلى الخطاب، لأن كل ما سبقها من الآيات كانت بلفظ الغيبة، أما فيها فانتقل إلى الخطاب؛ لأن العبد حين شرع في قراءة الفاتحة جاء بالثناء على الله وتمجيده، فجعلت ترفع عنه الحُجُب، وأبدل الله بُعد ذلك العبد عنه قربًا، فجاء الخطاب[٢]، وهذا التحول في بناء الكلام من الغيبة إلى الخطاب في غاية التناسب مع مراد الفاتحة، وهو سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم، لأن السؤال عند الخطاب أولى بالإجابة ونيل المراد .

والعبادة في اللغة من الذلة، يقال طريق معبَّد، أي مذلَّل، وشرعًا: ما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف، «والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب، بغاية الذل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعا له، لم تكن عابدا له، ومن خضعت له بلا محبة، لم تكن عابدا له»[٣]، وبذلك فإن (إياك نعبد) تبرؤ من الشرك، و(إياك نستعين) تبرؤ من الحول والقوة والتفويض لله عز وجل .

(إياك نستعين) تجمع أصلين: الثقة بالله والاعتماد عليه، وقد يسأل سائل: لماذا قدّم العبادة على الاستعانة[٤]؟ والجواب :

---

(١) مفاتح الغيب ، (ج١/ ٢٤٥).

(٢) جامع البيان ، (ج١/ ٢٥٥).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين المجلد الأول، ١٣٠ .

(٤) المصدر نفسه ، المجلد الأول، ١٣١ .

أولاً: من باب تقديم الغايات على الوسائل، فالعبادة هي الغاية التي خلقوا لها، والاستعانة وسيلة إليها.

ثانياً: لأن (إياك نعبد) متعلق بألوهية (الله)، و(إياك نستعين) متعلق بربوبية (الرب)، فكما قدّم اسم (الله) على اسم (الرب) في أول الفاتحة، قدّم العبادة على الاستعانة.

ثالثاً: (إياك نعبد) داخل في قسم الرب؛ لأنه ثناء على الله، و(إياك نستعين) داخل في قسم العبد، وقسم الرب مقدم على قسم العبد.

رابعاً: لأن العبادة تتضمن الاستعانة من غير عكس، فكل عابد لله هو مستعين به، لذا فالعبادة أكمل وأتم.

ومن بركات هذه الآية أن تحقيق (إياك نعبد) يدفع مرض الرياء، و(إياك نستعين) يدفع مرض الكِبْر، وهما أخطر داءين يصيبان قلوب العباد، ويتبع ذلك (اهدنا الصراط المستقيم) التي تدفع داء الضلال والجهل، وبذلك يعافى المرء من أمراضه، ويرفل في أثواب العافية، وتتم عليه النعمة[1] .

- لماذا قدَّم (إياك) على الفعل (نعبد)، ولم يقل : نعبدك، ونستعينك؟

أولاً: لتحقيق الأدب مع الله، بتقديم اسمه على فعلهم، وهذا من التعظيم لله سبحانه.

ثانياً: فيه الاهتمام، وشدة العناية به .

ثالثاً: فيه الدلالة على الاختصاص المسمى بالحصر، فهو في قوة: لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك[2] وقد قَدَّمَ المفعول، وهو : إياك، على الفعل، وكرر ذلك للدلالة على كمال الطاعة، وأن الله هو المقصود المعبود بالعبادة وحده دون سواه، لكن لو قال: نعبدك، لاحتمل أن يكون نعبده ونعبد كذا وكذا، وهذا البناء يتناغم مع ما سبق في (أعوذ) الدالة على شدة القرب واللجوء إلى الله، ومع ما سبق من

(١) مدارج السالكين ، المجلد الأول ، ١٠٥ .

(٢) المصدر نفسه ، المجلد الأول ، ١٣٣.

الأسماء الحسنى، ثم أتى هذا التركيب البديع بتقديم (إياك) لبيان شدة اللجوء، والاهتمام، والتعلق بالله، ومن كان هذا شأنه فهو جدير بتحقيق سؤله، وهو مقصد السورة : "أهدنا الصراط المستقيم"، فإن قيل : ما سبب استعمال النون (نعبد) ولم يقل : (أعبد) ؟ لو قال : أعبد، لذكر عبادة نفسه لله، وقد يداخل عبادته قصور، ولكن حين يذكر معها عبادة غيره، فكأنه عرض عبادة كل الخلائق ، فتناله البركة من ذلك[١]، وكذلك فقد جاء الفعل مضارعا في: نعبد، ونستعين ليفيدا الاستمرار.[٢] كما كرر الضمير المنفصل (إياك) ولم يقل: إياك نعبد ونستعين؛ للاهتمام[٣]، كل هذه العناصر التركيبية، واللطائف اللغوية تنتهي إلى مصب واحد، وهدف واحد، هو سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم .

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾:

هذه الآية هي مرتكز سورة الفاتحة، ومقصدها العام، ومحورها الأكبر، وكل ما جاء قبلها مهيئ لها، وكل ما سيأتي بعدها مبين لها، وقد تغلغل المقصد العام في كل لفظ من ألفاظها، كما في بقية السورة.

فقد قال الله تعالى معلما عبيده كيفية سؤال الهداية فقال: «اهدنا»: أي :وفقنا للثبات عليه[٤]، ويرى ابن القيم أن الهداية هي: البيان والدلالة، ثم التوفيق والإلهام، وهو بعد البيان والدلالة، ولذا لم يقل: (دلنا)، أو (أرشدنا)، أو (بصّرنا) لأن مثل هذه الألفاظ لا يتحقق بها التناسب مع المقصد العام، وهو بيان الصراط المستقيم، والدلالة عليه، ثم التوفيق إليه، ثم الثبات عليه ، والصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه[٥]، وأصل ذلك متابعة الله ورسوله، وهو

(١) بتصرف عن : جامع البيان ، (ج١/ ٢٥٢).
(٢) الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة، ١٦٠.
(٣) تفسير القرآن العظيم، (ج١/ ٤١).
(٤) جامع البيان، (ج١/ ١٤٨).
(٥) المصدر نفسه ، (ج١/ ١٥١).

دين الإسلام، فالمراد: وفقنا للثبات على ما ارتضيته، ووفقتَ من أنعمت عليه من عبادك، من قول وعمل .[١]

لماذا قال (اهدنا) ولم يقل (اهدني) ؟ لأن الدعاء كلما كان أعم كان إلى الإجابة أقرب، ومناسبة لما ورد من الجمع في البدء بالحمد لله، فلم يقل : أحمد الله، بل ذكر حمد كل الحامدين لله، فكذلك وقت الدعاء يشركهم معه فيه [٢].

الصراط المستقيم: قال الطبري: «أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعا أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وكذلك ذلك في لغة جميع العرب ... ثم تستعير العرب الصراط، فتستعمله في كل قول وعمل وُصِفَ باستقامة أو اعوجاج، فتصف المستقيم باستقامته، والمعوج باعوجاجه»[٣]، ولاحظ مجيء لفظ الصراط، دون الطريق، أو السبيل؛ ليذكِّر الإنسانَ بصراط جهنم فيزيد من خوفه وخشيته[٤]، والمستقيم : الخط المستقيم هو أقصر خط يصل بين نقطتين، فهو أقصر من كل الخطوط المعوجة، وحين يهديك الله إلى الصراط المستقيم فإنه يرحمك؛ لأنه أقصر طريق، لما يعلم من ضعفك وعجزك، والصراط المستقيم بين واضح لا يشتبه بغيره، ويوصل للمقصود، ولذلك نسأل الله الهداية إليه[٥].

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾:

وهذا تفصيلٌ وبيانٌ لذلك الصراط المستقيم، وفيه بيان أقسام الناس من الحق ، وهو بدل من صراط الأولى، ويجوز أن يكون عطف بيان[٦]، وهذه الآية تبعث الرجاء الكامل، و(غير المغضوب عليهم ولا الضالين) تبعث الخوف الكامل،

(١) جامع البيان، (ج١/ ١٥١).
(٢) مفاتيح الغيب، المجلد الأول، ٢٦٠.
(٣) جامع البيان، المجلد الأول، ١٥٠، ١٥١ .
(٤) مفاتح الغيب، المجلد الأول ، ٢٦٠.
(٥) المصدر نفسه، المجلد الأول، ٢٦١.
(٦) تفسير القرآن العظيم، (ج١/ ٤٥).

وبالرجاء والخوف يقوى طرفا الإيمان في النفوس[١]، والمغضوب عليهم هم اليهود، لأنهم فقدوا العمل، والضالين هم النصارى، لأنهم فقدوا العلم[٢] .

لماذا قدم المغضوب عليهم على الضالين؟ لأنهم سبقوهم زمانا، ولأن اليهود أغلظ كفرا، ولأن المخالف وهو يعلم أشد جرما من المخالف وهو جاهل لا يعلم، وهنا مقابلة بين من أنعم الله عليهم، ومن لم ينعم عليهم .

وهكذا يتبين أنك حين تفتش الدلالة اللغوية لكل لفظ من ألفاظ سورة الفاتحة تجده متناسب غاية التناسب مع السورة، وما تهدف إليه من مقصد محوري وهو : سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم .

ثالثا: التناسب النحوي[٣]:

إن وعي الباحث بالعلاقات النحوية في بناء الكلام هو باب فهمه لذلك الكلام، وإدراك أوجه تناسبه، ولا يمكن أن نصل لكشف القصد المحوري لسورة ما إلا بمعرفة الروابط النحوية فيه، وحين ننظر لسورة الفاتحة نجد أن فيها **خمسَ جُمَلٍ رئيسة**، مع توابعها، وجملة سادسة جاءت صلة الموصول، كما سيأتي بيانه .

وقد يقول قائل: ما جدوى هذا التقصي النحوي؟ وما فائدته في إدراك التناسب في الفاتحة؟ والجواب عن ذلك: أنه شديد التعلق بإدراك التناسب والوعي به؛ لأنك ستبني الحكم على تلك الجمل بلاغيا وفق حكمها النحوي، فإن أردت أن تتبين أي تلك الجمل خبرية أو إنشائية ،فلابد أن تحدد حكمها النحوي أولا، وأنظر في تفسير الطبري، والرازي، والقرطبي، والزمخشري، ستراهم يقفون وقفات طويلة عند الجانب النحوي، ومن ثم يكون سبيلهم لتفسير الآيات القرآنية، ومن

(١) مفاتيح الغيب، المجلد الأول، ٢٦٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، (ج١/ ٤٧).

(٣) اعتمدت في إعراب مفردات الفاتحة على : معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت، ط ١ ، ١٩٩٥م ،٢ مع مراجعة ذلك في أمهات كتب التفسير .

ثم معرفة أوجه التناسب في السورة، فمثلا كان كلامهم عن المتعلق المحذوف في جمل الفاتحة أساس التفسير الذي هو باب فهم المناسبة، وقد رجّح الطبري[١] والرازي[٢] أن المتعلق المحذوف فعل أمر تقديره : (قولوا) وأنه تعليم من الله لعباده كيفية الثناء عليه، فهو محذوف مقدر، فصارت الجمل خبرية، ومعناها إنشائي [٣] .

الجملة الأولى : ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾

الباء حرف جر، وتعدد رأي العلماء في نوعها، «فسموها مرة حرف إلصاق، ومرة حرف استعانة، ومرة حرف إضافة، وكل هذا صحيح من قولهم»[٤] وتفيد الإلصاق[٥]، «قال سيبويه: معنى الباء الإلصاق»[٦]، ويسمى الإلصاق أيضا بالملابسة، والمصاحبة[٧]، أو الاستعانة[٨]، و(اسم) مجرور بالباء، وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف، واختلف العلماء في تقدير العامل المحذوف، وقد رأيت أن أرتب تلك الآراء إلى فريقين مبتدئة في كل فريق بالأقدم من أولئك العلماء، كما يلي :

---

(١) جامع البيان ، المجلد الأول، ١٣٤ .

(٢) مفاتيح الغيب، المجلد الأول، ١٠٩ .

(٣) سيأتي بيان ذلك عند الحديث عن الخبر والإنشاء في سورة الفاتحة في البحث لاحقا .

(٤) البسيط، الواحدي، أبو الحسن، علي بن أحمد (ت ٤٦٨ هـ)، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط١، ١٤٣٠هـ ، (ج١/ ٤٣٣).

(٥) معاني القرآن، الأخفش ، أبو الحسن، الآخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، تحقيق : هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط١، ١٩٩٠م ، (ج١/ ٢).

(٦) معاني القرآن، النحاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت٣٣٨هـ) ،تحقيق : محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، ط١ ، ١٤٠٩ هـ ، (ج١/ ٥١).

(٧) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط ، ١٩٨٤م، (ج١/ ١٤٧).

(٨) هذا ما ذهب إليه الألوسي، فقال: «والاستعانة أولى، بل يكاد أن تكون متعينة، لأن فيها من الأدب والاستكانة وإظهار العبودية ما ليس في المصاحبة» انظر : روح المعاني (ج١٤٧).

الفريق الأول: من ذكر تقديرين للمحذوف، إما أن يكون فعلا، وإما أن يكون اسما، وحين قدّره بعضهم فعلا جعلوه إما فعلا مضارعا، أو فعل أمر، وهم :

الطبري (٣١٠هـ) : ذكر التقديرين، وهما: أن المحذوف إما فعل، أو أنه اسم، وأن حسم ذلك في علم الله وحده، وإن كنت تستشعر من تقديمه الكلام عن أن المقدر فعلٌ ما يشير إلى ترجيح ذلك، حيث قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» على ما بطن من مراده الذي هو محذوف، وذلك أن الباء من بسم الله مقتضية فعلا يكون لها جالبا، ولا فعل معها ظاهر»[(١)] ولكنه بدأ بتقدير أن المحذوف فعلا مضارعا، ويفهم هذا من مضمون كلامه، لأنه قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» مفهوم به أنه مريدٌ بذلك (أَقرَأُ بسم الله الرحمن الرحيم)»[(٢)] ومع أنه قدَّر الفعل هنا بأنه فعل مضارع، لكنه أتبعه بخبر مروي عن عبد الله بن عباس، قال : «إن أول ما نزل به جبريل على محمد، قال : يا محمد، قل : أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قال : قل : بسم الله الرحمن الرحيم، قال : قال له جبريل : قل بسم الله يا محمد، يقول : اقرأ بذكر ربك، وقم واقعد بذكر الله»[(٣)] وهنا نجد أن التقدير بفعل الأمر: (قُلْ).

-البغوي (ت٥١٦هـ): «والمتعلق به الباء محذوف، لدلالة الكلام عليه، تقديره (أَبدأُ بسم الله)، أو (قلْ بسم الله)»[(٤)].

- الفخر الرازي (ت ٦٠٤ هـ) : ذكر الأوجه، لكن يبدو أنه يميل إلى تقديره فعلا، مرة ذكر أنه فعل مضارع ، ومرة رجّح أنه فعل أمر .

أما ترجيحه أن المحذوف فعلا مضارعا لأنه قال : «قد بينا أن الباء من» بسم الله

(١) جامع البيان ، المجلد الأول، ١٢١.

(٢) المصدر نفسه ، المجلد الأول ،١٢١.

(٣) المصدر نفسه .

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، أبو محمد، الحسين بن مسعود(ت ٥١٦هـ) ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، (ج١/ ٧٠).

الرحمن الرحيم «متعلقة بمضمر، فنقول : هذا المضمر يحتمل أن يكون اسما، أو أن يكون فعلا، وعلى التقديرين فيجوز أن يكون متقدما، وأن يكون متأخرا ، فهذه أقسام أربعة»[(١)] وبعد أن بيّن كل تلك الأوجه، وحين ذكر تقدير المضمر فعلا، تقدَّم أو تأخَّر، جعله فعلا مضارعا، تقديره متقدما : «أبدأُ بسم الله»، وتقديره متأخرا : «بسم الله أبدأ»، رجَّح أن يكون (بسم الله) متقدما على المضمر المحذوف؛ لأن التقديم في الذكر أدخل في التعظيم ؛ ولأن وجوده سبحانه سابق على وجود غيره، ولأن في قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ جاء تقديم ذكره سبحانه، فهنا كذلك[(٢)] .

ثم عاد ورجّح أن المحذوف المقدر فعل أمر، حيث قال: «قال الشيخ أبو بكر الرازي : نسق تلاوة القرآن يدل على أن المضمر هو الفعل، وهو الأمر ؛ لأنه تعالى قال:﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ والتقدير : (قولوا إياك نعبد وإياك نستعين) فكذلك قوله : (بسم الله الرحمن الرحيم) التقدير: (قولوا بسم الله)»[(٣)] .

– القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، حيث ذكر الأوجه دون ترجيح، فقال : «اختلفوا في معنى دخول الباء، هل دخلت على فعل الأمر، والتقدير : ابدأ بسم الله ؟ أو على معنى الخبر، والتقدير : ابتدأت بسم الله، قولان، الأول للفَرَّاء، والثاني للزَّجَّاج، و(بسم) في موضع نصب على التأويلين، وقيل : المعنى (ابتدائي بسم الله) في موضع رفع خبر الابتداء، وقيل : الخبر محذوف، أي: ابتدائي مستقر أو ثابت بسم الله»[(٤)].

– أحمد بن محمد بن منير الإسكندراني (ت ٦٨٣) في حاشية الكشَّاف : «والذي يقدره النحاة : (أبتديء) وهو المختار لوجوه، الأول أن فعل الابتداء يصح تقديره في كل بسملة ابتديء بها فعل ما من الأفعال، والعام لعمومه أولى أن يقدر ...

(١) مفاتيح الغيب، المجلد الأول ، ١٠٨ .

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، المجلد الأول، ١٠٩.

(٤) الجامع لأحكام القران ، المجلد الأول، ٩٦.

والثاني أن تقدير فعل الابتداء مستقل بالغرض من البسملة، إذ الغرض منها أن تقع مبدأ، فتقدير فعل الابتداء أوقع بالمحل»[١].

– ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) : ألمح إلى القولين دون ترجيح، حيث قال : «ينكشف لك أن القولين عند النحاة في تقدير المتعلق بالباء، في قوله : "بسم الله" هل هو اسم أو فعل متقاربان، وكل قد ورد في القرآن، فمن قدّره باسم تقديره (ابتدائي) ... ومنْ قدّره بالفعل أمرًا، أو خبرًا، نحو (ابدأ بسم الله) أو (ابتدأت بسم الله) ... وكلاهما صحيح»[٢] ثم يظهر أنه استدل باحتمال تقدير المحذوف فعلَ أمر بالحديث المروي عن ابن عباس، عن قول جبريل لرسول الله : «قل أستعيذ بالله ... قل بسم الله».[٣]

الفريق الثاني: من قدّر أنَّ المحذوف هو فعل، إما مضارع، أو ماض، وجعله متأخرا، أو متقدما، وإن اختلفوا في صيغة ذلك الفعل، وهم :

١) الزَّجَّاج (ت ٣١١هـ)، وقد قدّر أن «الباء جالبة للابتداء، كأنك قلت : بدأتُ باسم الله الرحمن الرحيم، إلا أنه لم يحتج لذكر (بدأتُ) لأن الحال تنبيء أنك مبتدئ»[٤].

٢) النحاس (ت٣٣٨هـ) وتابع الَفرَّاء؛ لأنه روى قوله: «قال الفراء : موضع الباء نصب، والمعنى : بدأتُ باسم الله، وابدأ باسم الله».[٥]

٣) الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، وقد ذهب إلى أن «متعلق الباء محذوف ، ويستغنى عن إظهاره بدلالة الحال عليه، كأنه قيل : (بدأت بسم الله) و (أبدأُ بسم الله) والحال

(١) حاشية كتاب الكشاف (الإنصاف فيما يتضمنه الكشاف من الاعتزال) أحمد بن محمد بن منير الإسكندري ، (ج١/ ٢٦، ٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم، (ج١/ ٣٠) .

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج١/ ٣١).

(٤) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل(٣١١هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط١ ، ١٩٨٨م ، (ج١/ ٣٩).

(٥) معاني القرآن، النحاس، (ج١/ ٥١).

تبيّنُ أنَّك مبتدئ فاستغنيت عن ذكره».[١]

٤) الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ):جعل المقدر المحذوف فعلا مضارعا مؤخرا تقديره (أقرأُ)، أو(أتلو) حيث قال: «فإن قلتِ : بمَ تعلقتْ الباء ؟ قلتُ : بمحذوف، تقديره : بسم الله أقرأُ، أو أتلو».[٢]

٥) علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ): جعل المقدر فعلا مضارعا مؤخرا تقديره(أبتديء) حيث قال في حاشية شرحه علي الكشاف: «وزعم بعض النحويين أن تقدير الابتداء أولى، فيقال مثلا : بسم الله أبتديء القراءة».[٣]

٦) الطاهر بن عاشور : وقد أكَّد أنَّ المقدر فعل مضارع، وأنَّ صيغته : (أَقْرَأُ)، وليس: (أبتديء) وحَكَمَ أنّ ذلك متعينٌ، قال: «واعلم أن متعلق المجرور في (بسم الله) محذوف، تقديره هنا ك (أَقْرَأُ)، وسبب حذف متعلق المجرور أن البسملة سُنّتْ عند ابتداء الأعمال الصالحة، فحذف متعلق المجرور فيها حذفًا مُلتزمًا إيجازًا اعتمادًا على القرينة...فتعيّن أن يكون فعلا خاصا من النوع الدال على معنى العمل المشروع فيه دون المتعلق العام، مثل: أبتديء...وهو أنسب للتعميم التيمن لأجزاء الفعل»[٤].

ويذهب هذا البحث إلى ترجيح أن متعلق الجار والمجرور المحذوف في (بسم الله) هو فعل أمر محذوف تقديره: (قولوا)، بقرينة نقلية، هي حديث عن ابن عباس، عن قول جبريل لرسول الله: «قل أستعيذ بالله...قل بسم الله»[٥]، وقرينة استنباطية، من أن تلقي تعليم ذلك من الله عز وجل أوقع في النفس، وأدعى لالتزام ذلك والعمل به، والله أعلم .

(١) البسيط، الواحدي (ج١/ ٤٣٧).
(٢) الكشاف (ج١/ ٢).
(٣) حاشية الكشاف (ج١/ ٢٧).
(٤) التحرير والتنوير، (ج١/ ١٤٦).
(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، (ج١/ ٣١).

الجملة الثانية ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ جملة اسمية:

واختلف العلماء في تقدير الخبر المقدر الذي يتعلق به المجرور، فقدره بعضهم بالكون والاستقرار، وأنه مصدر أتى بدلا عن فعله، وهذا الفعل إما : مضارع : (نحمد) أو أمر : (قولوا) ،وممن ذهب للقول الأول الطاهر بن عاشور ، قال : «الحمد مرفوع بالابتداء في جميع القراءات المروية، وقوله (لله) خبره، فلام (لله) متعلق بالكون والاستقرار العام كسائر المجرورات الخبر بها، وهو هنا من المصادر التي أتت بدلا عن أفعالها في معنى الإخبار، فأصله النصب على المفعولية المطلقة، على أنه بدل من فعله، وتقدير الكلام: (نحمد حمدا لله)»[(١)]، وممن ذهب للقول الثاني : البغوي، حيث قال: «ولفظه خبر، كأنه يخبر الخلق أن المستحق للحمد هو الله عز وجل، وفيه تعليم الخلق، تقديره : قولوا الحمد لله»[(٢)]، ويرجح البحث قول البغوي في تقدير أن الخبر المقدر الذي يتعلق به المجرور، وأنه فعل أمر تقديره : "قولوا" .

ويلحق الاسم المضاف أربع نعوت : (ربِّ العالمين)، (الرحمنِ)، (الرحيمِ)، (مالك يومِ الدينِ) ، فهذه توابع الجملة الأولى .

إعراب الجملة الثانية: جملة استئنافية لا محل لها من الإعراب .

وفق الشكل التالي :

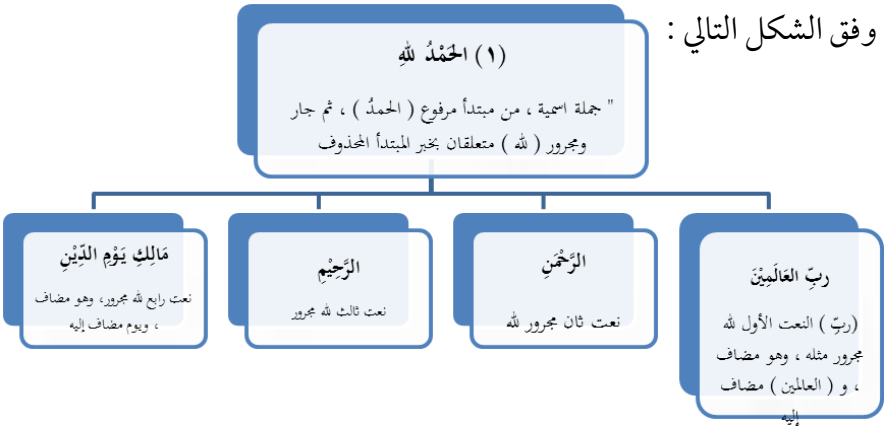

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، (ج١/ ١٥٦).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، (ج١/ ٧٣).

الجملة الثالثة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ **جملة فعلية**، من فعلٍ مضارعٍ مرفوع: (نعبدُ)، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره (نحن)، وقد تقدَّم المفعول به على الفعل : (إياكَ) وهو ضمير منفصل مبنيٌّ في محل نصب مفعول به مقدَّم، والكاف للخطاب.

إعراب الجملة الثالثة : جملة استئنافية، لا محل لها من الإعراب .

الجملة الرابعة: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ **جملة فعلية أيضا:**

إعراب الجملة الرابعة : معطوفة على جملة (إياك نعبد) عطف جملة على جملة[1]

الجملة الخامسة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ **جملة فعلية أخرى:**

فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والضمير المتصل في محل نصب مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنت)، و(الصراط) مفعول به ثان منصوب وعلام نصبه الفتحة، و(المستقيم) صفة للصراط منصوبة، وعلامة نصبها الفتحة الظاهرة على آخره، و(صراطَ) بدل مطابق من الصراط، منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، (الذينَ) اسم موصول مبني على الفتح في محل جر مضاف إليه، (أنعمتَ) فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، والتاء ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل، والجملة صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب .

وتنبَّه العلماء إلى أن الفعل (اهدنا) يتعدى باللام أو بإلى، «وفرّق كثير من المتأخرين بين معنى المتعدي بنفسه، وغير المتعدي، فقالوا : معنى الأول: الدلالة، والثاني: الإيصال، وطلب الهداية من المهتدي معناه طلب الزيادة، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧] »[2].

(عليهم) على: حرف جر، والهاء ضمير متصل مبني في محل جر بحرف الجر (على) متعلق بـ (أنعمت)، والميم للجمع .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، المجلد الأول ، ١٤٣.

(٢) فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ) ، حققه وخرّج أحاديثه : عبد الرحمن عميرة ، دار الوفاء ، (ج١ / ٩٠) .

(غيرِ) فيه وجهان: الأول: أنه نعت (الذين) مجرور وعلامة جره الكسرة، والثاني : أنه بدل من (الذين) .

الثالث: أنه مجرور على نية تكرير الصراط الذي جر الذين فكأنك قلت: (صراطِ الذين أنعمت عليهم، صراطِ غيرِ المغضوب عليهم)[١].

ومعنى (غير) الجحد والنفي[٢].

(المغضوب) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة الظاهرة علي آخره .

(عليهم) جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل للمغضوب ؛ لأنه اسم مفعول .

(ولا) الواو حرف عطف، عطفت (الضالين) على (المغضوب عليهم)[٣] و(لا) زائدة لتأكيد معني النفي.

(الضَّالين) معطوفة على (المغضوب عليهم) مجرور، وعلامة جره الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون للإضافة، والمعنى: (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم لا المغضوب عليهم ولا الضالين)[٤].

إعراب الجملة الخامسة : جملة استئنافية، لا محل لها من الإعراب.

رابعا: التناسب البلاغي:

حين يتم الباحث فحص التناسب في الحروف، والألفاظ اللغوية، والتركيب النحوي للجمل، عندها يرتقي إلى البحث في التناسب البلاغي، ولا يجوز أن يخوض فيه إلا بعد كل تلك المراحل، وإلا زلّ قلمه، واشتبهت عليه المسالك .

والتناسب البلاغي يمتد إلى علوم البلاغة الثلاثة: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، فمما يدخل في علم المعاني: النظر في الإيجاز والإطناب، والذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والخبر والإنشاء، والوصل والفصل.

---

(١) جامع البيان، المجلد الأول ، ١٥٦ وقال الطبري عن هذين الوجهين : " كل ذلك صواب حسن " المجلد الأول ، ١٥٨ .

(٢) المصدر نفسه ، المجلد الأول ، ١٦٢ .

(٣) المصدر نفسه ، المجلد الأول، ١٥٧ .

(٤) المصدر نفسه، المجلد الأول، ١٦٢ .

ومما يدخل في علم البيان تتبع ما يكون في السورة من التشبيهات والاستعارات والكنايات ونحوها .

ومما يدخل في علم البديع: النظر في المحسنات اللفظية والمعنوية، من طباق وجناس وغيرهما.

وكل ذلك ليس هدفه ذكر تلك الأنواع وحصر ما ورد منها في السورة، وإنما الكشف عن أسرار مجيئها لتحقيق التناسب في السورة، فهذا هو الهدف .

- **الذكر والحذف، والإيجاز والإطناب:**

ذكر البلاغيون أن المتكلم البليغ حين يريد التعبير عن معنى ما، فهو إما أن يكون ذلك: على الإيجاز، أو على الإطناب، أو على المساواة، والإيجاز هو: أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط[(١)]، وله قسمان: إيجاز القصر، وإيجاز الحذف.

وقد جاء الإيجاز بنوعيه في سورة الفاتحة : إيجاز القصر، وإيجاز الحذف.

وإيجاز القصر هو تأدية المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة دون حذف، وسورة الفاتحة تتميز بذلك، «من حيث إن كلماتها تدل على معان كثيرة لا يمكن الإحاطة بها»[(٢)] وكونها أم القرآن دال على ذلك، لاشتمالها على معاني القرآن الكريم كله، بل على المقصد المحوري في القرآن كله.

وإيجاز الحذف يكون بحذف شيء من العبارة لا يُخِلُّ بالفهم، عند وجود ما يدلُّ على المحذوف، وقد وقع إيجاز الحذف في الفاتحة في حذف متعلق الجار والمجرور في "بسم الله" كما سبق بيانه، ولذلك فوائد عديدة ذكرها ابن القيم، منها: «أنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه سوى ذكر الله، فلو ذكرت الفعل، وهو لا يستغني عن فاعله، كان ذلك مناقضًا للمقصود، فكان في حذفه مشاكلة اللفظ للمعنى، ليكون المبدوء به اسم الله»[(٣)] وهذا إيجاز الحذف، في قوله سبحانه: "بسم الله" لأن الجار والمجرور

(١) بغية الإيضاح، عبد المتعال الصعيدي، (ج٢/ ٣٢٤).

(٢) أضواء على الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة، صالح بن محمد الزهراني، بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات القرآنية ، ع٤، السنة الثانية، ١٣٩.

(٣) بدائع الفوائد، (ج١/ ٢٥) .

متعلقان بفعل محذوف، وتقديره: "أقرأ"[١]قدّره بعض العلماء متقدما، وقدره البعض الآخر متأخرا : "باسم الله أقرأ" وقد زاد ابن القيم الأمر بيانا بذكر العديد من الأسرار لحذف العامل في (بسم الله) منها : ألا يتقدم إلا ذكر الله، فلا يقال : أقرأ باسم الله، بل يقال : بسم الله، وأن الفعل إذا حذف صحّ الابتداء به في كل قول وعمل وحركة، مما يجعل الحذف أبلغ من الذكر[٢]، فهذا الحذف حقق غاية التناسب مع مقصد السورة، وهو القرب من الله بذكره، كي ينال السائل مبتغاه، وهو الهداية إلى الصراط المستقيم .

وكذلك كان إيجاز الحذف في كل موضع قدّر العلماء حذف العامل فيه كما سبق بيانه .

وأما الإطناب فقد تنوعت صوره في سورة الفاتحة، ومنها : التكرار، وذلك في توالي لفظي الجلالة: الرحمن، والرحيم، ومنه : الإيضاح بعد الإبهام، في قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[٣].

- **الوصل والفصل:**

هما من أبواب البلاغة الجليلة، ويكشفان أسرارا في الكلام لا يمكن الوقوف عليها إلا بتتبع أحوال الوصل والفصل، و«الوصل عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه»[٤]، ولدقة هذا الجانب قصر بعض العلماء البلاغة َعلى معرفة الوصل من الفصل؛ للتنبيه على مزيد غموضه[٥] .

والفصل والوصل إما أن يكونا بين مفردات، أو بين جمل، ولكل موضع

(١) بدائع الفوائد، المجلد الأول، ١٢١.

(٢) بدائع الفوائد ، ابن القيم ، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت ، (١/ ٤٣).

(٣) النظم البلاغي في سورة الفاتحة ، نايف جردو أحمد حسن الساداني، بحث منشور في مجلة جامعة الموصل، العراق ، ع ٦٩ ، ٢٠١٤م ، ١٠١.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ١٤٥.

(٥) المصدر نفسه، ١٤٥.

معاييره، وضوابطه.

وبالنسبة للمفردات فإن «عطف مفرد على آخر يستفاد منه مشاركة الثاني للأول»[(١)]، وحين ننظر في سورة الفاتحة نرى أنه قد جاء فيها الفصل بين الأسماء الحسنى، فتوالت دون عطف، في البسملة، وفيما تلاها : «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمنِ الرحيمِ، مالكِ يوم الدين «وكل ما تحته خط من أسماء اللهَ يعرب صفات للفظ الجلالة (لله) ولذلك جاءت مجرورة، ولم تعطف على بعضها؛ لأن «الأكثر في الصفات ألا يُعطف بعضها على بعض، نحو: جاء محمد العاقل الفاضل الكريم، وسر هذا أن الصفة جارية مجرى موصوفها، فهي تدل على ذات الصفة، ومن ثم يمتنع عطفها على موصوفها، لأنه لا يصح عطف الشيء على نفسه»[(٢)]، وجاء الوصل بالواو بين مفردات أيضا، في قوله: (غير المغضوب عليهم و لا الضالين) وهذا أيضا للاشتراك في الحكم بالزيغ عن الحق .

أما الوصل بين الجمل فيكون بعطف بعض الجمل على بعض، والفصل: تركه.

وعند النظر في سورة الفاتحة نرى أن **فصل الجُمَل قد تكرَّر فيها**، في المواطن التالية : حيث وقع **الفصلُ** في ثلاثة مواضع :

الأول: الفصل بين جملة: (بسم الله الرحمن الرحيم) وجملة (الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين) على قول من عدّ البسملة الآية الأولى من الفاتحة، فيكون الفصل هنا لكمال الاتصال.

الثاني: وقع الفصل بين (الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين) وقوله : (إياك نعبد) ، لشبه كمال الاتصال، أو ما يعرف بالاستئناف البياني، لأن آية "إياك نعبد" كأنها جاءت جوابا عن سؤال تضمنته الجمل السابقة، «لما ذكر أنه الحقيق بالحمد، ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات، وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك، أي: يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة،

(١) علوم البلاغة ، أحمد مصطفى المراغي، ١٣٨.

(٢) المرجع نفسه، ١٣٨، ١٣٩.

ليكون أدل على الاختصاص، وللترقي من البرهان إلى العيان، والانتقال من الغيبة إلى الشهود[١].

الثالث: وقع الفصل بين ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، لشبه كمال الاتصال، وقد وقفت على تعليلين لذلك، الأول: لأن جملة: «اهدنا الصراط المستقيم» بيان للمطلوب من المعونة، كأنه قال : كيف أعينكم ؟ فقالوا : اهدنا الصراط المستقيم، الثاني: إفراد لما هو المقصود الأعظم[٢]، وهو الهداية إلى الصراط المستقيم .

أما الوصل فقد جاء وصلا بالواو في موطن واحد، وذلك بين جملتي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وسر ذلك الاشتراك في الحكم.

"بسم الله الرحمن الرحيم"	
نحوياً: هي جملة ابتدائية افتتح بها الكلام	
"الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين"	
نحوياً: هي جملة استئنافية، لا محل لها من الإعراب.	بلاغياً: (فصلٌ): فصلَ بين الجملة وبين (البسملة).
"إياك نعبد"	
نحوياً: هي جملة استئنافية، لا محل لها من الإعراب.	بلاغياً: هنا (فصلٌ): فصلَ بين هذه الجملة وجملة (الحمد لله).
"وإياك نستعين" هنا وصلٌ (حيث جاءت معطوفة على الجملة السابقة لاشتراكهما في الحكم)	
" اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين"	
نحوياً: هي جملة استئنافية، لا محل لها من الإعراب.	وبلاغياً: وقع هنا فصل بين جملة (اهدنا) والجملة السابقة.

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ناصر الدين، أبو سعيد، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ – ١٤١٨ هـ – (ج١/ ٢٩).

(٢) المصدر نفسه، (ج١/ ٣٠).

- **التعريف: توالت العديد من المعارف في سورة الفاتحة، وهي :**

العلم : (الله) على قول من نفي الاشتقاق فيه، والتعريف بالعلمية يفيد إحضار المسمى في ذهن السامع بعينه ابتداء باسم مختص به دون سواه[١]، وهذا يتحقق بمجيء اسم (الله) سبحانه.

المعرف بال : (**الحمد**)، و(الرحمن)، و(الرحيم)، و(الصراط المستقيم)

وقد بيَّن العلماء سر مجيء الحمد مقترنًا بال التعريف، دون أن يأتي نكرة، فيقول : (حمدًا لله)؛ وذلك لأن دخول (ال) يفيد أن «جميع المحامد، والشكر الكامل لله»[٢]، أي أن دخول ال أفاد الاستغراق، وبذلك تحقق الإطلاق والعموم والكمال، وهو استغراق حقيقي[٣]، فيشمل كل المحامد .

ومما وقف عليه العلماء في التعريف والتنكير في الفاتحة أن كلمة (الصراط) جاءت معرفة بال، فما سرُّ ذلك ؟ قال ابن القيم: «وذلك يفيد تعيينه واختصاصه، وأنه صراط واحد، وأما طرق أهل الغضب والضلال فإنه سبحانه يجمعها ويفردها»[٤].

المعرف بالإضافة : (بسم الله) و(رب العالمين) ، و(مالك يوم الدين)، و(صراط الذين أنعمت عليهم) .

(غير المغضوب عليهم)، و(الضالين) .

الضمائر: (إياك) تكرر مرتين، والنون من (نعبد) و(نستعين)، و(نا) الفاعلين من فعل الأمر : (اهدنا)، وتاء الفاعل من (أنعمت)، وهاء الغائب من (عليهم) .

---

(١) بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح ، عبد المتعال الصعيدي ، (ج١/ ٨٤).

(٢) جامع البيان ، المجلد الأول، ١٣٤ .

(٣) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، (ج١/ ٩٦).

(٤) مدارج السالكين (ج١/ ٥٥).

- **الخبر والإنشاء:**

يعتني البلاغيون بتتبع الخبر والإنشاء عند دراسة الكلام ؛ لما لكل منهما من دلالات وأسرار، وعند النظر في هذا الجانب البلاغي في سورة الفاتحة نجد أن الغالب على سورة الفاتحة حضور الجمل الخبرية، وهي: (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد، وإياك نستعين) فهذه أربع جمل خبرية[(١)]، وأما الجمل الإنشائية، فهي جملة واحدة : (اهدنا الصراط المستقيم ...) فحسب .

وأول تلك الجمل الخبرية: (بسم الله الرحمن الرحيم)، ويرى الفخر الرازي أنَّ متعلق الجار والمجرور مضمرٌ محذوفٌ، يقول: «نسق تلاوة القرآن يدل على أنَّ المضمر هو الفعل ،وهو الأمر؛ لأنه تعالى قال: (إياك نعبد وإياك نستعين) والتقدير: (قولوا إياك نعبد وإياك نستعين) فكذلك قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم) التقدير: (قولوا بسم الله)»[(٢)].

وثاني تلك الجمل: (الحمد لله رب العالمين) فقد جاءت خبرية، فلم تكن: (قولوا الحمد لله)، أو: (أحمدوا الله)، ومجيئها جملة اسمية حقَّق الثبوت والاستقرار[(٣)]، كما تفيد أنه سبحانه محمود قبل حمد الحامدين، وبعد حمد الحامدين، ومع حمد الحامدين.

ويذهب هذان العالمان الجليلان إلى القول نفسه في جملتي: (إياك نعبد، وإياك نستعين) وأن التقدير: قولوا إياك نعبد وإياك نستعين، وكذلك يرى الطبري أن جملة

(١) وهذا ما ذهب إليه محمد سبحان يحيي في بحثه : البلاغة في سورة الفاتحة، ٢٠١٠م ، ٣٨، ٣٩ .

(٢) مفاتح الغيب، المجلد الأول، ١٠٩، وذكره الألوسي كذلك، قال: "وأرفع القراءات قراءة الرفع، لدلالة الجملة الإسمية على الثبوت والدوام " روح المعاني (ج١/ ٧٥).

(٣) بلاغة تناسب الألفاظ والمعاني في الآيات السبع المثاني، معن توفيق دحام، وعدنان عبد السلام الأسعد، بحث منشور في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد ١٢، العدد ٤ ، ٢٠١٣م ، ٢٨١.

(الحمد لله رب العالمين) فيها حذف مقدر، تقديره: "قولوا "، وكذلك في: (إياك نعبد وإياك نستعين) أي : قولوا .

وذلك عندما ناقش معنى (الحمد لله) ما المراد به ؟ «أحمد الله نفسه فأثنى عليها، ثم علمناه لنقول ذلك كما قال ووصف به نفسه؟ فإذا كان كذلك فما وجه قوله تعالى إذا :"إياك نعبد وإياك نستعين"؟»[(١)] وسبب هذا التساؤل أن الله في قوله "إياك نعبد وإياك نستعين" من العبد لله، فيكون قول (الحمد لله) مثله، أي أن التقدير: قولوا ؛ ولأن العرب إذا علمت أن السامع يستدل بما ظَهَرَ من الكلام على ما خَفِيَ منه، عندها تحذف العربُ من كلامها ما يستطيع السامع أن يفهمه من الكلام المذكور الظاهر، كقول الشاعر :

وَرَأيتُ زَوجَكَ في الوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيفًا وَ رُمْحا

ومعلوم أنَّ الرمحَ لا يتُقَلَّد، وإنما يُحمل، فالتقدير: "وحاملا رمحا"، ولكنَّ الشاعر يعلمُ أنَّ السامع سيفهم مراده ؛ فحذف كلمة: (حاملًا) ، فالتقدير في الآيات – كما يرى الطبري – هو :

(قولوا الحمد لله رب العالمين ...وقولوا إياك نعبد وإياك نستعين)[(٢)]، وروى القرطبي هذا الرأي عن الطبري فقال: «الحمد لله، ثناء أثنى به على نفسه، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه، فكأنه قال: قولوا الحمد لله»[(٣)].

ومن هنا برز الاختلاف في جملة الحمد خاصة: أهي خبرية أم إنشائية؟ قال الألوسي: «والذي عليه معظم العلماء أنها إخبارية، كما يقتضيه الظاهر...لأن الإخبار بثبوت جميع المحامد لله تعالى هو عين الحمد»[(٤)]، ويرى باحث معاصر أن

(١) جامع البيان، المجلد الأول، ١٣٤.

(٢) المصدر نفسه، المجلد الأول، ١٣٤.

(٣) الجامع لإحكام القرآن، المجلد الأول، ١٣٣.

(٤) روح المعاني (ج١/ ٧٥).

هذا النوع من الجمل يتضمن معنيين :معنى الخبر، ومعنى الإنشاء[١] وبذلك فكل تلك الجمل الخبرية الأربع تتضمن معنى الإنشاء، فهي خرجت مخرج الخبر لكن معناها الأمر، فهي جمل خبرية لفظا، لكنها طلبية في المعنى، وقد نصَّ على ذلك الزمخشري في الكشاف، فقال بعد أن شرح المتعلق المحذوف لحرف الجر من (بسم الله) وأن تقديره : بسم الله أقرأ، أو أتلو، وأجاب عن سؤال متوقع : «كيف قال الله تبارك وتعالى متبركا : باسم الله أقرأ ؟ قلت : هذا مقولٌ على ألسنة العباد، كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره، وكذلك (الحمد لله رب العالمين) إلى آخره»[٢] فالشاهد قوله "وكذلك الحمد لله رب العالمين إلى آخره " أي أن كل الجمل الخبرية الواردة في سورة الفاتحة من هذا الباب، ووفق هذا القول فتلك الجمل خبرية بمعنى الإنشائية، والله أعلم، وأن سر ذلك «ومعناه تعليم الله عباده كيف يتبركون باسمه، وكيف يحمدونه، ويمجدونه، ويعظمون»[٣] وإذا تعلموا ذلك وعملوا به كان مدعاة لإجابة دعائهم، وبلغوهم ما يرجون، وهو الهداية إلى الصراط المستقيم.

- **التقديم والتأخير:**

البيان الإلهي فيه أرفع درجات البلاغة المعجزة، وحين تتأمل أوجه ترتيب الكلام، وما جاء فيها من تقديم ما قُدّم، وتأخير ما أخّر لا يسعك إلا الإخبات لهذا الإعجاز المبهر، فمنه تقديم ما قدّم من الأسماء الحسنى، حيث بدأ باسم الله، ثم الرحمن، ثم الرحيم، في البسملة، ثم في الآية بعدها تتابع دقيق لنظم الأسماء الحسنى : لله، رب العالمين، الرحمن، الرحيم، مالك يوم الدين .

(١) العدول عن أسلوب الإنشاء إلى الخبر في نماذج من آيات الذكر الحكيم، دراسة بلاغية تحليلية، غالب بن محمد الشاويش، بحث منشور في المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة ، مج ٦، العدد ٢ ، ٢٠١٠م، ١٤٠.

(٢) الكشاف (ج١/ ٣٢).

(٣) المصدر نفسه.

كما جاء التقديم أيضا في تقديم المفعول به على الفعل، في موضعين : (إِياكَ نعبدُ، وإياكَ نستعينُ) وذلك للتخصيص، وإفادة الحَصْر ، وهو حصرٌ حقيقي ؛ لأن العِبَادَ لا يعبدون إلَّا الله، ولا يستعينون إلَّا بالله، وكذلك ففيه أدب مع الله بتقديم اسمه على فعلهم، وفيه الاهتمام وشدة العناية به .[١]

كذلك قدَّم العبادةَ على الاستعانةَ، وعَطَفَ الاستعانةَ على العبادة، مع أنها من العبادة، من باب عطفِ الخاصِ على العام، وجاء تقديم العبادة على الاستعانة لعدة أسباب[٢]، منها :

أولاً: من باب تقديم الغايات على الوسائل، فالعبادة هي الغاية التي خلقوا لها، والاستعانة وسيلة إليها .

ثانياً: لأن (إياك نعبد) متعلق بألوهية (الله)، و(إياك نستعين) متعلق بربوبية (الرب)، فكما قدّم اسم (الله) على اسم (الرب) في أول الفاتحة، قدّم العبادة على الاستعانة .

ثالثاً: (إياك نعبد) داخل في قسم الرب ؛ لأنه ثناء على الله، و(إياك نستعين) داخل في قسم العبد، وقسم الرب مقدم على قسم العبد .

رابعاً: لأن العبادة تتضمن الاستعانة من غير عكس، فكل عابد لله هو مستعين به، لذا فالعبادة أكمل وأتم .

ومن بركات هذه الآية أن تحقيق (إياك نعبد) يدفع مرض الرياء، و(إياك نستعين) يدفع مرض الكِبْر، وهما أخطر داءين يصيبان قلوب العباد، ويتبع ذلك (اهدنا الصراط المستقيم) التي تدفع داء الضلال والجهل، وبذلك يعافى المرء من أمراضه، ويرفل في أثواب العافية، وتتم عليه النعمة[٣] .

---

(١) مدارج السالكين، (ج١/ ١٣٣).

(٢) المصدر نفسه، (ج١/ ١٣١).

(٣) المصدر نفسه ، المجلد الأول، ١٠٥ .

وكذلك في تقديم ذكر أهل النعمة على أهل النقمة، ثم في تقديم المغضوب عليهم قبل الضالين .

- **العدول :**

ومنه: العدول عن أن يكون الفاعل هو الضمير المستتر (أنا) إلى الضمير المستتر (نحن) :

وقد جاء في قوله (نعبد) و(نستعين) ، ففي كلا الجملتين الفعليتين جاء الفاعل فيها ضميرا مستترا تقديره (نحن) ، فلماذا لم يأت : إياك أعبد، وإياك أستعين؟ وقد ذكر العلماء أن ذلك يشعر بأهمية الجماعة، و«أن الدعاء كلما كان أعم كان إلى الإجابة أقرب ... والجماعة رحمة والفرقة عذاب»[(١)] وما يحصل بالانضمام إليها من البركة، والخير، وعموم النفع، وحصول الأنس فإن السالك وحده يستوحش، وقد يضعف ويسقط ، وهذا حاصل لمن سلك سبل الدنيا ،ولمن سلك سبيل المبادئ والقيم، وهو في ذلك أظهر وأخطر»[(٢)].

ومنه أيضا : العدول إلى (المغضوب عليهم ولا الضالين) وليس (الذين غضبتَ عليهم، والذين أضللتهم) ؛ لأنه قال عز وجل قبلها : (الذين أنعمت عليهم) فلماذا تغيرت الصيغة ولم تستمر على ما كانت عليه؟ وذلك لعدة أسباب، منها :

- تأدبا مع الله سبحانه، لأن كل خير ينسب لله، أما الشر فلا ينسب إليه عزَّ وجلَّ، وإن كان كلٌّ تحت مشيئته، ولذا كان من دعاء رسول الله ﷺ «... لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك ...»[(٣)] وبذلك فسَّر العلماء قوله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠] فقد «أسند

(١) مفاتيح الغيب، المجلد الأول ، ٢٦٠ .

(٢) لمسات بيانية في فصول من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ، ط٣ ، ٢٠٠٣م ، ٥٦، ٥٧.

(٣) صحيح ابن حبان ، رقم ١٧٧٣ .

المرض إلى نفسه، وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلقه، ولكنه أضافه إلى نفسه أدبا، كما قال تعالى آمرا للمصلي أن يقول: «اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» فأسند الإنعام إلي الله سبحانه وتعالى، والغضب حذف فاعله أدبا، وأسند الضلال إلي العبيد [(١)]».

- أن في حذف فاعل الغضب من الإشعار بإهانة المغضوب عليه، وتحقيره، وتصغير شأنه ما ليس في ذكر فاعل النعمة، فاجتمع على المغضوب عليهم أمران : الجزاء بالغضب الذي استحقوا عليه الهوان، والسبب الذي به استحقوا غضبه سبحانه[(٢)] .

ومنه الإطلاق الذي في قوله : (إياك نعبد، وإياك نستعين) دون تقييد، وهذا مما يفيد العموم [(٣)].

- **حسن الافتتاح وبراعة المطلع** : فقد افتتحت السورة بالبسملة التي هي جامعة لكل معاني الفاتحة، ومما يدخل في المطلع قوله تعالى: «الحمد لله رب العالمين» وسيأتي بسط القول في براعة هذا الاستهلال عند الحديث عن علاقة المطلع بالمقصد، والله المعين .

- **الالتفات في الخطاب**: جاء في الفاتحة التفات من الغيبة إلى الخطاب؛ فمن بداية السورة كانت كل بلفظ الغيبة، أما في قوله سبحانه: "إياك نعبد وإياك نستعين" انتقل إلي الخطاب، فما سر ذلك ؟ لأن العبد حين شرع في قراءة الفاتحة جاء بالثناء على الله وتمجيده ، فجعلت ترفع عنه الحُجُب، وأبدل الله بُعد ذلك العبد عنه قربًا، فجاء الخطاب[(٤)]وهذا مؤذن بإجابة مطلبه، واستجابة دعائه، وهو الهداية إلى الصراط المستقيم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، (ج٦ / ١٤٦).

(٢) بتصرف عن : مدارج السالكين (ج١/ ٥٣).

(٣) التحرير والتنوير (ج١/ ١٨٤).

(٤) جامع البيان، (ج١/ ٢٥٥).

▪ **التصريح بعد الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال:** في قوله «اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين».

ولأن سؤال الهداية والاستقامة على الصراط المستقيم هي أجلّ المطالب، علَّمنا الله أن نتوسل لذلك بأمرين : التوسل بالحمد لله، وتمجيده، والتوسل إليه بعبوديتنا له وتوحيدنا إياه سبحانه، لتتحقق الإجابة

▪ **المقابلة:** بين صفة المؤمنين الذين أنعم الله عليهم، وصفة الكفرة بنوعيهم: المغضوب عليهم، والضالين، وكذلك المقابلة بين الهداية والنعمة، والغضب والضلال، ونبّه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض تفسيره لهذه الآية، إلى أن هذا كثير في القرآن، أي: اقتران الهدى والسعادة، واقتران الضلال والشقاء، قال: «فالهدى والسعادة متلازمان، والضلال والشقاء متلازمان»[(١)] وكأن انبثاق هذه المقابلة في سورة الفاتحة إيذان بما سَيُبسطُ من القول عن ذلك في بقية القرآن .

▪ **جمع الترغيب والترهيب:** ومثاله مجيء اسم الجلالة (رب العالمين)، وما يشعر من الرهبة، فتلاه اسما الجلالة (الرحمن الرحيم) المشعران بالرحمة والمنن والعطايا .

▪ **حسن التقسيم:** فقد شملت السورة أصناف الناس، فهم إما عالم بالحق، وإما جاهل به وهم النصارى، والعالم بالحق إما عامل به، وهم المؤمنون، وإما مخالف له، وهم اليهود .

▪ **الاستعارة:** في قوله (الصراط المستقيم) حيث شبّه الإسلام بالصراط المستقيم[(٢)]، وهي استعارة تصريحية، بجامع أن الصراط المستقيم والإسلام كل منهما يوصل للمقصود .

---

(١) مدارج السالكين (ج١/ ٥٤).

(٢) التحرير والتنوير (ج٦/ ١٥١).

المبحث الثالث

المستوى التأويلي

وذلك للنظر في ثلاثة أمور، هي :

المقصد العام للسورة، والمناسبات الداخلية، والمناسبات الخارجية .

وهو أكثر مستويات البحث في التناسب صعوبة، ووعورة، وخفاء، ولا يستطيع الباحث أن يصل إليه إلا بعد طول نظر، وتأمل، وبعد تكرار التقصي للمراحل السابقة، وفيه تتجلى العلاقات النصية الأكثر خفاء، والأعمق دلالة على قوة المتكلم، وجودة بناء كلامه، ففيه من خفايا الصنعة، ودقائق العقل ما لا يعلم به إلا الله، ولعل أصعب هدف يسعى الباحث للوصول إليه في هذا المستوى هو تحديد المقصد العام المحوري للكلام الذي ينظر فيه ، ومن ثم تتجلى أمامه بقية علاقات الكلام واحدة تلو الأخرى، أما إذا استغلق عليه المقصد العام فقد غاب سر النص حتى يأذن الله ببيانه .

- **أولاً: المقصد العام للسورة :**

إن البحث في مقصد سورة ما متفرع من علم مقاصد السور، وهذا العلم مبني على علم المناسبات ،و ينبغي التذكير بأن «مقاصد القرآن تقع على ثلاث درجات هي : مقاصد الآيات، ومقاصد السور، والمقاصد العامة للقرآن»[(١)] وقد تتابع علماء الإسلام على البحث في سورة الفاتحة، وكان مما اعتنوا به: البحث في مقصدها العام، وهذا من أوجب الواجبات؛ لأن «هذه السورة مسماة (أُمُّ القرآن) فوجب كونها كالأصل والمعدن، وأن يكون غيرها كالجداول المتشعبة منها»[(٢)] فهي جامعة لكل ما في القرآن، وكلامهم عن مقصد الفاتحة فيه جوانب تقارب وتشابه،

(١) مقاصد المقاصد، الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة، أحمد الريسوني، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م، ١٦.

(٢) مفاتيح الغيب، المجلد الأول ، ١٨٦.

وجوانب تمايز واختلاف، وهذا مما استوقف الباحثة، لما له من الأهمية البالغة، فاتجهت الهمة لجمع كل أقوال العلماء في المقصد العام لسورة الفاتحة، وكان نتيجة ذلك أن العلماء في ذلك قسمان :

القسم الأول: علماء لم يذكروا مقصدا عاما للفاتحة، واتجهت عنايتهم لتفسير الفاتحة فحسب.

القسم الثاني: علماء حددوا مقصدا عاما للفاتحة، وهؤلاء تعددت المقاصد التي ذكروها.

وسنقف أولا عند نماذج من **علماء القسم الأول**، فمن أهمهم، على الترتيب التاريخي :

الطبري(ت٣١٠هـ) (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، وابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)(تفسير القرآن العظيم)، وابن العربي(ت٥٤٣هـ) (أحكام القرآن)، والقرطبي (ت٦٧١هـ) (الجامع لأحكام القرآن)، وابن كثير(ت٧٧٤هـ) (تفسير القرآن العظيم)، والألوسي (ت١٢٧٠هـ) (روح المعاني) وغيرهم كثير .

القسم الثاني: علماء ذكروا المقصد العام للفاتحة، وهم الأقل، ومن أهمهم وأشهرهم قديما: البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ ومما يستدعي التأمل أن البقاعي (ت٨٨٥ هـ) اعتنى بتحديد مقاصد السور في كتابيه: نظم الدرر، ومصاعد النظر، ولكنه جعل مقصد الفاتحة في كل منهما مختلفا، فقال في كتابه: (نظم الدرر) إن مقصد الفاتحة: «إثبات استحقاق الله تعالى لجميع المحامد وصفات الكمال، واختصاصه بملك الدنيا والآخرة، وباستحقاق العبادة والاستعانة، وبالسؤال في المن بإلزام صراط الفائزين، والإنقاذ من طريق الهالكين، مختصا بذلك كله»[(١)].

وقال في: (مصاعد النظر) عن مقصد الفاتحة: «مقصودها: مراقبة العباد لربهم،

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، (ج١/ ١٢).

فإن التزام اسمه وحده – كما دل عليه تقديم الجار – في كل حركة وسكون، داع إلى ذلك، وعلى ذلك دلّتْ أسماؤها ... فمدار كل هذه الأسماء على أمر خفي كاف لكل مراد، وذلك هو: المراقبة»[(١)]، وألح على هذه الفكرة، فقال: «لا سورة في القرآن أعظم من الفاتحة ؛ لأنه لا مقصود أعظم من مقصودها»[(٢)] ويريد بذلك مراقبة الله سبحانه، وقد صنّف كتابه (مصاعد النظر) بعد كتاب (نظم الدرر) .

وكذلك: الفيروز آبادي، حيث قال: «المقصود من نزول هذه السورة تعليم العباد التيمن، والتبرك باسم الرحمن الرحيم في ابتداء الأمور، والتلقين بشكر نعم المنعم، والتوكل عليه في باب الرزق المقسوم، وتقوية رجاء العبد برحمة الله»[(٣)].

ومنهم حديثا :

- "التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم" أعدته لجنة من علماء التفسير وعلوم القرآن الكريم في جامعة الشارقة، وقد ذكروا أن محور سورة الفاتحة هو : «بيان طريق العبودية لله وحده» ثم عادوا وقالوا «إن للفاتحة محاور، هي المحاور التي يدور عليها القرآن الكريم بسوره المكية والمدنية» دون ذكر أسباب علمية بينة لهذا القول، ولقولهم السابق، مما يرجح حيرتهم في تحديد محور الفاتحة العام .
- ثم هناك من ذهب إلى أن «سورة الفاتحة هي سورة العبودية لله تعالى، ومحورها العام يدور حول هذا الموضوع» وسماه: الموضوع الرئيس، والمحور الأساسي[(٤)]، دون ذكر لمصطلح المقصد .

---

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ويسمى "المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى" مكتبة المعرف ، الرياض ، ط١، ١٩٨٧م ، (ج١/ ٢٠٩).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٢١٠).

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي (ج١/ ١٢٩).

(٤) سورة الفاتحة، دراسة موضوعية، بسام رضوان شحادة عليان، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٨م ، ٤٩.

- ورأى باحث آخر أن موضوع السورة الرئيس هو: «تحقيق العبودية الخالصة لله التي من أجلها خلق الخلق»[١] بل إن هذا الموضوع هو الموضوع الرئيس في القرآن الكريم[٢].

والسؤال الذي لابد منه هنا : لماذا تعددت أقوال العلماء عن المقصد في الفاتحة ؟ مع أن المقصد في السورة الواحدة واحد لا يتعدد، فما سر اختلافهم فيه ؟

الجواب – والله أعلم – عائد إلى جملة أمور، منها : أن هدف كل مفسر يوجّه ما يكتب، ولكل مفسر اهتماماته العلمية، فمنهم من يعنى بالجانب الفقهي واستنباط الأحكام، ومنهم من يهتم بمسائل اللغة والنحو، وغير ذلك من المجالات العلمية، وهؤلاء – رحمهم الله – لم يولوا عنايتهم للبحث في المقصد العام .

أما الذين اعتنوا بالبحث عن المقصد العام فهم درجات في العلم، والقدرة على التفسير، مع اختلاف توجهاتهم العلمية .

والأمر الآخر أن تحديد المقصد العام يستلزم تطبيق منهجية تحليلية دقيقة للسورة في بنائها الداخلي، وفي علاقاتها النصية بسور القرآن عامة .

ولعل من أهم أسباب ذلك التعدد في ذكر مقصد الفاتحة أيضا أن بعض أولئك العلماء خلطوا بين مقاصد القرآن العامة، والمقصد الخاص بكل سورة، فالعبودية لله، وتوحيده، ومراقبته، ونحوها كلها من أسس الإسلام وركائزه، وهي من المقاصد العامة الحاضرة في كل سورة من سور القرآن الكريم، ثم بعد ذلك فإن لكل سورة مقصد واحد تنفرد به عما سواها .

وينبغي التنبه إلى أن كل تلك المقاصد التي ذكروها تنطوي ضمن المقصد المحوري الذي يرجحه هذا البحث، وتلك المقاصد التي ذكروها هي :

---

(١) الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة ، طه عابدين طه، ١٧١.

(٢) المرجع نفسه، ١٧٢ .

- استحقاق الله لجميع المحامد وصفات الكمال، (البقاعي، نظم الدرر) .
- مراقبة العباد لربهم، (البقاعي، مصاعد النظر).
- تعليم العباد التيمن، والتبرك باسم الرحمن الرحيم في ابتداء الأمور (الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز).
- بيان طريق العبودية لله، (لجنة علمية، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم).
- العبودية لله تعالى (بسام شحادة، سورة الفاتحة دراسة موضوعية).
- تحقيق العبودية الخالصة لله (طه عابدين، الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة).

كل هذه المحاور التي ذكرها العلماء هي فروع من المقصد المحوري، فإن العبد إذا أقر باستحقاق الله لجميع المحامد، وجب عليه أن يراقب ربه في كل أمره، وأن يتبرك باسمه في كل شأنه، وأن يلزم طريق العبودية له، وأن يحقق تلك العبودية الخالصة له عزّ وجلّ، وكل ذلك لا يتأتّى إلا إذا هداه الله الصراط المستقيم .

فالمحاور التي ذكروها تتكامل معا، وتنطوي تحت المحور الأم الأكبر للفاتحة .

بعد هذا العرض لخلاصة آراء العلماء عن مقصد سورة الفاتحة يجتهد هذا البحث في أن مقصد الفاتحة العام هو: سؤال الله الهداية إلى الطريق المستقيم.

بل يرجح البحث أن هذا هو المقصد الأكبر في القرآن الكريم كله، فالقرآن الكريم كتاب هداية، قال ابن تيمية: «منْ تدبّر القرآنَ طالبًا للهدى منه تبيّن له طريقَ الحق»[(١)].

وذلك بأدلة، هي :

أولاً: الدليل من داخل سورة الفاتحة، في ضوء التحليل النصي لبناء الكلام، وترتيب جمله في السورة:

لأن البناء الدلالي للفاتحة يظهر أن ذروتها هو سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم، فما قبل ذلك توسل له، وما بعده بيان لذلك الصراط، فالسورة بدأت

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) ، (٣/ ١٣٧).

بالثناء على الله، ثم توحيده بالعبادة والاستعانة، وهذا كله توسلٌ إلى الله، وتمهيد للسؤال، وماذا بعد ذلك إلاَّ أنْ يسألَ السائل حاجته، وهي: "اهدنا الصراط المستقيم" وكل ما بعد هذه الآية بيانٌ لهذا الصراط، ومآلُ مَنْ هداه الله له فَنَجا، ومآلُ مَنْ حَادَ عنه فهلك ، فهو ذروة السورة، ومقصدها ، ومَأَمُّهَا .

ومما يؤيد ذلك ما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ مبينا محورية سؤال الله الهداية إلى الطريق المستقيم، حين قال : «إن الهداية للصراط المستقيم هي أجلُّ المطالب، ونيله أشرف المواهب، لذا علّم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه، وتمجيده، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم: توسلٌ إليه بأسمائه وصفاته، وتوسلٌ إليه بعبوديته، وهاتان الوسيلتان لا يكاد يردُّ معهما الدعاء...وقد جمعت الفاتحة الوسيلتين، وهما: التوسلُ بالحمد والثناء، والتوسلُ إليه بعبوديته وتوحيده، ثم جاء سؤال أهم المطالب، وأنجح الرغائب، وهو: الهداية، بعد الوسيلتين، فالداعي به حقيق بالإجابة»[(١)] مع أنه لم ينصَّ على جعل ذلك المقصد العام للفاتحة، لكن معنى كلامه السابق يثبت ذلك .

وحين تنظر للصورة البلاغية الجليلة في قوله : "الصراط المستقيم" تجدها دالة على المقصود غاية الدلالة، مع ما تتميز به جمال التصوير، في تلك الاستعارة التصريحية، حين شبّه الإسلامَ بالصراطِ المستقيم، والمستقيم :أي : الخط المستقيم، وهو أقصرُ خطٍّ يصل بين نقطتين، فهو أقصر من كل الخطوط المعوجة، وحين يهديك الله إلى الصراط المستقيم فإنه يرحمك ؛ لأنه أقصر طريق ، لما يعلم – سبحانه – من ضعفك وعجزك، والصراط المستقيم بينٌ واضحٌ لا يشتبه بغيره، ويوصل للمقصود، ولذلك نسأل الله الهداية إليه [(٢)].

(١) تفسير ابن القيم (ص٢٧) .

(٢) مفاتح الغيب ،المجلد الأول ، ٢٦١.

ثانياً: الدليل من خارج سورة الفاتحة:

في ضوء التحليل النصي لجملة: (اهدنا الصراط المستقيم) وفروعها في القرآن الكريم كله : حيث تتبع البحث المواطن التي جاء فيها ذكر الصراط المستقيم في القرآن كله، فكانت أكثر سورة تكرر فيها ذلك هي : سورة الأنعام، في خمس آيات، وهذا لم يقع في أي سورة أخرى من سور القرآن الكريم، ومن العجيب أنها بدأت بقوله تعالى: " الحمد لله " ثم سيطرت عليها ثنائية النور والظلام، قال عزو جل في مطلعها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١].

وفي كل ما سبق ما ينبّه إلى العلاقات الوشيجة بين سورة الفاتحة وسورة الأنعام، وكأنّ في سورة الأنعام بسطًا للقول عن الصراط المستقيم، وتحذير من كل ما يصرف عنه من شياطين الإنس والجن، أهل الظلمات، ولذا فإن المثل المؤثر البليغ الذي ضربه الله في سورة الأنعام يتضمن كل ما في السورة، حيث يقول سبحانه : ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٧١]، وتكررت كلمة الهدى هنا أربع مرات، فهذا حال من يحيد عن الصراط المستقيم، وذكر الطاهر بن عاشور أن الزمخشري قد أجاز أن يكون الهدى مستعارا للطريق المستقيم، وكثر في السورة ذكر الهدى والصراط المستقيم، وكان ختام ذلك في خواتيم السورة عن سيدنا إبراهيم: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام :١٦١].

"اهدنا الصراط المستقيم"، وتفرعاتها في القرآن الكريم، وتتبع اقترانها بـ (الحمد لله رب العالمين) وافتراقها عنها :

هذه الجملة هي المحور العام لأمّ القرآن، وهي مكونة من : سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم .

(الهداية، الصراط، المستقيم) هذه أصول امتدت فروعها في القرآن الكريم، وفي العديد من المواطن كانت ترد في السورة مع (الحمد لله رب العالمين) أو (الحمد لله) أو (حمد ربك)، وهذا الاقتران يدل على الارتباط العضوي الوشيج بين الآيتين، وأن تحقق الهداية للصراط المستقيم يوجب الحمد التام الدائم لله رب العالمين .

ويوضح الجدول التالي اقتران ذكر الآيتين وفق ترتيب المصحف الشريف :

السورة	"الحمد لله رب العالمين " وما يقاربها : " الحمد لله " " حمد ربك "	موقعها من السورة	عدد التكرار في السورة	"الصراط المستقيم " وما يقاربها : صراط الحميد صراط ربك سبيلك سبيل الرشاد	موقعها من السورة	عدد التكرار في السورة
الفاتحة	"الحمد لله رب العالمين"	أولها	١	"اهدنا الصراط المستقيم"٦	وسطها	١
البقرة	–	–	–	" ...يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم " ١٤٢ "... والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم" ٢١٣	وسطها في القسم الأخير	٢
آل عمران	–	–	–	"...فاعبدوه هذا صراط مستقيم " ٥١ " ... فقد هدي إلى صراط مستقيم " ١٠١	في القسم الأول في	٢

السورة	"الحمد لله رب العالمين " وما يقاربها : " الحمد لله " " حمد ربك "	موقعها من السورة	عدد التكرار في السورة	"الصراط المستقيم " وما يقاربها : صراط الحميد صراط ربك سبيلك سبيل الرشاد	موقعها من السورة	عدد التكرار في السورة
					الوسط	
النساء	–	–	–	" ... ولهديناهم صراطا مستقيما " ٦٨ " ... ويهديهم إليه صراطا مستقيما " ١٧٢		٢
المائدة	–	–	–	" ويهديهم إلى صراط مستقيم " ٢٦		١
الأنعام	" الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ..." ١ " فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين " ٤٥	أولها	٢	"...ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم "٣٩" ... وهديناهم إلى صراط مستقيم"٨٧" وهذا صراط ربك مستقيما " ١٢٦ "وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه " ١٥٣ "قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم " ١٦١		٥
الأعراف	" ..وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله	أوائل السورة	١	" قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم " ١٦ " ولا تقعدوا بكل صراط		١ نصا ٢ بمرادفه: (سبيل

السورة	"الحمد لله رب العالمين " وما يقاربها : " الحمد لله " " حمد ربك "	موقعها من السورة	عدد التكرار في السورة	"الصراط المستقيم " وما يقاربها : صراط الحميد صراط ربك سبيلك سبيل الرشاد	موقعها من السورة	عدد التكرار في السورة
	..." ٤٣			توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا ... " ٨٦ " ...وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ..." ١٤٦		(الله سبيل) الرشد)

لم ترد الصيغتان نصا في سورتي الأنفال والتوبة

يونس	" .... وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين " ١٠	في الآيات الأوائل	١	" ...ويهدي من يشأ إلى صراط مستقيم " ٢٥	في الآيات الأوائل	١
هود	–	–	–	" ... إن ربي على صراط مستقيم " ٥٦	في القسم الأول	١
لم ترد الصيغتان نصا في سورتي يوسف والرعد						
إبراهيم	" الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء" ٣٩		١	" ... إلى صراط العزيز الحميد " ١	أول آية	١
الحجر	" فسبح بحمد ربك	الآية	١	" قال هذا صراط عليّ	وسط	١

	وكن من الساجدين " ٩٨	قبل الأخيرة		مستقيم " ٤١	السورة	
النحل	"ضرب الله مثلا ... هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون " ٧٥	وسط السورة	١	"وضرب الله مثلا رجلين ... هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم " ٧٦ "... وهداه إلى صراط مستقيم " ١٢١	وسط السورة أواخر السورة	٢
الإسراء	" وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ... " ١١١	آخر آية في السورة	١	–	–	–
الكهف	" الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده .. "١	أول آية	١	–	–	–
مريم	–	–	–	" فاعبدوه هذا صراط مستقيم " ٣٦ " فاتبعني أهدك صراطا سويا " ٤٣		٢
طه	" فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل لعلك ترضى " ١٣٠	في القسم الأخير من السورة	١	" ... من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى " ١٥٣	آخر آية	١

لم ترد الصيغتان نصا في سورة الأنبياء

الحج	–	–	–	"....وهدوا إلى صراط الحميد " ٢٤ " وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم " ٥٤ " ... إنك لعلى هدى مستقيم " ٦٧		**٣**
المؤمنون	" فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين " ٢٨	وسط السورة	١	" وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم " ٧٣	وسط السورة	١
النور	–	–	–	" والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم " ٤٦	وسط السورة	١

لم ترد الصيغتان نصا في سورتي الفرقان والشعراء

النمل	" ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا ... " ١٥ " قل الحمد لله وسلام على عباده الذين أصطفى ..." ٥٩ " وقل الحمد لله سيريكم	أوائل السورة وسط السورة	٣	–	–	–

	آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون " ٩٣	آخر آية في السورة				
القصص	" وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون " ٧٠	القسم الأخير من السورة	١	–	–	–
العنكبوت	" ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء ... قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون " ٦٣	القسم الأخير من السورة	١	–	–	–
الروم	" وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون " ١٨	القسم الأول من السورة	١	–	–	–
لقمان	" ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون " ٢٥	القسم الأخير من السورة	١	–	–	–
السجدة	" إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بآيات ربهم خروا	القسم الأخير	١	–	–	–

	سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون " ١٥	من السورة				

سبأ	" الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير " ١	في أول السورة	٢	"... ويهدي إلى صراط العزيز الحميد " ٦	**في أوائل السورة**	**١**
فاطر	"الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا ذوي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير"١ " وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور " ٣٤	في أول آية ثم في النصف الأخير منها	٢	–	–	–
يس	–	–	–	"على صراط مستقيم " ٤ " وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم " ٦١	أوائل السورة النصف الثاني من السورة	٢

الصافات	" والحمد لله رب العالمين " ١٨٢	آخر آية	١	"وهديناهما الصراط المستقيم " ١١٨	وسط السورة	١
ص	–	–	–	" .. واهدنا إلى سواء الصراط " ٢٢	القسم الأول من السورة	١
الزمر	"ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون" ٢٩ " وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض ..." ٧٤ " وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقيل الحمد لله رب العالمين " ٧٥	آية ٢٩ في القسم الأول من السورة والباقي من آخر السورة	٤	–	–	–
غافر	"الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ... " ٧ " فاصبر إن وعد الله حق	آية ٧ في القسم الأول	٣	" ... فاغفر للذين آمنوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم " ٧ " وقال الذي آمن يا	آية ٧ في القسم الأول	٢

	واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار "٥٥ "هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين" ٦٥	من السورة . آية ٥٥ آية ٦٥ في وسط السورة		قومي اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد " ٣٨	من السورة آية ٣٨ في وسط السورة	
الشورى	" ... والملائكة يسبحون بحمد ربهم ... " ٥	في القسم الأول من السورة	١	" وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم " ٥٢ " صراط الله الذي له ما في السموات والأرض " ٥٣	آخر السورة	٢
الزخرف	–	–	–	"إنك على صراط مستقيم " ٤٣ "هذا صراط مستقيم" ٦١ "هذا صراط مستقيم" ٦٤	وسط السورة	٣
الجاثية	"فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين" ٣٦	الآية قبل الأخيرة	١	–	–	–
الأحقاف	–	–	–	" يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم " ٣٠	القسم الأخير	١

					من السورة	
الفتح	–	–	–	" ويهديك صراطا مستقيما " ٢ " ويهديكم صراطا مستقيما " ٢٠	أوائل السورة وسط السورة	٢

– لم ترد الصيغتان نصا في سورة الحجرات

	"فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب " ٣٩	في القسم الأخير من السورة		–	–	–

لم ترد الصيغتان نصا في سورة الذاريات

الطور	**" واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم " ٤٨**	**الآية قبل الأخيرة**	**١**	**–**	**–**	**–**
التغابن	"يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" ١	أول آية	١	–	–	–
الملك	–	–	–	" ... أمن يمشي سويا	النصف	١

				على صراط مستقيم " ٢٢	الأخير من السورة	
النصر	"فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا" ٣	آخر آية	١	–	–	–

نتائج مستخلصة من الجدول أعلاه :

حيث سنحدد السور التي جاءت فيها الصيغتان أقرب ما يكون لما ورد في الفاتحة ؛ لأن ذلك علامة أسلوبية على عمق العلاقة بين تلك السور .

- السور التي وردت فيها الصيغتان معا، وأقرب ما يكون لما ورد في الفاتحة، وقع ذلك في اثنتي عشرة سورة هي وفق ترتيب المصحف الشريف :

الفاتحة، والأنعام، والأعراف، ويونس، وإبراهيم، والحجر، والنحل، وطه، والمؤمنون، وسبأ، والصافات، وغافر، والشورى .

فإذا دققنا النظر في أكثر تلك السور قربا مما ورد في الفاتحة وجدنا ثلاث سور، هي : الأنعام، ثم الصافات، ثم يونس، وتتصدر سورة الأنعام القائمة ؛ لأنها جاءت فيها الصيغتان مثلما وردتا في الفاتحة : "والحمد لله رب العالمين "و"صراط مستقيم" مع كثافة في التكرار، فالحمد له وردت مرتين، و(صراط مستقيم) تكررت خمس مرات، وهذا أعلى نسبة تقارب مع الفاتحة، مما يشير إلي علاقة وطيدة متميزة بين السورتين، والذي أراه – والله أعلم – أن السور التي بعد الفاتحة، وقبل الأنعام، وهي أربع سور: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، ربما بسطت موضوعات كبرى في الفاتحة، ثم عاد البيان الإلهي للتذكير بمعنى كلي جذري ورد في الفاتحة، فركز القول عليه في الأنعام، وأظنه الهداية إلى الصراط المستقيم، لأن

لفظي الهدى والضلال تكررا كثيرا في الأنعام، مع ثنائية النور والظلام التي ذكرت منذ مطلع سورة الأنعام، والله أعلم.

يلي سورة الأنعام في القرب من الفاتحة سورة الصافات، فقد وردت فيها الصيغتان مثل الفاتحة: (الحمد لله رب العالمين) و (وهديناهما الصراط المستقيم) كل منهما ورد مرة واحدة، ولعل هذا القرب الشديد من الفاتحة جعل للسورة تأثيرها المشهور في علاج المبتلى بالأذى الشيطاني، والله أعلم .

وفي المرتبة الثالثة في القرب من الفاتحة تأتي سورة يونس، (الحمد لله رب العالمين) و (يهدي من يشأ إلى صراط مستقيم) .

- يقترح البحث إجراء دراسات للسور التي انفردت بصيغة الحمد، وللسور التي انفردت بصيغة الصراط المستقيم، وعلة ذلك .
- ويقترح البحث إجراء دراسات للسور التي خلت من الصيغتين، وعلة ذلك .
- السور التي لم يرد فيها أي من الصيغتين :

حيث لم ترد الصيغتان (الحمد لله)، و (الهداية للصراط المستقيم) نصا في سور، هي على ترتيب المصحف الشريف: الأنفال، والتوبة، ويوسف، والحجر، والأنبياء، والفرقان، والشعراء، والحجرات، والذاريات، وفي كل السور بعد سورة الملك إلى نهاية القرآن الكريم، إلا في سورة النصر وردت فيها صيغة (بحمد ربك).

ولم يتبين لي وجه ذلك، لأنه في حاجة إلى تحليل متعمق لكل تلك السور، وإن كنت أرجح أن غيابها نصا قد ينوب عنه حضور ضمني دلالي، والله أعلم .

- الذي يظهر لي أن لسورة الملك خصوصية عما سواها، فلم ترد صيغة (الصراط المستقيم) نصا في كل السور بعد سورة الملك إلى نهاية القرآن، وعدد تلك السور ٤٧ سورة، وهذا يجعلها جديرة بالبحث من هذا المنظور .

- **ثانياً: المناسبات الداخلية في سورة الفاتحة :**

إذا استطاع الباحث تحديد المقصد العام للسورة، عندها يتجلَّى له أوجه العلاقات والمناسبات في بنية السورة الداخلية، وفي علاقات السورة مع ما سواها من السور، أي في مناسباتها الخارجية .

ونشرع الآن في بيان المناسبات الداخلية في سورة الفاتحة، ولها عدة أوجه، هي :

١) مناسبة المطلع للمقصد :

إن مطلع الفاتحة الجليل "الحمد لله رب العالمين" مناسب أشد المناسبة لمقصدها العام، وهو : سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم، وكأن تلك الهداية إذا سألها العبد من رب العالمين، فهي متحققة ولا ريب، ولذا جاء تعليم العباد كيف يحمدون الله على أعظم هبة، وأجلّ نعمة، وهي : الهداية إلى الصراط المستقيم، ولذا اقترن ذكر الحمد لله رب العالمين، بذكر الهداية إلى الصراط المستقيم في مواطن كثيرة من القرآن الكريم كما سلف بيانه، وإنما يدل هذا الاقتران على ما بين مطلع الفاتحة ومقصدها من التناسب العميق .

ومطلع الفاتحة جاء فيه أبلغ الصفات للرب سبحانه، وأعمها، وأشملها ؛ لأنها أم القرآن، وبذلك اختلفت عن بقية السور التي بدأت بالحمد، قال الجويني : «ابتدأت الفاتحة بقوله "الحمد لله رب العالمين" فوصف بأنه مالك جميع المخلوقات، وفي الأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر، لم يوصف بذلك، بل بفرد من أفراد صفاته، وهو خلق السموات والأرض، والظلمات والنور في (الأنعام)، وأنزل الكتاب في (الكهف)، وملك ما في السموات والأرض في (سبأ)، وخلقهما في (فاطر) ؛ لأن الفاتحة أم القرآن، ومطلعه، فناسب الإتيان فيها بأبلغ الصفات، وأعمها، وأشملها»[(١)].

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم الحسيني (ت ١١١٩هـ) ، د ط ، د ت (ج١/ ٦).

وإذا كان مقصد الفاتحة هو مقصد القرآن الكريم كله ؛ لأنها أم القرآن، فإن مطلعها قد تحقق فيه براعة الاستهلال، لأنه «نبّه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن، وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال ... فإن فيها الأمر بالقراءة، والبدء فيها باسم الله، وفيه الإشارة إلى علة الأحكام، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب، وإثبات ذاته وصفاته»[(١)].

٢) مناسبة المطلع للخاتمة :

"الحمد لله رب العالمين" وصفها الفخر الرازي بأن فيها أسرارا عجيبة، ولطائف عالية، وكلها بأسرها تجري مجرى الأنواع الداخلة تحت البحر الأعظم المذكور في قوله : « "الحمد لله رب العالمين"[(٢)] جاء أول السورة مشتملا على الحمد لله، والثناء عليه، والمدح له، وآخرها مشتملًا على الذم للمعرضين عن الإيمان به، والإقرار بطاعته، وهذا يدل أن مطلع الخيرات، وعنوان السعادات هو الإقبال على الله، ومطلع الآفات، ورأس المخافات هو الإعراض عن الله تعالى»[(٣)].

٣) مناسبة الخاتمة للمقصد :

جاءت خاتمة الفاتحة مناسبة لمقصدها، وهو الهداية إلى الصراط المستقيم، وأن من نال ذلك فهو من الذين أنعم الله عليهم، وهنا يأتي في الخاتمة تفصيل جملة المطلوب من العباد، «إذ المطلوب الأعلى : الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله، والضلال، ففصّل جملة ذلك بقوله : "الذين أنعمتَ عليهم" والمراد : المؤمنين، ولذلك أطلق الإنعام، ولم يقيده ؛ ليتناول كل إنعام ؛ لأن من أنعم عليه بنعمة الإيمان فقد أنعم عليه بكل نعمة ؛ لأن نعمة الإيمان مستتبعة لجميع النعم، ثم وصفهم بقوله "غير المغضوب عليهم، ولا الضالين" يعني أنهم جمعوا بين النعمة

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم الحسيني ، (ج١/ ٦) .
(٢) مفاتح الغيب، المجلد الأول ، ١٨٧.
(٣) المصدر نفسه، المجلد الأول ، ٢٦٦.

المطلقة، وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من غضب الله والضلال، المسبَّبِينِ عن معاصيه، وتعدّي حدوده»[١]، وقد لاحظ العلماء هذا التناسب بين مطلع الفاتحة ومقصدها، أي ما يناسب معناها، فمن ذلك قول أحدهم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ألا ترى إلى ما ختم به سورة الفاتحة وسورة البقرة، فأما الفاتحة فختمها بما يناسب معناها، ويطابق لفظها، من حسن التأليف، وجزالة اللفظ، بذكر الصنفين المغضوب عليهم من اليهود والنصارى، وأن لا يجعلنا منهما، ويتم لنا هدايته الكاملة إلى حججه الواضحة»[٢].

٤) مناسبة الخاتمة للمطلع :

ينبغي التفريق بين المقطع والخاتمة، فالمقطع هو الجملة الأخيرة من السورة، وأما الخاتمة فهي الفكرة الأخيرة من السورة، وقد تمتد لتشمل عدة جمل .

وخاتمة الفاتحة هي: "صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين"، وقد جاءت هذه الخاتمة متناسبة غاية التناسب مع المطلع : "الحمد لله رب العالمين " وكأن الخاتمة تعيدك للمطلع ؛ لأن الذي ينعم على عباده بالهداية إلى الصراط المستقيم، وينجيهم من غواية المغضوب عليهم والضالين، مستحق للحمد التام الكامل، فيعلمنا الله ذلك، قولوا : " الحمد لله رب العالمين " .

- **ثالثا: المناسبات الخارجية في سورة الفاتحة :**

(١) مناسبة الفاتحة للسورة التي بعدها، وهي سورة البقرة :

في ختام الفاتحة ذكر الله أن عباده سألوه الهداية إلى الصراط المستقيم، والنجاة من سبل الهالكين، وهنا أتت سورة البقرة لتبين أن الصراط المستقيم هو في ذلك الكتاب الذي لاريب فيه هدى للمتقين [٣].

---

(١) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي (ج١/ ١٨٢).

(٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي اليماني (٧٤٥ هـ)، تحقيق: الشربيني شريدة ، دار الحديث ، القاهرة، د ط، ٢٠١٠ م (ج١/ ١٦٤) .

(٣) نظم الدرر (ج١/ ٣٢).

(٢) مناسبة سورة الفاتحة للسور المفتتحة بالحمد لله:

جاء في كتاب الله العزيز خمس سور مفتتحة بالحمد لله، وهي على ترتيبها في المصحف : الفاتحة، ثم الأنعام، ثم الكهف، ثم سبأ، ثم فاطر.

ومجيء الفاتحة أولها، وكونها أم القرآن، يدل على أن الحمد فيها أشمل من كل سور القرآن عامة، وأشمل أيضا من الحمد الوارد في السور الأربع خاصة، وقد فصل الرازي، فذكر[١] أن في مطلع سورة الأنعام:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام:١] فالمذكور هنا قسم من أقسام العالمين، وهي: السموات والأرض والظلمات والنور، فبذلك يجري مجرى قسم من أقسام ما ذكر في الفاتحة، وفي الكهف: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف:١] والمقصود تربية الأرواح بالمعارف، أي تربية روحانية، أما في (رب العالمين) فالتربية عامة، وبذلك فما ذكر في الكهف نوع من أنواع التربية، وفي سورة (سبأ) قال سبحانه:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ:١] فبيّن أن الأشياء الحاصلة في السموات والأرض له، وهذا قِسْمٌ من العالمين، ثم في (فاطر) قال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر:١] وفَطْرُ السموات والأرض وإحداثها قِسْمٌ من أقسام العالمين.

(٣) مناسبة الفاتحة للقرآن كله:

اشتملت الفاتحة على أمهات مقاصد القرآن، ولذلك سميت : أم القرآن، وأم الكتاب، وقد اتفق العلماء أن وجه تقدم الفاتحة في ترتيب القرآن عائد إلى «تضمنها مجملا لكل ما تفصل في الكتاب العزيز بجملته، وهذا أوضح وجه في تقدمها سوره الكريمة»[٢]وذلك المجمل ذكروا أنه ثلاثة أصول: «وقد اشتملت على أصول معاني

(١) مفاتيح الغيب، المجلد الأول (١٨٦، ١٨٧).

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن، ابن الزبير الغرناطي، أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (٧٠٨هـ)، تحقيق : محمد شعباني، وزارة الأوقاف الإسلامية، المغرب، د ط ،١٩٩٠م ، ١٨٧.

القرآن، وهي ثلاثة: الأول: الثناء على الله بما هو أهله، الثاني : تعبد العباد وتكليفهم بالأمر والنهي، الثالث الوعد والوعيد بالترغيب والترهيب»[١]، فهي منزَّلة من القرآن منزلة الديباجة من الكتاب، أو المقدمة للخطبة، وكونها كالمقدمة للقرآن جعلها تتصف بثلاث خصال : الإيجاز، وبراعة الاستهلال ، لأنها تشير للغرض المقصود، وأن تكون من جوامع الكلم[٢].

ويظهر أقوى أوجه التناسب في مناسبة مطلع الفاتحة خاصة، لأن مطلع السورة هو البسملة، يليه الحمد لله ، وهي إجمال لكل ما في الفاتحة، كما أن الفاتحة إجمال لكل القرآن، وهذا وجه تصدر البسملة في الفاتحة كما بيّن البقاعي، حيث قال : «فلما كانت نسبة البسملة من الفاتحة، نسبة الفاتحة من القرآن، صُدّرتْ بها الفاتحة، كما صدر القرآن بالفاتحة»[٣] ولذا كما أن الفاتحة إجمال لكل القرآن، فالبسملة إجمال لكل الفاتحة .

ولعل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ من أبرز من تغلغل في تفسير الفاتحة، وذكر أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال، وهي : التعريف بالمعبود بثلاثة أسماء مرجع كل الأسماء الحسنى والصفات العلى إليها، وهي: "الله، والرب، والرحمن " ، وتضمنت إثبات المعاد، وتضمنت إثبات النبوات[٤] .

وإذا كان مقصد الفاتحة هو سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم، فإن هذا المقصد هو الذي عليه المدار في القرآن الكريم كله، وإنما القرآن كله كتاب هداية إلى الصراط المستقيم .

(١) حاشيته على الكشاف ،الجرجاني (ج١/ ٢٣).
(٢) بتصرف عن : التحرير والتنوير (ج١- ١٥٣).
(٣) نظم الدرر (ج١/ ١٣).
(٤) مدارج السالكين (ج١/ ٤٦، ٤٧).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد .

فقد سعى هذا البحث إلى تطبيق منهج من أنفع المناهج النقدية، وهو منهج علم المناسبة، وبدا من خلال ذلك التطبيق مدى ما يمكن أن يكشف عنه من أسرار الكلام، وأجلّ ذلك ما يسفر عنه عند دراسة سور القرآن الكريم، وقد جعلت التطبيق على سورة الفاتحة لما لها من الأهمية البالغة، ولبيان أن أهم محور في السورة وهو مقصدها العام الذي ظل ملثما بتعدد الأقوال عنه، فشرحت سبب ذلك، ثم اجتهدت في تحديد مقصد السورة العام اعتمادا على الأدلة النصية من السورة، ومن القرآن الكريم عامة، ورجّحت أن مقصد الفاتحة هو: طلب الهداية إلى الصراط المستقيم، وانتهى البحث إلى التأكيد على أن لكل سورة في القرآن الكريم مقصد عام واحد لا يتعدد ، وتندرج تحته مقاصد فرعية تتفرع منه، وترجع إليه، وأن مما يعين المفسر على اكتشاف المقصد العام أن يجرى تحليلا دقيقا لكل مستويات السورة، كي يكتشف مقصدها العام، وخير ما يعينه في ذلك: تطبيق منهجية علم المناسبات، ويوصي البحث بتطبيق هذا المنهج في سور قرآنية أخرى لجلاء العديد من القضايا التفسيرية المهمة وفق منهجية علمية دقيقة، ولله الحمد أولا وآخرا .

فهرس المصادر والمراجع

١) **الإتقان في علوم القرآن**، السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، حققه وعلق عليه: فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط، ٢٠١٠م .

٢) **أساس البلاغة**، الزمخشري، جار الله، أبو القاسم، محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، ١٩٨٩م.

٣) **أضواء على الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة**، صالح بن محمد الزهراني، بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات القرآنية ، ع٤، السنة الثانية.

٤) **إعجاز القرآن**، الباقلاني، أبو بكر، محمد بن الطيب(٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد الصقر، دار المعارف، مصر، ط٣ ، د ت.

٥) **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، البيضاوي، ناصر الدين، أبو سعيد، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي(ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٦) **أنوار الربيع في أنواع البديع**، ابن معصوم الحسيني (ت ١١١٩هـ)، د ط، د ت.

٧) **الإيضاح في علوم البلاغة**، محمد بن عبد الرحمن القزويني(ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣، د ت.

٨) **بدائع الفوائد**، ابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

٩) **البرهان في تناسب سور القرآن**، ابن الزبير الغرناطي، أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي(٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف الإسلامية، المغرب ، د ط ، ١٩٩٠م.

١٠) **البرهان في علوم القرآن**، الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن عبد الله بن بهادر (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٧م .

١١) **البسيط**، الواحدي، أبو الحسن، علي بن أحمد (ت ٤٦٨هـ)، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠.

١٢) **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، الفيروز آبادي، مجد الدين، أبو طاهر، محمد بن يعقوب (٨١٧هـ)،تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، د ط، ١٩٩٦م.

١٣) **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط ١٧، ٢٠٠٥م.

١٤) **بلاغة تناسب الألفاظ والمعاني في الآيات السبع المثاني**، معن توفيق دحام، وعدنان عبد السلام الأسعد، بحث منشور في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد ١٢، العدد ٤، ٢٠١٣م.

١٥) **البيان والتبيين**، الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر الكناني (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق : عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، ط٢، د ت.

١٦) **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور(ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، ١٩٨٤م.

١٧) **تحقيق الإفصاح في إعراب سورة الفاتحة**، عبد الله بن محمد الأشتبي(ت١٠٨١هـ)، تحقيق: ياسر محمد الخليل، تحقيق منشور في مجلة العلوم الشرعية بجامعة القصيم، مج ١١، ع٤، ٢٠١٨م.

١٨) **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، أبو الفداء، الحافظ بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، كتب هوامشه وضبطه: حسين بن إبراهيم زهران، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د ط، ١٩٩٢م.

١٩) **تفسير القرآن الكريم**، ابن قيم الجوزية، محد بن أبي بكر بن أيوب (٧٥١هـ) المحقق : مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١ – ١٤١٠هـ.

٢٠) **الجامع لأحكام القرآن** – القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧هـ)، مراجعة : صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر، د ط ، ١٩٩٣م.

٢١) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (٣١٠هـ)، تحقيق : أحمد عبد الرازق البكري وآخرون، دار السلام للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٩م.

٢٢) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، الألوسي، محمود البغدادي الألوسي (١٢٧٠هـ)، دار الفكر، بيروت، د ط، ١٩٨٧م.

٢٣) **سورة الفاتحة، دراسة موضوعية**، بسام رضوان شحادة عليان، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية ، غزة، ٢٠٠٨م.

٢٤) **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، يحيى بن حمزة العلوي اليماني (٧٤٥ هـ)، تحقيق : الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، د ط، ٢٠١٠م.

٢٥) **العدول عن أسلوب الإنشاء إلى الخبر في نماذج من آيات الذكر الحكيم، دراسة بلاغية تحليلية**، غالب بن محمد الشاويش، بحث منشور في المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، مج ٦، العدد ٢ ، ٢٠١٠م.

٢٦) **علم المناسبات في السور والآيات**، محمد بن عمر بازمول، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط١، ٢٠٠٢م.

٢٧) **علم المناسبة القرآنية، مدخل في الماهية والأسس**، بن صالح غربي، بحث منشور في مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، مج ٢٤، ع١، ٢٠٢٢م.

٢٨) **علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه**، نور الدين عتر، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط١، ٢٠١١م.

٢٩) **علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)**، أحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ).

٣٠) **لسان العرب**، ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

٣١) **لمسات بيانية في فصول من التنزيل**، فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط٣ ، ٢٠٠٣م.

٣٢) **مباحث في التفسير الموضوعي**، مصطفى مسلم، دار القلم، ط٤، ٢٠٠٥م.

٣٣) **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ابن الأثير، ضياء الدين، نصر الله، محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٧هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د ط،١٩٩٥م.

٣٤) **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية(ت ٧٥١هـ)، حققه وخرّج أحاديثه: إياد عبد اللطيف بن إبراهيم القبيسي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ٢٠٠٥م.

٣٥) **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، البقاعي، برهان الدين، أبو الحسن، إبراهيم بن عمر (ت٨٨٥هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٣٦) **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، البغوي، أبو محمد، الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ ، ١٤٢٠هـ.

٣٧) **معاني القرآن**، الأخفش ، أبو الحسن، الآخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، تحقيق : هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م .

٣٨) **معاني القرآن وإعرابه**، الزجاج، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل (٣١١ هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٣٩) **معاني القرآن**، النحاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت ٣٣٨ هـ)، تحقيق : محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، ط١ ، ١٤٠٩هـ.

٤٠) **معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٤١) **معجم مقاييس اللغة**، ابن فارس، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق : عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، دط، دت.

٤٢) **مفاتيح الغيب**، الفخر الرازي، فخر الدين بن ضياء الدين عمر (ت ٦٠٤هـ)، دار الفكر، بيروت، د ط، ١٩٩٣م .

٤٣) **مقاصد المقاصد، الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة**، أحمد الريسوني، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.

٤٤) **الموشح**، المرزباني ، محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، د ت.

٤٥) **المناسبة، وعلاقتها بالتماسك النصي بين النظرية والتطبيق**، خليل عبد المعطي المايع، بحث منشور في مجلة أبحاث جامعة البصرة للعلوم الإنسانية، العدد١ ، مج ٤٣، ٢٠١٨م.

٤٦) **من القيم الدلالية لفواصل القرآن الكريم**، نائل إسماعيل، بحث منشور في مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، مج ٢٦، ع ٦، ٢٠١٢م.

٤٧) **النظم البلاغي في سورة الفاتحة**، نايف جردو أحمد حسن الساداني، بحث منشور في مجلة جامعة الموصل، العراق، ع ٦٩، ٢٠١٤م.

٤٨) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، البقاعي، برهان الدين، أبو الحسن، إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، خرَّج آياته وأحاديثه : عبد الرزق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٤٩) **النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى**، محمد الحمود النجدي، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط٨، ٢٠٢٠م.

٥٠) **الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة**، طه عابدين طه، بحث منشور بمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٥٤، ٢٠١٢م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	٣٢٩
المقدمة	٣٣٠
التمهيد	٣٣٦
أولا: بين يدي السورة (اسم السورة)	٣٣٦
ثانيا: مفهوم علم المناسبة لغة واصطلاحا	٣٣٨
١ – أهمية علم المناسبات	٣٣٩
٢ – أصل علم المناسبات	٣٤٠
٣ – فوائد علم المناسبات	٣٤٠
المبحث الأول : المستوى الاستكشافي	٣٤٤
• أقسام السورة	٣٤٤
المبحث الثاني: المستوى التفسيري	٣٤٥
• التناسب الصوتي	٣٤٥
• التناسب اللغوي	٣٤٩
• التناسب النحوي	٣٦١
• التناسب البلاغي	٣٦٩
المبحث الثالث: المستوى التأويلي	٣٨٢
أولا: المقصد العام لسورة الفاتحة	٣٨٢
ثانيا: المناسبات الداخلية	٤٠١
١ – مناسبة المطلع للمقصد	٤٠١
٢ – مناسبة المطلع للخاتمة	٤٠٢

الموضوع	الصفحة
٣ – مناسبة الخاتمة للمقصد	٤٠٢
٤ – مناسبة الخاتمة للمطلع	٤٠٣
ثالثا: المناسبات الخارجية	٤٠٣
١ – مناسبة السورة لما بعدها	٤٠٣
٢ – مناسبة السورة للسور المفتتحة بالحمد لله	٤٠٤
٣ – مناسبة الفاتحة للقرآن كله	٤٠٤
الخاتمة	٤٠٦
فهرس المصادر والمراجع	٤٠٧
فهرس الموضوعات	٤١١

مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية

مادة (حسِب) في القرآن الكريم
دراسة دلالية

إعداد

د. عبد العزيز بن عمر عماري

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها
بجامعة الملك عبد العزيز

- من مواليد عام ١٤٠٠هـ بمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية.
- تخرج في كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بمدينة جدة عام ١٤٢٣هـ.
- نال شهادة الماجستير من قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز عام ١٤٣٣هـ بأطروحة: "منهج توجيه المشكلات النحوية في كتب معاني القرآن، الفراء والأخفش والنحاس أنموذجًا"، كما نال شهادة الدكتوراه منه عام ١٤٣٨هـ بأطروحة: "الصور والأسس التركيبية والدلالية للوقف في القرآن الكريم: المكتفى في الوقف والابتدا للداني نموذجًا".
- من أعماله المنشورة: "السبب اللغوي في الحكم على الوقوف القرآنية: دراسة في النصف الثاني من القرآن الكريم".
- البريد الشبكي: aammari@kau.edu.sa

(قدم للنشر في ١٤٤٤/٣/٢٦هـ ؛ وقبل للنشر في ١٤٤٤/٥/١٩هـ)

الملخص

يسعى البحث للإجابة عما يتصل بمـادة (حسب) ومشتقاتها؛ هل جاءت في القرآن على معنى واحد أو على أكثر من معنى؟ وهل استعمل القرآن الكريم جميع المعاني المعجمية الواردة للفعل؟ وعن دور السياق في تحديد المعنى الدقيق للمفردة، كما يسعى البحث لفهم ألفاظ القرآن بالرجوع إلى المصادر الرئيسة في ذلك، والمقارنة بين ما جاء في تفسير القرآن الكريم وما ورد في المعاجم اللغوية، وتطبيق بعض أدوات الدرس الدلالي الحديث فيما جاء في مادة حسب في القرآن الكريم، محاولاً استجلاء المعنى الدقيق للفظ في الكتاب العزيز، استخدم البحث المنهج الوصفي لما ورد في كتب المعجم اللغوي وتفسير القرآن الكريم وعلومه واستقصاء ما ورد فيها، والعمل على تحليل نماذج مختارة من الآيات والتي وردت فيها مادة حسب ومشتقاتها، وقد جاءت اللفظة متسقة مع ما جاء عن العرب في المعاجم من معاني حسب مع تفرد في توظيف مادة حسب في السياق القرآني والذي يبرز المعنى الدقيق لها، كما أن غالبية معاني مفردات مادة حسب في القرآن الكريم جاءت على توافق مع المعنى الأساس الذي تذكره المعاجم اللغوية، ولسياق الآيات الكريمة دور بارز في تحديد هذا المعنى بدقة، والبحث الدلالي في القرآن الكريم من الميادين الفسيحة التي ينبغي أن يلتفت إليها الباحثون في علوم اللغة ودراسة لغة القرآن الكريم باعتبارها نموذجًا ساميًا للعربية.

الكلمات المفتاحية: علم الدلالة، مادة حسب، نظريات لغوية، ألفاظ القرآن الكريم.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وعلى آله وصحبه؛ وبعد:

فمن أشرف ما يشتغل الباحثون به البحث في كنوز كتاب الله العزيز، والوقوف على أسرار تراكيبه وألفاظه والمعاني التي جاء بها القرآن الكريم، والعربية من أكثر العلوم التصاقًا بالكتاب العزيز، إذ شرَّف الله تعالى لغة العرب بأن نزل القرآن بها ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف:٢].

وميدان الدلالة والبحث في معاني ألفاظ القرآن الكريم من أهم الميادين التي تجلي المعنى أمام الباحثين، وفي النظريات الحديثة التي قدمت لنا نماذج واعية في الدرس الدلالي ونظرياته الحديثة ما نحاول معه الوقوف على أهم مرتكزاتها وتطبيق ذلك على أشرف الألفاظ ألفاظ القرآن الكريم، ويسعى البحث للإجابة عما يتصل بمادة (حسب) ومشتقاتها؛ هل جاءت في القرآن على معنى واحد أو على أكثر من معنى؟ وهل استعمل القرآن الكريم جميع المعاني المعجمية الواردة للفعل؟ وعن دور السياق في تحديد المعنى الدقيق للفعل، وقد جاء اختيار مادة حسب لكثرة ورودها في القرآن الكريم إذ وردت بمشتقاتها في أكثر من مئة موضع من القرآن الكريم، كما أن مادة حسب تعددت سياقات ورودها في القرآن الكريم.

يسعى البحث لفهم ألفاظ القرآن بالرجوع إلى المصادر الرئيسة في ذلك ككتب التفسير وعلوم القرآن، كما يسعى إلى المقارنة بين ما جاء في تفسير القرآن الكريم مع ما ورد في المعاجم اللغوية، وإلى تطبيق بعض أدوات الدرس الدلالي الحديث فيما جاء في مادة حسب في القرآن الكريم، محاولاً استجلاء المعنى الدقيق للفظ في الكتاب العزيز.

استخدم البحث المنهج الوصفي لما ورد في كتب المعجم اللغوي وتفسير القرآن

الكريم وعلومه واستقصاء ما ورد فيها عن مادة حسب، كما تم تحليل نماذج مختارة من آيات القرآن الكريم والتي وردت فيها مادة حسب ومشتقاتها والوقوف على المعنى الدقيق لمادة حسب فيها؛ وقد تم اختيارها بناء على تنوع معنى حسب فيها مع مراعاة الأخذ من مواضع متفرقة من القرآن الكريم، ويبدأ التحليل اللغوي بما ورد عند المفسرين ومقارنة ذلك بما ورد في كتب المعاجم اللغوية ودراسة تأثير السياق في تحديد المعنى الدقيق للكلمة.

وقف الباحث على دراسات سابقة منشورة تقترب من موضوع البحث لكنها لا توافقه في العنوان ولا في منهج الدراسة منها: دلالة الفعل دخل في القرآن الكريم للباحثة سعدية مصطفى من كلية الألسن جامعة عين شمس، ودلالة الفعلين عرف وعلم وموارديهما في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية للباحث إحسان حسن صالح والمنشور في مجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، وألفاظ الإتقان والإحكام في القرآن الكريم بحث في الفروق الدلالية للباحث خير الله الشمري والمنشور في المجلة الشرقية بجامعة إسطنبول، وتختلف هذه الدراسات عن موضوع بحثنا في اختيار مادة حسب وفي المنهج الذي سارت عليه الدراسة.

تم تقسيم البحث إلى مبحثين؛ المبحث الأول: تناول استعراض معاني مادة حسب في المعجم اللغوي وفي القرآن الكريم، مع المعاني الإضافية التي وردت لحسب ومشتقاتها في القرآن الكريم، ثم الخاتمة التي نقف معها على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

المبحث الأول

معاني مادة (حسب)

أولاً: المعنى المعجمي

يذكر ابن فارس في الحاء والسين والباء أصولاً أربعة: «فالأول: العدّ. ومن ذلك الحِسْبانُ الظنّ، لأنّه إذا قلنا حسِبته كذا من باب ظننته كذا فمعناه: هو في الذي أعُدُّه من الأمور الكائنة، والمعنى الثاني: الكِفاية. تقول شيء حِسَابٌ، أي كافٍ... والثالث: الحُسْبَانُ، ومنه حُسبانَةٍ، وهي الوِسادة الصغيرة...أما المعنى الرابع: فالأحسب الذي ابيضَّت جِلدتُه من داءٍ ففسدت شَعرته، كأنَّه أبرص»[(١)] .

وهذه المعاني عليها مدار مادة حسب بتصريفاتها المختلفة كما سيرد معنا، ويذكر الخليل الحَسَبُ بمعنى الشَرَف الثابت في الآباء، ويأتي بمعنى القدر كقولك: الأجْر على حَسَب ذلك أي على قَدْره، وحَسْبُك هذا أيْ: كَفاكَ، والحِسابُ : عدُّ الأشياءَ . وذكر قول الله تعالى: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فقد يكون المعنى بغير تقدير على أجْرٍ بالنقصان وقد يقال أن المعنى بغير مُحاسَبةٍ، كما أن المعنى قد يأتي كمن يقول أعطاه من حيثُ لم يحتسِبْ، واحتسبْتُ أيضاً من الحِساب والحِسْبة مصدر احتِسابك الأجْر عند الله، كما يأتي الحُسْبان من الظنّ، حَسِبَ يحسبُ، لغتان، حُسْباناً في قول الله تعالى:﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي قُدِّر لهما حِسابٌ معلوم وأما حسبانا في قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أيْ ناراً تُحرِقُها، ويذكر أن الحُسْبان: سِهام قَصار، والأَحْسَبُ: الأبرص الذي ابيضَّتْ جِلدتُه من داءٍ ففَسَدَتْ شَعَرتُه فصار أحمَرَ وأبيَضَ، والحَسْبُ والتَحسيب: دَفْن الميِّت في الحجارة[(٢)].

ويذكر الجوهري معاني (حسب) بأنها تأتي بمعنى العد حسب أحسبه بالضم، وقد تأتي بمعنى القدر في مثل قولنا: ما أدري ما حسب حديثك أي ما قدره، وقد

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، كتاب الحاء.

(٢) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، باب الحاء والسين والباء.

يكون في معنى الشرف وهو الحسب الذي يكون في الرجل، وقد تأتي بمعنى الأجر من الحسبة فيمن يقول احتسبت، وقد يكون معناه الظن في حسبته أحسبه بالفتح والكسر فيها شاذ، كما أورد معاني أخرى منها البياض والحمرة في الإبل يقال له الأحسب، ومنها الإعطاء كقولنا: أحسبته حسبته بالتشديد[١] .

وفي القاموس أورد معاني منها: العد، وما تعده من المفاخر، ومن الكفاية إذا قلنا حسبك كذا، وحسيبك الله أي انتقم الله منك، وقد تأتي بمعنى الأجر، أو التدبير كما يقال حسن الحسبة أي حسن التدبير، والأحسب بعير فيه بياض وحمرة، وحسِبه بمعنى ظنه ومصدره حسبان، كما أن الحَسْبُ والتَّحْسِيبُ : دَفْنُ المَيّتِ في الحِجارةِ أو مُكَفَّناً، وحَسَّبَهُ: وسَّدَهُ وأطْعَمَه وسقَاهُ حتى شَبِعَ ورَوِيَ، واحْتَسَبَ عليه : أنْكَر ومنه : المُحْتَسِبُ ومن احتسب ابْناً أو بِنْتاً: أي ماتَ كبيراً فأما من ماتَ صَغِيراً قيلَ : افْتَرَطَهُ . واحتسب الأجر عند الله أي اعْتَدَّهُ يَنْوِي به وَجْهَ اللهِّ، وأحْسَبَهُ : أرضاهُ.[٢]

وقد أطال ابن منظور في اللسان في استقصاء اللفظ وما يشتق منه؛ ولفائدة الكلام أورد أهم المعاني التي وقف عليها، عد ابن منظور من المعاني ما ورد في اسم اللهّ تعالى الحَسِيبُ هو الكافي، وأورد الحَسَبُ وهو الشَّرَفُ الثابِتُ في الآباءِ وقيل هو الشَّرَفُ في الفِعْل، كما أن الحَسَب العَدُّ والمَعْدُود والحَسَبُ والحَسْبُ قَدْرُ الشيءِ، وأَمَّا حَسْبُ فمعناها الاكْتِفاءُ كقولنا: حَسْبُكَ دِرْهم أَي كَفاكَ، وتقول العرب: أَعْطَى فأَحْسَبَ أَي أَكثَر، وحَسْبِي أَبو زيد أَحْسَبْتُ الرَّجلَ أَعْطَيْتُه ما يَرْضَى وذكر في معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ أي: يَكْفِيكَ اللهُ ويَكْفِي مَن اتَّبَعَكَ، وأورد قول أبي إسحاق في قوله عز وجل:﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ يكون بمعنى مُحاسِباً ويكون بمعنى كافِياً، وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، باب الباء فصل الحاء.

(٢) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، باب الباء فصل الحاء.

شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ أَي يُعْطِي كلَّ شيءٍ من العِلم والحِفْظ والجَزاءِ مِقْدارَ ما يُحْسِبُه أَي يَكْفِيهِ، وقوله عز وجل: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ فجائز أَن يكون معناه من حَيْثُ لا يُقَدِّره ولا يَظُنُّه كائناً مِن حَسِبْتُ أَحْسِبُ أَي ظَنَنْتُ؛ وجائز أَن يكون مأْخوذاً مِن حَسَبْتُ أَحْسُبُ أَراد مِن حيث لم يَحْسُبْه لنفْسِه رِزقاً ولا عَدَّه في حِسابه، والاحْتِسابُ طَلَبُ الأَجْر والاسم الحِسْبةُ بالكسر وهو الأَجْرُ والاحتِسابُ من الحَسْبِ كالاعْتدادِ من العَدِّ وإِنما قيل لمن يَنْوِي بعَمَلِه وجْهَ اللهّ احْتَسَبَه لأَن له حينئذ أَن يَعْتدَّ عَمَله، ومن المعاني قولهم: حَسِيبُكَ اللهّ أَي انْتَقَمَ اللهُّ منك، والحُسْبانُ بالضم العَذاب والبَلاءُ وفي الحديث كان إِذا هَبَّتِ الرِّيحُ يقول: لا تَجْعَلْها حُسْباناً أَي عَذاباً، وقوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ يعني ناراً، والحُسْبانُ أَيضاً الجرادُ والعَجاجُ، والحُسْبانة الوِسادةُ الصَّغيرة تقول منه حَسَّبْتُه إِذا وَسَّدْتَه، والأَحْسَبُ الذي ابْيَضَّتْ جِلْدَته مِن داءٍ فَفَسَدَتْ شَعَرَته فصار أَحمرَ وأَبيضَ يكون ذلك في الناس والإِبل، والأَحْسَبُ الأَبرص، والحُسْبَةُ سَوادٌ يَضْرِبُ إِلى الحُمْرةِ، والحَسْبُ والتَّحْسِيبُ دَفْنُ المَيِّتِ وقيل تَكْفِينُه وقيل هو دَفْنُ المَيِّتِ في الحجارة، ومن المعاني وإِنه لَحَسنُ الحِسْبةِ في الأَمْر أَي حَسَنُ التدبير النَّظَرِ فيه وليس من احْتِسابِ الأَجْر، واحْتَسَبْتُ فلاناً اختبرْتُ ما عنده والنِّساءُ يَحْتَسِبْنَ ما عِندَ الرِّجال لهن أَي يَخْتَبِرْنَ، وذهب فلان يَتَحَسَّبُ الأَخْبارَ أَي يَتَجَسَّسُها بالجيم ويَتَحَسَّسُها ويَطْلُبها تَحَسُّباً، ومن المعاني واحْتَسَبَ فلان على فلان أَنكر عليه قَبِيحَ عمله[1].

إن ما ورد في المعاجم اللغوية السابقة يتفق في أكثر المعاني ويرد في بعضها تفصيل يزيد عن بعضها الآخر، ومن هذه المعاني ما ورد في كتاب الله تعالى ومنها ما لم يرد في ألفاظ القرآن الكريم.

(١) لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، فصل الحاء المهملة.

ثانيًا: معاني الفعل "حسب" في القرآن الكريم

وردت مادة "حسب" في القرآن الكريم في أكثر من مئة موضع[١] بصيغ متعددة منها الماضي والمضارع والمصدر واسم الفاعل، وقد تعددت المعاني التي استعملها الكتاب العزيز في الآيات الكريمة لهذه المادة، وذكر السمين الحلبي معاني: الظن واستعمال العد والتقدير والعذاب والكفاية وغيرها من المعاني التي قد يؤول بعضها إلى ما تقدم من المعاني في المعاجم اللغوية، كما ذكر أن المشهور أن حسب مرادفة للظن وإن ذكر بعضهم فروقًا بينهما[٢]، ويستعرض البحث المعاني التي جاءت بها الآيات الكريمة لمادة حسب وصيغها المختلفة، ويتناول كلام المفسرين في ذلك لمعرفة المعاني التي اختارها القرآن الكريم مما وورد في كلام العرب وأثبتته المعاجم اللغوي على ما مر معنا.

تناول القرآن الكريم معاني "حسب" على النحو الآتي:

١- معنى الظن:

وردت أكثر الآيات التي حوت "حسب" على هذا المعنى، من ذلك قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة:٢١٤].

يقول القرطبي: «﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ "حَسِبْتُمْ" مَعْنَاهُ ظَنَنْتُمْ»[٣].

يقول ابن عاشور: «وحَسِبَ بِكَسْرِ السِّينِ في الماضِي: فِعْلٌ مِن أفْعالِ القُلُوبِ أخَواتِ ظَنَّ، وفي مُضارِعِهِ وجْهانِ كَسْرُ السِّينِ وهو أجْوَدُ وفَتْحُها وهو أقْيَسُ وقَدْ

(١) بحسب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن بلغ عدد ورد حسب ومشتقاتها مئة واثنا عشر موضعًا، راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، مادة حسب.

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، فصل الحاء والسين.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٣/ ٣٣).

قُرِئَ بِهِما في المَشْهُورِ، ومَصْدَرُهُ الحِسْبانُ بِكَسْرِ الحاءِ وأَصْلُهُ مِنَ الحِسابِ بِمَعْنى العَدِّ فاسْتُعْمِلَ في الظَّنِّ تَشْبِيهًا لِجَوَلانِ النَّفْسِ في اسْتِخْراجِ عِلْمِ ما يَقَعُ بِجَوَلانِ اليَدِ في الأَشْياءِ لِتَعْيِينِ عَدَدِها ومِثْلُهُ في ذَلِكَ فِعْلُ عَدَّ بِمَعْنى ظَنَّ»(١).

وفي الآية الكلام موجه إلى المؤمنين بأن ما يصيبهم إنما أصاب من كان قبلهم، وقد قرر هذا المعنى ابن جرير الطبري: «أم حسبتم أنكم أيها المؤمنون بالله ورسله تدخلون الجنة، ولم يصبكم مثلُ ما أصاب مَن قبلكم مِن أتباع الأنبياء والرسل من الشدائد والمحن والاختبار»(٢).

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران:١٧٨].

جاء عند الطبري قوله مفسرًا: «ولا يظنن الذين كفروا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله، أن إملاءنا لهم خيرٌ لأنفسهم»(٣)، ويؤكد الطبري معنى الظن الوارد في الآية الكريمة فيقول: «وَالْمَعْنَى: لَا يَحْسَبَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُخَوِّفُونَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ اللهَّ قادر عَلَى إِهْلَاكِهِمْ، وَإِنَّمَا يَطُولُ أَعْمَارُهُمْ لِيَعْمَلُوا بِالْمَعَاصِي، لَا لِأَنَّهُ خَيْرٌ لَهُمْ»(٤).

إن معنى الظن من أهم المعاني التي ترد في سياقات ظن المؤمنين وبيان الله تعالى لها؛ كما في وقائع الابتلاء والاختبار لعباده، وفي سياق النهي عن الظن بالله وبسننه عز وجل ظن السوء، وغيرها من السياقات المتعددة التي تؤكد معنى الظن لمادة حسب.

٢- معنى الكفاية:

ورد في آيات الكتاب العزيز هذا المعنى ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة:٢٠٦]،

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (٢/ ٣١٤).
(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٤/ ٢٨٨).
(٣) جامع البيان عن تأويل القرآن (٧/ ٤٢١).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٦٣).

أي تكفيه عقوبة صلي نار جهنم ولبئس المهاد لمن يصلاها[١]، ومعنى الكفاية للعقوبة الشديدة التي تنال أهل النفاق يقول أبو حيان: «كافِيهِ جَزاءً وإذْلالًا جَهَنَّمُ »[٢].

ومن الآيات التي ورد فيها معنى الكفاية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال:٦٤] ورد في الكشاف للزمخشري: «والمعنى: كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصراً أو يكون في محل الرفع: أى كفاك الله وكفاك المؤمنون»[٣] ، ومعنى الكفاية لله سبحانه كمن يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل؛ فالمعنى يكفينا الله ونعم الوكيل.

إن معنى الكفاية يتردد في كتاب الله تعالى في سياقات متعددة من أبرزها كفاية الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام وعباده من المؤمنين، وفي شأن أعداء الله كما تقدم أن عذاب الله كافيهم على كفرهم.

٣- معنى العد والتقدير

إن هذا المعنى من أول المعاني التي وردت في المعاجم اللغوية للفعل حسب، وورد ذلك في عدد من الآيات الكريمة، منها قول الله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام:٩٦] «أَيْ: يَجْرِيَانِ بِحِسَابٍ مُقَنَّنٍ مُقَدَّرٍ، لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَضْطَرِبُ »[٤].

وقريب من ذلك قول الله تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن:٥] يقول ابن عباس: «يجريان بعدد وحساب»[٥]، كما ورد معنى العد في تسمية يوم القيامة بيوم الحساب ومن ذلك قول الله ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ [ص:١٦] والحساب عد الأشياء كما تقدم معناه وسمي بذلك...

---

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن (٤/ ٢٤٤).

(٢) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٢/ ٧٦).

(٣) تفسير الكشاف، الزمخشري (٢/ ٢٢٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٣/ ٢٧٣).

(٥) جامع البيان عن تأويل القرآن (٢٢/ ٩).

٤- معنى العذاب:

ذكر العلماء في قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ۝٤٠﴾ [الكهف:٤٠]، ورد في معنى الحسبان أنه العذاب.

يقول الطبري: «يقول: عذابا من السماء ترمي به رميا، وتقذف. والحسبان: جمع حُسْبانة، وهي المرامي»[(١)]، أما صاحب الكشاف فقد ذكر أن الحسبان بمعنى الحساب، والمعنى: مقدارا قدره الله وحسبه، وهو الحكم بتخريبها، كما ذكر الرأي السابق بأن حسبانا مرامي، والواحدة حسبانة وهي الصواعق[(٢)]، ونقل الزمخشري في الموضع السابق عن الزجاج في معنى الحسبان بأنه حساب ما كسبت يداك.[(٣)]

إن معنى الحسبان مع وجوده في المعجم اللغوي فهو من المعاني التي جاء الاستعمال القرآني له، وهو من المعاني القليلة لمادة حسب في الاستعمال اللغوي، كما أن الموضع السابق في كتاب الله هو الموضع الوحيد الذي جاء على معنى العذاب.

ثالثًا: المعاني الإضافية الفرعية:

وردت لمادة حسب في القرآن الكريم معاني إضافية ترجع إلى المعنى الأساس، «والمعنى الإضافي هو المعنى الذي يملكه اللفظ عن طريق ما يشير إليه إلى جانب معناه التصوري الخالص، وهذا النوع من المعنى زائد على المعنى الأساسي وليس له صفة الثبوت والشمول وإنما يتغير بتغير الثقافة والزمن أو الخبرة »[(٤)].

---

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن (١٨/ ٢٥).

(٢) تفسير الكشاف (٢/ ٦٧٦).

(٣) معاني القرآن، الزجاج (٣/ ٢٣٦).

(٤) علم الدلالة، أحمد مختار عمر (٣٧).

وفي الآيات التي جاءت بمادة حسب وما اشتق منها؛ دلالات إضافية أشار إليها العلماء عند تفسيرهم للآيات الكريمة وقد أخذت معاني ما يلي ذكره من الآيات من معجم عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ[١]:

- قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء:٦] أي رقيبا يحاسبهم على ما عملوا، ولهذا المعنى ارتباط بمعنى العد والتقدير وهو من المعاني الأساس التي تقدمت معنا.

- وقوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٥٢]، مما وورد في معنى الآية ما عليك من عملهم، فسماه بالحساب الذي هو منتهى الأعمال، والمعنى يرتبط بالمعنى الأساس معنى العد والتقدير.

- وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾ [البقرة:٢١٢] ذكرت فيها أوجه قريبة المعنى من بعض منها: أي لا يضيق عليه بل يعطيه عطاء من لا يحاسب، ومنها: يعطيه أكثر مما يستحقه. والاستحقاق هنا مجاز، ومنها: يعطيه ولا يأخذ منه خلاف حال أهل الدنيا، ومنها: يعطيه ما لا يحصره البشر كثرة، ومنها: يعطي المؤمن ولا يحاسب عليه، ومنها: يقابل الله المؤمنين يوم القيامة لا بقدر استحقاقهم بل بأكثر منه كما أشار إليه بقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة:٢٤٥] ونحو ذلك من المعاني التي تقترب من بعضها، وترجع إلى معنى العد والتقدير.

- ذكر في قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف:٤٠] قول الأصمعي: الحسبان: المرامي الصغار، ومنه قسي الحسبان وهي معروفة، وارتباط هذا المعنى واضح بمعنى العذاب.

---

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، فصل الحاء والسين.

- وقوله تعالى: ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ [الطلاق:٨] أي أوقفناها على جميع أعمالها فلا تنكر منه شيئا، كما يقف المحاسب على ما يحاسب عليه، والمعنى مرتبط بمعنى العد والتقدير.

فهذه المعاني الإضافية جاءت لمادة "حسب" وما يشتق منها إضافة إلى المعنى الأساس الذي تقدم معنا في معاني حسب، وقد وردت تلك المعاني الأساس منها والإضافي في كتب التفسير والمعاجم اللغوية.

إن المعنى الإضافي يأتي بالمعنى الدقيق الذي يحدده سياق الآية الكريمة كما يرجع إلى المعنى الأساس كما قدمنا آنفًا، وقد ذكرت بعض كتب التفسير ذلك الربط بين المعنى الإضافي والمعنى الأساس كما تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤]، وللمعنى الإضافي مجال فسيح في الدرس الدلالي الحديث فهو لا يتوقف بل يكون مفتوحًا وغير نهائي وإن تم ربطه بالمعنى الأساس في جميع أحواله.

المبحث الثاني

دور السياق في تحديد دلالة "حسب"

يأتي الحديث عن السياق لأهميته البالغة في تحديد المعنى الدقيق للكلمة، وقد جاء معنى السياق في المعجم من «ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق سواق، شدد للمبالغة...وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت»(١)، يقول الجرجاني معبرا عن أهمية النظر إلى السياق: «وجملة الأمر أنّا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنّا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلَّقا معناها بمعنى ما يليها. فإذا قلنا في لفظة {اشتعل} من قوله تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ أنها في أعلى رتبة من الفصاحة، لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولاً بها الرأس معرفا بالألف واللام ومقرونا إليها الشيبُ منكرّاً منصوبا»(٢).

وسياقات القرآن الكريم من أهم السياقات التي يجب النظر إليها لتحديد المعنى الدقيق للفظ القرآني.

يقول الزمخشري: «ومن المجاز: هو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك سياق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه أي سرده.(٣) فالسياق عند الأقدمين من الأمور المهمة لمعرفة المعنى بدقة؛ إذ أن النظر إلى المفردة مبتورة عن سياقها يعني البعد عن الوصول إلى معناها الدقيق.

وفي الدرس اللغوي الحديث يعد Firth العالم اللغوي في مدرسة لندن زعيم هذا الاتجاه وقد وضع تأكيدًا لأهمية الوظيفة الاجتماعية للغة وأهمية النظر إلى

(١) لسان العرب، فصل السين المهملة مادة س و ق.

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (٤٠٢).

(٣) أساس البلاغة، الزمخشري (٣١٤).

سياقات مختلفة ليتجلى معنى الكلمة[١].

والسياق (Context) يعني«المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية».[٢]

إن فكرة السياق ودلالته على المعاني الحقيقية للكلام موجودة منذ القدم في الفكر الإنساني فقد تحدث عنها أفلاطون في كتابه " فيدروس" وكذلك أرسطو في كتابه " فن الشعر "، كما كان لعلماء العربية سبق في إدراك وظيفة السياق ودلالته، من ذلك اهتمام علماء القرآن والأصوليين بشقيّ السياق في فهم دلالة النصوص الشرعية[٣].

وفي معرض الكلام عن حسب ودلالتها اللغوية في القرآن الكريم؛ فمن المهم أن نقف مع نماذج من كتاب الله عز وجل لدراسة معنى المفردة في سياقها القرآني، ونخلص إلى الأثر الذي كان للسياق في تحديد المعنى الدقيق للكلمة، لا سيما ما تقدم معنا في المعاني الإضافية التي لم تكن لتتضح بدقتها السابقة عند علماء التفسير لولا الوقوف على سياق الآيات الكريمة.

ويبدأ التحليل اللغوي بالدلالة المعجمية ثم الصيغة الصرفية والتركيبية، وأخيرا السياقية؛ فيتضح معنى الحدث الكلامي في كتاب الله تعالى[٤].

وفي النماذج الآتية نعرض لفكرة السياق وتأثيره في تحديد المعنى الدقيق للفظة، وارتباط المعاني الواردة لمادة حسب بالمعاني المتقدمة في المعاجم اللغوية، ولا يعني بحال استيفاء جميع الآيات بالتحليل والنقاش إذ لا يسع المقام لذلك، فالآيات التي

(١) علم الدلالة (٦٨).

(٢) دلالة السياق، ردة الله بن ردة الطلحي (٥١).

(٣) أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى، محمد سالم صالح (٣٦).

(٤) دلالة الفعل دخل في القرآن الكريم دراسة سياقية، سعدية مصطفى (٤٠).

وردت فيها مادة حسب كثيرة، وحسبنا أن نثبت الفكرة التي أتى بها البحث من خلال النماذج الآتية.

النموذج الأول: يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾ [الأنفال:٦٤].

تقدم معنا أن من المعاني التي تكون لحسب ومشتقاتها في القرآن الكريم معنى الكفاية، وفي الآية الكريمة جاء "حسْب" على وزن "فعْل" وهو مصدر، بمعنى الكفاية وهو من المعاني الرئيسة التي تقدمت معنا.

ولما كان سياق الآيات الكريمة من سورة الأنفال يأتي بذكر محاولة خداع الكفار للنبي ﷺ وكفاية الله تعالى لنبيه ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال:٦٣] جاء بعد ذلك بذكر كفاية الله تعالى لنبيه وللمؤمنين يقول البقاعي: «ولَمَّا صَرَّحَ بِأَنَّ اللهَّ كافِيهِ، وكانَتْ كِفايَةُ اللهَّ لِلْعَبْدِ أعْظَمَ المَقاصِدِ، التَفَتَتِ الأنْفُسُ إلى أنَّهُ هَلْ يَكْفِيهِ مُطْلَقًا أوْ هو فَعَلَ مَعَ المُؤْمِنِينَ أيْضًا مِثْلَ ذَلِكَ، فَأتْبَعَها بِقَوْلِهِ: مُعَبِّرًا بِوَصْفِ النُّبُوَّةِ الَّذِي مَعْناهُ الرِّفْعَةُ والِاطِّلاعُ مِن جِهَةِ اللهَّ عَلى ما لا يَعْلَمُهُ العِبادُ؛ لِأنَّهُ في سِياقِ الإخْبارِ بِبَعْضِ المُغَيَّباتِ والتَّصَرُّفِ في المَلَكُوتِ».(١)

وفي تفسير الآية التي معنا يقول الإمام الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾، وحسب من اتبعك من المؤمنين، الله. يقول لهم جل ثناؤه: ناهضوا عدوكم، فإن الله كافيكم أمرهم، ولا يهولنكم كثرة عددهم وقلة عددكم، فإن الله مؤيدكم بنصره».(٢)

والمقام في الآية الكريمة عن المناهضة مع الأعداء ومكر الكفار وأن الله تعالى يكفي نبيه ﷺ ويكفي عباده المؤمنين ويؤيدهم بنصره، ولذلك فإن السياق القرآني

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (٣/ ٢٣٨).

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن (١٤/ ٤٩).

حدد المعنى المراد بدقة وأن المعنى هنا يكون للكفاية ونصرة الله لعباده، وقد ذكر الزمخشري أن الآية الكريمة نزلت في البيداء قبل غزوة بدر وأورد ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه [(١)].

مما يعني أن معنى كفاية الله تعالى لعبده ورسوله وللمؤمنين متعين، فالمقام مقام نزال الكفار وقتالهم والله سبحانه وتعالى يكفي عبده ورسوله ﷺ ويكفي عباده المؤمنين.

النموذج الثاني: يقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة:٦٨].

في الآية الكريمة ورد الاسم حسب على وزن المصدر "فعْل" ليدل على معنى الكفاية، فالخلود في النار يكفي المنافقين جزاء لأعمالهم كما فسر ذلك البغوي «كَافِيَتُهُمْ جَزَاءً عَلَى كُفْرِهِمْ». [(٢)]

يقول القرطبي: «أَيْ هِيَ كِفَايَةٌ وَوَفَاءٌ لِجَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ. وَاللَّعْنُ: الْبُعْدُ، أَيْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ». [(٣)]

إن تحديد معنى الكفاية لحسب؛ والتي يكاد يتفق عليها أهل التفسير -إذ لم أقف على من يقول بمعنى خلاف معنى الكفاية في هذا الموضع- يؤكده السياق الذي وردت فيه فالحديث عن مصير المنافقين والمنافقات في الآخرة، يقول أبو حيان: «و(حَسْبُهم) كافِيهم، وذَلِكَ مُبالَغَةٌ في عَذابِهِمْ، إذْ عَذابُهم شَيْءٌ لا يُزادُ عَلَيْهِ، و(لَعَنَهم) أهانَهم مَعَ التَّعْذِيبِ وجَعَلَهم مَذْمُومِينَ مُلْحَقِينَ بِالشَّياطِينِ المَلاعِينِ». [(٤)]

(١) الكشاف (٢/ ٢٢٢).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن المعروف بتفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (٢/ ٢٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٣٤١).

(٤) تفسير البحر المحيط (٥/ ٥٤).

إن وعد الله تعالى للمنافقين والمنافقات بهذا العذاب الأليم لا انفكاك لهم عنه، يذكر ذلك البقاعي في تفسيره وأنهم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ فلا بَراحَ لَهم عَنْها ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ كافِيَتُهم هذه النار عذابا، ولَمّا كانَ الخُلُودُ قَدْ يُتَجَوَّزُ بِهِ عَنِ الزَّمَنِ الطَّوِيلِ واحتمال أن يكون من بعده فَرَجٌ لهم قالَ :﴿ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ ﴾ وهو الطرد والإبعاد من رَحْمَتِهِ سبحانه وهو جل وعلا الذي لا أمْرَ لِأحَدٍ مَعَهُ فَأفْهَمَ أنَّهُ لا فَرَجَ لَهُمْ، ثُمَّ عقب بنفي كُلَّ احْتِمالٍ بِقَوْلِهِ :﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ .(١)

وقد أورد ابن عاشور معنى الملازمة لكنه جعل معنى الملازمة متصلاً بمعنى الكفاية إذ لَمَا كانَ الكافِي يُلازِمُهُ المَكْفِّي كُنِّيَ بِهِ هُنا عَنِ المُلازَمَةِ، كما أورد جواز أنْ يَكُونَ معنى (حَسْبُ) عَلى أصْله مباشرة وهو معنى الكفاية ويَكُونُ ذِكْرُهُ كَمن طَلَبُوا النَّعِيمَ، فكان الجواب: حَسْبُهم نارُ جَهَنَّمَ.(٢)

إن معنى الكفاية في الآية الكريمة لحسب هو المعنى الذي ذكره المفسرون وهو من المعاني الرئيسة على ما تقدم معنا لحسب، وهو ما يعضده أيضا سياق الآيات الكريمة في بيان مآل المنافقين وعذابهم في الآخرة.

النموذج الثالث: يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ ﴾ [النور:٣٩].

وردت مادة حسب في الآية الكريمة ثلاث مرات "يحسبه" و "حسابه" و"الحساب"، ولكل منها معنى يقتضيه السياق.

جاء في تفسيرها يظن الرجل العطشان السراب ماء ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ حتى إذا جاء عنده يلتمس الماء، مستغيثًا من عطشه لم يجد السراب شيئا! والكافر من غروره

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣/ ٣٤٥).

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٦٥).

بعمله التي يحسب أنه منجيه عند الله من العذاب حتى إذا هلك لم يجد عمله ينفعه شيئا عند الله جل وعلا؛ لأنه على الكفر بالله تعالى، ووجد اللهَ هذا الكافرُ عند هلاكه بالمرصاد، يوفيه حساب أعماله التي عملها في الدنيا يوم القيامة.(١)

ورد في الآية الكريمة ثلاثة ألفاظ لمادة حسب جاءت الأولى على معنى الظن وجاءت الثانية على معنى الجزاء والثالثة على معنى العقاب، والمعنى الأول من المعاني الأساس التي ذكرها المعجم، أما المعنى الثاني والثالث فمن المعاني الإضافية التي أكدها سياق الآية الكريمة، ولعل هذا المثال من كتاب الله تعالى يبين في سياق قرآني واحد كيف يتباين المعنى لذات المادة التي اشتق منها، وهذه المعاني التي وردت كذلك في المعاجم اللغوية.

يقول البقاعي: «ولمّا كانَ اللهُ محيطا بعلمه وقدرتِهِ بِكُلِّ مَكانٍ قالَ :﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ﴾ أيْ قدرة المحيطِ بكل شَيْءٍ ﴿ عِندَهُۥ ﴾ أيْ عِنْدَ ذَلِكَ المَوْضِعِ الذي قصده لما تخيل فيه الخير فخاب ظنهُ ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ أيْ جزاء عمله على ما تقتضيه أعماله على حكمِ العَدْلِ».(٢)

إن المعاني الثلاثة التي وردت لمادة حسب جاءت في آية واحدة ولكن تحديد المعنى الدقيق الذي أتت به اللفظة لا يكون إلا عبر السياق الذي وردت فيه، والسياق هنا يبين أن "يحسبه الظمآن" بصيغة الفعل المضارع جاءت على معنى الظن الذي يظنه الكافر بعمله وأنه سيغنيه، حتى إذا جاء يوم القيامة لم يجده شيئًا؛ ووجد الله يوفيه "حسابه" وهو مصدر حسب وأتت هنا على معنى جزاء عمله الذي يستحق، والله جل وعلا سريع الحساب أي العقاب، أيضا على صيغة المصدر.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٩/ ١٩٥).
(٢) نظم الدرر (٥/ ٢٦٩).

«فإذا وافى عرصات القيامة، ولم يجد الثواب بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى غمه، فَيشبه حاله حال الظمآن الَّذِي تَشْتَدُّ حاجتُهُ إلى الماءِ، فَإذا شاهَد السرابَ تَعَلَّقَ قلبه بِهِ ويَرجو بِهِ النَّجاةَ ويَقْوى طَمَعُهُ، فَإذا جاءَهُ وأيِسَ مِمّا كانَ يرجوه فيعظمُ ذَلِكَ عَلَيْهِ. وهَذا المِثالُ في غايَةِ الحُسْنِ»[(١)].

قدمت لنا الآية الكريمة نموذجًا في تعدد المعاني لمادة حسب، فمعنى الظن لما يحسبه الظمآن ماء، ومعنى الجزاء والعقاب والمتفرعان عن المعنى الأساس من معاني حسب وهو معنى العد والتقدير، وإنما الذي جعل المفسرين يحددون بدقة المعنى المراد هو ذلك السياق القرآني الذي يتناول جزاء الكافر وعقابه في الآخرة وقبل ذلك غروره وظنه أن أعماله ستفيده في الآخرة.

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي (٨/ ٣٩٩).

الخاتمة

إن الدراسة الدلالية لألفاظ القرآن الكريم من الموضوعات المهمة نظرًا لارتباطها بعلم التفسير وعلوم القرآن الكريم، وكتاب الله تعالى من أهم الميادين التي يمكن للباحثين في علوم اللغة المختلفة أن يتناولوا آياته الشريفة بالتحليل والدراسة؛ لا غرو في ذلك فالنص القرآني يمثل أعلى مقامات اللغة وأسماها وأطهرها، وقد نزل معجزًا للعرب حتى تحداهم الله بأن يأتوا بسورة من مثله فعجز العرب الفصحاء عن ذلك.

قدمت الدراسة إحدى الألفاظ التي تكررت في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى وتعكس جانبًا من الإعجاز القرآني في توظيف الألفاظ العربية بحسب السياق القرآني؛ وقد جاءت اللفظة متسقة مع ما جاء عن العرب في معاجم اللغة من معاني حسب مع تفرد في توظيف مادة حسب في السياق القرآني والذي يبرز المعنى الدقيق لها.

إن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث ما يأتي:

- اتساق غالبية معاني مفردات مادة حسب في القرآن الكريم مع المعنى الأساس الذي تذكره المعاجم اللغوية، حيث ورد في المعاجم أن معنى حسب الظن، وعدَّته من المعاني الرئيسة لحسب، وقد ورد هذا المعنى في غالب آيات القرآن الكريم التي جاءت فيها حسب واشتقاقاتها.
- وردت لمادة حسب في القرآن الكريم معاني إضافية ترجع إلى المعنى الأساس الوارد في كتب المعاجم اللغوية، ويحدد سياق الآيات الكريمة هذا المعنى بدقة.
- من أهم المعاني التي وردت لمادة حسب معنى الظن ومعنى العد والتقدير، وجاء هذان المعنيان –غالبًا– في سياقات القرآن التي تأتي في الظن الخاطئ عند الكفار أو عند غيرهم؛ أو تأتي في ذكر الحساب يوم القيامة.

- ذكرت المعاجم اللغوية معاني منها معنى الوسادة ومعنى البياض للأحسب ومعنى الشرف بالآباء وهذه المعاني التي لم ترد لمادة حسب في القرآن الكريم.
- من أهم أدوات التحليل الدلالي لمادة حسب وغيرها من الألفاظ العناية بالسياق القرآني الذي وردت فيه وذلك بغية الوصول للمعنى الدقيق للفظة.
- قابلية توظيف الدرس الدلالي الحديث في دراسة مفردات القرآن الكريم؛ ومن ذلك إثبات المعنى الأساس والمعنى الإضافي لمادة حسب في القرآن.

وميدان البحث الدلالي في القرآن من الميادين الفسيحة التي لا زال البحث فيها قاصرًا عن الإحاطة بكل ما جاء فيه، كما ينبغي أن يلتفت الباحثون في علوم اللغة إلى دراسة لغة القرآن الكريم باعتبارها نموذجًا ساميًا للعربية.

وفي الختام أسأل الله –عز وجل– أن يجعل ما كتبناه حجة لنا لا حجة علينا وأن ينفع به، وأن يغفر لنا تقصيرنا وخطأنا، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد.

فهرس المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم**.

٢. **أساس البلاغة**، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

٣. **أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى**، محمد سالم صالح، كلية المعلمين، جدة.

٤. **البحر المحيط في التفسير** المعروف بتفسير أبي حيان، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٥. **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٦. **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٧. **التفسير الكبير، الفخر الرازي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

٨. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: محمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ .

٩. **الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي**، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

١٠. **دلالة السياق**، ردة الله بن ردة الطلحي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

١١. **دلالة الفعل دخل في القرآن الكريم** دراسة سياقية، سعدية مصطفى، فيلولوجي، ٢٠١٦م.

١٢. **دلائل الإعجاز**، عبد القاهر الجرجاني، ت: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٣. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

١٤. **علم الدلالة**، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٨م.

١٥. **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، السمين الحلبي أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٦. **القاموس المحيط**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، -مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.

١٧. **كتاب العين**، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٨. **الكشاف عن حقائق التنزيل المعروف بتفسير الزمخشري**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٩. **لسان العرب**، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٢٠. **معالم التنزيل في تفسير القرآن المعروف بتفسير البغوي**، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ.

٢١. **معاني القرآن وإعرابه**، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، ت:عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ.

٢٢. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

٢٣. **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٢٤. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	٤١٥
المقدمة	٤١٦
المبحث الأول: معاني مادة (حسب)	٤١٨
أولاً: المعنى المعجمي	٤١٨
ثانيًا: معاني الفعل "حسب" في القرآن الكريم	٤٢١
ثالثًا: المعاني الإضافية الفرعية	٤٢٤
المبحث الثاني: دور السياق في تحديد دلالة "حسب"	٤٢٧
النموذج الأول: يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال:٦٤]	٤٢٩
النموذج الثاني: يقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة:٦٨]	٤٣٠
النموذج الثالث: يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور:٣٩]	٤٣١
الخاتمة	٤٣٤
فهرس المصادر والمراجع	٤٣٦
فهرس الموضوعات	٤٣٨

مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية

قرينة المعنى المعجمي وأثرها في توجيه الإعراب عند السمين الحلبي نماذج من سورة البقرة

دراسة نظرية تطبيقية

إعداد

د. إبراهيم بن حسين بن علي صنبع

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية كلية الجامعية القنفذة - جامعة أم القرى

- من مواليد عام ١٣٩١/١٩٧١ بمدينة جدة بالسعودية.
- تخرج في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بمدينة جدة عام ١٤١٤هـ.
- نال شهادة الماجستير من قسم اللغة العربية كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى عام ١٤٢٢هـ بأطروحة: "أثر المعنى في تعدد وجوه الإعراب في كتاب التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري"، كما نال شهادة الدكتوراه منه عام ١٤٢٦هـ بأطروحة: "الخلافات النحوية في المنصوبات في شرح الرضي على الكافية".
- من أعماله المنشورة: "استصحاب الحال بين أصول الفقه وأصول النحو".
- البريد الشبكي: ihsonbo@uqu.edu.sa

(قدم للنشر في ١٤٤٣/١٠/١٦هـ ؛ وقبل للنشر في ١٤٤٤/٣/٢٨هـ)

الملخص

يهدف هذا البحث إلى إبراز أهمية قرينة المعنى المعجمي ودورها في توجيه مقاصد التراكيب. وتكمن هذه الأهمية أنّ النحاة ومعربي القرآن الكريم قد أخذوا بهذه القرينة في توجيه بعض أوجه الإعراب، وجعلوها عنصراً مسانداً للعناصر النحوية الأخرى كالحركة الإعرابية، والقاعدة النحوية، وما يتفرع على هذه القاعدة من صور التراكيب المختلفة.

ولمّا كان هذا البحث مَعنْياً بهذه القرينة، فقد قدمّتُ لها بجانب نظري يُبَيّن مدارسة العلماء القدماء لقرينة المعنى المعجمي، فذكرت كثيراً من آرائهم التي أولت هذه القرينة حيزاً من تفكير أصحابها، فعرضت نصوصاً مهمة تبرز دور هذه القرينة في توضيح معاني التراكيب، ثم أتبعت الجانب النظري جانباً تطبيقياً يتمثل في **"نماذج مختارة من سورة البقرة"** من كتاب **"الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" للسمين الحلبي** (ت:٧٥٦هـ)، حرص السمين على توظيف هذه (القرينة) في تعدد وجوه الإعراب، وقَلّما يذكر وجهاً دون أن يشير إلى واحد منها أثّرت فيه دلالة المعنى المعجمي وإنْ لم يأخذ به السمين أحياناً، وهذا يتطلب من الباحث العناية بوجه معين والأخذ به من بين الأوجه الإعرابية الأخرى وفق منهج وصفي تحليلي وتقويته بما جاء عند المفسرين والنحاة ومعربي القرآن، وما نقف عليه من آراء للباحثين المعاصرين ترجّح ذلك الرأي، وخلص البحث إلى نتائج؛ لعلّ أبرزها أهمية المعجم (قرينة المعنى المعجمي) في بناء النحو العربي لما له من أثره في فهم التراكيب النحوية، لذا كان اعتماد السمين عليه في بعض أوجه الإعراب دليلاً على هذه الأهمية.

أوصى البحث على الاعتناء بهذه القرينة وتوسيع تطبيقها وفق نظرة النحويين ومعربي القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: الإعراب، المعجم، النحو، المعنى، القراءات.

مقدمة

تقوم تراكيب اللغة العربية على أنظمة ثلاثة (الصوت، والصرف، والنحو) تتعاضد فيما بينها؛ لتعطي قرائن متعددة تُعنى بفهم المعنى وتحدده. ولمّا كان الصوت وحده لا يحقق ذلك، فقد اقترن بعد تكوّن حروفه على نحو محدود في تصور ذهني يوائم النطق؛ أفرز ذلك لنا الكلمة ببنيتها التي تخضع لقوانين يحددها علم الصرف الذي يقسّمها إلى اسم، وفعل يقوم بعد ذلك بدوره الرئيس، وهو البحث في أبنيتهما وما ينطوي تحتهما من معاني الصرف بمفهومه الواسع (معاني أسماء، ومعاني أفعال) فضلاً عمّا يطرأ عليها صوتياً من إعلال وإبدال، ومطابقة (إفراد، تثنية، وجموع)، ومن البناء الصرفي ينطلق البناء النحوي الذي يستند على التقاء بنيتي الكلمة (اسم واسم)، أو (فعل واسم)، مع ما يرتبط بهما من متعلقات محققين ركني الإسناد حقيقةً، أو مجازاً ضمن دلالة الكلمات، ودلالة الجمل أو التراكيب وما يحيط بها من دلائل تسهم في توجيهها وفقاً لما يقتضيه نظام اللغة، ولعلّ من القرائن المساندة دلالةً "**قرينة المعنى المعجمي**" التي تمثل فيما يظهر الركن المهم للتوجيه وفق معطيات المفردات وترابطها لتحقيق ما يسمى: "سلامة المبنى والمعنى"، وقد لفتت أهمية هذه القرينة تفكير النحاة منذ نشأته وعلى امتداد تاريخه، فقد لقيت عنايتهم بدءاً من تحقيق التلاؤم ما بين الكلمات؛ لتتعلق في تراكيب تقترن بمعاني النحو وما يحيط بهذه المعاني من عناصر لغوية وغيرها، وهو ما تفطنوا له بدءاً من باب المبتدأ والخبر وما تعلق بهما من عناصر لغوية معجمية أثرّت فيهما (**كان وأخواتها**) امتد أثر هذه القرينة المعجمية إلى الجملة الفعلية ومتعلقاتها من المفعولات، وهو ما خُصص له هذا البحث على أنّ هذه القرينة لها الأثر-كما سيأتي- في بناء الجملة وتحديد التوافق والانسجام والمعنى بين مفردات الجملة، فالامتداد العلائقي والترابط الدلالي يحققه تحقق هذه القرينة.

ولم تقتصر العناية بقرينة المعنى المعجمي وأثرها في توجيه التراكيب على النحاة، فقد بَرزتْ بشكل لافت عند معربي القرآن بدءاً من المراحل الأولى في التأليف لمعاني القرآن وإعرابه؛ فجاءت عند الفراء، وأبي عبيدة، والزجاج، والنحاس، ومكي بن أبي طالب، والأنباري ثم تطوّر توجيه هذه القرينة بشكل ملموس عند العكبري إلى أن بلغت مبلغاً عظيماً على يد أبي حيان الأندلسي الذي وسعّ كثيراً من توجيهات إعراب القرآن وفق هذه القرينة على نحو ما يظهر في هذا البحث.

أهمية البحث وأسباب اختيار الموضوع:

١- يُعنى البحث بكتاب الله عزّ وجلّ وبالدراسات اللغوية التي نشأت حوله أو تقتبس عنه، وليس هناك كتاب يستحق الدراسة على تعدد علوم اللسان، ومنها النحو وعلم الإعراب كالقرآن الكريم

٢- مرّت كتب إعراب القرآن الكريم بمراحل متعددة ما بين التأسيس والتطوّر في التأليف على امتداد تاريخ هذا العلم، وقد حوت هذه التآليف النظرية النحوية بكل أبعادها. وكان السمين الحلبي ضمن هذه السلسلة من العلماء، وقد أفاد السمين الحلبي ممن جاء قبله، وتأثر به، وبخاصة أستاذه (أبو حيان الأندلسي) وقد يضيف إلى ما جاء عندهم، هذا بحد ذاته جعل الباحث يقف مع هذا العالم؛ ليعرف ما أضافه إلى كتب إعراب القرآن الكريم.

٣- حسب ما وقفت عليه من مؤلفات لم أجد من نصّ صراحة على تخصيص قرينة المعنى المعجمي وأثرها في توجيه الإعراب عند السمين برسالة أو بحث مستقل، لذا اجتهدت في توضيح هذه القرينة وأثرها في تعدد وجوه الإعراب عنده.

٤- أنّ قرينة المعنى المعجمي تبرز أهمية التداخل ما بين الوظائف النحوية والوظائف الدلالية وأثرها في بنية تركيب آيات القرآن الكريم، وهذا بدوره يظهر في اعتماد النحاة المعنى في ترجيح وجه إعرابي على آخر.

الدراسات السابقة:

أمّا ما يخص الدراسات السابقة المتصلة بموضوع البحث، فكما هو معروف المكانة التي وصل لها السمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ) في الدرس النحوي وإعراب القرآن الكريم، أُلِّف فيه كثير من الدراسات والمؤلفات والأبحاث العلمية، منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو رهن الجامعات ضمن الرسائل العلمية التي يصعب الحصول على بعضها، لذا سوف أشير إلى بعض ما له علاقة بالبحث على سبيل الحصر؛ لعلّ من أبرزها:

١- التوجيهات النحوية للقراءات الشاذة في "الدر المصون للسمين الحلبي" عرضاً وتأصيلاً ومناقشة للدكتور إبراهيم بن سالم الصاعدي[(١)]، وتعدُّ هذه الدراسة من أوسع ما كتب عن القراءات في كتاب السمين، فجاءت مرتبة على أبواب النحو وفق منهج الألفية، ولم يصرّح ضمن هذه الأبواب بقرينة المعنى المعجمي، أو يضع لها مبحثاً مستقلاً، إلاّ ما جاء في باب (كان وأخواتها) بين النقصان والتمام، فذكر ما جاء عند السمين ومن سبقه من النحاة، ولكن الباحث لم يتوسع في إيراد مسائل الخلاف بين النحاة في هذه المسألة[(٢)]. كما سيأتي في هذا البحث.

٢- "بين الصناعة النحوية والمعنى عند السمين الحلبي في كتابه "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" للدكتور محمد عبد الفتاح الخطيب[(٣)]. وهو عمل مميز سعى فيه مؤلفه إلى الربط ما بين الصناعة النحوية والمعنى عند السمين، وفق عدد من المباحث كالأعاريب والتأويل النحوي والزيادة والتضمين، ولم نجد للمؤلف تصريحاً واضحاً أو باباً معيناً لقرينة المعنى المعجمي، إلا ما له صلة بمبحث التضمين، وبخاصة تعدّي الفعل ولزومه وربطه ببعض مسائل هذا البحث كما سنذكر.

(١) هو في الأصل رسالة دكتوراه، نوقشت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام (١٤٢٥هـ).

(٢) انظر، التوجيهات النحوية للقراءات الشاذة (ص ١: ٣٤٧).

(٣) الكتاب في الأصل رسالة ماجستير، طبعت عام (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)، دار البصائر- القاهرة.

٣- "ردود السّمين الحلبي النحوية على ابن عطيّة الأندلسي" في الدر المصون "للباحث عبد الله عبده الحوري[١]، وقد وقفت على هذه الدراسة، فكانت موزعة على عدة فصول، كان للفصل الرابع، وفي جزء منه، عن التعدية بالتضمين، وقد أشار إلى قرينة المعنى المعجمي، ولكنّه لم يفصّل الكلام فيها، كما سنتناول في هذا البحث.

٤- اعتراضات السمين الحلبي النحوية والتصريفية في كتابه (الدر المصون) على أبي البقاء في كتابه (التبيان في إعراب القرآن) للباحث: محمد التلبدي[٢].

٥- اعتراضات السمين الحلبي على أبي حيان في الدر المصون، دراسة نحوية وصرفية، للباحث: عبد الله بن عبد العزيز الطريقي[٣].

٦- القرينة المعجمية وأثرها في توجيه المعنى "تفسير البحر المحيط أنموذجاً"[٤] وهو بحث قيم للدكتور أحمد خضير السعيدي ركز فيه على الجانب التطبيقي لقرينة المعنى المعجمي عند أبي حيان وأثرها في توجيه المعنى. حيث وضع تصورات لهذا البحث وفق نقاط مهمة تربط العلاقة ما بين النحو والمعجم على النحو التالي:

- المعنى المعجمي والإعراب.
- القاعدة النحوية والمعنى المعجمي.
- المعنى الوظيفي والمعنى المعجمي.
- الملاومة والمفارقة.
- التضمين، وقد استفاد الباحث منه إلا أنّه وسّع الجانب التطبيقي عند السمين.

٧- النقد النحوي عند السمين الحلبي للدكتور حسين راضي خليل العابدي[٥].

(١) رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، (١٤٣٢/ ١٤٣٣هـ).

(٢) رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤٠٩هـ).

(٣) رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤٢٠هـ).

(٤) نُشر في مجلة العميد، العراق، العدد الخامس، ربيع الثاني، ١٤٣٤هـ- آذار، ٢٠١٣م.

(٥) بحث علمي منشور في مجلة جامعة الأقصى، فلسطين، مجلد ٢٠ العدد ٢ عام (٢٠١٦م).

منهج البحث وخطته:

قام الباحث في بناء مباحث هذا البحث ومسائله على المنهج الوصفي التحليلي، فهو يقوم على وصف التراكيب النحوية (**تعدد وجوه الإعراب وأثر المعنى المعجمي**) فيها، ومدارستها وفق مختلف الآراء مع ترجيح وجه منها وتقويته وفق أسس مستندة إلى ملامح النظرية النحوية التراثية بكل أبعادها (نحواً، وعوامل، وأعاريب، ودلالة). ولّما كان البحث يتطلب من الباحث لكي يُشرك القارئ الكريم بما له صلة بموضوع بحثه، وسعياً منه لمتابعة حركة التطوّر المعرفي الذي ساهم في دراسة قرينة المعنى المعجمي بعمق، وقف الباحث على الدراسات الحديثة التي يمكن أن يستفيد منها في هذا البحث.

بقي أن أشير إلى أني قمت بإعادة ترتيب مسائل هذا البحث وفق أبواب ألفية ابن مالك. وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مبحثين تسبقهما مقدمة تبين أهمية الموضوع، ثم خاتمة بأهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: العلاقة بين المعجم والنحو عند علماء العربية.

المبحث الثاني: التوجيهات النحوية وعلاقاتها المعجمية.

وختاماً: هذا جهد المقل الذي حاول قدر الاستطاعة أن يوفي جوانب هذا البحث؛ ولكن يظلّ الباحث متطلعاً إلى كلِّ نقد مفيد بنّاء يستطيع أن يقوّم اعوجاج هذا البحث، وما يريد أن يسير عليه فيما يكتب مستقبلاً، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

العلاقة بين المعنى المعجمي والمعنى النحوي عند علماء العربية

الأصل في المعجم بمعناه المتداول أنْ يقوم بالنظر إلى الكلمة لإيضاحها وشرحها؛ ليظهر ما نطلق عليه المعنى المعجمي، وقد شاع عند اللغويين أنّ المعجم يهتم بالمفردات مستقلة بمعناها؛ ليشير أنّ الكلمة المفردة لا تربطها علاقة بغيرها من المفردات، مما جعل ذلك سبباً في تجاهل العناية بدراسة المعجم دراسة تعنى بالتراكيب إلى أن ظهرت كما ذكر بعض الباحثين «فكرة الحقول المعجمية أو الدلالية التي تعطي المعنى المعجمي مسحة تركيبية»(١).

وتنقسم دلالة الكلمة إلى أربعة: الدلالة الصوتية، والدلالة الصرفية، والدلالة النحوية، والدلالة المعجمية أو الاجتماعية(٢).

فالمعنى المعجمي أساس لأي دلالة تركيبية، وهو ما نتوسّع فيه «حين تتركب الجملة من عدة كلمات تتخذ كلّ كلمة موقفاً معيناً فيها، بحيث ترتبط الكلمات بعضها ببعض على حسب قوانين لغوية خاصة بالنظام النحوي، وفيه تؤدي كلّ كلمة وظيفة معينة، بحسب معناها، ولا يتمّ الفهم أو يكتمل إلاّ إذا وقف السامع على كلِّ الدلالات، ولاسيما الدلالة الاجتماعية (المعجمية) التي تظل بؤرة الشعور؛ لأنّها الهدف الأساسي في كل كلام»(٣).

ومَنْ يتتبع البدايات الأولى للنحو العربي يجد أنّ العلاقة ما بين المعجم والنحو قد نهضت في بيان المفردات اللغوية وأثر ذلك في معنى التركيب، ولعلّ المثال الذي نقله محمد خير الحلواني عن عبد الله ابن إسحاق الحضرمي يوضّح ذلك: «ومن

(١) انظر، القرائن المعنوية في النحو العربي، قرينة المعنى المعجمي (ص٤٤٧).

(٢) السابق (ص ٤٤٨).

(٣) انظر، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث (ص١٨).

ضروب التأويل عنده تقليب الظاهرة اللغوية على ما تحتمله من أوجه، فقد ذكروا أنّه سأل الفرزدق يوماً، كيف تنشد هذا البيت»[(١)]:

وعينانِ قال اللهُ كُونا فَكَانَتَا فعولانِ بالألبابِ ما تفعلُ الخمرُ

فأنشده الفرزدق: "فعولان". فقال له عبد الله: «ما كان عليك لو قلت: فعولين: لو شئت أن أسبّح لسبحت. ونهض فلم يعرفوا مراده، فقال: عبد الله: لو قال: فعولين. لأخبر أنّ الله خلقهما وأمرهما، ولكنّه أراد أنّهما تفعلان ما تفعل الخمر، وواضح أنّ عبد الله أراد المعنى واختلاف الإعراب في البيت، فإذا كان الشاعر يريد أن الله قال للعينين: كونا. فكانتا، وأنّهما تفعلان بالألباب ما تفعل الخمر، وجب الرفع؛ لأنّ الفعل (كان) حينئذ يكون تاماً؛ لأنّه يعني الوجود، ولأنّ (فعولان) تكون من صفة العينين. أمّا إذا أراد أنّ الله هو الذي أمرهما أن تفعلا بالألباب ما تفعل الخمر، فلا بُدّ حينئذ من النصب؛ لأنّ (كان) قد عملت في (فعولين) نصب على الحال أو على الخبرية»[(٢)].

ويستقر النحو العربي على يد الخليل بن أحمد بإرساله النظرية النحوية بكل أبعادها؛ فأخذها عنه تلميذه سيبويه ودونّها في (الكتاب) الذي كان منهلاً مهماً للبحث في العلاقات بين التراكيب ودلالتها، وقد كانت العناية بين المعنيين المعجمي والوظيفي النحوي محل اهتمامه، بدءاً من نظرته إلى تقسيم الكلم في العربية (اسم، وفعل، وحرف) حتى يتمّ الإسناد بينها؛ ليحقق معاني لهذه الكلمات، يقول محروس بريّك: «أول مَنْ ألحّ على ضرورة تعانق المفردات بمكوناتها الدلالية مع النظام النحوي الذي تشغله لكي يتألف الكلام المفيد هو سيبويه، فيلاحظ الناظر في كتابه أنّه بدأ حديثه متدرجاً من الحديث عن أقسام الكلم في العربية، إلى

(١) الخصائص (٣/ ٣٠٥).

(٢) المفصّل في تاريخ النحو العربي (ص١٥٠).

بيان المسند والمسند إليه، إلى الحديث عن معاني الألفاظ وما يعرض للفظ من تغيير إلى الحديث عن الاستقامة والإحالة من الكلام، وكأنّه بذلك يضع الأسس التي يقوم عليها الكلام وما يتألف منها»[(١)].

وقد رأى محمد حماسة عبد اللطيف أنّ نظرة سيبويه إلى العناية ما بين المفردات الأولية (المعجمية) والوظائف النحوية قد وُظّفت في نصّ موجز تكمن فيه بذور نظرية نحوية دلالية «لقد كانت اللفتة التي ألمح إليها سيبويه في مطالع "الكتاب" لفتة فذة. وقد جاءت ومضة فريدة لمعت في إشارة خاطفة عن الاستقامة من الكلام والإحالة في نص موجز دال. في هذا النص القصير تكمن بذور نظرية نحوية دلالية حيث تندمج في تواؤم حميم قوانين النحو مع قوانين الدلالة، أو بعبارة أخرى قوانين المعنى النحوي الأولى وتمثله الوظائف النحوية المختلفة مع قوانين دلالة المفردات الأولية وتمثلها الدلالة المعجمية للكلمة، وتمتزج فيما يمكن أن يسمى "المعنى النحوي الدلالي"، يقول سيبويه: «هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. فأمّا المستقيم الحسن فقولك: أتيتُك أمس وسآتيك غداً.

وأمّا المحال فأنْ تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غداً، وسآتيك أمس. وأمّا المستقيم الكذب فقولك: حَمَلتُ الجبل، وشربت ماء البحر، ونحوه.

وأمّا المستقيم القبيح فأنْ تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكي زيدٌ يأتيك، وأشباه هذا. وأمّا المحال الكذب فأنْ تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس»[(٢)].

ولعلّ سيبويه يهدف من وراء هذا النص «ليعطي الاختيار من المفردات أو من

(١) النحو والإبداع (ص ٢٧).

(٢) الكتاب (١/ ٢٥- ٢٦).

الحقول الدلالية المناسبة التي تقبل التواؤم والاستجابة أهمية كبرى لا تقل عن اهتمامه باستواء النظام النحوي، فليس النظام النحوي نظاماً معدّاً للكلمات الهرائية أو للفراغ، ولكنّه مُعَدٌّ لأنْ تتحقق في علاقاتِهِ المفردات الملائمة بدلالتها الأولية التي تتفاعل مع الوظائف النحوية تفاعلاً يكسبها معناها المناسب ويتحقق به "المعنى النحوي الدلالي"»[(١)].

ولو أردنا أنْ نزيد إلى بيان العلاقة ما بين المعنيين المعجمي والوظيفي وجدنا أمثلة واضحة جداً تُقَعّد لهذه العلاقة، ففي كتاب سيبويه يلاحظ الرماني في باب (الظروف التي تحتاج إلى تفسير العلاقة بين تفسير (الغريب) و (صناعة النحو) قائلاً: «لِمَ أدخل- أي سيبويه- في هذا الباب تفسير الغريب وليس من صناعة النحو؟» ثم أجاب عن ذلك بقوله: «أدخل في هذا الباب تفسير الغريب للحاجة إليه في كشف الوجه الذي يقع عليه الإعراب. فجرى على طريق التبع للغرض. فهكذا يصلح أن يدخل في الصناعة ما كان من صناعة غيرها لمثل هذه العلة على هذا الوجه».[(٢)] ومثل ذلك قول الرماني أيضاً عند تعريف تعرضه لتفسير سيبويه لكلمتي (لبيك) و (سعديك) إذ قال: إنّما فسّر سيبويه معنى (لبيك وسعديك) في باب من أبواب النحو ليكشف وجه إعرابه، إذ كان لا يظهر إلاّ بظهور معناه، ولولا ذلك لم يصلح تفسير الغريب في أبواب النحو؛ لأنّه تخليط بإدخال صناعة في صناعة غيرها»[(٣)].

وقد أولى النحاة بعد سيبويه «اهتماماً كبيراً بالمفردات، وأنّ الكلمة بمجرد نطقها تحدد العنصر الغائب الذي يمكن أن يكوِّن معها كلاماً مفيداً، وهذا التحديد يتمّ

(١) انظر، النحو والدلالة (ص ٦٥- ٨٥).

(٢) شرح الرماني (٢/ ٧٢١).

(٣) انظر، شرح الرماني (٢/ ٦١٢- ٦١٧)، القرائن المعنوية (ص ٤٧٤).

على المستويين (النحوي والدلالي)»[١].

فابن جني قد اعتنى "بالمكوّن الدلالي" حين يربط بين قواعد التركيب، ينظر في مدى اتفاق المكون الدلالي ونسق قواعد التركيب، وهو ما بدا واضحاً في مناقشته مدى استقامة الكلام وصحة قياس الفروع وفساد الأصول، ومما قاله في ذلك: «فمن المحال أن تنقص أول كلامك بآخره، وذلك كقولك: قمت غداً، وسأقوم أمس ونحو ذلك»[٢].

وتناول ابن جني ما يقوم أساساً للتناسب بين المفردات في التركيب والذي بدوره يتطلب تداخلاً دلالياً لضمان صحة التركيب لفظاً ومعنى، وقد وضحّ ذلك قائلاً: «ألا ترى إلى (قام)، ودلالة لفظه على مصدره ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه. وإنّما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنّها وإن لم تكن لفظاً فإنّها صورة يحملها اللفظ ويخرج عليها، ويستقر على المثال المعتزم بها، فلمّا كانت كذلك لحقت بحكمه، وجرت مجرى اللفظ المنطوق به، فدخلا بذلك في باب المعلوم بالمشاهدة. وأمّا المعنى فإنّما دلالته لاحقة بعلوم الاستدلال، وليست في حيز الضروريات، ألا تراك حين تسمع (ضرب) قد عرفت حدثه وزمانه، ثم تنظر فيما بعد فتقول، هذا فعل، ولابد له من فاعل، فليت شعري من هو؟ وما هو؟ فتبحث حينئذ إلى أن تعلم الفاعل من هو وما حاله، من موضع آخر لا مسموع ضرب، ألا ترى أنّه يصلح أن يكون فاعله كل مذكر يصحّ منه الفعل، مجملاً غير مفصل. فقولك: ضرب زيد، وضرب عمرو، وضرب جعفر، ونحو ذلك شرع سواء، وليس لضرب بأحد الفاعلين هؤلاء ولا غيرهم خصوص ليس بصاحبه، كما يخصّ بالضرب دون غيره

(١) انظر، النحو والإبداع (ص٣٢).

(٢) انظر، الخصائص (٣/ ٣٣٣)، قضايا الدلالة عند ابن جني في كتابه الخصائص (ص١٨١).

من الأحداث، وبالماضي دون غيره»[١].

وقد لاحظ ابن جني أنّ المعنى المعجمي للألفاظ يأتي «معياراً للتميز الوظيفي للكلمات ومن ثمَّ لحرية الرتبة»[٢]. فقال: «فإنْ كانت هناك دلالة أخرى من قبل المعنى وقع التصريف فيه بالتقديم والتأخير نحو: أكل يَحي كُمّثْرَى، لك أنْ تقدم وأن تؤخر كيف شئت»[٣].

وإذا ما انتقلنا إلى ما أضافه عبد القاهر الجرجاني في نظرية (النظم) والتعليق في الكلام، فإنشاء العلاقات النحوية في (النظم) يقوم أساساً على إبراز المعنى المعجمي؛ «بل يعّده الأساس الذي يبنى عليه النظم والتعليق»[٤]. إذ يقول: «واعلم أنّي لست أقول: إنّ الفكر لا يتعلق بمعاني الكلم المفردة أصلاً، ولكني أقول: إنّه لا يتعلق بها مجردة من معاني النحو منطوقاً بها على وجه لا يتأتى معه تقدير معاني النحو وتوخيها فيها كالذي أريتك».[٥] ويُبَيّن ذلك، فيقول: «هذا وأمر النظم في أنّه ليس شيئاً غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم، وأنّك ترى ترتب المعاني أولاً في نفسك ثم تحذف على ترتيبها الألفاظ في نقطك، وأنا لو فرضنا أن تخلو الألفاظ من المعاني لم يتصور أن يجب فيها نظم وترتيب، في غاية القوة والظهور»[٦]. ويقول موضحاً هذه الفكرة في سياق آخر «وبعد أن كنا لا نشك في أن لا حال للفظة مع صاحبتها تعتبر إذا أنت عزلت دلالتها جانباً، وأي مساغ للشك في أنّ الألفاظ لا تستحق من حيث ألفاظ أن تنظم على وجه دون وجه، ولو

(١) الخصائص (٣/ ١٠٠- ١٠١).

(٢) انظر، قضايا الدلالة عند ابن جني في كتابه الخصائص (ص١٩٧).

(٣) الخصائص (١/ ٣٦).

(٤) انظر، القرائن المعنوية، قرينة المعنى المعجمي (ص٤٦٦).

(٥) دلائل الإعجاز (ص٤٥٤).

(٦) السابق (ص ٤٥٤).

فرضنا أن تنخلع من هذه الألفاظ التي هي لغات دلالتها لما كان شيء منها أحق بالتقديم من شيء، ولا يتصور أن يجب فيها ترتيب ونظم، ولو حفّظت صبيا شطر "كتاب العين" أو "الجمهرة"، من غير أن تفسِّر له شيئاً منه، وأخذته بأن يضبط صور الألفاظ وهيآتها ويؤديها كما يؤدي أصناف أصوات الطيور، لرأيته ولا يخطر له ببال من شأنه أن يؤخر لفظاً ويُقدّم آخر، بل كان حاله حال مَنْ يَرمْي الحصى ويُعدّ الجوز»[(١)].

يؤكد عبد القاهر أهمية المعنى المعجمي في بناء الكلام، فيقرر أنّه لا نظم ولا ترتيب بدون فهم معاني الكلمات «التي هي شرط حتمي وضروري لتوارد مفردات التركيب وتراكبها»[(٢)]. يقول: «ولا يتصور أن تعرف للفظ موضعاً من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيباً ونظماً، وأنّك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك. فإذا تمّ لك ذلك أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها.. » واللفظ تبع للمعنى في النظم، وأنّ الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس، وأنّها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتاً وأصداء حروف لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر، أن يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يجعل لها أمكنة ومنازل، وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك»[(٣)].

وعليه فإنّ هذه الاقتباسات تفيد أنّ المعنى المعجمي عنصر أساس لأي دلالة تركيبية، فأيُّ علاقة سياقية في التراكيب يجب أن تُكوِّن العلاقات بين معاني الكلمات المفردة، وهو ما يسمى بـ "التوارد المعجمي" فالعلاقات التركيبية لا تقوم إلاّ بربطها بالمعاني المعجمية للألفاظ المؤتلفة بحسب تلك المعاني «وهذا يعني أنّه لا يتصور نشوء علاقات سياقية من إسناد وتخصيص بين ألفاظ لا معنى لها، أو بعبارة

(١) السابق (ص٥٠).

(٢) انظر، القرائن المعنوية، قرينة المعنى المعجمي (ص٤٦٦).

(٣) دلائل الإعجاز (ص ٥٥-٥٦).

أخرى: لا وجود لأي معنى وظيفي في تركيب أو نسق هرائي؛ لأن المعاني الوظيفية لا تترشح إلاّ عن توارد المعاني المعجمية لألفاظ أي تركيب أو نسق كلامي. وهذا أمر بديهي؛ لأنّه كما يقول عبد القاهر – لا يتصور أن تعرف للفظ من غير أن تعرف معناه. فلو انخلعت الألفاظ عن دلالتها أدخلت من معانيها- كما يحاجج عبد القاهر- لم يتصور أن يقوم فيها نظم أو ترتيب؛ لأنّ المتكلم غنماً يتوخى النظم ويعمل الفكر في المعاني المعجمية.

فالكلم تترتب في النطق بسبب ترتيب- أي توارد- معانيها المعجمية في النفس، ولا نستطيع أن نعتبر فيها ذلك إذا نحن عزلنا دلالتها جانباً. والقانون الذي ساقه عبد القاهر في هذا: "أنّ اللفظ تبع للمعنى في النظم" والمعنى هنا هو المعنى المعجمي بالتأكيد»[(١)].

وقد أظهر ابن هشام فهماً عميقاً لأثر المعنى المعجمي في التحليل الوظيفي للجملة (الإعراب) فَبيّن أنّ «أول ما يجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه مفرداً أو مركباً، ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور»[(٢)] فهي غير ذات معنى واضح يمكن لأجله أن تأخذ وظيفة إعرابية[(٣)]. ويذكر ابن هشام أمثلة تبين العلاقة بين معنى الكلمة المعجمي والوظيفة التي تكون عليها في التركيب. فمن ذلك «ولقد حكى لي أنّ بعض مشايخ الإقراء أعرب لتلميذ له بيت "المفصَّل"[(٤)]:

لا يُبعِدُ اللهُ التَّلبُّبَ والـــ غاراتِ إذْ قال الخَمَيسُ: نَعَمْ

فقال: "نَعَم" حرف جواب، ثم طلبا محل الشاهد في البيت، فلم يجداه، فظهر لي

(١) انظر، القرائن المعنوية، قرينة المعنى المعجمي (ص٤٦٧).

(٢) مغني اللبيب (ص ٦٨٤).

(٣) انظر، القرائن المعنوية، قرينة المعنى المعجمي (ص ٤٧٥).

(٤) البيت للمرقش الأكبر، انظر، ديوان المرقّشين (ص٧١)، المفصل (ص ٢٥)، شرح المفصل (١/ ٢١٩). التلبّب: لبس السلاح كله. النعم: واحد الأنعام. انظر، ديوان المرقّشين (ص٧١).

حينئذ حسنٌ لغة كنانة في نعم الجوابية وهي نِعِم بكسر العين، وإنّما (نعم) هنا واحد الأنعام، وهو خبر لمحذوف، أي هذه نعمٌ، وهو محل الشاهد.

وسألني أبو حيان-وقد عرض اجتماعنا- علام عطف "بحقلد" من قول زهير[(١)]:

تَـقِـيٌّ نَـقِـيٌّ لـم يُكـثّـر غنيـمـةً بنَـهْـكـةِ ذي قُـرْبى وَلا بِـحَـقَـلّـدِ[(٢)]

فقلت: حتى أعرف ما الحقلدُ؟ فنظرناه فإذا هو سيئ الخلق، فقلت: هو معطوف على شيء متوهم إذ المعنى ليس بمكثر غنيمة، فاستعظم ذلك.

وواصل ابن هشام استعراض الأمثلة على العلاقة بين معنى الكلمة المعجمي والوظيفة التي تكون عليها في التركيب، فقال: «وقال الشلوبين: حكى لي أنّ نحوياً من كبار طلبة الجزولي سئل عن إعراب "كلالة" من قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾[النساء: ١٢] فقال: أخبروني ما الكلالة؟ فقالوا له: الورثة إذا لم يكن فيهم أب فما علا ولا ابن فما سفل، فقال: فهي إذن تمييز»[(٣)].

وعقب ابن هشام على هذا فرأى توجيه الإعراب أن يكون الأصل: وإن كان رجل يرثه كلالة، ثم حذف الفاعل وبنى الفعل للمفعول فارتفع الضمير واستتر، ثم جيء بكلالة تمييزاً، وأن هذا النحوي قد أصاب في سؤاله وأخطأ في جوابه؛ لأنّ التمييز بالفاعل بعد حذفه نقض للغرض الذي حذف لأجله، وتتراجع عمّا بنيت الجملة عليه من طي ذكر الفاعل فيها. ولهذا لا يوجد في كلامهم مثل (ضرب أخوك رجلا) وأنّ الصواب في الآية (كلالة) بتقدير مضاف، أي ذا كلالة. وهو إمّا حال من ضمير (يورث) فكان ناقصة، و (يورث) خبر، أو تامة فـ (يورث) صفة، وأنّ مَنْ فسر (كلالة) بـ (الميت) الذي لم يترك ولداً ووالدا فهي أيضاً حال أو خبر،

(١) النهكة: النقصّ والإضرار، و"الحقلد": البخيل السيء الخلق، يقول: لم يكثر غنيمة بأن ينتهك ذا قربة، ولا هو بلئيم سيء الخلق، شعر زهير بن أبي سُلّمى (ص ١٩٠).

(٢) ديوانه (ص ٢٣٤).

(٣) مغني اللبيب (ص ٦٨٥).

ولكن لا يحتاج إلى تقدير مضاف، ومن فسّرها بـ(القرابة) فهي مفعول لأجله"[(١)].

وقد اعتنى معربو القرآن بربط العلاقة ما بين المعنى المعجمي والنحو، فظهر ذلك في توجيهاتهم الإعرابية، وسوف نأخذ بعض النماذج لبيان هذه العلاقة.

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٧].

اختلف توجيه كلمة "حسرات" عند المعربين وفقاً لتغيّر العلاقة ما بين المعجم والنحو. فالنّحاس يرى إعرابها "نصب على الحال"[(٢)]. بينما أضاف مكي بن أبي طالب وجهاً إعرابياً آخر اقتضاء لاختلاف المعنى المعجمي لدلالة الفعل (يري) يقول: "حسراتٍ" نصب على الحال؛ لأن ﴿يُرِيهِمُ﴾ من رؤية البصر، وهو حال من الهاء والميم في (يريهم)، ولو كان من العلم لكان (حسرات) مفعولاً ثالثاً"[(٣)].

ويقول أبو البقاء العكبري: «(يريهم) من رؤية العين؛ فهو متعدٍّ إلى مفعولين هنا بهمزة النقل؛ و"حسراتٍ" على هذا حال. وقيل: يريهم؛ أي يُعلمهم؛ فيكون (حسرات) مفعولاً ثالثاً»[(٤)]. وحلّل أبو السعود دلالة النصب (لحسراتٍ) قائلاً: «وهي ثالث مفاعيل "يُرى"؛ إن كان من رؤية القلب؛ وإلا فهي حال؛ والمعنى: أنّ أعمالهم تنقلب حسرات عليهم، فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم»[(٥)].

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ

(١) انظر، مغني اللبيب (ص ٦٨٥- ٦٨٦)، القرائن المعنوية، قرينة المعنى المعجمي (ص ٤٧٦).

(٢) إعراب القرآن (١/ ٢٧٨).

(٣) مشكل إعراب القرآن (١/ ١١٧).

(٤) التبيان في إعراب القرآن (١/ ١٣٧- ١٣٨).

(٥) تفسير أبي السعود "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" (١/ ١٨٧).

مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ [البقرة: ٢٥٣].

يقول أبو البقاء العكبري: «"ودرجات": حال من (بعضهم)؛ أي: ذا درجات. وقيل: (درجات) مصدر في موضع الحال. وقيل: انتصابه على المصدر؛ لأنّ الدرجة بمعنى الرفعة؛ فكأنّه قال: ورفعنا بعضهم رفعات. وقيل: التقدير: على درجات، أو في درجات، أو إلى درجات؛ فلمّا حذف حرف الجر وصل الفعل بنفسه»[(١)].

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥].

يقول المنتجب الهمذاني: «سراً مفعول ثانٍ، تقول: واعدت فلاناً كذا. وقيل: التقدير على سر، ثم حذف الجار ووصل إليه الفعل فنصبه، هذا إذا جعلته كناية عن النكاح الذي هو الوطء، لأنّه مما يُسَرُّ، فإن جعلته من السّر الذي هو الإخفاء، كان نصباً على الحال من الواو في ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ﴾ والمفعول الثاني على هذا محذوف تقديره: ولكنْ لا تواعدوهن النكاح مسرِّين به ولا مظهرين»[(٢)].

بعد بيان العلاقة بين المعنى المعجمي وصلته المهمة بالتراكيب النحوية عند علماء السلف، يمكن أنْ نقول إنّ هذه العلاقة لا تخفى على مَنْ يتأمّلها، إذا يظهر أنّ تعاورها من جملة الأمور التي أخذت بالحسبان منذ بدأ النظر النحوي مع سيبويه، شأنها شأن الاهتمام بقضايا النحو الأخرى، كذلك معربو القرآن الكريم ومفسروه حين أخذوا ينظرون ويتفهّمون مقاصده لم تغب عن أعمالهم تلمّس هذه العلاقة وأثرها في توجيه وجوه الإعراب؛ ليصلوا إلى المرامي والمقاصد خلف هذه التوجيهات، إذا ما علمنا أنّ دراسة المعنى المعجمي للفظ كانت تتمّ في الغالب من خلال المواقع التي يحتلها اللفظ في التركيب، وهذا منهج نجده واضحاً عند معربي

(١) التبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٠١).

(٢) الفريد في إعراب القرآن المجيد (١/ ٥٣٤).

الكريم[١]. بل إنّهم لم يهملوا هم والنحاة ما يتعلق بالتراكيب من معاني العناصر النحوية، وعلاقة بعضها ببعض، فوضحّوا قضايا متصلة بهذه التراكيب منها: الاتساع، والتضمين، والإسناد المجازي الذي بدوره يشير إشارة واضحة إلى إدراك النحاة أهمية المعنى المعجمي للفظ في تصنيف التراكيب النحوية التي يقع فيها من حيث الصحة والخطأ على مستوى الحقيقة والمجاز، كما أنّها تبيّن تفطن النحاة للدور الذي يؤديه أبناء اللغة في تجاوز بعض القيود اللغوية والقواعد النحوية[٢]. كما راعوا السياق بنوعيه المقامي والمقالي لذا فإنّه يصعب الفصل بين هذه العناصر بعضها عن بعض. إنّ النظر في الأبعاد السابقة التي ذكرناها لتؤكد "التداخل" العميق بين المستوى النحوي والمعنى بقسميه المعجميّ والدلالي.

كما يبيّن أنّ عمليّة تحديد الإعراب لعنصر من العناصر، أي عمليّة تحديد الوظيفة النحوية التي يمثّلها، لا يمكن أن تتم بصورة صحيحة دون النظر في معنى ذلك العنصر ومعنى العناصر الأخرى التي يرتبط بها[٣].

(١) انظر، منزلة المعنى في نظرية النحو العربي (ص١٢١).

(٢) انظر، السابق (ص١١٧).

(٣) انظر، السابق (ص١٣٠).

المبحث الثاني

التوجيهات النحوية وعلاقاتها المعجمية

المسألة الأولى: كان بين النقصان والتمام، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ [البقرة:٢٨٠].

يقول السمين: "قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ في "كان" هذه وجهان:

أحدهما: وهو الأظهر -أنّها تامة بمعنى حدث ووجد، أي: وإنْ حدث ذو عسرة فتكتفي بفاعلها كسائر الأفعال.

والثاني: أنّها الناقصة والخبر محذوف. قال أبو البقاء: «تقديره: وإن كان ذو عسرة لكم حَقٌّ أو نحو ذلك» وهذا مذهب بعض الكوفيين في الآية، وقَدَّر الخبر: وإنْ كان من غرمائكم ذو عسرة. وقدّره بعضهم: وإنْ كان ذو عسرة غريماً»[(١)].

ذكر السمين توجيهين إعرابيين للفعل (كان) ارتبط بقرينة المعنى المعجمي ما بين (كان) التامة و (كان) الناقصة وأثر هذا في معنى الآية. وهذا بدوره يتطلب منا الوقوف على ما جاء عند النحاة ومعربي القرآن؛ لنعرف نظرتهم إلى الفعل (كان) بين التمام والنقصان؛ لِنُرجّح بالأدلة أيُّهم يمكن حمل الآية عليه.

فعلى الوجه الأول: (كان) تامة بمعنى حدث ووجد، كما ذكر السمين، فقد استند إلى قرينة المعنى المعجمي في هذه الآية، وهو ما نصّ عليه النحاة، يقول سيبويه «وقد يكون لكان موضع آخر يقتصر على الفاعل فيه، تقول: «قد كان عبد الله، أي: قد خُلق عبد الله وقد كان الأمر، أو وقع الأمر. وقد دام فلان، أي: ثبت. كما تقول: رأيت زيداً رؤية العين وكما تقول: أنا وجدته تريد وجدان الضالة، وكما يكون أصبح وأمسى مرة بمنزلة استيقظوا وناموا» [(٢)].

---

(١) الدر المصون (١/ ٦٦٨).

(٢) الكتاب (١/ ٤٦).

بيّن سيبويه في هذا النص:

١- المعنى المعجمي للفعل كان بـ (وقع، رأى، دام، ووجد) فهي أفعال تدل على حدث وزمن.

٢- قياسه (كان) على الفعل (رأى) الذي بمعنى شاهد، وهو فعل متعد دال على حدث وزمن قياس مستقيم، وكذلك الفعل وجد.

وقد بيّن الجوهري الاستخدام المعجمي (لكان) فجاء نصّه صريحاً في ذلك قائلاً: «وإذا جعلته عبارة عن حدوث الشيء ووقوعه استغنى عن الخبر؛ لأنّه دلّ على معنى وزمان. تقول: كان الأمرُ، وأنا أعرفه مذ كان، أي: مذ خُلق»[(١)].

وتوسّع ابن مالك في ذكر المعاني المعجمية التي تعدُّ بها كان تامة يقول: «وتتم كان بأنْ يراد بها معنى ثبت، وثبوت كل شيء بحسبه، فتارة يعبّر عنه بالأزلية، نحو: كان اللهُ ولا شيء معه، وتارة يعبّر عنه بحدث كقوله[(٢)]:

إذا كانَ الشّتاءُ فأدْفئوني ... فإنّ الشّيخَ يَهْرِمُه الشتاءُ

وتارة يعبّر عنه بحضر، كقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة:٢٨٠]، وتارة يعبّر عنه بقدر أو وقع نحو: "ما شاء الله كان"، وتتم كان أيضاً بأن يراد بها معنى كفل، فتتعدى بعلى، ومصدرها كناية، وتتم كان أيضاً مراداً بها معنى غزل، ذكر ذلك أبو محمد البطليوسي، وتتم توالي كان الثلاث: وهن: "أضحى وأصبح وأمسى" بأن يراد بهن الدخول في الضحى والصباح، والمُسْي، كقوله: ﴿فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الروم: ١٧].

وكقول الشاعر[(٣)]:

ومِنْ فَعِلاَتي أنّني أُحْسنُ القِرى ... إذا الليلةُ الشّهْبَاءُ أضحَى جَلِيدُها

(١) الصحاح: (ك و ن).

(٢) انظر، كتاب شرح أبيات سيبويه (ص٣٩).

(٣) البيت لعبد الواسع بن أسامة، انظر، شرح المفصل (٧/ ١٨٩)، شرح التسهيل (١/ ٣٤٢). القرى: طعام الأضياف، الليلة الشهباء: المجدبة الباردة، الجليد: ماء جمد من الندى، شرح المفصل (٧/ ١٩١).

وتتم بات، ظلّ بأن يراد بها معنى دام أو طال، وتتم بات في قولهم: بات بالقوم إذا نزل بهم ليلاً، فتستعمل متعدية بالباء وبنفسها. وتتم صار بأن يراد بها معنى رجع فتتعدى بإلى، أو معنى ضم أو قطع فتتعدى بنفسها إلى مفعول واحد»[(١)]. لم يحدد ابن مالك في النص السابق معنى معيناً للفعل التام، بل عدّ له كثيراً من المعاني، نحو. ثبت، ووقع، وحدث، وحضر، وقدر، وكفل، فهذه المعاني تعتمد على السياق الذي ترد فيه، فلا ضابط له.

إذاً قول النحاة: فعل تام (من كان وبعض أخواتها) لم يضبطه ضابط يحدده؛ لذا نرى أنّ (كان) بمعنى: وقع أو حدث قول فيه نظر، فالأصل أن يحدد معناها من السياق، إضافة إلى أنّ بيانها ببعض المعاني كـ غزل وكفل مستبعد، بل هو عند أبي حيان من غريب القول، يقول: «ونكتفي بمرفوع فتارة تكون فعلاً لازماً وتارة متعدياً بمعنى كفل أو غزل: كنْتُ الصبي كفلته، وكنت الصوف غزلته وهذا من غريب اللغات»[(٢)].

وقد التفت مفسرو القرآن لـ (كان) فرأى الطبري الرفع بـ (كان) وجهاً صحيحاً، ولم يكن هناك حاجة إلى تأويل خبر، يقول:﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ مرفوع بـ "كان" فالخبر متروك، وإنّما صلح ترك خبرها، من أجل أن النكرات تضمر لها العرب أخبارها، ولو وُجِّهت "كان" في هذه الموضع، إلى أنّها بمعنى الفعل المكتفي بنفسه التام، لكان وجهاً صحيحاً، ولم يكن بها حاجة حينئذٍ إلى خبر»[(٣)]. ليكون المعنى المعجمي لكان (وُجِد) كما يرى الطبري «وإن وُجد ذو عسرة من غرمائكم برؤوس أموالكم، فنظرة إلى ميسرة»[(٤)].

(١) شرح التسهيل (١/ ٣٤٢-٣٤٣).
(٢) البحر المحيط (١/ ١٨١).
(٣) جامع البيان (٢/ ٧٧٥).
(٤) السابق (٢/ ٧٧٥).

وقدّر القرطبي (كان) التامة بالمعنى المعجمي "وجد وحدث"، قائلاً: «وارتفع ذو بكان التامة التي بمعنى وجد وحدث، هذا قول سيبويه وأبي علي وغيرهما»[(١)].

وإذا ما انتقلنا إلى ما جاء عند معربي القرآن فنراهم قد وظّفوا قرينة المعنى المعجمي، وظهر أثرها في توجيه الإعراب في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]. فأوردوا لـ (كان) من المعاني ما يتوافق مع معنى الآية، فالزجاج قد رأى أنّ المعنى على "وقع"، يقول: «أي وإنْ وقع ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾...والرفع على أنّ ﴿وَإِن كَانَ﴾ على معنى "إن وقع ذو عسرة"»[(٢)]. أمّا النحاس فقد جعل المعنى المعجمي لـ (كان) بمعنى (وقع) أحسن ما قيل في توجيه الآية "كان" بمعنى وقع. وأنشد سيبويه[(٣)]:

فِدى لِبني ذُهلِ بن شَيْبَانَ ناقَتِي إذا كانَ يَوْمٌ ذو كَواكِبَ أشْهَبُ

فهذا أحسن ما قيل فيه؛ لأنّه يكون عاماً لجميع الناس»[(٤)].

الوجه الثاني: (كان) ناقصة والخبر محذوف. قدّره أبو البقاء «وإن كان ذو عسرة لكم عليه حقٌّ أو نحو ذلك، وهذا مذهب الكوفيين في الآية، وقدر الخبر: وإن كان من غرمائكم ذو عسرة. وقدره بعضهم: وإن كان ذو عسرة غريماً»[(٥)].

نعلم أنّ هناك عوامل تدخل على الجملة الاسمية، وهو باب واسع في العربية يعوّل في أكثره على نظرية العامل ومدى تأثير هذا العامل في المبتدأ والخبر، و(كان) من ضمن هذه العوامل التي أدرجها النحويون تحت باب الأفعال الناسخة؛ لأنّها كما يرون تُغيّر حركة الخبر من حالة الرفع إلى حالة النصب، وهذه الأفعال هي

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٤١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٥٩).

(٣) انظر، البيت لمقاس العائذي، الكتاب (١/ ٤٧)، شرح أبيات سيبويه (١/ ٢٥٢). أشهب: يعني يوم الحرب، ووصفه بالشهبة، وهي البياض، انظر، اللسان (شهب).

(٤) إعراب القرآن (١/ ٣٤٢).

(٥) انظر، الدر المصون (١/ ٦٦٨).

"كان، وأصبح، وأضحى، وظلّ، وصار، وأمس، وبات، وما زال، وليس، وما دام، وألحق بهن "ما انفك، ما برح، ما فتئ". وقد فصّل النحاة في عرض هذه الأفعال وفق صور متعددة؛ نظرتهم الأولى بيان حركة الإعراب على الخبر بتأثير هذه الأفعال، يقول سيبويه «هذا باب الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول فيه لشيء واحد، فمن ثم ذكر على حدته، ولم يذكر مع الأول؛ لأنّ حالك في الاحتياج إلى الآخر هاهنا كحالك في الاحتياج إليه ثَمّة. وذلك قولك: كان ويكون، وصار، وما دام، وليس وما كان نحوهنَّ من الفعل مما لا يستغني عن الخبر، تقول: كان عبد الله أخاك، فإنّما أردت أن تخبر عن الأخوّة، وأدخلت كان لتجعل ذلك فيما مضى، وذكرت الأول كما ذكرت المفعول الأول من ظننت. وإنّ شئت قلت: كان أخاك عبد الله فقدّمت وأخرت كما فعلت ذلك ضرب؛ لأنّه فعل مثله، وحال التقديم والتأخير فيه كحاله في ضرب، إلا أنّ اسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد»[(١)]. وقد رأى الرضيّ أنّ (كان) تحمل الدلالة على الحدث والزمن، يقول: «وما قال بعضهم من أنّها سمِّيت ناقصة؛ لأنّها تدّل على الزمان دون المصدر، ليس بشيءٍ؛ لأنّ "كان" في نحو "كان زيد قائماً، يدل على الكون الذي هو الحصول المطلق»[(٢)].

وقد وافقه على هذا الرأي من المحدثين إبراهيم السامرائي، قائلاً: «ومن هنا فإنّ هذه الأفعال لا تختلف عن أفعال العربية الأخرى في شيء من عناصر الفعلية وهو الدلالة على الحدث المقترن بزمان ما. ولا نستطيع سلب الحدث من هذه المواد فتصبح كأنّها المواد الجامدة، وحقيقة الاستعمال لا تؤيد وجود هذه الصفة في هذه الأفعال»[(٣)].

(١) الكتاب (١/ ٤٥).

(٢) شرح الرضيّ (٤/ ١٩٢).

(٣) الفعل زمانه وأبنيته (ص٥٦-٥٧).

وقد رُدَّ هذا الرأي بما جاء عند ابن أبي الربيع، فقد جعل من نقاط ضعف الأفعال الناقصة افتقادها للحدث، يقول: «الضعف الثاني: أن جميع الأفعال تؤكد بالمصدر، ويتبيّن مصدرها فتقول: ضرب زيد عمراً ضربا، إذا أردت أن تؤكد المصدر، وتقول: ضرب زيد عمراً ضرباً شديداً، إذا أردت بيان النوع، وضربتين إذا أردت بيان العدد، وهكذا جميع الأفعال، ولا يجوز لك ذلك في (كان) الناقصة وأخواتها، ولا تقول: كان زيد قائماً كونا، ولا كان زيد قائماً كونتين، وكذلك جميع أخواتها، ولا أعلم في هذا خلافاً»[(١)].

ولم تتخلص هذه الأفعال من دلالتها المعجمية حتى بعد انتقالها إلى التراكيب الجملية الاسمية «ويشهد بإدراك هذا الانتقال من المعجمية إلى الوظيفية شرحهم لدلالة هذه الأفعال في حالة الوظيفية شرحاً لا يتخلص من دلالتها المعجمية، مثل قولهم إنّ (أصبح) تعني اتصاف الاسم بالخبر وقت الصباح»[(٢)].

وحتى تكتمل الصورة لما ذكره النحاة عن (كان) الناقصة، لعلّ من المناسب أن نقف على ما جاء عند معربي القرآن الكريم؛ لنرى موقفهم مما ذكر السمين. فالزجاج قد تأوّل قراءة لـ كان الناقصة «ولو قرئت، وإن كان ذا عُسْرة لجاز، (أي) وإن كان المدين الذي عليه الدّينُ ذا عسرة»[(٣)]. ورأى ألّا يخالف المصحف[(٤)].

وقد جوّز النحاس «أن يكون خبر كان محذوفاً وإن كان ذو عسرة في الدين، وقال حجاج الوراق في مصحف عبد الله (وإن كان ذا عسرة). قال أبو جعفر: والتقدير وإن كان المعامل ذا عسرة (فنظرة إلى ميسرة)»[(٥)]. وذهب مكي بن أبي

(١) البسيط (٢/ ٦٦٣-٦٦٤).

(٢) انظر، كان وأخواتها من المعجمية إلى الوظيفية (ص٢٤٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٥٩).

(٤) السابق (١/ ٣٥٩).

(٥) إعراب القرآن (١/ ٣٤٢).

طالب إلى أنّ نصب (ذا) على خبر كان لصار مخصوصاً في قوم بأعيانهم[١]. أمّا العكبري فقد قال: «قيل هي (كان) الناقصة، والخبر محذوف تقديره: وإن كان ذو عسرة لكم عليه حق أو نحو ذلك»[٢] وزاد العكبري أنّه لو نصب: ذا عسرة لكان الذي عليه الحق معنياً بالذكر السابق، وليس ذلك في اللفظ إلاّ أن يتمحّل لتقديره»[٣]. وقد توسّع أبو حيان في توجيه (كان) الناقصة في الآية وزاد على ما سبقه، فاعتمد على القراءات القرآنية في هذا التوجيه، يقول: «وأجاز بعض الكوفيين أن تكون ناقصة هنا، وقدّر الخبر: وإن كان من غرمائكم ذو عسرة، فحذف المجرور الذي هو الخبر، وقدّر أيضاً: وإن كان ذو عسرة لكم عليه حق، وحذف خبر كان لا يجوز عند أصحابنا لا اقتصاراً ولا اختصاراً، وقرأ أُبي وابن مسعود، وعثمان، وابن عباس (ذا عسرة) وقرأ الأعمش "معسراً" وحكى الداني عن أحمد بن موسى: أنّها كذلك في مصحف أُبَيّ، على أنّ في كان اسمها ضميراً، تقديره: هو أي: الغريم، يدل على إضماره ما تقدّم من الكلام...

وقرئ: (ومَنْ كان ذا عُسرة) وهي قراءة أبان بن عثمان «فمن نصب (ذا عسرة) أو قرأ (معسراً) وذلك بعد أن كان، فقيل: يختص بأهل الربا»[٤]. ولم يزد السمين على ما جاء عند أبي حيان عن (كان) الناقصة وما ارتبط بها من صور الإعراب، إلا ما استفدناه من المعنى المعجمي.

ومما سبق عرضه، ومن باب الربط بين الإعراب والدلالة أو بين مبنى التركيب ومعناه، وتوجيهاً للمعنى المعجمي وأثره في الإعراب، فإننا نميل إلى القول بأنّ

(١) مشكل إعراب القرآن (١/ ١٤٣).

(٢) التبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٢٤).

(٣) البحر المحيط (٢/ ٣٥٤).

(٤) مختصر شواذ القرآن (ص٢٤).

(كان) في الآية جاءت تامة، لما يأتي:

١- معناها المعجمي الدلالة على الحدوث والحصول والوجود، أي إن وجد ذو عسرة، وقد نصّ النحاة على هذا المعنى المعجمي لـ (كان) كما ذكرنا.

٢- جعل معربو القرآن (كان) تامة في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة:٢٨٠]، الوجه الحسن والأظهر والأجود لدلالتها على سياق الآية، يقول النحاس: «كان بمعنى وقع، وأنشد سيبويه:

فِدى لِبنَي ذُهلِ بنِ شَيْبَانَ ناقَتِي إذا كانَ يَوْمٌ ذو كُواكِبَ أشْهَبُ

فهذا أحسن ما قيل فيه؛ لأنّه يكون عاماً لجميع الناس»[(١)].

ويقول المنتجب الهمذاني: «كان هنا تامة،... والرفع أجود لما فيه من التعميم»[(٢)].

ويقول السمين: «والأظهر أنّها تامة بمعنى حَدَثَ ووجُد، أي: وإن حدث ذو عسرة فتكتفي بفاعلها كسائر الأفعال»[(٣)].

٣- في التوجيه السابق (كان) تامة بُعْدٌ بالآية عن التأويل والتقدير الذي يتطلبه القول بـ (كان) الناقصة، فقد رأينا آراء معربي القرآن في تعدد صور اسم كان وخبرها، والخلاف الذي كان بين نحاة الكوفة والبصرة حوله، فضلاً عن الاستناد إلى القراءات الشاذة لتأييد ما يذهبون إليه، وهو ما دفع بعض النحاة إلى رفض مثل هذه التوجيهات في إعراب القرآن هدفهم من ذلك كما قال أبو حيان: «متى أمكن حمل الكلام من غير إضمار ولا افتقار كان أولى أن يسلك به الإضمار والافتقار، وهكذا تكون عادتنا في إعراب القرآن لا نسلك فيه إلا الحمل على أحسن الوجوه وأبعدها من التكلف وأسوغها في لسان العرب»[(٤)].

---

(١) إعراب القرآن (١/ ٣٤٢).

(٢) الفريد في إعراب القرآن المجيد (١/ ٥٩٥-٥٩٦).

(٣) الدر المصون (١/ ٦٦٨).

(٤) البحر المحيط (١/ ١٥٩).

٤- رأي الطبري أنّ قراءة النصب (وإن كَانَ ذا عُسْرَةٍ) غير جائزة؛ لأنها مخالفة خطوط مصاحف المسلمين(١).

المسألة الثانية: نصب ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ﴾ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩﴾ [البقرة: ٢٩].

يقول السمين: «قوله ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ﴾ في نصبه خمسة أوجه:

أحسنها: أنّه بدل من الضمير في "فسوّاهن" العائد على السماء كقولك: أخوك مررت به زيدٍ.

الثاني: أنّه بدل من الضمير أيضاً، ولكن هذا الضمير يفسرّه ما بعده.

الثالث: أنّه مفعول به، والأصل: فسوّى منهم سبعَ سموات، والأصل، فسوّى منهنّ سبعَ سماوات، وشبّهوه بقوله تعالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا﴾ [الأعراف: ١٥٥]، أي من قومه، قاله أبو البقاء وغيره. وهذا ضعيف لوجهين:

أحدهما: بالنسبة إلى اللفظ. والثاني بالنسبة إلى المعنى.

أمّا الأول: فلأنّه ليس من الأفعال المتعدية لاثنين أحدهما بإسقاط الخافض، لأنّها محصورة في أمر، واختار، وأخواتهما.

الثاني: أنّه يقتضي أن يكون ثَمَّ سموات كثيرة، سوّى من جملتها سبعاً وليس كذلك.

الرابع: أنّ "سوّى" بمعنى صيّر فيتعدّى لاثنين، فيكون "سبعَ" مفعولاً ثانياً، وهذا لم يثبت أيضاً أعني جعل "سوّى" مثل صيّر.

الخامس: أن ينتصب حالاً ويُعزى للأخفش. وفيه بُعْدٌ من وجهين:

أحدهما: أنّه حال مقدرة وهو خلاف الأصل.

والثاني: أنّها مؤولة بالمشتق وهو خلاف الأصل أيضاً»(٢).

(١) انظر، جامع البيان (٢/ ٧٧٥).

(٢) الدر المصون (١/ ١٧٢- ١٧٣).

ذكر السمين الحلبي عدداً من الأوجه الإعرابية، بدأها بالوجه الذي حسّنه لتوجيه الآية فرآه في البدل. أمّا باقي الأوجه، فسوف نذكرها ثم نقف مع ما له علاقة بقرينة المعنى المعجمي وأثره في توجيه التركيب الجملي في الآية وفق الآتي:

فالوجه الثاني عند السمين «أنّه بدل من الضمير، ولكن هذا الضمير يفسره ما بعده»(١). رُدّ هذا الوجه كما جاء عند ابن هشام، يقول: «وعندي أنّ الزمخشري يُفَسِّر الضمير بالتمييز في غير بابي "نِعْمَ وَرُبَّ"، وذلك أنّه قال في تفسير ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾[البقرة:٢٩]. الضمير في ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ ضمير مبهم، و﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾ تفسيره، كقوله "رُبّه رجلا"، وقيل: راجع إلى السّماء، والسماء في معنى الجنس، وقيل: جمع سماءة والوجه العربي هو الأول، ويؤول على أنّ مراده أنّ "سبع سموات" بدل، وظاهر تشبيهه بـ "رُبَّه رجلا" يأباه»(٢).

الثالث: نصب ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾ على المفعولية للفعل (سوّى) ولكن على نزع الخافض، سبق الأنباري السمين بذكر هذا التوجيه، يقول الأنباري: «أن يكون منصوباً ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾؛ لأنّه مفعول (سَوَّى)، على تقدير: فَسوّى منهن سبع سماوات، فحذف حرف الجر، فصار ﴿سَوَّاهُنّ﴾، كقوله ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا﴾ [الأعراف: ١٥٥]، أيْ: من قومه ثم حذف حرف الجر، فاتّصل (سوّاهن) بما بعده، فنصبهُ»(٣). معلوم أن النصب على نزع الخافض من المسائل التي تتصل بالمفعول به، حيث اتفق النحاة على التعدية بحذف حرف الجر، يقول سيبويه: «وإنّما فصل هذا أنها أفعال توصل بحروف الإضافة، فتقول: اخترت فلاناً من الرجال، وسمّيته بفلان، كما تقول: عرفتَّه بهّذه العلاقة وأوضحته بها، واستغفر

(١) السابق (١/ ١٧٢).

(٢) مغني اللبيب (ص٦٣٨).

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن (١/ ٦٨).

الله من ذلك، فلمّا حذفوا حرف الجر عمل الفعل»[١].

وقد اختلف النحاة في هذا النصب بين السماع والقياس، فسيبويه ومعهم جمع من النحاة يرون قصره على السماع، ويقول سيبويه: «وليست استغفر الله ذنباً، وأمرتك الخير، أكثر في كلامهم جميعاً، إنّما يتكلم بها بعضهم... وليس كل فعل يفعل به هذا»[٢]. ونصّ على ذلك ابن السراج «فلّما كان الفعل لا يصل إلى زيدٍ إلا بحرف جر»[٣].

ورأى الأخفش قياس التعدية بحذف حرف الجر إذا تعيّن موضع الحذف والمحذوف قياساً نحو: بريت القلمَ السكينَ، يريد بالسكِينِ؛ لأنّه قد تعيّن المحذوف وهو الباء وموضع الحذف وهو السكين»[٤].

وذهب ابن عصفور عدم جواز الحذف مطلقاً لقلة ما ورد في ذلك، فلا يحفظ منه إلا أفعال محددة هي: اختار، واستغفر، وسمّى، وكنّى، ودعا بمعنى سمّى، وأمر»[٥]. وقد ربط عبد الجبار التوامي المنصوب على نزع الخافض بقرينة المعنى المعجمي الذي رآه فيما يسميه النحاة بالحذف والإيصال والتعدية بنزع الخافض، قائلاً «نجد أنّ الفعل يتفاعل معجمياً مع بعض المدخلات من الألفاظ فيستغني عن ضميمته من حرف الإضافة، فيصبح متعدياً بعد أن كان لازماً (متعدياً بالحرف). من ذلك ما ذكر سيبويه من شروط معجمية لحدوث هذا الاستغناء، والتي منها: أن يكون مدخول الفعل مما يدل على مكان مختص تشبيها له بالمكان المبهم، نحو (ذهبت الشام) و (دخلت البيت).

(١) الكتاب (١/ ٣٨).
(٢) السابق (١/ ٣٨).
(٣) الأصول (١/ ٢١٥)
(٤) انظر، شرح الجمل (١/ ٣٠٥).
(٥) السابق (١/ ٣٠٥ – ٣٠٧).

وذكر أنّ الفعل يتعدى إلى ما اشتق من لفظه اسما للمكان وإلى المكان؛ لأنّه إذا قيل (ذهب أو قعد) فقد علم أنّ للحدث مكاناً، وإنّ لم يذكره، كما علم أنّه قد كان منه ذهاب، وذلك نحو (ذهبت المذهب البعيد) و(جلست مجلساً حسنا) و(قعدت مقعدا كريماً) و(قعدت المكان الذي رأيت) و(ذهبت وجهاً من الوجوه) وذكر سيبويه بعد هذا أنّ بعضهم قال (ذهبت الشام) يشبهه بالمبهم، إذ كان مكاناً يقع عليه بالمكان والمذهب. وإنّ هذا شاذ، لأنّه ليس في (ذهب) دليل على (الشام)، وفيه دليل على المذهب والمكان»[(١)].

والذي يظهر لي أنّ الوجه الإعرابي السابق لا يستقيم؛ لعدم وجود المواءمة المعجمية من حيث اللفظ والمعنى بين الفعل (سوّى) والأفعال (اختار، واستغفر وكنّى...) وهو ما ذكره أبو حيان قائلاً: «وهذا ليس جيداً من حيث اللفظ ومن حيث المعنى، أمّا من حيث اللفظ: فإنّ سوّى ليس من باب (اختار) فيجوز حذف حرف الجر منه في فصيح الكلام، وأمّا من حيث المعنى فلأنه يدل على أنّ السموات كثيرة فسوّى منهن سبعاً، والأمر ليس كذلك إذ المعلوم أنّ السموات سبع»[(٢)]. وهو ما رآه السمين فيما ذكرنا.

إضافة إلى ذلك فإنّ الفعل (سوّى) وَرَدَ في القرآن الكريم متعدياً بنفسه مذكوراً معه مفعول، وفي بعض الآيات بدون مفعوله، فمما جاء معه مفعوله قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة:٩]، ومن دون مفعوله في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [القيامة:٣٨]، وهو ما يخالف فيه (اختار وأخواتها) إذا يذكر معهم المفعول مرة ومرة أخرى بحرف الجر.

(١) الكتاب (١/ ٣٥)، القرائن المعنوية، قرينة المعنى المعجمي (ص ٥٢٠- ٥٢١).

(٢) البحر المحيط (١/ ٢٨١).

الرابع: أنّ "سوّى" بمعنى (صيّر) فيتعدّى لاثنين، فيكون "سبعَ" مفعولاً ثانياً...».

لعلّ هذا الوجه الإعرابي يقودنا إلى ربط التوجيه بالتضمين النحوي للفعل (صيّر) وعدّه فعلاً ناصباً لمعفولين. اعتنى القدماء بالتضمين، فكثرت فيه الأقوال وتعددت[١]، فابن هشام يرآه «قد يشربون لفظاً معنى لفظ فيعطونه حكمه»[٢]، وعند السيوطي «إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه»[٣].

وهو ما يراه عبد الجبار توامي في قرينة "المعنى المعجمي" تبعاً لموضوع التعدية واللزوم في العربية، ويلاحظ اتصاله الوثيق بقرينة المعنى المعجمي، فقد يكون الفعل لازماً فيتعدى بالتضمين، أو يكون متعدياً فيلزم، أو يستمر لازماً، ولكن يعدل به عن حرفه إلى حرف آخر؛ وفائدة التضمين وغرضه التعبيري أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين».[٤]

وعليه فإنّ المعنى المعجمي الآخر للكلمة فيه "ضرب" ومن توسيع دلالة الكلمة، لكن المعنى المكتسب لا يفهم من الكلمة وحدها دون السياق، ذلك أنّها تكون في موضع تركيبي للكلمة الأخرى وتتلبس فيه وتأخذ حكمها في التركيب فتودي المعنى الأصلي بلفظها وتؤدي معنى الكلمة الأخرى بموضعها التركيبي الذي تلبست به فتمتزج الدلالتان في تلك الكلمة المذكورة وذاك التركيب[٥].

وقد بيّن النحاة أثر التضمين في بعض الأفعال التي تنتقل من فعل متعد لمفعول إلى متعد لمفعولين مع إعطاء دلالة التحويل والتصيير للفعل المكتسب، وهو ما ذكره

(١) انظر، التضمين النحوي في القرآن الكريم (١/ ٨٩- ١٠٢).

(٢) مغنى اللبيب (ص ٦٤٨).

(٣) معترك الأقران في إعجاز القرآن (ص ٣٩٨).

(٤) انظر، القرائن المعنوية، قرينة المعنى المعجمي (ص٥٢١).

(٥) انظر، القرينة المعجمية وأثرها في توجيه المعنى تفسير البحر المحيط أنموذجاً (ص ٣٠٧).

أبو حيان وغيره من النحاة المتأخرين يقول: «وزعم جماعة من المتأخرين –منهم خطاب الماوردي[١]– أنّه يجوز أن يضَمّن الفعل المتعدي إلى واحد معنى (صيّر)، ويُجعل من هذا الباب، فأجاز أن يقال: حَفَرتُ وسط البئر بئراً، بمعنى: صيّرت وسط الدار. قال خطاب: ولا يكون بئراً تمييزاً، لأنّه لا تَحسن فيه مِنْ. وكذلك أجاز: بَنَيتُ الدار مسجداً، وقطّعت الثوب قميصاً، وقطعتُ الجلد نعلاً، وصبغتُ الثوب غُراباً؛ لأنّ المعنى صَيَّرْتُ»[٢] وقد رأى أبو حيان أنّ هذا من باب التضمين، والتضمين لا يجوز بقياس في الكلام، وإنّما يجيء في الشعر للضرورة، وإنْ جاء شيء منه في الكلام حفظ، ولم يُقَسْ عليه لقلة ما جاء منه[٣].

وعلى ضوء هذا الرأي لأبي حيان عن هذا التضمين لفعل التحويل والتصيير، نجده يرد وجه إعراب "سبعَ سموات" على المفعول الثاني (سوّاهن) ويراه ليس بجيدٍ؛ "لأنّ تعدي" سوّى لواحد هو المعلوم في اللغة ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ [الانفطار: ٧]، ﴿قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ [القيامة: ٤].

وأمّا جعلها بمعنى صيّر فغير معروف في اللغة».[٤] وهو ما أخذ به السمين.

الخامس: أنّ ينتصب حالاً ويُعْزى للأخفش، وقد بَعّدَ السمين هذا الوجه الإعرابي من وجهين، أحدهما: أنّه حال مقدرة، وهو خلاف الأصل، والثاني: أنّها مؤولة بالمشتق، وهو خلاف الأصل أيضاً.[٥]

قبل مناقشة هذا التوجيه عند الأخفش وبعد الرجوع إلى مؤلفَّه "معاني القرآن" وعند الآية السابقة [٢٩] من سورة البقرة، لم نجد إشارة إلى القول بالحال.[٦]

(١) أبو بكر، خطاب ابن يوسف بن هلال القرطبي، (ت: ٤٥٠هـ)، انظر، بغية الوعاة (١/ ٥٥٣).
(٢) التذييل والتكميل (٦/ ٤٤).
(٣) السابق (٦/ ٤٤).
(٤) البحر المحيط (١/ ٢٨١- ٢٨٢).
(٥) انظر، الدر المصون (١/ ١٧٣).
(٦) انظر، معاني القرآن (١/ ٥٥- ٥٦).

كذلك بعد الوقوف على كتب إعراب القرآن قبل السمين نجد مَنْ ذكر إعراب (الحال)، لكنّه لم يشر إلى الأخفش أو يَرّد عليه هذا الرأي.(١)

الأصل في الحال أنّ تكون منتقلة غير ثابتة، وهو ما اشترطه النحاة لذلك؛ لاختلاف أحوال أصحابها، غير أنّها تخرج عن دلالتها الأصلية، فتأتي في حقول دلالية يصلحان فيها. منها: الدلالة على التسعير، الدلالة على الطور، الدلالة على المفاعلة، والدلالة على الترتيب والموالاة...وليس هنا مجال تفصيل القول فيها والذي يهمنا هو خروجها في التوجيه الإعرابي السابق عن معيارها الدلالي النحوي بأبعاده القائم على الأصل في اشتقاقها لذا خرجت عن دلالتها المعجمية، وهو ما أشار إليه السمين.

والذي يراه الباحث ويميل إليه في توجيه الإعراب، ووفقاً لما يقتضيه المعنى المعجمي أن تكون (سبعَ سمواتٍ) منصوبة لكونها مفعولاً به ثانياً للفعل (سوّاهن) ولعلّه يستند في ذلك إلى ما يلي:

١- ما ذهب إليه مفسرو القرآن الكريم؛ فهم يرون أنّ معنى "سَوّاهنّ" جعلهن، يقول ابن عطية: «"فسوّاهنّ" قيل: المعنى جعلهن سواء».(٢)، ويقول الطاهر بن عاشور قوله ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ﴾ إذ جعلها سبعاً.(٣)

٢- حمل آية ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ﴾ [البقرة:٢٩] على آية ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾ [فصلت:١٢]، للمقاربة المعجمية التي تحمل التضمين بين الفعلين "سوّاهنُّ" و"قضاهّن" للدلالة على معنى التحويل والتصيير، وهو ما ذكره العلماء، يقول أبو حيان: «...وقال الحوفي: «مفعول ثان، كأنّه ضَمن (قضاهن) معنى

(١) انظر، البحر المحيط (١/ ٢٨٢).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ١٦١).

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٣٨٢).

"صيّرهنّ" فعداه إلى مفعولين».[١] ويقول السمين «سَبْعَ: أنّه مفعول ثان لـ ﴿قَضَاهُنَّ﴾؛ لأنّه ضُمِّن معنى صيَّرهُنَّ بقضائه سبعَ سموات».[٢]

ويقول الطاهر بن عاشور: «... وجُوِّز أن يكون مفعولاً ثانياً لـ ﴿قَضَاهُنَّ﴾ لتضمين ﴿قَضَاهُنَّ﴾ معنى صَيّرهُنَّ، وهذا كقوله في سورة البقرة ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾».[٣]

المسألة الثالثة: نصب ﴿شَيۡـٔٗا﴾

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ [البقرة: ٤٨].

يقول السمين: قوله ﴿شَيۡـٔٗا﴾ نصب على المصدر، أي شيئاً من الجزاء؛ لأنّ الجزاء شيء، فوضع العام موضع الخاص، ويجوز أن يكون مفعولاً به على أنّ "تَجْزى" بمعنى تقضي "أي لا تقضي (نفس) عن غيرها شيئاً من الحقوق والأول أظهر»[٤].

ذكر السمين وجهين إعرابيين لكلمة "شيئاً" لكل وجه قرينة معجمية تحدده، الأول: النصب على المفعول المطلق بدلالة أنّ الأصل تجزي الجزاء، فشيئاً هو الجزاء. الثاني: مفعول به؛ لأنّ الفعل تَجزى ضُمّن معنى تقضي فنصب شيئاً على المفعول به.

لعلّ هذين التوجيهين لكلمة (شيئاً) يتطلب منا البحث عنها وفق ما جاء عند النحاة ومعربي القرآن الكريم، فعن الوجه الأول: نصب كلمة (شيئاً) على المصدر (المفعول المطلق)، فقد نصّ النحاة على أنّه المصدر الواقع بعد فعل بمعناه، أو ما

(١) البحر المحيط (٧/ ٤٦٧).
(٢) الدر المصون (٦/ ٥٩).
(٣) التحرير والتنوير المجلد التاسع (٢٤/ ٢٤٩)
(٤) الدر المصون (١/ ٢١٥).

عمل عمله، بياناً للمعنى الصادر من الفاعل[١]. وقد وردت صور من حذف المفعول المطلق وقيام ما ينوب عنه، يقول أبو حيان "أو بعض مثاله ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾[٢]. [هود: ٥٧]. وقد قيّد الشاطبي هذه النيابة "لا يكون إلا دالاً عليه؛ لأنّه إذا لم يدل عليه لم يفد فائدته؛ وإذا لم يفد فائدته لم يكن نائباً عنه... ومنه: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا﴾ [آل عمران: ٤١]»[٣].

وقد تناول معربو القرآن الكريم إعراب قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ [البقرة: ٤٨]. فالأخفش يرى القول بالمصدر مؤولاً ذلك؛ بقوله: وقوله "شيئاً" كأنّه قال: لا تَجْزِى الشَاةُ مَجْزًى، ولا تُغْنِي غناءً»[٤]. أمّا الزمخشري فتوسّع في التوجيه مستنداً إلى بعض القراءات القرآنية؛ قائلاً: «ويجوز أن يكون في موضع مصدر، أي قليلاً من الجزاء، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠﴾ [مريم: ٦٠]، ومَنْ قرأ (لا تُجْزِئ)[٥]. من أجزأ عنه، إذا أغنى عنه، فلا يكون في قراءته إلاّ بمعنى شيئاً من الإجزاء»[٦].

وقد جعل العكبري ﴿شَيۡـٔٗا﴾ في حكم المصدر؛ لأنّه وقع موقع جزاء، وحكم على ذلك بالكثرة في القرآن؛ معللاً ذلك؛ لأنّ الجزاء شيء، فوضع العام موضع الخاص»[٧]. أمّا أبو حيان فقد جوّز وجه المصدرية كما ذهب إليه الأخفش، لكنّه رأى فيه إشارة إلى القلة، يقول: «ويجوز أن يكون انتصابه على المصدر، أي: ولا تجزي شيئاً من الجزاء قاله الأخفش، وفيه إشارة إلى القلة كقولك "ضربت

(١) التذييل والتكميل (٧/ ١٣١).
(٢) السابق (٧/ ١٥٥).
(٣) المقاصد الشافية (٣/ ٢٢٦- ٢٢٨).
(٤) معاني القرآن (١/ ٩٠).
(٥) انظر، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع (ص١٢).
(٦) الكشاف (١/ ١٣٥).
(٧) التبيان في إعراب القرآن (١/ ٦٠).

شيئاً من الضرب»[١].

وقد تلّمس الألوسي المعنى المعجمي وأثره في التوجيه النحوي لكلمة "شيئاً" معتمداً على قراءة أبي السمّال(وَلَّا تَجْزِيء نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا)[٢]حين عدّ الألوسي (تجزئ) من (أجزأ) عنه، إذا أغنى، فهو لازم وعليه فتكون "شيئاً" مفعولاً مطلقاً لا غير، فيصح المعنى على ذلك: «والمعنى لا تغني ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ من الإغناء ولا تجديها نفْعاً».[٣] وقد جعل السمين هذا الوجه هو الأظهر كما ذكرنا في بداية المسألة.

أمّا الوجه الإعرابي لكلمة "شيئاً" فهو النصب على المفعول به، وفي هذا التوجيه ظهر أثر القرينة المعجمية، إذ ضُمِّن الفعل (تجزى) معنى (تقضي)، «فالتضمين تبع لموضوع التعدية واللزوم في العربية يلاحظ اتصاله الوثيق بقرينة المعنى المعجمي؛ فعرّفه النحويون بأنّه إشراب لفظ معنى لفظ آخر، ليعطي حكمه في التعدية واللزوم، فقد يكون الفعل لازماً فيتعدي بالتضمين، وفي التضمين يذكر النحاة بأن الكلمة تؤدي مؤدّى كلمتين.[٤] وعليه فقد ذكر معربو القرآن هذا الإعراب "شيئاً" مفعول به وربطوا هذا الإعراب بالمعنى المعجمي، يقول الزمخشري" "لا تجزى" لا تقضي عنها شيئاً من الحقوق، و "شيئاً" مفعول به».[٥]

ولاحظ العكبري العلاقة بين المعنى المعجمي والنحو في توجيه كلمة "شيئاً" بالنصب على المفعول به في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾ [آل عمران:١٠]، ويجوز أن

(١) البحر المحيط (١/ ٣٤٨).
(٢) انظر، مختصر في شواذّ القرآن من كتاب البديع (ص ١٢- ١٣).
(٣) انظر، روح المعاني (١/ ٢٥٢).
(٤) انظر، مغني اللبيب: ٨٩٧، القرائن المعنوية، قرينة المعنى المعجمي (ص٥٢١).
(٥) الكشاف (١/ ١٣٥).

يكون شيئاً مفعولا به على المعنى؛ لأنّ معنى تُغْني عنه تدفع".[١] وهو ما ذكره السمين في الوجه الثاني "ويجوز أنْ يكون مفعولاً به على أن "تجزي" بمعنى "تقضي" أي: لا تقضي نَفْسٌ عن غيرها شيئاً».[٢]

والذي يظهر للباحث أنّ توجيه (شيئاً) على (المفعول المطلق) الذي يقوم أساساً على قرينة معنوية هي التحديد، يقوم بها هذا المفعول سواءً كان لبيان النوع أو العدد أو حتى ما ناب عنه. كذا احتمال (المفعول به) وجه مقبول ساهم التضمين النحوي (المعنى المعجمي) للفعل (تجزى) (تقضي) في هذا التوجيه.

ولعلّ المقام مناسب أن نشير إلى ما جاء عند فاضل السامرائي؛ لنقوي ما نذهب إليه، إذ عدّه باباً من التوسع الذي تقبله العربية؛ إذا ما كان (المعنى المعجمي والنحوي) يؤديان ذلك على وجه ظاهر، يقول: «وقد يؤدي مثل هذا التوسع الذي ذكرناه أنْ يأتي باسم جامد بدل المصدر، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء: ٤٩]، فقد يراد بالفتيل هنا معناه الحقيقي وهو مقدار فتيل، والفتيل الخيط الذي في شق النواة فيكون مفعولاً به، وقد يكون المقصود، ولا يكون ظلماً مقدار فتيل، أي ظلماً قليلاً، فيكون المراد بالفتيل المصدر، فيكون مفعولاً مطلقاً، وهذا توسع في المعنى، فقد كسبنا معنيي المفعولية والمصدرية في آن واحد، فالظلم هاهنا منفي من جهتين: المصدرية والمادية».[٣] ويقول أيضاً في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾[يونس:٤٤]، فقد يكون الشيء كناية عن الظلم فيكون المعنى إنّ الله لا يظلم الناس ظلماً وإن قلّ، فيكون مفعولاً مطلقاً، وقد يكون (شيء) هنا شيئاً مادياً، فيكون مفعولاً به. والمعنيان مرادان».[٤]

(١) التبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٤١).
(٢) الدر المصون (١/ ٢١٥)
(٣) معاني النحو (٢/ ١٤١).
(٤) السابق (٢/ ١٤١).

المسألة الرابعة: نصب ﴿نَفۡسَهُۥۚ﴾:

قال تعالى:﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠﴾ [البقرة:١٣٠].

قوله: ﴿نَفۡسَهُۥ﴾ في نصبه سبعة أوجه:

أحدها -وهو المختار- أن يكون مفعولاً به، لأنّ ثعلباً والمبرد حكيا أن سفِه بكسر "الفاء" يتعدى بنفسه كما يتعدى سفَه بفتح الفاء والتشديد، وحكى عن أبي الخطاب أنّها لغة وهو اختيار الزمخشري، فإنّه قال: سفه نَفْسَه: امتهنها واستخف بها، ثم ذكر أوجهاً أخر، ثم قال: والوجه الأول وكفى شاهداً له بما جاء في الحديث: «**الكبرُ أنْ تسفَه الحقَّ وتغمص النّاسَ**».(١)

الثاني: أنّه مفعول به ولكن على تضمين "سفه" معنى فعل يتعدى، فقدره الزجاج وابن جني بمعنى جهل، وقدره أبو عبيدة بمعنى أهلك.

الثالث: أنّه منصوب على إسقاط حرف الجر تقديره: سفه في نفسه.

الرابع: توكيد لمؤكد محذوف تقديره: سفه قوله نفسه، فحذف المؤكَّد قياساً على النعت والمنعوت حكاه مكي.

الخامس: أنّه تمييز وهو قول بعض الكوفيين، قال الزمخشري: ويجوز أن يكون في شذوذ تعريف المميز.

السادس: أنّه مشبه بالمفعول به، وهو قول بعض الكوفيين.

السابع: أنّه توكيد لِمَنْ سفه؛ لأنّه في محل نصب على الاستثناء في أحد القولين، وهو تخريج غريب نقله صاحب "العجائب والغرائب".(٢)

لعلّ ما ذكره السمين من الأوجه الإعرابية يجعلنا نربطها بما جاء عند مَنْ سبقه من العلماء؛ لنعرف ما أضافه إلى ما جاء عندهم.

---

(١) انظر، مسند أحمد (٢/ ١٧٠)، البخاري، الأدب المفرد (ص ٥٤٨).

(٢) الدر المصون (١/ ٣٧٣-٣٧٤).

الأول: أن يكون "نَفْسَه" مفعولاً به، وهو ما حكاه السمين عن ثعلب والمبرد، حين ذكرا أن (سفِه) يتعدى بنفسه قياساً على (سفَه) بالفتح، وهو ما نقل عن أبي الخطاب[١]، وأخذ به الزمخشري، وهو ما اختاره السمين. وبالرجوع إلى كتابي (المقتضب، ومجالس ثعلب) لم نجد هذا الرأي، وهو ما نقل عنهما مَنْ جاء بعدهما، وفيما قالاه ربط ما بين المعنى المعجمي والنحوي بالاستناد إلى تضمين الفعل لإعطائه بعداً دلالياً؛ ليقوم بنصب كلمة (نَفْسَه) على المفعولية، يقول أبو حيان: «وقال المبرد ضَيَّعَ نفسه».[٢]

بينما يرى الزمخشري أن معنى "سَفِه" امتهنها واستخف بها.[٣]

الثاني: أنّ (نَفْسَه) مفعول به؛ ولكن على تضمين (سَفِهَ) لفعل متعدٍّ، قُدِّر بـ (جهل) عند الزجاج وابن جني، أو هلك عند أبي عبيدة؛ كما ذكر السمين ذلك في بداية المسألة. ويمكن أن نقف على ذلك مما جاء في مؤلفاتهم.

يقول أبو عبيدة: "سَفِهَ نَفْسَه"، أي: أهلك نَفْسَه وأوبقها، تقول: سَفِهتَ نَفْسَك».[٤] وقد ربط الزجاج ما بين المعنى المعجمي والنحو على أساس التضمين النحوي، إذ سبق أن بيّنا في مسألة مضت أهمية التضمين[٥] للمعنى المعجمي، وبعد هذا الربط رأى الزجاج أنّ الوجه الجيد يكون «أنّ (سفه) في موضع جهل، فالمعنى -والله أعلم- إلاّ من جهل نفسه، أي لم يفكر في نفسه، كقوله عزّ وجلّ: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: ٢١]، فوضع جهِل، وعدى كما عدى».[٦] وقد

(١) يقصد به، الأخفش الأكبر، أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد (ت/ ١٧٧هـ)، إنباه الرواة (٢/ ١٥٧).

(٢) التذييل والتكميل (٩/ ٢٥٥).

(٣) الكشاف (١/ ١٨٩).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٥٦).

(٥) انظر، (ص ٢٩) من هذا البحث

(٦) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢١١).

حسَّن الأخفش نصب (نَفْسَه) على ضوء قرينة المعنى المعجمي والنحو الذي يكسب الكلمة (الفعل) فضلاً عن معناها المعجمي الأصلي معنىً معجمياً آخر من أجل التوسع في دلالة الكلمة، يقول: «وأحسن ذلك أن تقول: إنّ (سَفِهَ نَفْسَه) جرت مجرى "سَفَّه" إذ كان الفعل غير متعدّ، إنّما عدّاه إلى "نفسه ورأيه"».(١)

وقد ذهب الباقولي أن دلالة (سَفِه) المعجمية: "أوبق، أي: إلاّ مَنْ أوبق نَفْسَه".(٢) أي أهلكها، وهو لم يبعد عمّا جاء عند أبي عبيدة، يقول ابن منظور «أوبقتَ فلاناً ذنوبُه أي أَهلَكَتْه فَوبِق يَوْبَقُ وَبقَاً وَموْبِقاً إذا هلك».(٣)

الثالث: أن (نَفْسَه) منصوب على إسقاط حرف الجر تقديره (سَفِهَ في نَفْسِه) فمما ذكره النحاة عن هذا التوجيه، يقول الزجاج: «وقال أبو إسحاق: إنّ "سفه نَفْسَه" بمعنى سفه في نَفْسه، إلاّ أنّ "في" حُذِفت، كما حذفت حروف الجر في غير موضع، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾(٤) [البقرة: ٢٣٣]، والمعنى أنْ تسترضعوا لأولادكم، فحذُفِ حرف الجر في غير ظرف»(٥)، ويقول مكي بن أبي طالب: «قوله ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾، أي: في نَفْسِه، فنصب لما حذف حرف الجر».(٦)

وفي هذا التوجيه ما يسميه النحاة بالحذف والإيصال والتعدية بنزع حرف الجر، نجد الفعل يرتبط معجمياً مع بعض المدخولات من الألفاظ، فيستغني عن ضميمته من حروف الإضافة، فيصبح متعدياً بعد أن كان فعلاً لازماً (متعدياً

(١) معاني القرآن (١/ ١٤٩).

(٢) كشف المشكلات وإيضاح المعضلات (١/ ١٣٢).

(٣) لسان العرب: و ب ق (١٠/ ٣٧٠).

(٤) هكذا وردت في نص الزجاج، وهي في القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٣]

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢١٠).

(٦) مشكل إعراب القرآن (١/ ١١١).

بحرف الجر) وقد ذكر ذلك سيبويه، فرأى أن من الشروط المعجمية لحدوث هذا الاستغناء، أن يكون مدخول الفعل مما يدل على مكان مختص تشبيهاً له بالمكان المبهم، نحو: ذهبت الشام و (دخلت البيت) وذكر أنّ الفعل يتعدى إلى ما يشتق من لفظه اسماً للمكان وإلى المكان؛ لأنّه إذ قيل: (ذهبت أو قعد) فقد علم أن للحدث مكاناً، وإن لم يذكره، كما علم أنّه قد كان منه ذهاب. وذلك نحو (ذهبت المذهب البعيد) و(جلست مجلساً حسناً) و(قعدت مقعداً كريماً) و(قعدت المكان الذي رأيت) و(ذهبت وجهاً من الوجوه). وذكر سيبويه بعد هذا أن بعضهم قال (ذهبت الشام) يشبهه بالمبهم، إذ كان مكاناً يقع عليه المكان والمذهب. وأنّ هذا شاذ؛ لأنّه ليس في (ذهب) دليل على (الشام) وفيه دليل على (المذهب والمكان).[١] وقد رَدّ النحاة هذا التوجيه (نَفْسَه) على نزع الخافض، فقد نصّوا على أنّ حذف حرف الجر، ونصب الاسم بعد حذفه مقصور على السماع، نحو قول الشاعر[٢]:

أَمَرْتُكَ الخيرَ فافْعَلْ ما أُمِرتَ بَـهِ فَقَدْ تركْتُكَ ذَا مَالٍ وذا نَشَـبِ

فقد ورد حذف حرف الجر سماعاً مع خمسة أفعال وهي (اختار- استغفر- سمّى- كنّى- أمر)، ولا يجوز مع غيرها، يقول ابن السراج: «واعلم: أنّه ليس كل فعل يتعدى بحرف الجر لك أن تحذف حرف الجر منه، وتعدى الفعل، إنّما هذا يجوز فيما استعملوه، وأخذ سماعاً عنهم».[٣] ويقول أبو حيان «وأمّا إسقاط حرف الجر، وأصله من سفه في نَفْسِه فلا ينقاس عليه».[٤]

الرابع: توكيد لمؤكَّد محذوف تقديره: سفه قول نَفْسه، فحذف المؤكَّد قياساً على

(١) الكتاب (١/ ٣٥).

(٢) انظر، ديوان عمرو بن معد يكرب (ص٦٣)، الكتاب (١/ ٣٧). النشب: المال الثابت، كالضياع ونحوها، انظر، ديوان عمرو بن معد كرب (ص ٦٣).

(٣) الأصول (١/ ١٧٨).

(٤) البحر المحيط (١/ ٥٦٥).

النعت والمنعوت حكاه مكي. وبالرجوع إلى ما قاله مكي بن أبي طالب لم نجد هذا الرأي عنده بل يذكر ما جاء عن العلماء السابقين من النصب على نزع الخافض أو تضمين الفعل (سَفِه) معنى (جهل وضيّع).[(١)]

وهذا التوجيه لا يستقيم؛ لأنّ الأصل أن يذكر المؤكِّد والموكَّد، وحذف المؤكَّد وإبقاء المؤكِّد لا يجوز على مذهب المحققين من العلماء، كابن مالك وأبي حيّان، يقول السيوطي: «وفي توكيد محذوف خلاف، فأجازه الخليل وسيبويه والمازني وابن طاهر وابن حروف، فيقال في "الذي ضربته نفسه" الذي ضربت نفسه زيد" "ومررت بزيد، وأتاني أخوه أنفسهما، ومنعه الأخفش والفارسي وابن جني وثعلب، وصححه ابن مالك وأبو حيان؛ لأنّ التوكيد بابه الإطناب، والحذف للاختصار، فتدافعا؛ لأنّه لا دليل على المحذوف».[(٢)] وهو ما لم يجوّزه السمين قائلاً: «وأمّا حذف المؤكَّد وإبقاء التوكيد فالصحيح لا يجوز».[(٣)]

الخامس: أنّ (نَفْسَه) تمييز، وهو قول بعض الكوفيين. ويظهر أنّ الفراء من أوائل النحاة الذين أشاروا إلى هذا التوجيه، يقول: «العرب توقع سفِه على (نَفْسَه) وهي معرفة، وكذلك قوله: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص: ٥٨]، وهي من المعرفة كالنكرة؛ لأنّه مفسِّر، والمفسِّر في أكثر الكلام نكرة؛ كقولك: ضقت به ذرعاً، وقوله: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ۝٤﴾ [النساء: ٤]، فالفعل للذرع، لأنّك تقول: ضاق ذرعي به، فلّما جعلت الضيق مسنداً إليك فقلت: ضقت جاء الذَّرْع مفسراً؛ لأن الضيق فيه؛ كما تقول: هو أوسعكم داراً...»[(٤)]. ويربط الطبري ما بين دلالة المعجم والنحو في التوجيه على التمييز قائلاً: «وإنّما نصب

(١) انظر، مشكل إعراب القرآن (١/ ١١١).

(٢) الهمع (٥/ ٢٠٥).

(٣) الدر المصون (١/ ٣٧٤).

(٤) معاني القرآن (١/ ٧٩).

"النَفْسَ" على معنى المفسر. ذلك أنّ (السفه) في الأصل للنفس، فلّما نقل إلى معنى "مِن" نصبت "النفس" بمعنى التفسير. كما يقال: "هو أوسعكم داراً" فتدخل "الدار" في الكلام على أنّ السعة فيها، لا في الرجل. فكذلك "النفس" أدخلت لأن السفه للنفس، لا لـ "من". لذلك لم يجز أن يقال: سفه أخوك. وإنّما جاز أن يفسر بالنفس، وهي مضافة إلى معرفة، لأنّها في تأويل نكرة».(١)

وقد ذكر النحاة المتأخرون نسبة هذا الرأي للكوفيين، يقول الرضي: "وأجاز الكوفيون كونه معرفة نحو: ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].(٢)

وممن أخذ برأيهم ابن الطراوة، يقول أبو حيان: «وذهب الكوفيون وابن الطراوة إلى أنّه يجوز أن يكون معرفة»(٣)، ومع ذلك لم يسلم هذا الرأي من اصطدام بقواعد النحاة التي تنصّ على تنكير التمييز، لذا كان حكمهم صارماً في الرد، يقول الأنباري: "أن يكون منصوباً على التمييز وهو قول الكوفيين، وهذا الوجه ضعيف جداً؛ لأنّه معرفة والتمييز لا يكون إلا نكرة».(٤)

فضلاً عن ذلك، وإنْ ورد في بعض كلام العرب ليس دليلاً على جواز تعريفه؛ ليكون قياساً مطلقاً، وذلك لأنّ القياس لا يكون إلا على ما كثر وفشا استعمالاً مطرداً.

السادس: "نَفْسَه" منصوب، كونه مشبهاً بالمفعول، وهو قول بعض الكوفيين، يقول أبو حيان «أو مشبه بالمفعول على قول بعضهم».(٥) وهذا الرأي في مجمله لا يستقيم، من حيث ضعف الترابط من الناحية المعجمية للفعل ما بين التعدي

(١) جامع البيان (١/ ٧٣٢).
(٢) شرح الرضي (٢/ ١٧-١٨).
(٣) ارتشاف الضرب (٣/ ١٣٣٨).
(٤) البيان في غريب إعراب القرآن (١/ ١٢٣).
(٥) البحر المحيط (١/ ٥٦٥).

واللزوم والصفة المشبهة، يقول ابن عقيل: «أو ينصب على التشبيه بالمفعول به- فيحمل الفعل اللازم على المتعدي، كما حمل اسم فاعله على اسم فاعله، إلاّ أنّه شاذ في الأفعال، مُطّرد في الصفات».(١)

كذلك إنّ القول بالتشبيه بالمفعول لو حُكم باطّراده في الفعل اللازم كما حُكم باطراده في الصفة اللازمة لم يتميز لازم الأفعال من متعدّيها، بل كان اللازم يُظَنَّ متعدِّياً كما قال أبو حيان.(٢)

السابع: أنّه توكيد لمن (سفه)؛ لأنّه في محل نصب على الاستثناء في أحد القولين. وقد رأى السمين أنّ هذا توجيه غريب عن صاحب "العجائب والغرائب" لعلّ السمين يقصد به تخريج الإمام الكرماني في كتابه "غرائب التفسير وعجائب التأويل" إذ قال: «وتكون نَفْسَه" تأكيداً له وبدلاً كما تقول: ما جاء القوم إلاّ زيداً نَفْسَه، وقريب منه قراءة مَنْ قرأ ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلۡبُهُۥ﴾.(٣)[البقرة: ٢٨٣]، بنصب الباء، على أنّه بدل من الهاء».(٤)وذكر أبو حيان رأيه قائلاً: «وقال صاحب العجائب والغرائب»... أنّ نَفْسَه توكيد لـ "مَنْ" و "مَنْ" منصوب على الاستثناء، كما تقول: ما قام أحد إلا زيداً نَفْسَه».(٥)وعلّق السمين على هذا التوجيه عن الكرماني بأنّه تخريجٌ غريب.(٦)

وقد تنبّه ابن هشام للتوجيه السابق عن الكرماني في ذكر الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها... ومنها الجهة الرابعة التي أن يخرج على الأمور

(١) المساعد (٢/ ٦٦).

(٢) انظر، التذييل والتكميل (٩/ ٢٥٦).

(٣) انظر، إعراب القراءات الشواذ (١/ ٢٩٥)، وقد علّق العكبري على هذه القراءة بنصب (قلبَه) على التشبيه بالمفعول، أي أثِمَ الرجل قلبه. وقيل، هو تمييز مثل قوله ﴿ سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ ﴾ (١/ ٢٩٥).

(٤) غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ١٧٧).

(٥) التذييل والتكميل (٩/ ٢٥٥).

(٦) الدر المصون (١/ ٣٧٤).

البعيدة والأوجه الضعيفة، ويترك الوجه القريب والقوي ويتابع الحديث على ذلك بضرب أمثلة مما خرّجوه على الأمور المستبعدة لتجنبها ونظير هذا العكس قول الكرماني و "نَفْسَه" توكيد».[١]

لعلّ الباحث بعد استعراض هذه الأوجه يرى أن تكون كلمة "نَفْسَه" منصوبة على المفعول به، وقد استند على المعنى المعجمي والنحو في هذا التوجيه، وهو ما يؤيده بالآتي:

١- دلالة الفعل (سَفِهَ) المعجمية على التعدّي، وقد رأى ذلك عدد لا بأس به من النحاة، يقول ابن بابشاذ «أنّ هذه الأفعال محمولة على معانيها، فمعنى سَفِهَ: جَهِلَ، ومعنى بَطِرَ: كره، فانتصابه من هذه الوجوه انتصاب المفعول به».[٢] يقول الزمخشري: «سَفِهَ نَفْسَه" امتهنها واستخف بها... والوجه الأول (ويقصد النصب على المفعولية)، وكفى شاهداً له الحديث: «الكبر أن تسفه الحقَّ وتغمص الناس».[٣]

وأيدّ المنتجب الهمذاني كلام الزمخشري قائلاً: «المختار الأول، يعضده قوله ﷺ: «**الكبر أن تَسْفَهَ الحقَّ وتَغْمص الناس**». يقال: غَمِصه، إذا استصغره ولم يره شيئاً، وغمص فلانٌ النعمةَ، إذا لم يشكرها، وغمص الشخص أيضاً عَيبُه».[٤]

٢- فكرة التضمين القائمة على توجيه الفعل (سَفِهَ) لإعطاه معنى التعدية لها دور في هذا التوجيه، فالتضمين له اتصال وثيق بقرينة المعنى المعجمي فهو كما يقول النحاة إشراب لفظ معنى لفظ آخر، ليعطي حكمه في التعدية واللزوم.[٥] وقد ظهرت فائدة التضمين وغرضه التعبيري، فأدّت كلمة مؤدى كلمتين.

---

(١) مغني اللبيب (ص ٧١٥).

(٢) شرح جمل الزجاجي (٢/ ٥٣٠).

(٣) انظر الحديث: مسند أحمد بن حنبل (٢/ ١٧٠)، البخاري، الأدب المفرد (ص ٥٤٨)، الكشاف (١/ ١٨٩-١٩٠).

(٤) الفريد في إعراب القرآن المجيد (١/ ٣٨٧).

(٥) انظر، القرائن المعنوية، قرينة المعنى المعجمي (ص ٥٢١).

٣- إنّ المعنى سَفَّه نَفْسَه، ثم خُفِّف وهو المراد؛ كما ذكر المنتجب الهمذاني: «وهو مراد، يقال: سَفِهَ نَفْسَه، وبَطِرَ عيشه، ورَشِد أمره، والأصل: سَفِهَتْ نَفْسَه، ورَشِدَ أمْرُهُ، فلّما حُوِّل الفعل إليه انتصب ما بعده بوقوع الفعل عليه على تقدير التشديد. وقيل: إنّ (فَعِل) للمبالغة لغة، كما أنّ (فَعّل) للمبالغة».(١)

المسألة الخامسة: نصب ﴿دَرَجَٰتٍ﴾:

قال تعالى:﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة:٢٥٣].

يقول السمين: «قوله تعالى: ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ في نصبه ستة أوجه:

أحدها: أنّه مصدر واقع موقع الحال.

الثاني: أنّه حال على حذف مضاف، أي: ذوي درجات.

الثالث: أنّه مفعول ثان لـ "رفع" على أنّه ضمن معنى بلّغ بعضهم درجات.

الرابع: أنّه بدل اشتمال، أي: رَفَعَ درجات بعضهم، والمعنى على درجات بعض.

الخامس: أنّه مصدر على معنى الفعل لا لفظه، لأنّ الدرجة بمعنى الرفعة، فكأنّه قيل: ورفع بعضهم رفعات.

السادس: أنّه على إسقاط الخافض، وذلك الخافض يحتمل أن يكون "على" أو "في" أو "إلى" تقديره على درجات أو في درجات أو إلى درجات، فلمّا حذف حرف الجر انتصب ما بعده»(٢).

سوف نذكر الوجه الثالث "أنّه مفعول ثان لـ "رفع" لتضمنه معنى الفعل "بلّغ"

(١) الفريد في إعراب القرآن المجيد (١/ ٣٨٦- ٣٨٧).

(٢) الدر المصون (١/ ٦١٠).

بَعْضَهم درجاتٍ؛ لأنّه التوجيه الذي أظهر فيه السمين قرينة المعنى المعجمي القائمة على التضمين للفعل "رفع" الذي حمل دلالة الفعل "بلّغ" وحتى تتضح الصورة حول هذا التوجيه.

يمكن أن نقول «إنّ تغير المعنى النحوي قد يتطلبه تغيير المعنى المعجمي».(١) وهو ما صرّح به السمين في هذا التوجيه المعتمد على التضمين النحوي الذي حوّل الفعل من متعد لمفعول إلى متعد لمفعولين وفيه رفع الفعل إلى درجة أعلى وقد ورد في القرآن الكريم الفعل (نَرفْعُ) وقد ضُمّن معنى الفعل نعطي، يقول محمد نديم فاضل: «التضمين يجعل الفعل المتعدي لمفعول متعدياً لمفعولين... وفِعْل متعد لمفعول عداه لمفعولين أو ثلاثة...وقال تعالى: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ [يوسف:٧٦]، درجات مفعول به ثان وضُمِّن نرفع معنى نعطي مَنْ نشاء درجاتٍ، وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، أي فيصير أضعافاً. وقال تعالى:﴿وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ﴾ [الأعراف: ٧٤]، أي تتخذون الجبال بيوتاً، وقال تعالى:﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء:٧٩].مقاماً: يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً ليبعثك على تضمينه معنى يعطيك»(٢).

والغريب أنّ معربي القرآن المتقدمين على السمين كالزجاج والنحاس والأنباري والعكبري لم يتطرقوا في إعراب الآية السابقة ﴿... وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، لوجه نصب ﴿دَرَجَٰتٖۚ﴾ على المفعول الثاني؛ ولعلّ في ذلك ما يدل على تطوّر حركة مؤلفات إعراب القرآن الكريم" عند النحاة المتأخرين، فقد نصّ النسفي على وجه نصب درجات على المفعول الثاني، يقول: «رفع(بعضهم) مفعول أول ﴿دَرَجَٰتٖ﴾ مفعول ثانٍ»(٣)، وذكر أبو حيان نصب ﴿دَرَجَٰتٖۚ﴾ على المفعول الثاني،

(١) انظر، القرينة المعجمية وأثرها في توجيه المعنى، تفسير البحر المحيط أنموذجاً (ص ٢٩١).
(٢) التضمين النحوي في القرآن الكريم (١/ ١٩٠-١٩٦).
(٣) تفسير النسفي (١/ ١٢٧).

قائلاً: «أو على المفعول الثاني لرفع عن طريق التضمين لمعنى بلغ»[(١)]. ولم يزد مَنْ أتى بعد السمين على ما جاء عنده إلا ما ذكره الألوسي من تضعيف وجه البدل قائلاً: "درجات" وقيل: إنّه مفعول ثان لرفع على أنّه ضمن معنى بلغ، وقيل: إنّه بدل اشتمال وليس بشيء»[(٢)].

والذي يظهر لي أن تضمين الفعل (نرفع) لفعل متعد لمفعولين، قد أكسبه فضلاً عن معناه المعجمي الأصلي معنى معجمياً آخر فهو ضرب من التوسع في دلالة الكلمة (الفعل) لكن هذا المعنى لم يفهم وحده حتى ارتبط بالمفعولين (بَعْضهَم ودرجات) فكأنّها كما يقول أحمد السعيدي: «وذلك أنّها تكون في موضع تركيبي للكلمة الأخرى وتتلبس فيه وتأخذ حكمها في التركيب، فتؤدي المعنى الأصلي بلفظها وتؤدي معنى الكلمة الأخرى بموضعها التركيبي الذي تلبست به فتمتزج الدلالتان في تلك الكلمة المذكورة وذاك التركيب لذلك قيل: إنّ فائدة التضمين «إعطاء مجموع معنيين»[(٣)].

وهذا في مجمله يبعد الآية عن الأعاريب المتعددة السابقة التي ذكرها السمين ما بين الحال، والمصدر ونزع الخافض؛ لما فيها من التقدير والتأويل وهو خلاف الأصل.

المسألة السادسة: نصب ﴿عَٰهَدَا﴾:

قال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة:١٠٠].

يقول السمين: وانتصاب ﴿عَٰهَدَا﴾ على أحد وجهين: إمّا على المصدر الجاري على غير الصّدر، وكان الأصل "معاهدة" أو على المفعول به على أن يُضَمّن عاهدوا معنى أعطوا، ويكون المفعول الأول محذوفاً، والتقدير: عاهدوا الله عهداً. وقرئ:

(١) البحر المحيط (٢/ ٢٨٣).

(٢) روح المعاني (٢/ ٤).

(٣) انظر، القرينة المعجمية وأثرها في توجيه المعنى "تفسير البحر المحيط، أنموذجاً" (ص ٣٠٧).

(عَهِدُوا) فيكون "عَهْداً" مصدراً جارياً على صدره، وقرئ أيضاً: «عُوْهِدُوا مبينا للمفعول»[(١)].

ذكر السمين وجهين إعرابيين لكلمة "عهداً" الأول: النصب على المصدر (المفعول المطلق) ولكنّه من غير فعله، وقد دعّم السمين هذا الوجه بالقراءة القرآنية "عهدوا"؛ لتتسنى الموافقة المعجمية بين الفعل ومصدره.

والثاني: النصب على المفعول به، وقد ارتبط بقرينة المعنى المعجمي الذي كان له دور في هذا التوجيه باعتماده على التضمين النحوي للعامل الذي كان له الأثر في نصب الكلمة.

فعلى الوجه الأول: (النصب على المصدرية) بفعل من غير لفظه، يدخلنا في خلاف بين النحاة ومعربي القرآن[(٢)]، فقد ذهب سيبويه والمازني والزمخشري إلى أنّ المصدر الذي لا يجري على لفظ الفعل، نحو قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾ [المزمل: ٨]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧﴾ [نوح: ١٧] منصوب بالفعل المذكور، ولا ناصب له غيره، والعلة عندهم أنّ المعنى واحد، يقول سيبويه: «هذا باب ما جاء المصدر فيه على غير الفعل؛ لأنَّ المعنى واحد. وذلك قولك: اجتَوَرُوا تجاوُراً، وتجاوُروا اجتْواراً؛ لأنّ معنى اجتوروا وتجاوروا واحد. ومثل ذلك، انكسَرَ كَسْراً، وكُسِر انكساراً؛ لأنّ معنى كُسِرَ وانكَسَر واحد. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧﴾ [نوح: ١٧]؛ لأنّه إذا قال: أنبته، فكأنّه قال: قد نبت»[(٣)].

وقد ذكر الزمخشري هذا الوجه عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ

(١) الدر المصون (١/ ٣١٧).

(٢) انظر، الكتاب (١/ ٨١)، المقتضب (١/ ٢١١)، المقتصد (١/ ٦٢٨)، أمالي ابن الشجري (٢/ ٣٩٥)، التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٢٤٢).

(٣) الكتاب (٤/ ٨٢).

ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾﴾ يقول: أو نصب بأنبتكم، لتضمنه معنى نبتّم»[(١)].

بينما خالف المبرد ذلك فرأى أنّ المصدر منصوب بفعل مقدّر، فالتقدير في: أنبتكم الله نباتاً، أنبتكم فنبتّم نباتاً، يقول: «ومثل هذا، إلاّ أنّ اللفظ مشتق من فعل المصدر، ولكنّهما يشتبهان في الدلالة، قوله عزّ وجلّ: ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾﴾ على: وبتّل إليه، ولو كان على تبتّل، لكان تبتلاً، وكذلك: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾﴾ لو كان على: أنبت لكان إنباتاً، ولكنّ المعنى – والله أعلم– أنّه إذا أنبتكم نبتم نباتاً. وقال الشاعر[(٢)]:

وَخْيرُ الأمْرِ ما اسَتقْبلْتَ مَنْهُ ... وليْسَ بأنْ تَتَبَّعهُ اتِبّاعَاً

وهذا كثير جداً"[(٣)]. وقد أخذ برأيه النحاس[(٤)] ومكي بن أبي طالب[(٥)].

ويظهر على هذا الرأي القول بالإضمار، وهو خلاف الأصل، وقد تلمّس بعض النحاة قرينة المعنى المعجمي لهذه المصادر المنصوبة بالفعل؛ فقالوا: إن كان المعنى واحدا، نحو قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ [المزمل:٨]، فالناصب له هو الفعل المذكور، أمّا إذا كان المعنى مغايراً، نحو قوله تعالى:﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾﴾ [نوح: ١٧]، فالناصب له فعل محذوف، يقول أبو حيان: «وقيل إن غاير معناه معنى الفعل فنصبه بفعله المضمر، نحو: نباتاً، وإن لم يغاير فنصبه بالفعل الظاهر نحو[(٦)]:

..... رَبابٌ تَحْفرُ التُّربَ احْتِفَاراً»[(٧)].

---

(١) الكشاف (٤/ ٦١٨).

(٢) انظر، ديوان القطامي (ص ٣٥).

(٣) المقتضب (٣/ ٢٠٤– ٢٠٥).

(٤) إعراب القرآن (٥/ ٤٠).

(٥) مشكل إعراب القرآن (٢/ ٧٦١).

(٦) البحر المحيط (١/ ٢٨٨).

(٧) صدره: وَلاَحَ بجانبِ الجبلينِ منْهُ. انظر، الارتشاف (٣/ ١٣٥٤).

ويقول السيوطي: «لأنّ النبات ليس بمعنى الإنبات، فلا يصح توكيده به، وإن كان غير مغاير فنصبه بالظاهر، كقوله[١]:

..... وَقَـدْ تطـوّيْـتُ انـطـواءَ الخِضْـبِ»[٢]

ولم ير العكبري هذه المغايرة، فالمعنى عنده واحد، يقول: «قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾ [نوح: ١٧]، ونباتاً اسم للمصدر، فيقع موقع إنبات»[٣].

وإذا ربطنا ما جاء عند السمين بالخلاف السابق فنراه يقتفي أثر هؤلاء النحاة، وهو ما يفهم من كلامه؛ فكأنّه يميل إلى الأخذ بهذا الوجه الإعرابي حين استند على القراءة القرآنية ﴿عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا﴾».

وقد أشار إلى هذه القراءة مَنْ سبق السمين من النحاة وأثرها في نصب "عهداً" على المفعول المطلق، يقول ابن جني «عن أبي السَّمّال أنّه قرأ: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا﴾ [البقرة:١٠٠][٤]. ونقل العكبري (عَهَدوا) بفتح العين والهاء»[٥]. ويؤيد الألوسي أثر هذه القراءة في نصب المصدر، يقول: «وانتصاب عهداً على أنّه مصدر على غير الصدر أي- معاهدة- ويؤيده أنّه قرئ (عَهدوا)[٦]. وإذا ما انتقلنا إلى ما جاء عند المعاصرين ممن اعتنوا بهذا الخلاف، فقد كان لفاضل السامرائي نظرته، فرأى فيه باباً من التوسع في الاشتقاق؛ لنكسب في ذلك معنيين ومثّل لذلك بنماذج من آيات القرآن الكريم؛ فقال: ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾ [نوح: ١٧]، أي أنبتكم فنبتّم نباتاً أي طاوعتم أمر ربكم، ولو قال (إنباتاً) لما

(١) البيت لرؤبة، صدره: عن متنه مرادة كلّ صقب، انظر ديوانه (ص١٦)، والكتاب٤: ٨٢). الخِضْب بالكسر: الذكر الضخم من الحيات أو حية دقيقة، انظر، شرح أبيات سيبويه (١/ ٢٩٢).

(٢) الهمع (٣/ ٩٩).

(٣) التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٢٤٢).

(٤) المحتسب (١/ ٩٩).

(٥) انظر، إعراب القراءات الشواذ (١/ ١٩٠).

(٦) روح المعاني (١/ ٣٣٥).

زاد على المعنى»[(١)].

أمّا الوجه الثاني فقد استند السمين إلى قرينة المعنى المعجمي (العامل وأثره في التوجيه) فضمّن الفعل (عاهدوا) معنى أعطوا.

يقود هذا التوجيه عن السمين إلى بيان أهمية التضمين النحوي في تغير المعنى المعجمي وما يرتبط بهذا المعنى من التركيب الجملي للآية القرآنية، وقد رأى محمد نديم فاضل «أنّ التضمين في الفعل موضع شريف، أكثر الناس يضعف عن احتماله لغموضه ولطفه، والمنفعة به كبيرة، وهو معلم من معالم سَداد عقول أصحابه، دلّ على فضيلة لغتهم، وأنّ في طباعهم قبولاً لها»[(٢)].

وعليه فإنّه يرى أن التضمين النحوي سبب من أسباب تعدي الفعل ولزومه وله صلة وثيقة بقرينة المعنى المعجمي، فقد رآه النحاة كما قال ابن هشام: «قد يشربون لفظاً فيعطونه حكمه، ويسمى تضميناً، وفائدته أن تؤدي كلمة مُؤدى كلمتين»[(٣)]، ثم وضّح بأمثلة منها قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥]، ضمن معنى (تحرموه) فعدى إلى اثنين أي: فلن يحرموا ثوابه»[(٤)].

ولعلّ معربي القرآن قبل السمين قد ذكروا هذا التوجيه (النصب على المفعول) فأخذوا بالتضمين النحوي وأثره في المعنى المعجمي، ولكن نظرتهم قد اختلفت ما بين القول على المفعول به، أو المفعولين، فالبغوي رأى النصب على المفعولين على قراءة أبي رجاء العطاردي يقول: «يدل عليه قراءة أبي رجاء العطاري (أو كلّما عَاهَدُوا)[(٥)] فجعلهم مفعولين»[(٦)].

---

(١) معاني النحو (٢/ ١٤٢- ١٤٣).

(٢) التضمين النحوي في القرآن الكريم (١/ ١٧٧).

(٣) مغني اللبيب (ص٨٩٧).

(٤) السابق (ص٨٩٨).

(٥) انظر، إعراب القراءات الشواذ (١/ ١٩٠).

(٦) تفسير البغوي، معالم التنزيل (١/ ١٢٦).

أمّا العكبري فقد جوّز النصب؛ لتكون ﴿عَهۡدَا﴾ مفعولاً به ثانياً يقول: «ويجوز أنْ يكون مفعولاً به؛ أي أعطوا عَهْداً، وهنا مفعول آخر محذوف تقديره: عاهدوا الله، أو عاهدوكم»(١).

ويبدو أنّ العكبري قد ذكر قراءة بناء الفعل للمجهول عاهدوا فقال، وقُرئ "عُوهِدوا" ولعل في هذه القراءة ما يؤيد النصب على المفعولين(٢). أمّا أبو حيان فقد ذكر وجهاً واحداً، وهو نصب (عهداً) على المفعول به مستنداً إلى التضمين النحوي الذي أعطاه المعنى المعجمي للفعل (عاهد) فأشار إلى ذلك: «وانتصاب عهداً على أنّه مفعول على تضمين (عاهد) معنى أعطى أي: أعطوا عهداً»(٣).

وكان السمين قد ذكر وجه النصب على أنّه مفعول به ثانٍ، فعلى القول بالتضمين صار الاسم منصوباً لقرينة حددها المعنى المعجمي للفعل (عاهد) ليتحول إلى (أعطى)، ونظير هذا كثير في القرآن الكريم، وله أثر واضح في توجيه المعنى النحوي؛ ففي قوله تعالى: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾ [آل عمران: ١٩٥] إذا توجه عند انتصاب ثواباً عدة وجوه فهو منصوب على أنّه منها: مفعول بفعل محذوف يدل عليه المعنى أي: يعطيهم ثواباً(٤).

والذي نميل إليه في هذه المسألة أنّ القول بالمصدر (المفعول المطلق) قريب من معنى الآية؛ إذا ما اعتمدنا على التأكيد في المفعول المطلق (عهداً) حيث يكون في صورة مصدر منصوب مبهم غير مختص، أي: غير مضاف أو موصوف أو محلى (بأل) العهدية وكذلك لا يكون مثنى ولا جمعاً، فينبغي من الناحية الوظيفية

(١) التبيان في إعراب القرآن (١/ ٩٧).

(٢) انظر، إعراب القراءات الشواذ (١/ ١٩٠).

(٣) البحر المحيط (١/ ٤٩٢- ٤٩٣).

(٤) انظر، القرينة المعجمية وأثرها في توجيه المعنى، تفسير البحر المحيط أنموذجاً (ص٣٠٩- ٣١٠).

الإبلاغية أن يكون استعماله مقصوراً بحيث يرد فيه المفعول المطلق تعزيزاً للحديث ومعنى الفعل وهو ما نجده في قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا﴾ فأكدّ بهذا المصدر دلالة على وقوع الفعل على حقيقته لا على مجازه[(١)]. إضافة إلى ذلك فإنّه «ما اختلف فيه لفظ الفعل عن لفظ المفعول المطلق فالمراد زيادة المعنى بجمع معنيين أو أكثر ما وسعت ذلك اللغة واتسع المقام»[(٢)].

المسألة السابعة: نصب ﴿مُفۡسِدِينَ﴾:

﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [البقرة:٦٠].

يقول السمين ﴿مُفۡسِدِينَ﴾حال من فاعل "تعثوا"، وهي حال مؤكِّدة؛ لأنّ معناها قد فُهِم من عاملها، وحَسَّنَ ذلك اختلاف اللفظين، ومثله ﴿ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥﴾ [التوبة:٢٥]، وهكذا، ويحتمل أنْ تكون حالاً مبيِّنة؛ الفساد أعمُّ والعِثِّي أخص كما تقدَّم، ولهذا قال الزمخشري: «فقيل لهم: لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم»؛ لأنّهم كانوا متمادين فيه، فغاير بينهما كما ترى».[(٣)]

ذكر السمين في هذه الآية إعراب كلمة ﴿مُفۡسِدِينَ﴾ على الحال المؤكِّدة وربط ذلك بقرينة المعنى المعجمي، فبيّن أنّ معناها قد فهم من عاملها (تعثوا).

الأصل في الحال أنْ تأتي لبيان هيئة صاحبها، يقول ابن يعيش: «اعلم أنّ الحال وصف هيئة الفاعل أو المفعول، نحو: «جاء زيد ضاحكا، وأقبل محمد مسروراً، وضربت عبد الله باكياً، ولقيت الأمير عادلاً» والمعنى جاء عبد الله في هذه الحال،

(١) انظر، القرائن المعنوية، قرينة المعنى المعجمي (ص٢٣١- ٢٣٢).

(٢) انظر، معاني النحو (١/ ١٤٤).

(٣) الدر المصون (١/ ٢٣٨).

ولقيت الأمير في هذه الحال».[١]

وقد اشترط النحاة لذلك أن تكون الحال منتقلة لتلائم وظيفتها في الجملة، وهو الأصل فيها، لاختلاف أحوال صاحبها. وقد نُصَّ على أنّ الحال المنتقلة لا يستفاد المعنى بدون ذكرها؛ حتى تعطي معنى جديداً لصاحبها أثناء إحداثه الفعل. ومثالها: قرأت الكتاب مفتوحاً، اجتاز الطالب الاختبار ناجحاً.

أمّا القسم الآخر من أنواع الحال فهي الحال المؤكِّدة، أي: ما كانت ثابتة غير منتقلة، وهي التي تدل على معنى يفهم مما قبلها كما قال أبو حيان.[٢] وقد جعلها ابن مالك ضربين قائلاً «الحال المؤكدة ضربان: أحدهما ما يؤكد عامله، والثاني ما يؤكد خبر جملة لا عمل لجزءيها فيه، فالأول ضربان: ضرب يوافق عامله معنى لا لفظاً وهو كثير، وضرب يوافق عامله لفظاً ومعنى وهو قليل. فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٧٤﴾ [الأعراف:٧٤]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥﴾ [التوبة: ٢٥]، وقوله تعالى:﴿وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣﴾ [مريم: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ﴾[يونس:٩٩]، وقوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا﴾ [النمل: ١٩]، ومن هذا القبيل قول لبيد[٣]:

وَتُضِيءُ في وَجْهِ الظَّلامِ مُنيرَةً كَجُمانَةِ البَحْرِيِّ سُلَّ نِظَامُها

... ومن هذا القبيل أيضاً ما مثّل به سيبويه من قولهم:

هو رجل صدق معلوما ذلك، أي معلوما صلاحه، كذا قدّر سيبويه، ورجل صدق بمعنى صالح فأجرى مجراه إذا قيل هو صالح معلوما صلاحه،...ومن

(١) شرح المفصل (٢/ ١٣٤).

(٢) انظر، التذييل والتكميل (٩/ ١٥٣).

(٣) انظر، ديوانه (ص١٧٢)، التذييل والتكميل (٩/ ١٥٨). تضيء: يعني البقرة من شدة بياضها. وجه الكلام: أوله. منيرة: مضيئة. الجمانة: خرزة تعمل من فضة. البحري: الغواص. نظامها: خيطها. انظر، ديوان لبيد، ص(١٢٧).

الثاني قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء:٧٩]، وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [النحل:١٢]، ومنه قوله امرأة من العرب[١]:

قُـمْ قـائـمـاً، قُـمْ قَـائِـمـاً صادَفْتَ عَـبْداً نَائِماً وعُشَراءَ رَائِماً»[٢]

وقد اختلف النحاة حول الحال المؤكِّدة، فأثبتها جمهورهم، وأنكرها الفراء والمبرد والسهيلي».[٣]

لعلّ من المناسب قبل الوقوف مع توجيه السمين الذي ذكرناه أن نرى ما قاله العلماء الذين سبقوه؛ لنعرف رأيه بينها. يقول ابن عطية: "ومفسدين" حال. وتكرر المعنى لاختلاف اللفظ».[٤]وذكر العكبري الحال المؤكِّدة، قائلاً: «(مفسدين): حال مؤكِّدة؛ لأن قوله: "لا تعثوا" : "لا تفسدوا"».[٥] ويقول القرطبي: «(ومفسدين) حال؛ وتكرار المعنى تأكيداً لاختلاف اللفظ».[٦]يظهر على هذه التوجيهات العلاقة والربط ما بين المعنى المعجمي والنحو، وهو ما استفاد منه السمين الحلبي في التوجيه السابق. ولمحمد الطاهر بن عاشور تحليل نافع لتوجيه كلمة (مفسدين) رابطاً بين المعجم والدلالة النحوية، يقول: ﴿وَلَا تَعْثُوْا﴾ بضم الثاء، وهو أشد الفساد، وقيل: هو الفساد مطلقاً وعلى الوجهين يكون (مفسدين) حالاً مؤكِّدة لعاملها. وفي الكشاف جعل معنى (لا تعثوا) لا تتمادوا في فسادكم فجعل المنهي عنه هو الدوام على الفعل، وكأنّه يأبى صحة الحال المؤكِّدة للجملة

(١) انظر، الخصائص (٣/ ١٠٣)، التذييل والتكميل (٩/ ١٥٩).

(٢) شرح التسهيل (٢/ ٣٥٥- ٣٥٧). العشراء من النوق: التي أتى على حملها عشرة أشهر. والرائم: التي تعطف على ولدها. انظر، اللسان، عشر، رئم.

(٣) انظر، المقتضب (٤/ ٣١١)، نتائج الفكر (ص٣٩٧)، التذييل والتكميل (٩/ ١٥٣).

(٤) المحرر الوجيز (١/ ٢٣٥).

(٥) التبيان في إعراب القرآن (١/ ٦٧).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٨٦).

الفعلية فحاول المغايرة بين ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ﴾ وبين ﴿مُفۡسِدِينَ﴾ تجنباً للتأكيد وذلك هو مذهب الجمهور، ولكن كثيراً من المحققين خالف ذلك، واختار ابن مالك التفصيل فإن كان معنى الحال هو معنى العامل جعلها شبيهة بالمؤكِّدة لصاحبها كما هنا وخص المؤكِّدة لمضمون الجملة الواقعة بعد الاسمية نحو زيد أبوك عطوفاً وقال سالم بن دارة اليربوعي[(١)]:

أنا ابنُ دارةَ مَعْروفاً بها نَسَبِي وهلْ بدارةَ يا للنّاسِ مِن عَارِ»[(٢)].

وعليه نقول «إنّ الحال إن دلّت على معنى مستفاد مما قبلها فهي المؤكِّدة. وقال بهذه القاعدة المعجمية المميزة للحال جمهور النحاة... إن كان ما قبلها يدّل عليها نحو: زيد على الفرس راكباً فهي مؤكِّدة؛ لأنّ (على الفرس) ما يدل على الحال (راكبا). وكذلك نحو الآية: ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠﴾ [البقرة:٦٠]، فـ﴿مُفۡسِدِينَ﴾ حال مؤكِّدة؛ لأنّ (عثا) في اللغة معناه المعجمي (أفسد). يقول الطبري: وأصل "العثا" شدة الإفساد، بل هو أشد الإفساد»[(٣)]. وجعل ابن هشام من الحال المؤكِّدة الآيتين ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا﴾ [النمل:١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا﴾ [النمل:١٠]، وقال عن الآية: ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا﴾ [فاطر:٣١] معقباً على الذين قالوا: إنّ الحال فيها مؤكِّدة؛ لأن الحق لا يكون إلا مصدقاً، والصواب أن يكون مصدقاً ومكذباً، وغيرهما، نعم إذا قيل (هو الحق صادقاً) فهي مؤكِّدة»[(٤)].

فضلاً عن ذلك فإنّ النحاة قد جعلوا هذه الحال المؤكِّدة القائمة على تخالفها لفظاً مع عاملها من الأكثر من الناحية المعجمية في القرآن وفصيح الكلام، يقول أبو حيان نقلاً عن ابن مالك: "وتخالفهما لفظاً أكثر من توافقها، مثال تخالفهما ﴿ثُمَّ

(١) الكتاب (٢/ ٧٩). دارة: شبه وجهه بدارة القمر. فسُمي لذلك دارة. انظر، شرح أبيات سيبويه (١/ ٥٤٧).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٢٥٠).

(٣) جامع البيان (١/ ٤١٧).

(٤) انظر، مغني اللبيب (ص٦٠٣- ٦٠٥)، القرائن المعنوية، قرينة المعنى المعجمي (ص ٥٣٦).

وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة:٢٥]، ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة: ٦٠]، ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم: ٣٣]، ﴿لَّآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]، ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩].(١)

المسألة الثامنة: نصب ﴿سِرًّا﴾

قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة:٢٣٥].

يقول السمين: قوله ﴿سِرًّا﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أنْ يكون مفعولاً ثانياً لـ ﴿تُوَاعِدُوهُنَّ﴾.

والثاني: أنّه حال من فاعل ﴿تُوَاعِدُوهُنَّ﴾ أي: لا تواعدوهُنَّ مستخفين بذلك.

والثالث: أنّه نعت مصدر محذوفٍ أي: مواعدة سراً.

والرابع: أنّه حال من ذلك المصدر المُعرَفَّ: المواعدة مستخفيةً.

والخامس: أنْ ينتصب على الظرف مجازاً أي: في سرٍّ. وعلى الأقوال الأربعة فلا بُدَّ من حذف مفعول تقديره: لا تواعدوهُنَّ نكاحاً»(٢).

فالوجه الأول الذي ذكره أن يكون سراً مفعولاً ثانياً لـ ﴿تُوَاعِدُوهُنَّ﴾ لا يستقيم؛ لأنّه ضمنّه معنى الفعل (تعطوهنّ)، يقول أبو حيان: «ثبت أنّ هذه الأفعال تتعدى إلى واحد، فإذا جاء بعده اسم منصوب حُمل على أنّه حال، والدليل على أنّه التزام تنكيره»(٣).

قبل مناقشة الوجه الثاني: حال من فاعل ﴿تُوَاعِدُوهُنَّ﴾، أي: لا تواعدهن

(١) التذييل والتكميل (٩/ ١٥٧ – ١٥٨).

(٢) الدر المصون (١/ ٥٧٩ – ٥٨٠).

(٣) التذييل والتكميل (٦/ ٥٢ – ٥٣).

مستخفين بذلك، يمكن أن نرى تفسير هذه الآية؛ لربطها بما يناسبها من قرينة المعنى المعجمي وأثرها في المعنى النحوي، يقول الفراء: «وقوله ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ لا يصفنَّ أحدكم نفسه. في عِدتها بالرغبة في النكاح والإكثار، حَدّثنا محمد بن الجهم قال حدثنا الفراء قال حدّثني حِبَّان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنّه قال: السرُّ في هذا الموضع النكاح. وأنشد بيت امرئ القيس[(١)]:

ألا زَعمتْ بَسْبَاسَةُ اليَوْمَ أننّي كَبِرْت وألَّا يشهدُ السِرَّ أمْثَالي»[(٢)].

ويقول الطبري مبيناً معنى الآية: «ولا جناح عليكم، أيّها الناس، فيما عرّضتم به للمعتدات من وفاة أزواجهن، من خطبة النساء، وذلك حاجتكم إليهن، فلم تصرِّحوا لهن بالنكاح والحاجة إليهن، إذا أكننتم في أنفسكم، فأسررتم حاجتكم إليهن وخطبتكم إيّاهن في أنفسكم، ما دُمْن في عددهن؛ علم الله أنّكم ستذكرون خِطبتهن وهن في عددهن، فأباح لكم التعريض بذلك لهن، وأسقط الحرج عما أضمرته نفوسكم – حكم منه ولكن حرّم عليكم أنْ تواعدوهن جماعاً في عددهن، بأن يقول أحدكم لإحداهن في عدتها: «قد تزوجتك في نفسي، وإنّما أنتظر انقضاء عدتك»، فيسألها بذلك القول إمكانه من نفسها الجماع والمباضعة، فحرّم الله تعالى ذكر ذلك»[(٣)].

وقد ربط الزمخشري معنى الآية بالكناية (البلاغة) فقال: «ولكن لا تواعدوهنّ سراً. والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء، لأنّه مما يسرّ. قال الأعشى»[(٤)]:

وَلَا تَقْرَبَنْ مِنْ جَارَةٍ إنّ سِرَّهَا عَلَيْكَ حَرامٌ فانْكحِنْ أوْ تَأبَّدا

(١) ديوانه: وقد ورد: كَبُرتُ وألاَّ يحسنُ اللَّهو أمثالي (ص٢٨). ألا زعمت بسباسة: هي امرأة عيّرته بالكِبَر، وأنّه لا يحسن اللهو، انظر ديوان امرئ القيس (ص ٢٨).

(٢) معاني القرآن (١/ ١٥٣).

(٣) جامع البيان (٢/ ٤٧٥).

(٤) ديوانه (ص ١٣٧). النكاح: الزواج. التأبد: التعزب والبعد عن النساء. انظر ديوانه (ص١٣٧)

ثم عبّر به عن النكاح الذي هو العقد لأنّه سبب فيه كما فعل بالنكاح"[١].

وعلّق الزركشي على قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ فخلص إلى التجوز على المجاز بالمجاز، يقول: «وهو أن تجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر؛ فتتجوّز بالمجاز الأول عن الثاني لعلاقة بينهما. مثاله قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥]، فإنّه مجاز عن مجاز، فإنّ الوطء يجوّز عنه بالسر؛ لأنّه لا يقع غالباً إلا في السر، وتجوّز بالسرّ عن العقد؛ لأنّه مسبب عنه، فالصحيح للمجاز الأول الملازمة، والثاني السببية، والمعنى: «لا تواعدوهنَّ عقدُ نكاح»[٢]. فإذا ما ربطنا ما جاء عند المفسرين بما ذكره معربو القرآن، فالنحاس يرى (سراً) على وجهين إعرابيين قائلاً ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾، أي على سِر حذف الحرف؛ لأنّه مما يتعدّى إلى مفعولين أحدهما بحرف، ويجوز أن يكون في موضع الحال»[٣]. أمّا مكي بن أبي طالب فقد لامس المعنى المعجمي فأعرب الكلمة على (الحال) إن كان السر هو الإخفاء قائلاً: «فإنْ جعلته من السر الذي هو الإخفاء كان نصباً على الحال من المضمر في تواعدوهنّ تقديره: ولكن لا تواعدوهنّ النكاح متسارين ولا مظهرين له»[٤]. وبه قال الكرماني:﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ فيكون نصباً على الحال، أي مسرين»[٥]. أمّا العكبري فقد رأى المعنى المعجمي يكمن في توجيهين نحويين، يقول: ﴿سِرًّا﴾ مفعول به، لأنّه بمعنى النكاح؛ أي لا تواعدوهُنَّ نكاحاً. وقيل: هو مصدر في موضع الحال؛ تقديره مستخفين بذلك، والمفعول محذوف؛ تقديره: لا تواعدُوهَنَّ النكاح سراً»[٦].

(١) الكشاف (١/ ٢٨٣).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٩٨).

(٣) إعراب القرآن (١/ ٣١٩).

(٤) مشكل إعراب القرآن (١/ ١٣١- ١٣٢).

(٥) غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٢١٨).

(٦) التبيان في إعراب القرآن (١/ ١٨٨).

وقد ربط أبو حيان ما بين أقوال المفسرين (المعنى) والنحو في توجيه كلمة (سراً) فقال: «وقال ابن جبير: السر هنا النكاح، وقال "ابن زيد": ومعنى ذلك لا تنكحوهن وتكتمون ذلك فإذا حلّت أظهرتموه ودخلتم بهن فسمى العقد عليهن مواعدة، وهذا ينبو عنه لفظ المواعدة، وقال بعضهم: جماعاً وهو أن يقول لها إن نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف، وقال "ابن عباس"، و"ابن جبير" أيضاً، و"الشعبي"، و"مجاهد"، و"عكرمة" و"السدي"، و"مالك"، وأصحابه والجمهور: المعنى لا توافقوهنّ المواعدة والتوثق وأخذ العهود في استسرار منكم وخفية، فعلى هذا القول والقول الذي قبله ينتصب سراً على الحال أي مستسرين، وعلى القولين الأولين ينتصب على المفعول، وإذا انتصب على الحال كان مفعولاً فواعدوهنّ محذوفاً تقديره النكاح»[(١)].

أمّا باقي التوجيهات الإعرابية التي ذكرها السمين فهي **الثالث، والرابع، والخامس**

١ - (سراً) نعت مصدر محذوف، أي: مواعدة سراً.

٢- (سراً) حال من ذلك المصدر المعرفَّ: المواعدة مستخفيةً. مصدر محذوف، أي: مواعدة سراً.

٣- (سراً) منصوب على تقدير حرف جر؛ أي في سر فحذف جر الجر وانتصب على الظرفية.

وهذه التوجيهات فيما يبدو تعتمد على التقدير والتأويل، وهو خلاف الأصل ما لم تدع حاجة إلى ذلك، وهو ما نصّ عليه النحاة، يقول الرضي: «الأصل عدم التقدير بلا ضرورة ملجئة إليه»[(٢)]، ويقول أبو حيان: «وكلام بغير إضمار أحسن

(١) البحر المحيط (٢/ ٢٣٧).

(٢) شرح الرضي (١/ ٣٠٣).

من كلام بإضمار»[(١)] ويقول أيضاً: «لأنّا لا نصير إلى التأويل مع إمكان حمل الشيء على ظاهره ولا سيما إذا لم يقم دليل على خلافه»[(٢)].

والذي نميل إلى الأخذ به في توجيه كلمة (سراً) واستناداً إلى ما تقتضيه قرينة المعنى المعجمي، كما هو معلوم «وفي استعمال الألفاظ في الكلام نصادف كثيراً المجازي الذي يؤثر في فهمنا للعلاقات التركيبية، ولاحظ كثير من النحاة هذه العلاقة بين الموضوع البياني (المعجمي) والمباحث النحوية، وليس أدل على هذا مما أوردناه عن السمين من تعدد وجوه الإعراب؛ فحينما ذكر المفسرون أن معنى (سراً) بـ (نكاحاً) فهذا المعنى المجازي يتطلب أن تعرب (سراً) مفعولاً به، ومَنْ جعل (سراً) بمعنى الإخفاء أو كما قَدّره السمين بـ "مستخفين" وهو ما يؤيده ما جاء عند القرطبي، يقول: "ولا يأخذ ميثاقها وعدهما ألا تنكح غيره في استسرار وخفية؛ هذا قول ابن عباس وابن جبير ومالك وأصحابه والشعبي ومجاهد وعكرمة والسدّيّ وجمهور أهل العلم. و"سراً" على هذا التأويل نصب على الحال، أي: مستسرين»[(٣)]. وبه قال أبو حيان: «...ينتصب سراً على الحال أي: مستسرين»[(٤)].

وعليه فإنّ القول بأن المقصود بـ "سراً" الزنا فيه بعدٌ، يقول أبو حيان: «أمّا تفسير السر هنا بالزنا فبعيدٌ؛ لأنّه حرام على المسلم مع معتدة وغيرها»[(٥)].

المسألة التاسعة: من حروف المعاني (الباء)

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤].

(١) البحر المحيط (١/ ٢٨٨).
(٢) السابق (١/ ٣٤٨).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١٢٥- ١٢٦).
(٤) البحر المحيط (٢/ ٢٣٧).
(٥) السابق (٢/ ٢٣٧).

يقول السمين: «والأكثر في "خلا" أن يتعدّى بالباء، وقد يتعدّى بإلى، وإنّما تعدَّى في هذه الآية بإلى لمعنى بديع، وهو أنّه إذا تعدَّى بالباء، احتمل معنيين أحدهما: الانفراد، والثاني: السخرية والاستهزاء، تقول: «خَلَوْتُ به، أي سَخِرْتُ منه، وإذا تعدّى بإلى كان نصاً في الانفراد فقط، أو تقول: ضُمّن خلا معنى صرف فتعدّى بإلى، والمعنى: صرفوا خلاهم إلى شياطينهم، أو تضَّمن معنى ذهبوا وانصرفوا فيكون كقول الفرزدق[(١)]:

أَلَمْ تَرَانِي قَالِبًا مِجَنِّي قَدْ قَتَلَ اللهُ زِيَاداً عَنِّي

أي: صرفه بالقتل، وقيل: هي هنا بمعنى مع، كقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء:٢]. وقيل: هي بمعنى الباء، وهذان القولان إنّما يجوزان عند الكوفيين، وأمّا البصريون فلا يجيزون التجُّوز في الحروف لضَعْفِها. وقيل: المعنى وإذا خَلّوا من المؤمنين إلى شياطينهم، فـ "إلى" على بابها»[(٢)].

ذكر السمين في هذه الآية توجيهاً لحرف الجر (إلى) وربطه بالتضمين النحوي الذي بدوره يدخله في نيابة بعض حروف الجر عن بعض؛ مما يتطلب معه تغيّر المعنى المعجمي، وهو ما رآه السمين في قوله تعالى: ﴿خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ إذا يتعدى في أصله بالباء، ولكن لمعنى بديع قد يتعدى بإلى.

ثم أخذ السمين يفصّل معناه إذا تعدّى بالباء، ودلالته المعجمية، وهو عنده على احتمال معنيين: الأول: (خلا) معناه الانفراد، فحين نقول: خلا بنفسه أي انفرد. والثاني: معناه السخرية نحو: (خلوت به): أي سخرت منه. أمّا إذا تعدّى بإلى فقد نصّ السمين على أن معناه الانفراد فقط.

---

(١) في ديوانه: كَيْفَ تَرَاني قالباً مِجَنِّي (ص٦٩٠)، في المحتسب، قاليا، والمجن: الترس، وقلاه كناية عن عدم الحاجة إليه (١/ ٥٢).

(٢) الدر المصون (١/ ١٢٣).

ثم توسّع السمين في التوجيه فأدخل الفعل (خلا) في باب التضمين ورآه في الفعل (صرف) ليعطي البعد المعجمي، صرفوا خلاهم إلى شياطينهم وذكر أنّه يمكن حمل (إلى) على معنى (مع) كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾.

وقد رأى نحاة الكوفة هذا التناوب لحرف الجر (إلى) وجوّزوا ذلك. أمّا البصريون فلا يرون هذا التناوب لضعفه في الحروف، فاقتصروا على معنى واحد لـ "إلى" دون تجوز معنى آخر".

فإذا ما بدأنا بما جاء عند الفراء، فإننا نجده قد ذكر عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾[البقرة:١٤]. إلاّ أنّ "خَلَوْتُ بفلان" له معنيان: أحدهما هذا، والآخر "سَخِرْتُ به". وتكون "إلى" في موضع "مع"، نحو: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢، الصف: ١٤]، كما كانت "مِنْ" في معنى "على" في قوله: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ [الأنبياء: ٧٧]، أي: على القوم...»[(١)]. وقد توسّع الطبري في بيان هذه الآية، فذكر أنّ أهل العلم بلغة العرب ونحويي البصرة والكوفة قد اختلفوا في توجيهها، قائلاً: "فإن قال لنا قائل: أرأيت قوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾؟ فكيف قيل: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾؟ ولم يقل خلوا بشياطينهم؟ فقد علمت أن الجاري بين الناس في كلامهم: "خلوت بفلان" أكثر وأفشى من: "خلوت إلى فلان"؛ من: "خلوت إلى فلان"؛ ثم يواصل الطبري حديثه عن الآية مستعرضاً أوجه الخلاف في التوجيه بين النحويين، «وقد اختلف في ذلك أهل العلم بلغة العرب. فكان بعض نحويي البصرة يقول: يقال: "خلوت إلى فلان" إذا أريد به: خلوت إليه في حاجة خاصة... فأمّا إذا قيل: "خلوت به" احتمل معنيين: أحدهما الخلاء به في الحاجة، والآخر في السخرية به، فعلى هذا القول: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ لا شك أفصح منه لو قيل: "وإذا خلوا بشياطينهم"، كما في قول القائل: "وإذا خلوا

(١) معاني القرآن (١/ ٤٦).

بشياطينهم"، من التباس المعنى على سامعيه، الذي هو منتفٍ عن قوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾»[١].

وذكر الطبري بعد ذلك أن بعض نحاة الكوفة قد تأولوا معنى الآية إذ قالوا «وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا صرفوا خلاءهم إلى شياطينهم – فيزعم أنه الجالب لـ "إلى" المعنى الذي دلّ عليه الكلام: من انصراف المنافقين عن لقاء المؤمنين إلى شياطينهم خالين بهم، لا قوله "خلوا". وعلى هذا التأويل لا يصلح في موضع إلى غيرها؛ لتغير الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها.»[٢]

وقد جعل الطبري هذا الرأي أولى بالصواب، «لأن لكل حرف من حروف المعاني وجهاً هو به أولى من غيره فلا يصلح تحويل ذلك عنه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها»[٣].

وإذا انتقلنا إلى معربي القرآن الكريم لنرى توجيههم للآية: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤]، فالزجاج أشار إلى معنى (خلوا) مع حروف الجر، يقول: «يقال خلوت إليه ومعه، ويقال خلوت به، وهو على ضربين:

أحدهما: جعلت خلوتي معه، كما قال: خلوت إليه (أي جعلت خلوتي معه)، وكذلك يقال: خلوت إليه، ويصلح أن يكون خلوت به سخرت منه».[٤]

ولم يتطرق النحاس ومكي بن أبي طالب، والباقولي، والأنباري لها، حتى أبو حيان لم يعقب على هذه الآية بالتوجيهات التي ذكرها السمين وإنْ كان قد أشار بشكل موجز إلى حرف الجر (إلى) مع الفعل (خلا) في قوله تعالى:﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ

(١) جامع البيان (١/ ١٨٥).

(٢) السابق (١/ ١٨٥).

(٣) السابق (١/ ١٨٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٨٨).

ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٧٦﴾ [البقرة: ٧٦]، فصرّح أن تضمين فعل معنى فعل آخر أولى وأجود من نيابة حرف عن حرف يقول: «وإذا انفرد بعضهم ببعض، أي: الذين لم ينافقوا إلى مَنْ نافق، و(إلى) قيل: بمعنى مع، أي: وإذا خلا بعضهم ببعض، أي: الذين لم ينافقوا إلى من نافق، و (إلى) قيل: بمعنى (مع)، أي: وإذا خلا بعضهم مع بعض، والأجود أن يضمّن خلا معنى فعل يعدّي بإلى، أي: انضوى إلى بعض أو استكان أو ما أشبهه؛ لأنّ تضمين الأفعال أولى من تضمين الحروف".[(١)] وعليه، فكأنّ السمين قد زاد بالتوجيه الذي ذكرناه في بداية المسألة على معربي القرآن السابقين عليه واللاحقين.

وقد ضُعِّف قول مَنْ رأى (إلى) بمعنى الباء في قوله تعالى: ﴿خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾، يقول ابن عطية: «وقال قوم: "إلى" بمعنى "الباء"، إذ حروف المعاني يبدل بعضها من بعض، وهذا ضعيف يأباه الخليل وسيبويه وغيرهما».[(٢)]

والذي نميل إليه في هذه الآية وفقاً لما يقتضيه معناها المعجمي وسياقها الدلالي. أنّ الفعل (خلا) كما نصّ السمين إذا عُدِّي بإلى ضُمن معنى (الانفراد) نصاً وهو معنى معجمي، ومنهم مَنْ أضاف معنى (خَلُص) يقول محمد الطاهر بن عاشور: «على تضمين معنى آب أو خلص»[(٣)]؛ لأنّ خلوة المنافقين كانت في خلوصهم إلى شياطينهم عند إيابهم ومرجعهم إليهم، على حين لقاءاتهم بالمؤمنين لمحات عابرة وسريعة، نفهم هذا من سياق: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤﴾ [البقرة:١٤]، لقاء عابر وسريع وأسلوب المنافقين أن يستتروا عن الأعين فهم بحاجة إلى خلوة، وجاء اللقاء

(١) البحر المحيط (١/ ٤٤٠).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ١٢٣).

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٢٩١).

بالمؤمنين في جملة فعلية ليفيد الحدوث الخاطف، ومع الشياطين في جملة اسمية لتفيد الثبوت والاستمرار».[١]

وعليه فلولا التضمين النحوي ودوره مع المعنى المعجمي مع حرف الجر (إلى)، كما يقول محمد نديم فاضل «فلولا (إلى) ويقصد مع (خلا) لما انكشفت لنا خسة المنافق وقذارة نفسه الدنيئة، بلقائه العابر والخاطف بالمؤمنين واستكانته وراحته وخلوصه إلى شياطين الإنس من الكافرين... أرأيت كم في (إلى) مع فعل (خلا) من إعجاز! ».[٢]

ولو جاء التعبير كما قول محمد الأمين الخضري بـ "خلوا بشياطينهم"، لما أفاد غير الانفراد بهم، ولضاع غرض النظم من الكشف عن توجههم النفسي، ووحدة الغاية التي تربطهم بحلفائهم».[٣] وهو ما يفهم من كلام الطبري: «فيزعم أن الجالب لـ (إلى) المعنى الذي دلّ عليه الكلام، من انصراف المنافقين عن لقاء المؤمنين إلى شياطينهم خالية بهم، لا قوله (خلوا)، وعلى هذا التأويل: لا يصلح في موضع (إلى) غيرها لتغيّر الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها. وهذا عندي أولى بالصواب؛ لأنّ لكل حرف من حروف المعاني وجهاً هو أولى به من غيره».[٤]

(١) انظر، التضمين النحوي في القرآن الكريم (١/ ٣٢٤).

(٢) التضمين النحوي في القرآن الكريم (١/ ٣٢٥).

(٣) انظر، من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم (ص٣١٥).

(٤) جامع البيان (١/ ١٨٥).

الخاتمة

١- الأصل في المعجم أن يكون منبعاً لبيان الكلمات وشرح معانيها وإيضاحها وهذا معنى عام للمعجم، ولكن ذلك لا يمنع أن توسّع دراسة المعجم ليشمل دلالة لكلمات وربطها بالنواحي الصوتية، والصرفية، والنحوية، والاجتماعية؛ فضلاً عن تطوّر المفردات التاريخي وتتبع دلالاتها وما يترتب عليها من آثار تعود بالنفع على اللغة لمعرفة تطور المفردات على مرّ عصور العربية.

٢- كان النحاة ينظرون إلى المعجم عنصر مهماً لبيان الوظائف النحوية بدءاً من المكونات الأساسية للإسناد (اسم واسم) أو (فعل واسم) ومتعلقات، وقد لمسنا ذلك بوضوح عند سيبويه وابن جني اللذين سعيا إلى إبراز قرينة المعنى المعجمي ودورها في فهم التراكيب، وكان لنصوصهما المهمة في هذا الجانب أثره فيمن جاء بعدهما من العلماء.

٣- استفاد علماء البلاغة وبخاصة الجرجاني من اللفتات الفذة عند سيبويه، فأحسن استغلالها في التعليق والنظم، فأبرز المعنى المعجمي ودوره في تحليل التراكيب على نحو فريد فأخرج ذلك في نظرية متكاملة عرفت بنظرية النظم.

٤- أظهر معربو القرآن عناية بقرينة المعنى المعجمي ودورها في تعدد وجوه الإعراب، وقد كان ذلك رافداً من روافد تحليل التراكيب لآيات القرآن؛ مما يتطلب ترجيح وجه إعرابي على آخر استناداً إلى هذه القرينة إضافة إلى الحركة الإعرابية، وربط ذلك بالقاعدة النحوية مع إضافة العناصر اللغوية الأخرى كالسياق.

٥- وظّف السمين الحلبي قرينة المعنى المعجمي وربطها مع النحو، فنتج عن ذلك تعدد وجوه الإعراب في تفسيره المهم "الدر المصون" وكان كتابه يمثل حركة تطوّر لمؤلفات إعراب القرآن التي اعتنت بهذه القرينة، فزاد على مَنْ سبقه في تعدد وجوه الإعراب التي وصلت عنده إلى سبعة أوجه وكان للربط ما بين المعجم

والنحو أهمية بالغة في هذا التعدد مما يتطلب التركيز على وجه إعرابي واحد يتحقق فيه معنى الآية مع تدعيم هذا الوجه بما جاء عند النحاة، والمفسرين، ومعربي القرآن وما يمكن أن نضيفه من ومضات عند الباحثين المعاصرين ممن عنوا بدراسة المعنى المعجمي وعلاقته بالنحو.

التوصيات:

يوصي البحث بالعناية بقرينة المعنى المعجمي وتوسيع تطبيقها وفق نظرة النحويين ومعربي القرآن؛ لتحقيق النحو الدلالي لتراكيب الجملة القرآنية.

فهرس المصادر والمراجع

١. **الأدب المفرد**، للبخاري، حقق أحاديثه وعلّق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط(٤)، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢. **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، تحقيق د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(١)، ١٤١٨هـ-١٩٨٨م.

٣. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، لأبي السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

٤. **الأصول في النحو**، لابن السراج، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(١)، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٥. **إعراب القراءات الشواذ**، لأبي البقاء العكبري، تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، ط(١)، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٦. **إعراب القرآن**، للنحاس، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط(١)، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٧. **أمالي ابن الشجري**، لابن الشجري، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(١)، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٨. **البرهان في علوم القرآن**، للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٩. **البحر المحيط**، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

١٠. **البيان في غريب إعراب القرآن**، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية للكتاب، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

١١. **التبيان في إعراب القرآن**، لأبي البقاء العكبري، تحقيق: محمد علي البجاوي ط (عيسى البابي الحلبي).

١٢. **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، بدون تاريخ.

١٣. **التذييل والتكميل**، لأبي حيان الأندلسي، ج٦، ٩، تحقيق د. حسن هنداوي، كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط(١)، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٤. **التضمين النحوي في القرآن الكريم**، د. محمد نديم فاضل، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، ط(١)، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٥. **تفسير البغوي "معالم التنزيل"** حقق وخرج أحاديثه، محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميريّة، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط(١)، ١٤٠٩هـ.

١٦. **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، للطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط(٢)، دار المعارف، مصر.

١٧. **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٨. **الخصائص**، لابن جني، تحقيق: د. محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط(٤)، ص١٩٩٩م.

١٩. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، للسمين الحلبي، تحقيق: علي محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢٠. **دلائل الإعجاز**، للجرجاني، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط(٣)، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٢١. **ديوان الأعشى**، للأعشى، شرح وتعليق، د. محمد محمد حسين، الناشر، مكتبة الآداب، بدون تاريخ.

٢٢. **ديوان امرئ القيس**، لامرئ القيس، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط(٤)، دار المعارف، مصر.

٢٣. **ديوان رؤبة ضمن مجموع أشعار العرب**، لرؤبة، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد البُروسيّ، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط(٢)، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٢٤. **ديوان الفرزدق**، شرحه وضبط نصوصه وقدّم له، د. عمر فاروق الطبّاع، دار الأرقم، بيروت، ط(١)، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٥. **ديوان القطامي**، القطامي، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، د. أحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، ط(١)، ١٩٦٠م.

٢٦. **ديوان عمرو بن معد يكرب**، لعمرو بن معدي يكرب، جمعه ونسّقه: مطاع الطرابيشي، (٢)، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٢٧. **ديوان لبيد**، للبيد العامري، شرحه وضبط نصوصه د. عمر فاروق الطبّاع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط(١)، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٨. **ديوان المرقشين**، المرقش الأكبر، عمر بن سعد؛ والمرقش الأصغر، عمرو بن حرملة، تحقيق: كارين صادر، دار صادر، بيروت، ط(١)، ١٩٩٨م.

٢٩. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، للألوسي، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٣٠. **السبعة في القراءات**، تحقيق د. شوقي ضيف، ط (٣)، دار المعارف، بدون تاريخ.

٣١. **شرح أبيات سيبويه**، للنحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط(١)، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٣٢. **شرح التسهيل**، لابن مالك، تحقيق: عبد الرحيم السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة، بدون تاريخ.

٣٣. **شرح جمل الزجاجي**، لابن عصفور، تحقيق: الصاحب أبو جناح، مكتبة ابن تيمية، بدون تاريخ.

٣٤. **شرح جمل الزجاجي**، لابن بابشاذ، تحقيق وتقديم د. علي توفيق الحمد، عالم الكتب الحديث، الأردن ط(١)، ٢٠١٦م.

٣٥. **شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى، صنعة الأعلم الشنتمري**، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط (٣)، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٣٦. **شرح الرضي على كافية ابن الحاجب**، للرضي الأستراباذي، شرح وتحقيق د. عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ط(١)، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٣٧. **شرح كتاب سيبويه للرُّمَّاني**، دراسة وتحقيق: د. شريف عبد الكريم النّجار، دار عمّار للنشر والتوزيع، عمّان، دار السلام للطباعة والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط(١)، ١٤٤٢هـ-٢٠٢١م.

٣٨. **شرح المفصل**، لابن يعيش، تحقيق: إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين، دمشق، ط(١)، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٣٩. **الصحاح**، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط(١)، ١٩٧٩م.

٤٠. **صحيح البخاري**، للبخاري، طبعة دار الجيل، بدون تاريخ.

٤١. **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، للكرماني، تحقيق د. شمران سركال العجلي، ط(١)، دار القبلة، جدة، ١٤٠٨هـ.

٤٢. **الفريد في إعراب القرآن المجيد**، للمنتجب الهمذاني، حقق نصوصه وخرّجه وعلّق عليه: محمد نظام الدين الفتيّح، دار الزمان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، ط(١)، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٤٣. **القرائن المعنوية في النحو العربي**، د. عبد الجبار التوامي، جامعة الجزائر، ١٩٩٥م.

٤٤. **القرينة المعجمية وأثرها في توجيه المعنى "تفسير البحر المحيط أنموذجاً"**، د. أحمد خضير السعيدي، مجلة العميد "مجلة فصلية محكمة" العراق، العدد الخامس، ربيع الثاني، ١٤٣٤هـ، آذار، ٢٠١٣م.

٤٥. **"كان وأخواتها من المعجمية إلى الوظيفية"** د. وسمية عبد المحسن المنصور، مقاربات في اللغة والأدب، كتاب تذكاري بمناسبة العيد الذهبي لجامعة الملك سعود، نشر جمعية اللهجات والتراث الشعبي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٤٦. **الكتاب**، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(٣)، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٤٧. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، للزمخشري، دار الريان، ط(٣)، ١٤٠٧هـ-١٩٧٨م.

٤٨. **كشف المشكلات وإيضاح المعضلات**، لأبي الحسن الباقولي، حقّقه وعلّق عليه وصنع فهارس د. محمد أحمد الدّالي، ج(١)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق.

٤٩. **مجاز القرآن**، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، علّق عليه محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(٢)، ١٤٠١هـ.

٥٠. **المحتسب في تبيين وجوه القراءات والإيضاح عنها**، لابن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين، ط(٢)، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٥١. **المحرر الوجيز**، لابن عطية، المجلس العلمي بفاس، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٥٢. **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع**، لابن خالويه، عني بنشره براجستراسر، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٤م.

٥٣. **المساعد على تسهيل الفوائد**، لابن عقيل، تحقيق د. محمد كامل بركات، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، مكة المكرمة، ط(١)، ١٤٠٢هـ.

٥٤. **مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي**، تحقيق: د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(٣)، ١٤٠٧هـ.

٥٥. **معاني القرآن**، للأخفش، تحقيق د. فائز فارس، طبعة دار الأمل، ط(٣)، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٥٦. **معاني القرآن**، للفراء، تحقيق: محمد علي النجّار، أحمد يوسف النجاتي، عالم الكتاب، ط(٣)، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٥٧. **معاني القرآن وإعرابه**، للزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط(١)، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٩م.

٥٨. **معاني النحو**، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، الأردن، ط(٣)، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٥٩. **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، للسيوطي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٦٠. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، لابن هشام، حققه وعلّق عليه: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، ط(٦)، ١٩٨٥م.

٦١. **المفصل في تاريخ النحو العربي قبل سيبويه**، د. محمد خير الحلواني، مؤسسة الرسالة، بدون تاريخ.

٦٢. **المقتصد في شرح الإيضاح**، للجرجاني، تحقيق د. كاظم بحر المرجان، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة، دار الرشيد، ١٩٨٢م.

٦٣. **المقتضب**، للمبرد، تحقيق د. محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٣٩٩هـ.

٦٤. **المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية**، للشاطبي، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنّا، ود. سليمان العايد، ود. السيد تقي، جامعة أم القرى، مركز إحياء التراث الإسلامي، ط(١)، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٦٥. **من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم**، د. محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط(٢)، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٥م.

٦٦. **منزلة المعنى في نظرية النحو العربي**، د. لطيفة النجار، دار العالم العربي للنشر والتوزيع، دبي، الإمارات، ط(٢)، ١٤٣٣هـ-٢٠٠٧م.

٦٧. **نتائج الفكر في النحو**، للسهيلي، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، دار الرياض، بدون تاريخ.

٦٨. **النحو والإبداع**، رؤية نصّيّة لتأويل الشعر العربي القديم، د. محروس بريّك، دار النابغة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط(٩)، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

٦٩. **النحو والدلالة**، مدخل لدراسة المعنى النحوي- الدّلالي، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، ط(١)، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٧٠. **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، للسيوطي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، وعبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(١)، ١٤٠٧هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	٤٤١
المقدمة	٤٤٢
أهمية البحث وأسباب اختيار الموضوع	٤٤٣
الدراسات السابقة	٤٤٤
منهج البحث وخطته	٤٤٦
المبحث الأول : العلاقة بين المعنى المعجمي والمعنى النحوي عند علماء العربية	٤٤٧
النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾[البقرة:١٦٧] ..	٤٥٦
النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾ [البقرة:٢٥٣]	٤٥٦
النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥].....	٤٥٧
المبحث الثاني: التوجيهات النحوية وعلاقاتها المعجمية	٤٥٩
المسألة الأولى: كان بين النقصان والتمام، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨٠]	٤٥٩
المسألة الثانية: نصب ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ﴾	٤٦٧
المسألة الثالثة: نصب ﴿شَيۡـٔٗا﴾	٤٧٤
المسألة الرابعة: نصب ﴿نَفۡسَهُۥ﴾	٤٧٨
المسألة الخامسة: نصب ﴿دَرَجَٰتٖ﴾	٤٨٦
المسألة السادسة: نصب ﴿عَهۡدَا﴾	٤٨٨
المسألة السابعة: نصب ﴿مُفۡسِدِينَ﴾	٤٩٤
المسألة الثامنة: نصب ﴿سِرًّا﴾	٤٩٨
المسألة التاسعة: من حروف المعاني (الباء)	٥٠٢
الخاتمة	٥٠٨
فهرس المصادر والمراجع	٥١٠
فهرس الموضوعات	٥١٦

ثانياً:

النصوص المحققة

اللّمْعَةُ السّنِيّة في تَحْقِيق الإلقَاء في الأُمْنِيّة

تأليف: إبراهيم بن حسن الكوراني (ت: ١١٠١هـ)

دراسة وتحقيق

إعداد

د. أحمد بن عبد العزيز بن مُقْرِن القُصيِّر

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك في كلية العلوم والآداب في الرس، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة القصيم

• من مواليد عام ١٣٨٩هـ، بمدينة بريدة، في المملكة العربية السعودية.

• نال شهادة الماجستير من قسم الكتاب والسنة، في كلية الدعوة وأصول الدين، بجامعة أم القرى، عام ١٤٢١هـ، بأطروحة: "آراء ابن حزم في التفسير، جمعا ودراسة"، كما نال شهادة الدكتوراه من قسم الكتاب والسنة، في كلية الدعوة وأصول الدين، بجامعة أم القرى، عام ١٤٢٨هـ، بأطروحة: "الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم من خلال الكتب التسعة، جمعا ودراسة".

• من أعماله المنشورة: "الآثار الواردة في تفسير الكرسي بأنه موضع القدمين، جمع وتحقيق ودراسة"، "الآثار الواردة في فتنة داود عليه السلام في سورة (ص): جمع وتحقيق ودراسة"، "شرح البسملة، تأليف: أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي، (ت: ١١٢٥هـ)، دراسة وتحقيق"، "الأحاديث المتعارضة الواردة في تعيين الصلاة الوسطى: جمع وتحقيق ودراسة"، "الآثار الواردة في تفسير هم يوسف عليه السلام: جمع ودراسة"، "تفسير آية: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ ﴾: رواية ودراية".

• البريد الشبكي: aksaier@qu.edu.sa

(قدم للنشر في ١٤٤٣/٨/٢٥هـ؛ وقبل للنشر في ١٤٤٣/١٠/٢٤هـ)

الملخص

موضوع البحث: دراسة وتحقيق رسالة: "**اللَّمْعَةُ السَّنِيَّةِ فِي تَحْقِيقِ الإلقَاء فِي الأُمْنِيَّة**"، لإبراهيم بن حسن، الكوراني.

أهميته: أورد المؤلف في هذه الرسالة قصة الغرانيق، التي لها تعلق بعصمة النبي ﷺ.

أهدافه: يهدف هذا البحث إلى دراسة وتحقيق هذه الرسالة.

منهج البحث: دراسة حياة المؤلف؛ من حيث: اسمه، ونَسَبِه، ونِسْبَتِه، وولادته، ونشأته، ورحلاته، وشيوخه، وتلاميذه، ومؤلفاته، ووفاته. ودراسة الرسالة؛ من حيث: تحقيق اسمها، وتوثيق نسبتها للمؤلف، وبيان محتوياتها، ومصادر المؤلف فيها، ومنهجه فيها، ووصف النسخ الخطية لها، وتحقيق نصها تحقيقا علميا.

أهم النتائج: ذهب المؤلف إلى إثبات أصل قصة الغرانيق، معتمدا على أثر ابن عباس، رضي الله عنهما، المروي في القصة، وما ذهب إليه المؤلف لا يوافق عليه؛ فأثر ابن عباس لا يصح، كما أنَّ في إثبات القصة قدحا في عصمة النبي ﷺ.

الكلمات المفتاحية: تفسير، الغرانيق، عصمة الأنبياء.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد رُويَ عن ابن عباس ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[الحج:٥٢]- أنَّ النبي ﷺ قرأ سورة النجم، فلما بلغ هذه الآيات: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [النجم:١٩-٢٠]، قال بعدها: (تلك الغرانيق[1] العلى، وإنَّ شفاعتهن لترتجى). ففرح المشركون بذلك، وقالوا: قد ذكر آلهتنا. فجاءه جبريل عليه السلام، فقال: اقرأ عليَّ ما جئتك به. فقرأ:﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾[النجم:١٩-٢٠]،(تلك الغرانيق العلى، وإنَّ شفاعتهن لترتجى)، فقال: ما أتيتك بهذا، هذا من الشيطان. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ [الحج:٥٢]، إلى آخر الآية.[2]وهذه القصة ذكرها بعض المفسرين في تفاسيرهم، وأفردها بعضهم بمؤلف مستقل،[3] ومن هذه المؤلفات: هذه الرسالة التي بين أيدينا، المعنونة بـ: "**اللَّمْعَةُ السَّنِيَّةِ فِي تَحْقِيقِ الإلقَاءِ فِي الأُمْنِيَّة**"، لمؤلفها: إبراهيم بن حسن الكوراني، وقد ذهب المؤلف في هذه الرسالة إلى إثبات أصل القصة، معتمدا على الآثار المروية عن ابن عباس ﷺ، وبعض التابعين، وهو يرى صحة المروي عن ابن عباس، وأنَّ

(١) الغرانيق: المراد بها ها هنا الأصنام، وهي في الأصل الذكور من طير الماء، واحدها غرنوق وغرنيق، سُمِّي به لبياضه، وكانت قريش تزعم أنَّ الأصنام تقربهم من الله وتشفع لهم، فشُبِّهت بالطيور التي تعلوا في السماء وترتفع. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/ ٣٦٤).

(٢) سيأتي تخريج هذا الأثر (ص٢٩-٣٠).

(٣) هناك مؤلفات كثيرة تناولت قصة الغرانيق، ومن أشهرها: نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، لمحمد ناصر الدين الألباني، ودلائل التحقيق لإبطال قصة الغرانيق، رواية ودراية، لعلي بن عبد الحميد الحلبي.

الشيطان ألقى على لسان رسول الله ﷺ: (تلك الغرانيق العلى، وإنَّ شفاعتهن لترتجى)، وأنَّ النبي ﷺ نطق بها حقيقة، عن إلقاء الشيطان الـمُلَبَّس بإلقاء الملك، ويرى المؤلف أن لا تعارض بين إثبات القصة والقول بعصمة النبي ﷺ، وأنَّ علة تمكين الشيطان من النبي ﷺ-حتى نطق بتلك الكلمات- هو للابتلاء والامتحان، وقد دافع عن رأيه هذا ورد على بعض مخالفيه، وأيد رأيه ببعض الأدلة والبراهين، التي تؤيد ما ذهب إليه، إلا أنَّ ما ذهب إليه لا يوافق عليه، فأثر ابن عباس، رضي الله عنهما - الذي اعتمده في إثبات أصل القصة- لا يصح[(١)]، كما أنَّ في إثبات القصة قدحا في عصمة النبي ﷺ، حيث يلزم من إثباتها أنَّ الشيطان تمكن منه حتى زاد في القرآن ما ليس منه.

وقد أورد جمع من المفسرين هذه القصة في تفاسيرهم، وجمهورهم على إنكارها؛ لضعف أسانيدها عن ابن عباس، ولما فيها من القدح بعصمة النبي ﷺ.

أهمية موضوع الرسالة:

١- هذه الرسالة تناقش قصة الغرانيق، التي لها تعلق بعصمة النبي ﷺ.

٢- ما ذهب إليه المؤلف في هذه الرسالة -من إثبات أصل قصة الغرانيق- قول لم يوافقه عليه إلا القليل من العلماء، لذا فإن ما أورده المؤلف من حجج وبراهين لتقوية رأيه تُعد فريدة من نوعها.

٣- للمؤلف مكانة علمية كبيرة، حيث أثنى عليه كل من تَرْجَم له، وله مؤلفات كثيرة تربو على المائة، وقد ناقش رأيه بعض المفسرين وردوا عليه.[(٢)]

---

(١) ذهب الألباني إلى أن الأثر المروي عن ابن عباس، رضي الله عنهما، في قصة الغرانيق لا يثبت عنه، انظر: نصب المجانيق، للألباني (ص١٢-١٧).

(٢) من الذين ردوا على المؤلف: الألوسي في روح المعاني، (٩/ ١٦٩)، والألباني في نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق (ص٦٦).

خطة البحث:

قسمت عملي في دراسة وتحقيق الرسالة إلى: مقدمة، وقسمين، وخاتمة.

المقدمة: وفيها بيان أهمية موضوع الرسالة، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.

القسم الأول: الدراسة: وتتكون من المباحث الآتية:

المبحث الأول: وفيه ترجمة المؤلف، وتحدثت فيه عن: اسم المؤلف، ونَسَبِه، ونِسْبَتِه، وولادته، ونشأته، ورحلاته، وشيوخه، وتلاميذه، ومؤلفاته، ووفاته.

المبحث الثاني: وفيه اسم الرسالة، وتوثيق نسبتها للمؤلف.

المبحث الثالث: وفيه تعريفٌ بالرسالة، وبيان محتوياتها، ومصادر المؤلف فيها، ومنهجه فيها.

المبحث الرابع: وفيه وصف النسخ الخطية للرسالة.

القسم الثاني: نص الرسالة المحقق.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج الدراسة والتحقيق.

منهج تحقيق الرسالة:

وقد جعلته على النحو الآتي:

١- تحرير نص الرسالة -من النسخة الأصلية (أ)- على وفق قواعد الإملاء الحديثة، مع مقارنة النص بالمراجع الأصلية التي ينقل منها المؤلف.

٢- مقابلة النسخ الأخرى على النسخة الأصلية (أ)، وتثبيت ما بينها من فروقات، وذلك بوضعه في أسفل الصفحات في الهامش.

٣- الإشارة إلى مواضع التحريف والسقط والخطأ، وتثبيت ذلك في هامش الرسالة.

٤- عزو الآيات القرآنية الواردة في أصل الرسالة، وذلك بذكر اسم السورة، ورقم الآية، وتثبيت ذلك في صلب الرسالة.

٥- تخريج الأحاديث النبوية، وبيان أحكام العلماء عليها صحة وضعفاً؛ إلا إذا كانت في الصحيحين فإني أكتفي بالعزو إليهما فقط، وذلك لاتفاق الأمة على صحتهما.

٦- تخريج الآثار وعزوها إلى مصادرها.

٧- شرح الألفاظ الغريبة، وذلك بالرجوع إلى كتب اللغة والغريب.

٨- توثيق النصوص وأقوال العلماء التي يذكرها المؤلف، وذلك بعزوها إلى مصادرها.

٩- التعريف بالأماكن والبلدان.

١٠- الإشارة إلى مواضع نهاية كل ورقة من كل نسخة من نسخ المخطوط، وتثبيت ذلك في الهامش.

١١- استعمال علامات الترقيم؛ كالنقطة، والفاصلة، والأقواس، وغيرها.

١٢- الخاتمة: وفيها عرض أهم النتائج التي توصلت إليها في تحقيق الرسالة.

١٣- فهرس المصادر والمراجع.

القسم الأول: الدراسة

المبحث الأول: ترجمة المؤلف [١]

أولاً: اسم المؤلف ونَسَبِه، ونِسْبَتِه:

هو: إبراهيم بن حسن، الكوراني، الشهرزوري، الكردي، الشهراني، الشافعي، برهان الدين، أبو الوقت، الصوفي، النقشبندي.

والكوراني: نسبة إلى كُورَان، وهي من قرى أَسْفَرَايين، وأَسْفَرَايين: بُلَيدة من نواحي نيسابور، على منتصف الطريق من جرجان، وأسفرايين اليوم مدينة إيرانية تقع في محافظة خراسان الشمالية، وكوران أحد قراها.[٢]

والشهرزوري: نسبة إلى شَهْرَزُور، وهي بلدة بين الموصل وهمدان، وهي اليوم قرية صغيرة، تقع في محافظة السليمانية، شمال العراق.[٣]

والكردي: نسبة إلى الأكراد، وهي طائفة معروفة، تسكن اليوم في شمال غرب إيران، وشمال العراق، وشمال سوريا، وجزء من جنوب تركيا.[٤]

والشهراني: نسبة إلى بلاد شهران[٥]، من جبال الكرد.[٦]

والنقشبندي: نسبة إلى الطريقة النقشبندية.[٧]

---

(١) أفدت في ترجمة المؤلف من الكتب الآتية: الرحلة العياشية، للعياشي (١/ ٤٧٩)، وسلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، للمرادي (١/ ٥)، وتاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، للجبرتي (١/ ١١٧)، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني (١/ ١١).

(٢) انظر: معجم البلدان، للحموي (٤/ ٤٨٩)، (١/ ١٧٧)، وخرائط جوجل.

(٣) انظر: اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير (٢/ ٢١٦)، وخرائط جوجل.

(٤) انظر: معجم البلدان، للحموي (٤/ ٤٥٠)، واللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير (٣/ ٩٢).

(٥) لم أجد في كتب المعاجم والبلدان بلدة في جبال الكرد اسمها شهران.

(٦) انظر: الرحلة العياشية، للعياشي (١/ ٤٧٩)، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني (١/ ١١).

(٧) النقشبندية: طريقة صوفية تُنسب إلى محمد بهاء الدين، الأويسي، البخاري، المعروف بشاه نقشبند =

ثانيا: ولادته ونشأته ورحلاته:

ولد سنة (١٠٢٥هـ)، ببلاد شهران، من جبال الكرد، ونشأ في عفة طاهرة، فأخذ في بلاده العربية والمنطق والحساب والهيئة والهندسة، وغير ذلك، ثم قرأ في المعاني والبيان والأصول والفقه والتفسير، ثم سمع الحديث عن جماعة في غير بلاده؛ كالشام ومصر والحجاز والحرمين، وكان في آخر أمره قد رحل إلى المدينة المنورة واستوطنها.

ثالثا: شيوخه:

أخذ العلامة الكوراني علومه المختلفة عن عدد كبير من العلماء، وقد ذكر هو بنفسه ثبت مشايخه في كتابه الموسوم بـ: (**الأمم لإيقاظ الهمم**)[(١)]، وهم كُثُر، ومن أشهرهم[(٢)]:

١- أحمد بن محمد، القشاشي.
٢- أحمد بن علي، الشنأوي.
٣- محمد شريف بن يوسف، الكوراني.
٤- عبد الكريم بن أبي بكر الحسيني، الكوراني.
٥- محمد بن محمد العامري، الغزي.
٦- سلطان بن أحمد المزاحي.
٧- محمد بن علاء الدين، البابلي.
٨- عبد الباقي، الحنبلي.

=(ت:٧٩١هـ)، وتقوم آداب النقشبندية على أساس بيعة الشيخ وتقديسه، ويدعي بعض المتأخرين من أتباعها أنَّ لها سلسلة تتصل بأبي بكر وعلي، ﷺ، وقد نشأت هذه الطريقة في بلاد ما وراء النهر، بين العراق وإيران، ومعظم أتباعها من الهنود والأكراد والأتراك. انظر: الطريقة النقشبندية وأعلامها، لدرنيقة (ص١٠-٢١)، ومنح العلي في شرح كتاب الأخضري، للشنقيطي (ص٢١).

(١) طُبع بمجلس دائرة المعارف النظامية، بحيدر أباد الدكن، في الهند، سنة ١٣٢٨هـ.

(٢) انظر: سلك الدرر، للمرادي (١/ ٥).

رابعا: تلاميذه[١]:

تتلمذ على العلامة الكوراني جمعٌ غفير من العلماء، ومن أشهرهم:

١- إبراهيم بن محمد بن سعيد بن جعفر الحسني، الإدريسي، المنوفي.[٢]

٢- أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني، الدمياطي.[٣]

٣- أحمد بن محمد بن أمين الدين، المعروف بالداراني.[٤]

٤- إسحاق بن عمر بن محمد بن أبي اللطف، المقدسي.[٥]

٥- عبد الغني بن صلاح الدين، المعروف بالخاني.[٦]

٦- عبد الله بن سالم بن عيسى، البصري.[٧]

٧- مصطفى بن فتح الله، الحموي.[٨]

٨- محمد بن سعيد بن أبي بكر، الحسيني، البغدادي.[٩]

خامسا: مؤلفاته:

للعلامة الكوراني مؤلفات كثيرة، حيث ذكر الشوكاني أنها تنيف على الثمانين[١٠]، وذكر المرادي أنها تربو على المائة[١١]، وقد أفردها تلميذه عبد القادر بن

---

(١) انظر: إعمال الفكر والروايات، لإبراهيم الكوراني، بتحقيق: أحمد رجب أبو سالم (ص١٥)، فقد أفدت من المحقق في عرض تلاميذ المؤلف.

(٢) انظر: تاريخ عجائب الآثار، للجبرتي (١/ ٤٢٧).

(٣) انظر: تاريخ عجائب الآثار، للجبرتي (١/ ١٤١).

(٤) انظر: خلاصة الأثر، للحموي (١/ ٣٥٦).

(٥) انظر: خلاصة الأثر، للحموي (١/ ٣٩٤).

(٦) انظر: خلاصة الأثر، للحموي (٢/ ٤٣٤).

(٧) انظر: تاريخ عجائب الآثار، للجبرتي (١/ ١٣٢).

(٨) انظر: تاريخ عجائب الآثار، للجبرتي (١/ ١٢٥).

(٩) انظر: تاريخ عجائب الآثار، للجبرتي (١/ ٣٣٢).

(١٠) انظر: البدر الطالع، للشوكاني (١/ ١٢).

(١١) انظر: سلك الدرر، للمرادي (١/ ٥).

أبي بكر، بمؤلف خاص[١]، وسأقتصر على ذكر بعض ما وقفت عليه مطبوعا منها:

١- إتحاف الخلف بتحقيق مذهب السلف.[٢]

٢- إظهار القدر لأهل بدر.[٣]

٣- إعمال الفكر والروايات في شرح حديث إنما الأعمال بالنيات.[٤]

٤- القول المبين في تحرير مسألة التكوين.[٥]

٥- عجالة ذوي الانتباه في تحقيق إعراب لا إله إلا الله.[٦]

٦- مد الفيء في تقرير ليس كمثله شيء.[٧]

٧- مسلك الاعتدال إلى فهم آية خلق الأعمال.[٨]

---

(١) يوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة جامعة الملك سعود (الرياض سابقا)، قسم المخطوطات، بعنوان: "مؤلفات الشيخ إبراهيم الكردي الكوراني"، برقم (٣٨٨١-ق٨٣٧/ ٥).

(٢) انظر: مؤلفات الكوراني، الورقة الأولى، وسلك الدرر، للمرادي (١/ ٦)، والبدر الطالع، للشوكاني (١/ ١٢)، والكتاب منشور في مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، العدد (٦٠)، بتحقيق: عابد أحمد البشدري.

(٣) انظر: مؤلفات الكوراني، الورقة الثانية، والكتاب منشور في مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، العدد (٥٩)، بتحقيق: أكرم بايز محمد.

(٤) انظر: البدر الطالع، للشوكاني (١/ ١٢)، والكتاب منشور بتحقيق: أحمد رجب أبو سالم، الناشر: دار الكتب العلمية.

(٥) انظر: مؤلفات الكوراني، الورقة الثانية، وسلك الدرر، للمرادي (١/ ٦)، والكتاب منشور في مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، العدد (٥٣)، بتحقيق: عابد أحمد البشدري.

(٦) انظر: مؤلفات الكوراني، الورقة الثانية، وسلك الدرر، للمرادي (١/ ٦)، والكتاب منشور في مجلة الأحمدية، الإمارات، العدد (٥)، بتحقيق: محمد محمود فجال.

(٧) انظر: إيضاح المكنون، للبغدادي (٤/ ٤٥٥)، والكتاب منشور في مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، العدد (٦٤)، بتحقيق: حازم عدنان أحمد محمود الأسعد.

(٨) انظر: إيضاح المكنون، للبغدادي (٤/ ٤٧٩)، والكتاب منشور في مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، العدد (٤٢)، المجلد (١٠)، بتحقيق: فرات سمير فرج، ووليد طوينة الحمزة.

سادسا: وفاته:

توفي العلامة الكوراني رَحِمَهُ اللَّهُ في الثامن عشر، من شهر جمادى الأولى، سنة (١١٠١هـ)، في المدينة النبوية، ودُفِنَ في البقيع.[١]

(١) انظر: تاريخ عجائب الآثار، للجبرتي (١/ ١١٧)، والبدر الطالع، للشوكاني (١/ ١٢).

المبحث الثاني

اسم الرسالة، وتوثيق نسبتها للمؤلف

أولاً: اسم الرسالة:

اتفقت نسخ المخطوط على ذكر اسم واحد له، وهو: "**اللمعة السنية في تحقيق الإلقاء في الأمنية**"، وهذه التسمية جاءت في صدر النسخة (أ) -التي كُتِبَت بخط المؤلف، كما يظهر-، والنسخة (ب)، والنسخة (ج)، والنسخة (هـ)، وهذه التسمية جاءت أيضا في مخطوط: "**مؤلفات الكوراني**"، الورقة الأولى، لتلميذه عبد القادر بن أبي بكر، وكتاب: "**هدية العارفين**"، للبغدادي[(١)].

ثانياً: توثيق نسبة الرسالة للمؤلف:

كُتِب اسم المؤلف في صدر النُسَخِ الآتية من المخطوط: (ب)، و(ج)، و(هـ)، وكُتِب أيضا في نهاية النسخة (د)، ونَسَبَ هذا الكتاب إلى الكوراني: تلميذُه عبد القادر بن أبي بكر، في مخطوط: "**مؤلفات الكوراني**"، ونسبه إليه البغدادي في: "**هدية العارفين**".[(٢)]

(١) هدية العارفين (١/ ٣٦).

(٢) المرجع السابق.

المبحث الثالث

التعريف بالرسالة، وبيان محتوياتها، ومصادر المؤلف فيها، ومنهجه فيها

أولاً: التعريف بالرسالة، وبيان محتوياتها:

تناول المؤلف -رحمه الله تعالى- في هذه الرسالة قصة الغرانيق المشهورة، المحكية في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾[الحج:٥٢]، ومن أبرز الموضوعات التي أوردها المؤلف في هذه الرسالة:

١- إثبات أصل القصة، وأنَّ لها ثلاث طرق، رجالها رجال الصحيح.

٢- الرد على من أنكر القصة، كعياض، وغيره.

٣- عرض الشبهات التي أثيرت حول القصة، ورده عليها.

٤- نقل الآثار الواردة عن ابن عباس، رضي الله عنهما، وبعض التابعين في إثبات أصل القصة.

٥- شرح معنى هذه الآثار.

٦- بيان المؤلف لرأيه في معنى هذه الآثار، وتقريره بأنَّ النبي ﷺ نطق بلسانه: (تلك الغرانيق العلى، وإنَّ شفاعتهن ترتجى).

٧- توفيق المؤلف بين هذه الآثار والآيات الدالة على عصمة النبي ﷺ.

٨- نقل المؤلف لرأي البيضاوي في تفسير الآية، ورده عليه.

٩- نقل المؤلف لرأي ابن حجر العسقلاني في تفسير الآية، ورده عليه.

١٠- نقل المؤلف لكلام الزمخشري، في علة تمكين الشيطان من النبي ﷺ حتى جعله ينطق بتلك الكلمات، وتأييده لهذا النقل.

١١- تفسير المؤلف لمعنى قوله تعالى -في الآية الكريمة-: (تمنى)، ونقله تفسير ابن عباس لها.

١٢- نقل المؤلف لتفسير الحكيم الترمذي لمعنى قوله تعالى: (تمنى)، وتوفيقه بينه وبين تفسير ابن عباس.

١٣- توفيق المؤلف بين رواية أنَّ النبي ﷺ نطق بتلك الكلمات في حالة نعاس، ورواية أنه نطقها في حالة سهو.

١٤- نقل المؤلف لقراءة ابن عباس: "﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ﴾ [الحج:٥٢]، ولا مُحَدَّث"، واستدلاله بهذه القراءة على رأيه.

١٥- نقل المؤلف لحديث أبي هريرة، رضي الله عنه، المرفوع، من أنَّ في هذه الأمة مُحَدَّثون، وأنَّ منهم عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وتبنيه له.

١٦- نقل المؤلف لكلام الخطابي في معنى المُحَدَّث.

١٧- نقل المؤلف لقصة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، الدالة على أنه من المُحَدَّثين.

١٨- نقل المؤلف لكلام الحكيم الترمذي في بيان الفرق بين النبوة والولاية، وتبنيه له.

١٩- رد المؤلف على من فسر الإلقاء: بأنَّ الشيطان ألقى تلك الكلمات محاكيا نغمة رسول الله ﷺ.

٢٠- ختم المؤلف كتابه بأنَّ النبي ﷺ صادق في كل ما يأتي به، وأنَّ من مقتضى الإيمان أنْ يمشي صاحبه إذا مشى متبوعه الذي آمن به، وأنْ يقف إذا وقف، وأنْ يرجع إذا رجع.

ثانياً: مصادر المؤلف في الرسالة:

اعتمد المؤلف في رسالته -بعد القرآن الكريم- على عددٍ من المصادر، وفيما يلي ذِكْرها مرتبة حسب وفيات مؤلفيها:

١- صحيح البخاري، للبخاري، توفي (٢٥٦هـ).

٢- مسند البزار، للبزار، توفي (٢٩٢هـ).

٣- ختم الأنبياء، للترمذي، توفي (٣٢٠هـ).

٤- المعجم الكبير، للطبراني، توفي (٣٦٠هـ).

٥- أعلام الحديث، للخطابي، توفي (٣٨٨هـ).

٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، توفي (٥٣٨هـ).

٧- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، توفي (٥٤٤هـ).

٨- الأحاديث المختارة، للضياء المقدسي، توفي (٦٤٣هـ).

٩- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، توفي (٦٨٥هـ).

١٠-فتح الباري، لابن حجر، توفي (٨٥٢هـ).

١١-الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، توفي (٩١١هـ).

١٢-الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد، للسيوطي.

١٣-الحاوي للفتاوي، للسيوطي.

١٤-المنح المكية بشرح الهمزية، لابن حجر الهيتمي، توفي (٩٧٤هـ).

ثالثاً: منهج المؤلف في رسالته:

١- كتب المؤلف هذه الرسالة جوابا على سؤال ورد إليه عن مسألة الغرانيق.

٢- بيَّن المؤلف رأيه في هذه القصة، ومعنى الآية، حيث ذهب إلى إثبات أصل القصة، وأنَّ النبي ﷺ نطق: (تلك الغرانيق العلى، وإنَّ شفاعتهن لترتجى)، عن إلقاء الشيطان الـمُلَبَّس بإلقاء الملك، بتمكين الله تعالى ابتلاء.

٣- أيَّد المؤلف رأيه هذا بالآثار المروية عن ابن عباس، رضي الله عنهما، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وأبي العالية، وعكرمة، والسدي، والتي تدل بظاهرها على أنَّ الناطق بتلك الكلمات هو رسول الله ﷺ.

٤- عرض المؤلف الشبهات التي أُثيرت حول القصة، وأجاب عنها.

٥- أورد المؤلف رأي المخالفين له في إثبات أصل القصة، ورد عليهم.

٦- وَفَّق المؤلف بين الآثار المروية في القصة، والآيات الدالة على عصمة النبي ﷺ.

٧- وَفَّق المؤلف بين الروايات المختلفة التي رويت في القصة.

٨- نقل المؤلف رأي البيضاوي، وابن حجر العسقلاني، وابن حجر الهيتمي، في تفسير الآية، وانتقدهم، ورد عليهم.

٩- ذكر المؤلف الحكمة من تسليط الشيطان على النبي ﷺ حتى نطق بتلك الكلمات.

١٠- اقتصر المؤلف في جمع الآثار -التي استدل بها على إثبات القصة- على الدر المنثور، للسيوطي.

١١- أكثر المؤلف من النقل عن الحكيم الترمذي، بما يدعم رأيه في إثبات أصل القصة.

المبحث الرابع

وصف النسخ الخطية للرسالة[1]

وقفت على خمس نسخ خطية للرسالة، وفيما يلي بيانها:

النسخة الأولى: (الأصل): وجعلت لها الرمز (أ):

وهي نسخة ضمن مجموع، وهي الثامنة في المجموع، محفوظة في خزانة الزاوية الناصرية، في تمكروت، المغرب، بعنوان: "**اللمعة السنية في تحقيق الإلقاء في الأمنية**"، ورقم المجموع (٨/١٦٩)،[2] ويوجد منها نسخة مصورة في مركز جمعة الماجد، في دبي، برقم (٥٧٦٧٩٩).

وهي نسخة كاملة تبدأ صفحتها الأولى بعنوان الرسالة: "اللمعة السنية في تحقيق الإلقاء في الأمنية"، دون ذكر اسم المؤلف، ثم تبدأ الرسالة بالبسملة، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وتنتهي بقول المؤلف: "قال المؤلف -عفا[3] الله عنه-: وقع الفراغ عن التبييض، يوم الخميس، ١٤ محرم الحرام، فاتحة سنة: ١٠٧٨هـ، أحسن الله ختامها، وفاتحة ما بعدها وختامها، بمنه وفضله، وعصمنا عن شر الشيطان، وأزال عنا حكم ما سبق به القدر من وساوسه، ولا يجعل له سلطانا علينا، بعزته، إنه على ما يشاء قدير، اللهم وإذا أردت فتنة بقوم فتوفنا غير مفتونين، بجاه نبيك المصطفى، محمد، خاتم النبيين ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، عدد خلق الله، بدوام الله، الملك الحق المبين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. وكان الفراغ من المسودة، يوم الخميس، ٨ ذي الحجة الحرام، سنة:

---

(١) جميع نسخ المخطوط التي اعتمدتها في التحقيق تم الحصول عليها مصورة من مركز جمعة الماجد، في دبي، والمركز له جهود كبيرة في جمع وتصوير وفهرسة المخطوطات من شتى مكتبات العالم، فلهم جزيل الشكر على هذا العمل.

(٢) انظر: الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة الزاوية الحمزية العياشية بإقليم الرشيدية (٣/ ٨٠١).

(٣) في الأصل كُتِبَت: "عفى"، والصواب ما أثبته.

١٠٧٤هـ، وكلاهما بمنزلي، بظاهر المدينة الشريفة، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، عدد خلق الله على الدوام. انتهى".

كُتبت هذه النسخة بخط النسخ، وهي بحالة جيدة، وخطها مقروء وواضح، ويظهر من تذييل الرسالة أنها كُتِبَت بخط المؤلف، لذا فقد جعلتها النسخة الأصل في التحقيق.

وعدد أوراق هذه النسخة: ٤ ورقات، في ٨ صفحات، ومقاس كل صفحة (٢٠,٥سم×١٥سم)، ومتوسط عدد الأسطر في كل صفحة ٢٣ سطرا، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر ١٣ كلمة.

النسخة الثانية: وجعلت لها الرمز (ب):

وهي نسخة ضمن مجموع يشتمل على (١١) رسالة، وهي الخامسة في المجموع، محفوظة في دار الكتب الظاهرية، في دمشق، بعنوان: "**اللمعة السنية في تحقيق الإلقاء في الأمنية**"، ورقم المجموع (١٣٤٦)،[(١)] ويوجد منها نسخة مصورة في مركز جمعة الماجد، في دبي، برقم (٢٤٧٥٠٧).

وهي نسخة كاملة تبدأ صفحتها الأولى بعنوان الرسالة: "**اللمعة السنية في تحقيق الإلقاء في الأمنية**"، ثم اسم المؤلف، ثم تبدأ الرسالة بحمد الله تعالى والثناء عليه، وتنتهي بقول الناسخ: "قال المؤلف -عفا الله عنه-: تم تسويده: يوم الخميس، ٨ ذي الحجة الحرام، سنة: ١٠٧٤هـ، أحسن الله ختامها، وفاتحة العام المقبل وما بعدها، بمنه وكرمه، آمين، بمنزلي، بظاهر المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام، عدد خلق الله، بدوام الله، والحمد لله رب العالمين".

كُتبت هذه النسخة بخط النسخ، وهي بحالة ممتازة، وخطها جميل، وكاتبها هو ناسخ المجموع، واسمه: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الخطيب، كتبها في دمشق،

(١) انظر: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (١/ ٣٤٨).

بين سنتي (١٠٨٥هـ)-(١٠٨٧هـ).

وعدد أوراق هذه النسخة: ٥ ورقات، في ٩ صفحات، ومقاس كل صفحة (٢٠,٥سم×١٥سم)، ومتوسط عدد الأسطر في كل صفحة ٢١ سطرا، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر ١٠ كلمات.

النسخة الثالثة: وجعلت لها الرمز (ج):

وهي نسخة ضمن مجموع، محفوظة في الخزانة العامة، في الرباط، في المغرب، بعنوان: "**اللمعة السنية في تحقيق الإلقاء في الأمنية**"، برقم (٤٧٤ك)،[١] ويوجد منها نسخة مصورة في مركز جمعة الماجد، في دبي، برقم (٥٧٨١٨٣).

وهي نسخة كاملة تبدأ صفحتها الأولى بعنوان الرسالة: "**اللمعة السنية في تحقيق الإلقاء في الأمنية**"، ثم اسم المؤلف، ثم تبدأ بالبسملة، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وتنتهي بقول الناسخ: "قال المؤلف -عفا[٢] الله عنه-: وقع الفراغ عن التبييض، يوم الخميس، ١٤ محرم الحرام، فاتحة سنة: ١٠٧٨هـ، أحسن الله ختامها، وفاتحة ما بعدها وختامها، بمنه وفضله، وعصمنا عن شر الشيطان، وأزال عنا حكم ما سبق به القدر من وساوسه، ولا يجعل له سلطانا علينا، بعزته، إنه على ما يشاء قدير، اللهم وإذا أردت فتنة بقوم فتوفنا غير مفتونين، بجاه نبيك المصطفى، محمد، خاتم النبيين، ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، عدد خلق الله، بدوام الله، الملك الحق المبين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. وكان الفراغ من المسودة، يوم الخميس، ٨ ذي الحجة الحرام، سنة: ١٠٧٤هـ، وكلاهما بمنزلي، بظاهر المدينة الشريفة، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، عدد خلق الله على الدوام. انتهى".

---

(١) ذكر مفهرسو المخطوط في مركز جمعة الماجد أنَّ المخطوط موجود في الخزانة العامة في الرباط، ولكني لم أجده في كتاب: "فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة في الرباط".

(٢) في الأصل كُتِبَت: "عفى"، والصواب ما أثبته.

كُتبت هذه النسخة بخط مغربي، وهي بحالة جيدة، وخطها مقروء.

وعدد أوراق هذه النسخة: ٤ ورقات، في ٨ صفحات، ومقاس كل صفحة (٢٠سم×١٥سم)، ومتوسط عدد الأسطر في كل صفحة ٢١ سطرا، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر ١٠ كلمات.

النسخة الرابعة: وجعلت لها الرمز(د):

وهي نسخة ضمن مجموع يشتمل على أربع رسائل، وهي الرابعة في المجموع، محفوظة في دار الكتب الظاهرية، في دمشق، بعنوان: "**مسألة الغرانيق**"، برقم (١٨٤٦)،[(١)] ويوجد منها نسخة مصورة في مركز جمعة الماجد، في دبي، برقم (٢٤٤٨٦٥).

وهذه النسخة لم يُذكر فيها عنوان الرسالة، وكُتِب اسم المؤلف في آخر الرسالة، وتبدأ بالبسملة، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وتنتهي بقول الناسخ: "اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله، وأصحابه، وأزواجه، وذريته، وأهل بيته؛ الطيبين، الطاهرين، صلاة موصولة تتردد إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين. تمت الرسالة المنسوبة لعلامة زمانه، وولي عصره وأوانه، سيدنا الملا: إبراهيم الكوراني، أطال الله بقاءه، ونفعنا به آمين. تحريرا في: منتصف محرم الحرام، سنة أربع وثمانين وألف، من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والتحية".

كُتبت هذه النسخة بخط حسن، وكاتبها هو ناسخ المجموع، وقد كتبها سنة (١٠٨٤هـ).

وعدد أوراق هذه النسخة: ٥ ورقات، في ٩ صفحات، ومقاس كل صفحة (١٩,٥سم×١٤سم)، ومتوسط عدد الأسطر في كل صفحة ٢١ سطرا، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر ١٠ كلمات.

---

(١) انظر: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (٢/ ٣٨).

النسخة الخامسة: وجعلت لها الرمز(هـ):

وهي نسخة ضمن مجموع، يشتمل على تسع رسائل، وهي السادسة في المجموع، محفوظة في مجمع اللغة العربية، في دمشق، بعنوان: "اللمعة السنية في تحقيق الإلقاء في الأمنية"، ورقم المجموع (٦٥٢)،[(١)] ويوجد منها نسخة مصورة في مركز جمعة الماجد، في دبي، برقم (٦٦٦٠٣٨).

وهي نسخة كاملة تبدأ صفحتها الأولى بعنوان الرسالة: "**اللمعة السنية في تحقيق الإلقاء في الأمنية**"، ثم اسم المؤلف، ثم تبدأ الرسالة بالبسملة، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وتنتهي بقول الناسخ: "قال المؤلف -عفا الله عنه-: تم تسويده: يوم الإثنين، في ٩ خلت من رجب الفرد، سنة: ١١٧٦هـ، أحسن الله ختامها، وفاتحة العام المقبل وما بعدها، بمنه وكرمه، آمين، والحمد لله رب العالمين. تم".

ويظهر أنَّ المثبت -في آخر هذه النسخة- هو من كلام الناسخ، وليس من كلام المؤلف؛ لأن المؤلف توفي قبل هذا التاريخ المذكور، وهو ١١٧٦هـ.

كُتبت هذه النسخة بخط النسخ، وهي بحالة ممتازة، وخطها جميل، وكاتبها هو ناسخ المجموع.

وعدد أوراق هذه النسخة: ٥ ورقات، في ٨ صفحات، ومتوسط عدد الأسطر في كل صفحة ٢٠ سطرا، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر ١٠ كلمات.

نماذج من نسخ المخطوط المعتمدة في التحقيق:

(١) ذكر مفهرسو المخطوط في مركز جمعة الماجد أنَّ المخطوط موجود في "مجمع اللغة العربية"، في دمشق، ولم أتمكن من الوقوف عليه في فهارس المجمع، ولم أجده في فهارس دار الكتب الظاهرية، التي هي من صنع المجمع.

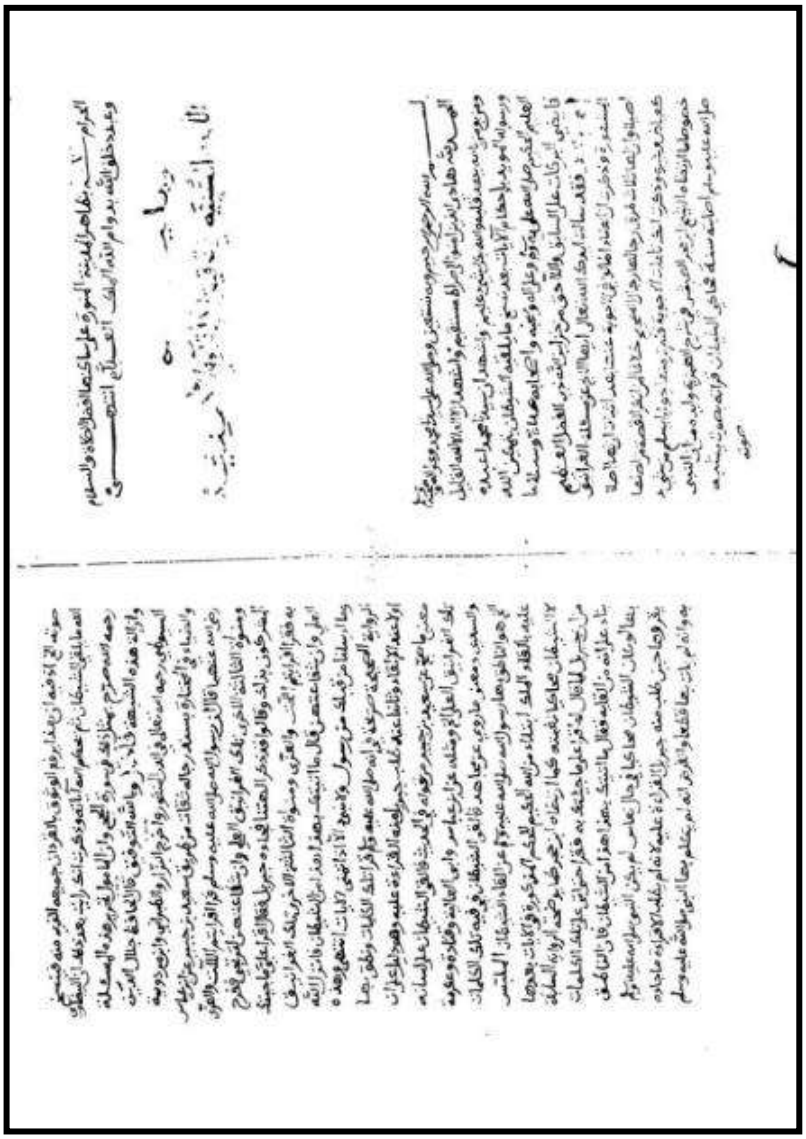

صورة الورقة الأولى من النسخة (أ)

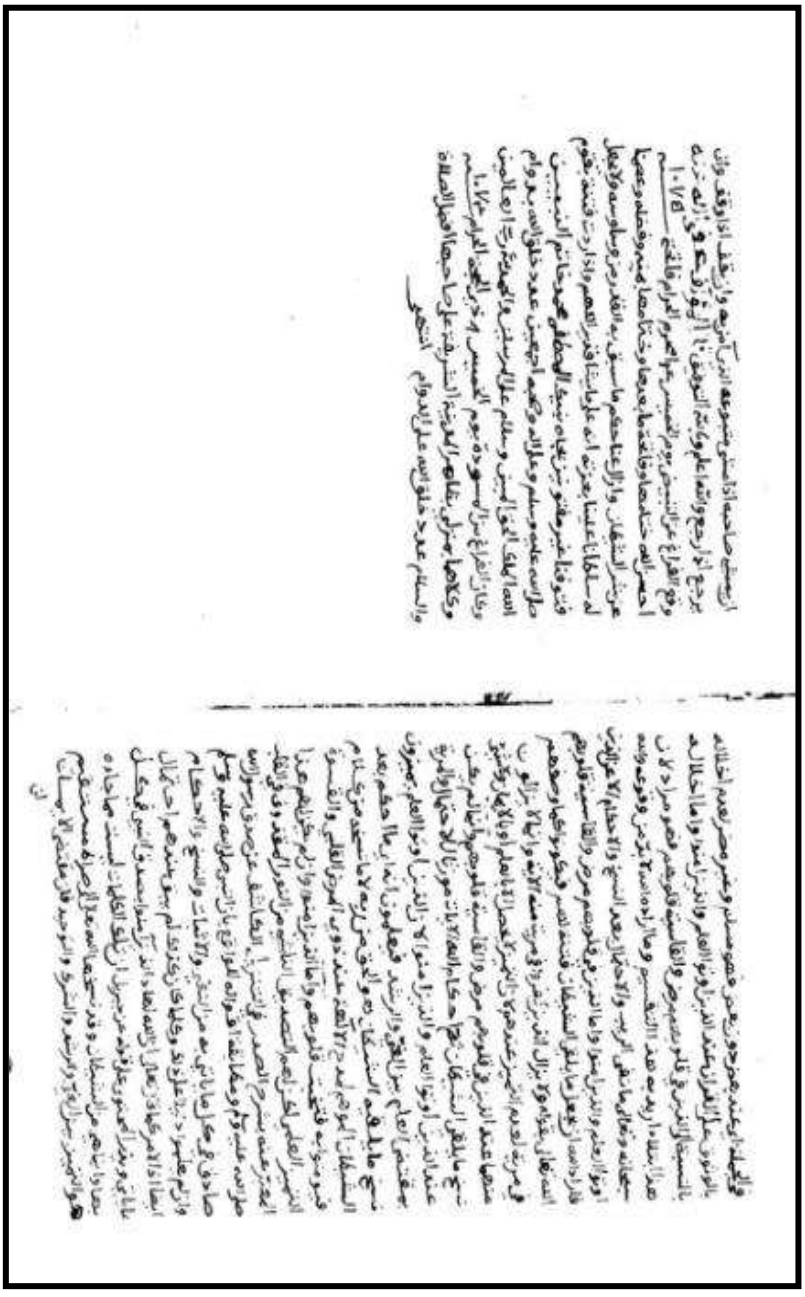

صورة الورقة الأخيرة من النسخة (أ)

صورة الورقة الأولى من النسخة (ب)

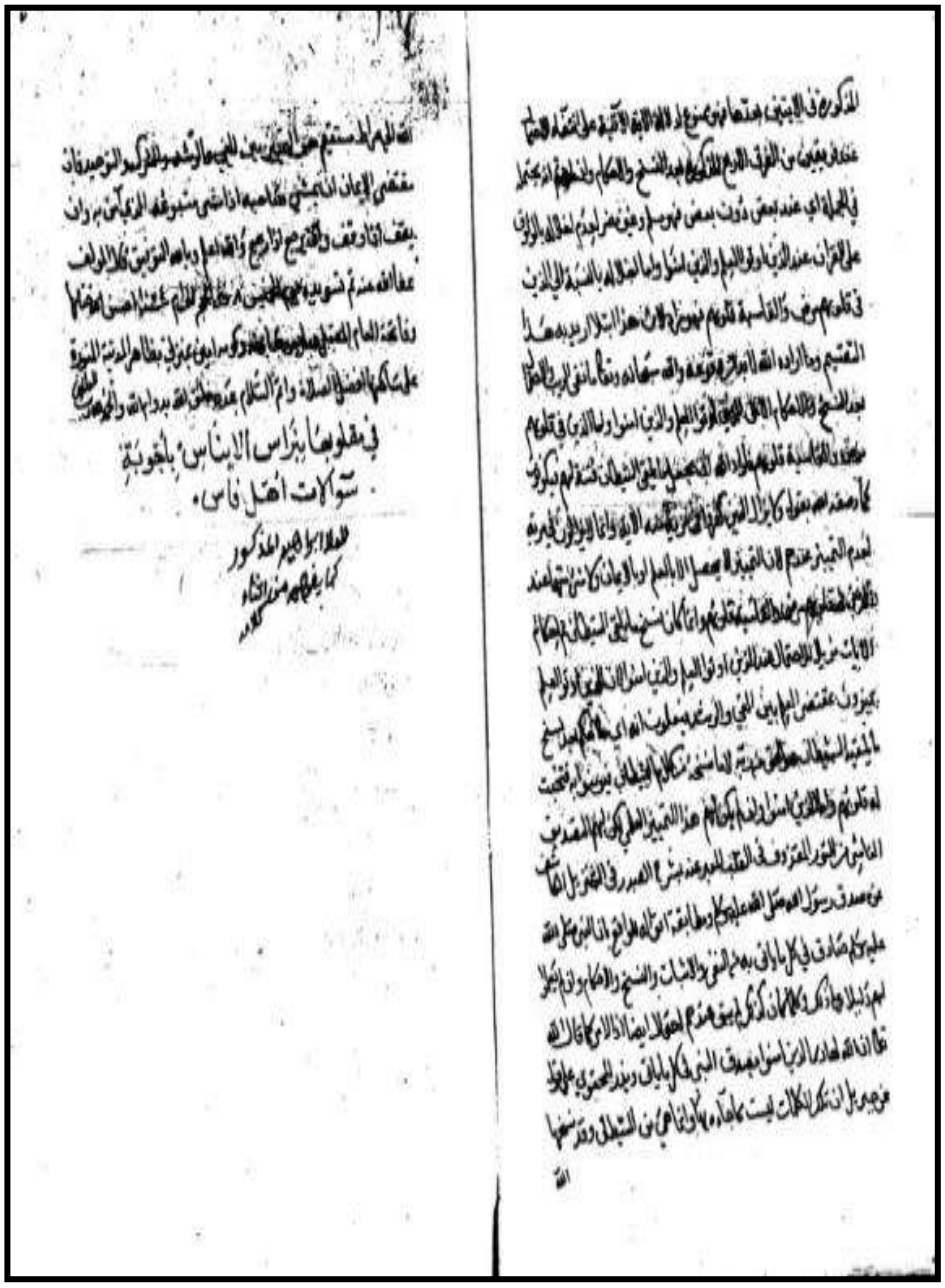

صورة الورقة الأخيرة من النسخة (ب)

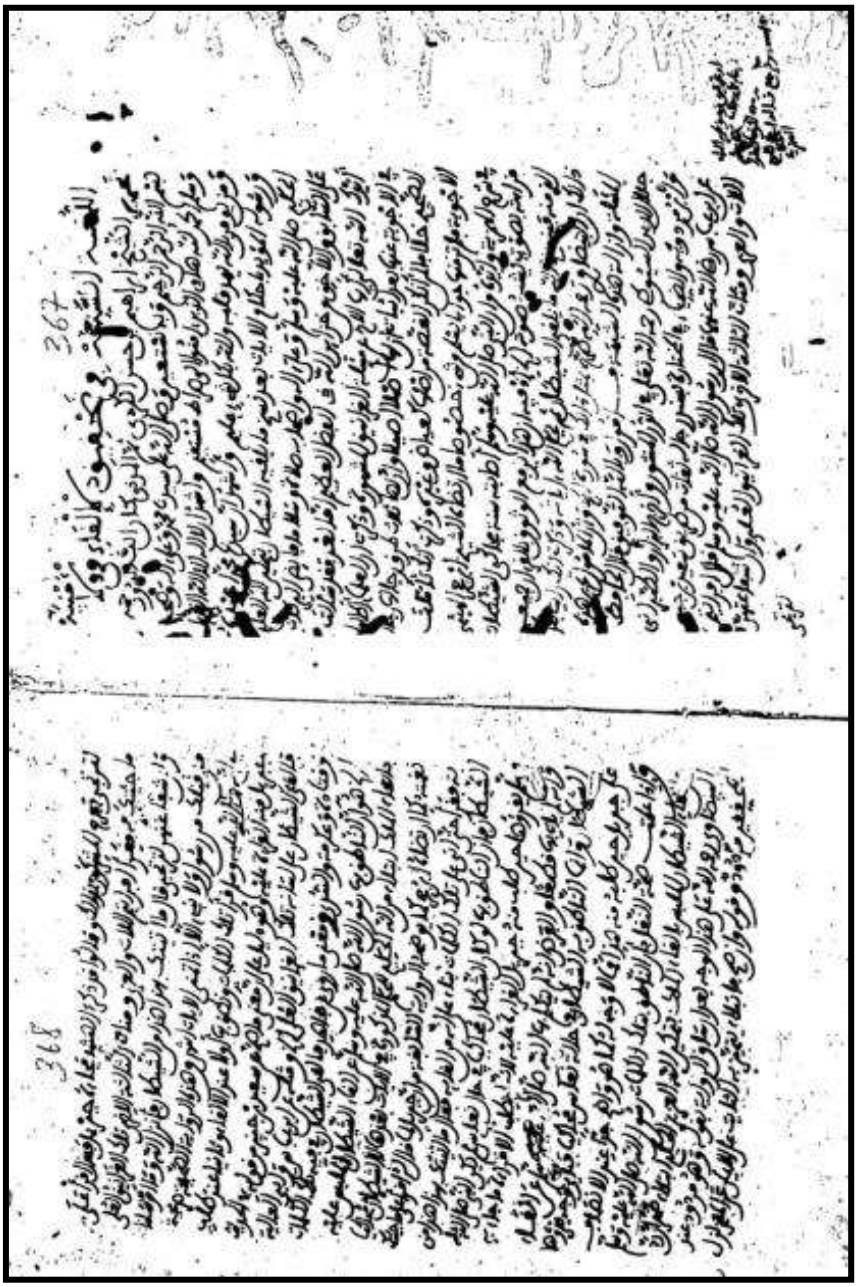

صورة الورقة الأولى من النسخة (ج)

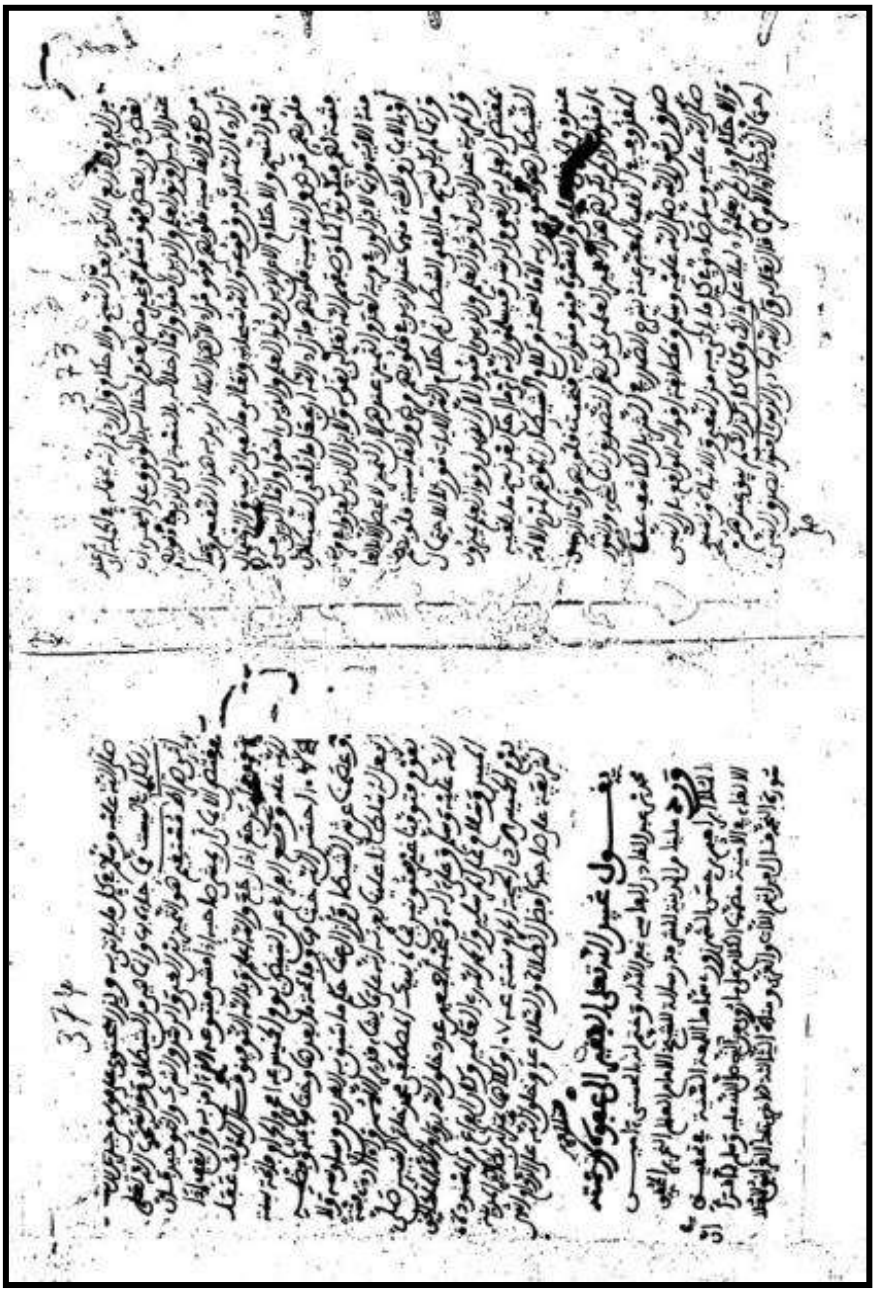

صورة الورقة الأخيرة من النسخة (ج)

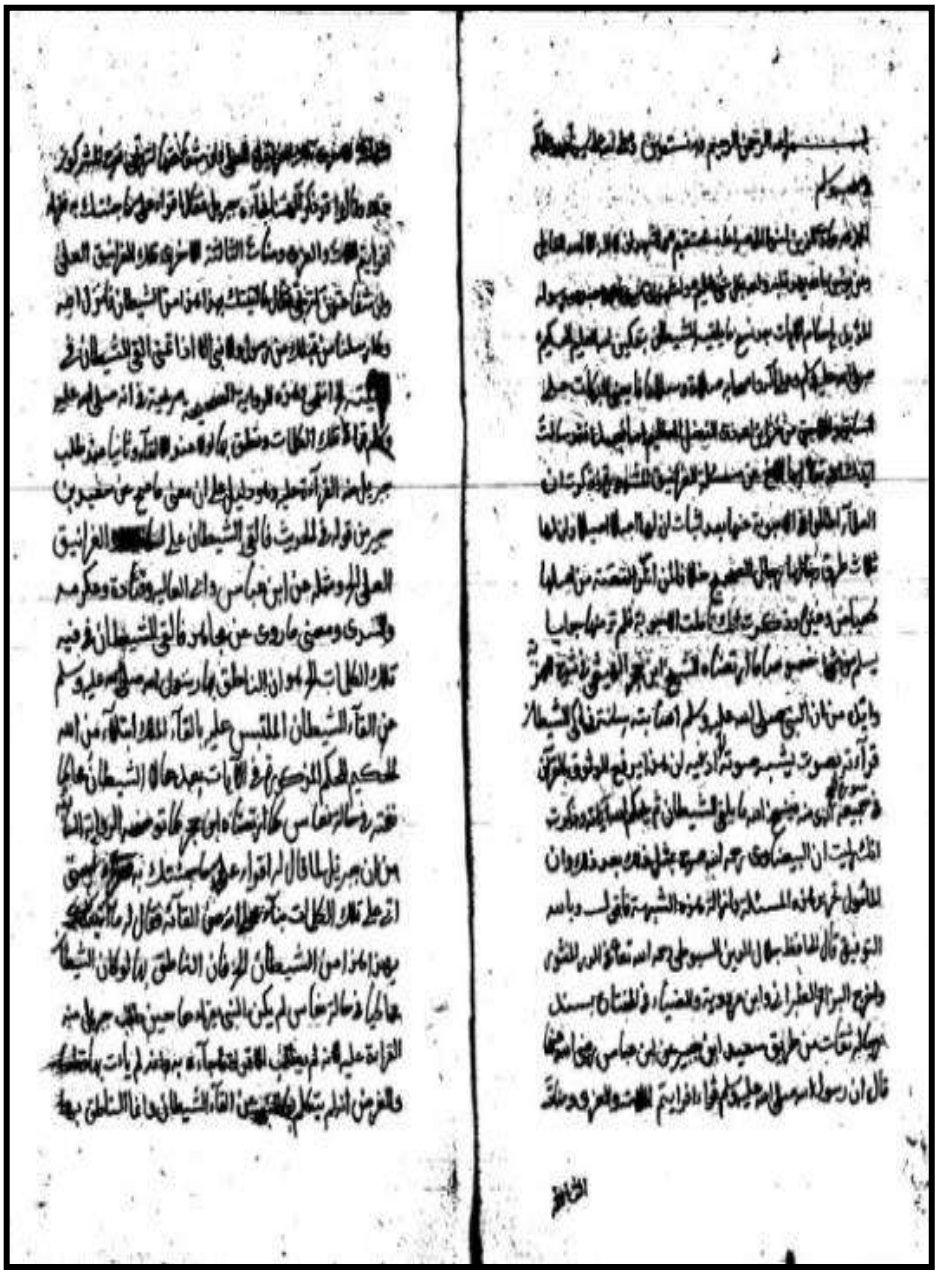

صورة الورقة الأولى من النسخة (د)

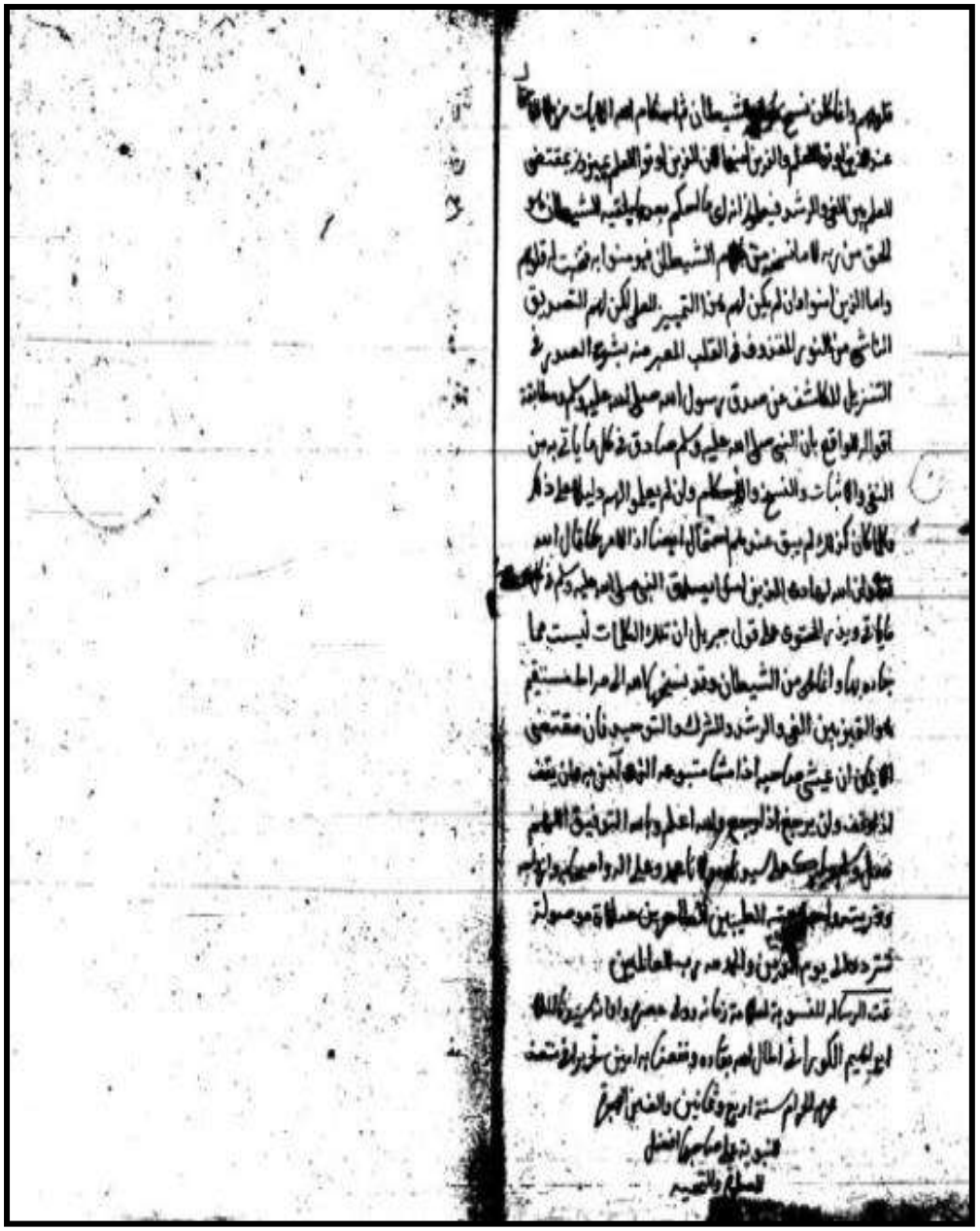

صورة الورقة الأخيرة من النسخة (د)

صورة الورقة الأولى من النسخة (هـ)

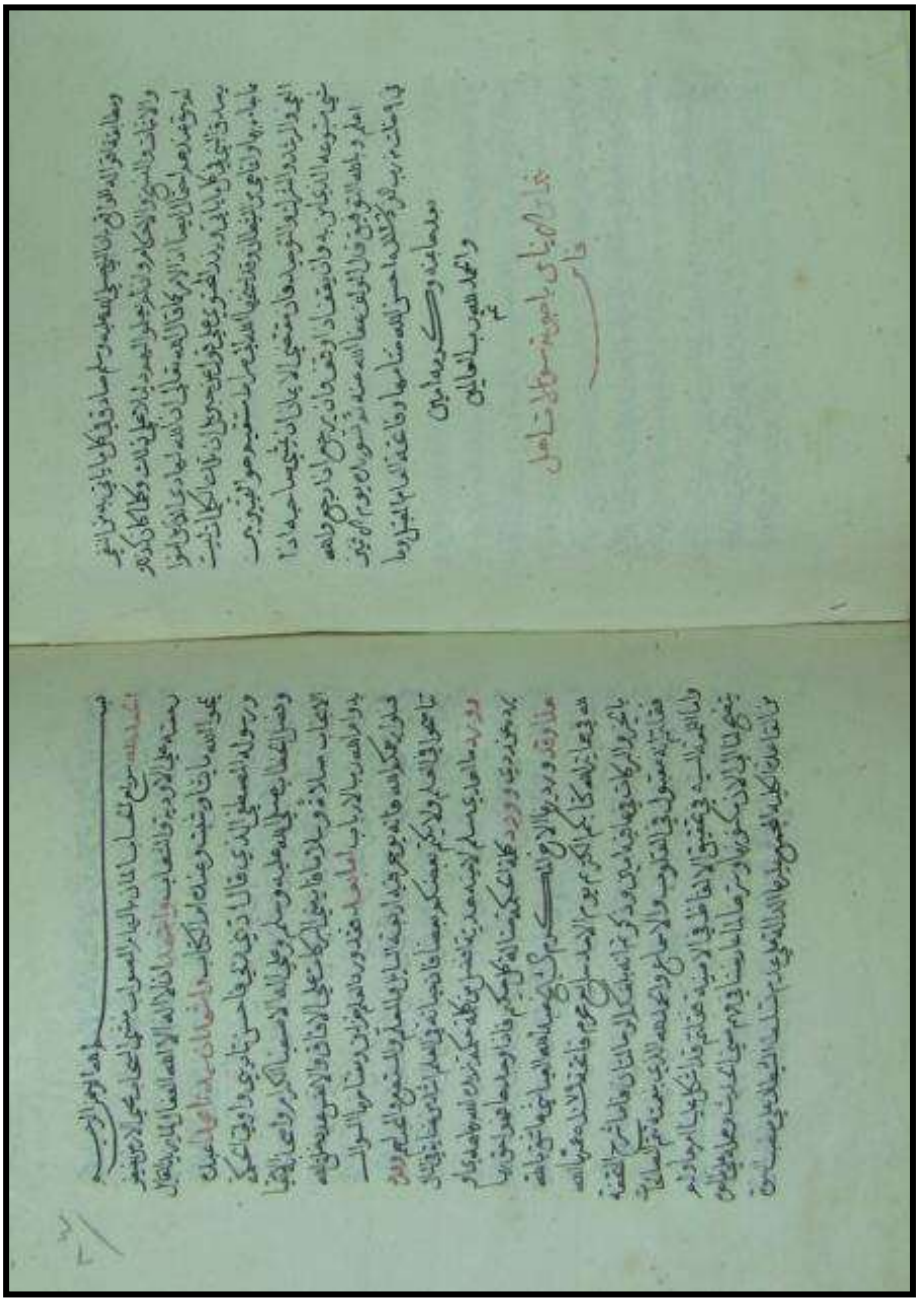

صورة الورقة الأخيرة من النسخة (هـ)

القسم الثاني

نص الرسالة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.[١][٢]

الحمد لله هادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم، وأشهد أنْ لا إله إلا الله؛ القائل: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ[٣] قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١]، وأشهد أنَّ[٤] سيدنا ونبينا[٥] محمدا عبده ورسوله، المؤيد بإحكام الآيات، بعد نسخ ما يُلقيه الشيطان، بتمكين الله العليم الحكيم، صلى[٦] الله عليه[٧]، وعلى آله وأصحابه[٨]، صلاة وسلاما فائضي البركات، على السابق واللاحق من خزائن الله، ذي[٩] الفضل العظيم، أما بعد:

فقد سألتَ-أيدك الله تعالى[١٠]، أيها الأخ[١١]-عن مسألة[١٢] الغرانيق المشهورة،

---

(١) "وبه نستعين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم"، ساقطة من (هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).

(٢) "بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم"، ساقطة من (ب)، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).

(٣) في (هـ): "يهدي"، وفي (أ)، و(ب)، و(ج)، و(د): "يهد".

(٤) "وأشهد أن"، بياض في (ب).

(٥) "ونبينا"، ساقطة من (أ) و(ج)، و(د)، والمثبت من (ب)، و(هـ).

(٦) في (ب)، و(هـ): "وصلى"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).

(٧) في (ب)، و(ج)، و(د): زيادة "وسلم".

(٨) في (أ): "ﷺ، وعلى آله وصحبه وأصحابه"، والمثبت من (هـ).

(٩) في (هـ): "ذوا"، وفي (ب): "ذو"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).

(١٠) "تعالى"، ساقطة من (أ)، و(هـ)، والمثبت من (ب)، و(ج)، و(د).

(١١) لم أقف على اسم السائل.

(١٢) في جميع النسخ كُتِبَت: "مسئلة"، والصواب ما أثبته بناء على قواعد الإملاء المتعارف عليها في العصر الحديث.

وذكرت أنَّ العلماء أطالوا في الأجوبة عنها، بعد إثبات أنَّ لها أصلا أصيلا، وأنَّ لها ثلاث طرق، رجالها رجال الصحيح،(١) خلافا لمن أنكر القصة من أصلها؛ كعياض(٢)، وغيره، وذكرتَ أنك تأملت الأجوبة فلم ترَ(٣) منها جوابا يسلم من شيء، خصوصا ما ارتضاه الشيخ ابن حجر الهيتمي(٤)، في شرح الهمزية، وأيده: "من أنَّ النبي ﷺ أصابته سِنَة، فحاكى الشيطان قراءته(٥)بصوت يُشبه/(٦) صوته"،(٧) الخ، إذ فيه أنَّ هذا يرفع الوثوق بالقرآن(٨) جميعه(٩)، الذي منه: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الحج:٥٢]، وذكرت أنك رأيت بعد ذلك(١٠) أنَّ(١١) البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ صرَّح بمثل ذلك(١٢)في سورة الحج(١٣)(١٤)، وأنَّ المأمول تحرير هذه المسألة(١٥)، وإزالة هذه الشبهة.

---

(١) قول المؤلف: "لها ثلاث طرق، رجالها رجال الصحيح"، أفاده من ابن حجر، في فتح الباري (٨/ ٤٣٩).

(٢) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (٢/ ١٢٥).

(٣) في (ب)، و(هـ): "ترى"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).

(٤) في جميع النسخ كُتِبَت: "الهيثمي"، بالثاء، والذي أثبته هو الصواب.

(٥) في (أ)، و(ج)، و(هـ): "قراته"، والمثبت من (ب)، و(د).

(٦) نهاية [ق١/ أ] من النسخة (أ).

(٧) انظر: المنح المكية بشرح الهمزية، لابن حجر الهيتمي (ص٢٥٨).

(٨) في (أ)، و(ج): "القرءان"، والمثبت من (ب)، و(د)، و(هـ).

(٩) في (د): زيادة: "في سورة الحج"، وهي مدرجه فوق قوله: "جميعه".

(١٠) "بعد ذلك"، ساقطة من (د)، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

(١١) "أن"، ساقطة من (ب)، و(هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).

(١٢) في (د): زيادة: "بعد ذلك".

(١٣) "في سورة الحج"، ساقطة من (د)، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

(١٤) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٤/ ٧٥).

(١٥) في جميع النسخ كُتِبَت: "المسئلة"، والصواب ما أثبته بناء على قواعد الإملاء المتعارف عليها في العصر الحديث.

فأقول -وبالله التوفيق-: قال الحافظ جلال الدين السيوطي -رحمه الله تعالى- في الدر المنثور: "وأخرج البزار[١]، والطبراني[٢]، وابن مردويه[٣][٤]، والضياء[٥] في المختارة[٦]، بسندٍ رجاله[٧] ثقات، من طريق سعيد بن[٨] جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: إنَّ رسول الله ﷺ قرأ[٩]: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ/[١٠][١١] ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٩-٢٠]، (تلك الغرانيق العلى، وإنَّ شفاعتهن/[١٢] لترتجى)، ففرح المشركون بذلك، وقالوا: قد ذكر آلهتنا. فجاءه[١٣] جبريل فقال: اقرأ[١٤] عليَّ[١٥] ما جئتك به. فقرأ[١٦]: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ[١٧] ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٩-٢٠]، (تلك الغرانيق العلى، وإنَّ/[١٨] شفاعتهن/[١٩] لترتجى[٢٠]).

---

(١) انظر: مسند البزار (١١/ ٢٩٦).

(٢) انظر: المعجم الكبير، للطبراني (١٢/ ٥٣).

(٣) في (أ)، و(د): "مردوية"، والمثبت من (ب)، و(ج)، و(هـ).

(٤) انظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، للزيلعي (٢/ ٣٩٤)، حيث نقله عن ابن مردويه، مسندا.

(٥) في (ب)، و(هـ): "والضيا". والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).

(٦) انظر: الأحاديث المختارة، للضياء المقدسي (١٠/ ٨٩).

(٧) في (ب)، و(هـ): "رجال"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).

(٨) في (د): "ابن"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

(٩) في (ب)، و(د): "قراء"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(هـ).

(١٠) نهاية [ق١/ أ] من النسخة (د).

(١١) في (أ): "ومنواة"، وفي (ب)، و(ج)، و(د)، و(هـ): "ومنات".

(١٢) نهاية [ق١/ أ] من النسخة (ج).

(١٣) في (ب): "فجاء"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د)، و(هـ).

(١٤) في (د)، و(هـ): "اقراء"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج).

(١٥) "علي"، ساقطة من (هـ)، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(د).

(١٦) في (ب)، و(د)، و(هـ): "فقراء"، والمثبت من (أ)، و(ج).

(١٧) في (أ): "ومنواة"، وفي (ب)، و(ج)، و(د)، و(هـ): "ومنات".

(١٨) نهاية [ق١/ أ] من النسخة (ب).

(١٩) نهاية [ق١/ ب] من النسخة (هـ).

(٢٠) "لترتجى"، ساقطة من (أ)، والمثبت من (ب)، و(ج)، و(د)، و(هـ).

فقال[١]: ما أتيتك بهذا، هذا من الشيطان. فأنزل الله تعالى[٢]: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ[٣] وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى[٤] ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ[٥]﴾ [الحج:٥٢]، الآيات[٦]". [٧] انتهى. وهذه الرواية -الصحيحة- صريحة في أنه ﷺ قرأ[٨] تلك الكلمات ونطق بها، أولا: عند الإلقاء، وثانيا: عند طلب جبريل منه القراءة[٩] عليه، وهو دليل على أنَّ معنى ما صح عن سعيد بن[١٠] جبير -من قوله في الحديث-: "فألقى الشيطان على لسانه: (تلك الغرانيق العلى)".[١١] الخ". ومثله عن ابن عباس[١٢]، وأبي العالية[١٣]، وقتادة[١٤]، وعكرمة[١٥]،

---

(١) في (أ)، و(ج): "قال"، والمثبت من (ب)، و(د)، و(هـ).

(٢) "تعالى"، ساقطة من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(د)، والمثبت من (هـ).

(٣) في (ب)، و(هـ): "وما أرسلنا من رسول"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).

(٤) "ألقى"، ساقطة من (أ)، و(ج)، والمثبت من (ب)، و(د)، و(هـ).

(٥) "الشيطان في أمنيته"، ساقطة من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ)، والمثبت من (د).

(٦) "الآيات"، ساقطة من (ب)، و(د)، و(هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج).

(٧) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (٦/ ٦٥)، وهذا اللفظ الذي ذكره المؤلف هو لفظ ابن مردويه، من طريق عثمان بن الأسود، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، به. والأثر ضعفه الألباني في نصب المجانيق (ص١٢).

(٨) في (د): "قراء"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

(٩) في (ب)، و(هـ): "القراة"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).

(١٠) في (ب)، و(هـ): "ابن"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).

(١١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/ ١٧٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره [كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٩)]، والواحدي في أسباب النزول (ص٣١٠)، وصحح إسناده: ابن حجر في الفتح (٨/ ٤٣٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٥)، وفي لباب النقول (ص٢٠١)، والألباني في نصب المجانيق (ص١٠)، و(ص٤٥).

(١٢) سبق تخريجه في الصفحة السابقة، وهذا اللفظ الذي ذكره المؤلف هو لفظ الطبراني.

(١٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/ ١٧٦)، قال ابن حجر في الفتح (٨/ ٤٣٩): "مرسل، رجاله على شرط الصحيحين". وصحح إسناده السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٨)، ووافقهما الألباني، في نصب المجانيق (ص٢١)، و(ص٤٥).

(١٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٠)، ومن طريقه: ابن جرير في تفسيره (٩/ ١٧٨)، وصححه الألباني في نصب المجانيق (ص٢٣)، و(ص٤٥).

(١٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٩)، وعزاه لعبد بن حميد.

والسدي[١]. ومعنى ما رُويَ عن مجاهد: "فألقى الشيطان في فيه تلك الكلمات".[٢] الخ، هو أنَّ[٣] الناطق بها رسول الله ﷺ، عن إلقاء الشيطان المُلَبَّس عليه بإلقاء الملك، ابتلاء من الله الحكيم؛ للحكم المذكورة في الآيات بعدها، لا الشيطان محاكيا نغمته في حالة نُعاس[٤]، كما ارتضاه الشيخ[٥] ابن حجر[٦]، كما توضحه[٧] الرواية السابقة، من أنَّ جبريل لما قال له: "اقرأ[٨] عليَّ ما جئتك به"؛ فقرأ[٩]، حتى أتى على تلك الكلمات، بناء على أنه من إلقائه، فقال: "ما أتيتك بهذا، هذا من الشيطان"،

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٩)، وعزاه لابن أبي حاتم في تفسيره.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٩)، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) "أن"، ساقطة من (أ)، والمثبت من (ب)، و(ج)، و(د)، و(هـ).

(٤) "في حالة نعاس"، ساقطة من (أ)، و(ج)، والمثبت من (ب)، و(د)، و(هـ).

(٥) "الشيخ"، ساقطة من (أ)، و(ج)، و(د)، والمثبت من (ب)، و(هـ).

(٦) قال ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٤٤٠): "وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر، وهو قوله: ألقى الشيطان على لسانه: (تلك الغرانيق العلى، وإنَّ شفاعتهن لترتجى)؛ فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره؛ لأنه يستحيل عليه ﷺ أنْ يزيد في القرآن عمدا ما ليس منه، وكذا سهوا، إذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد؛ لمكان عصمته، وقد سلك العلماء في ذلك مسالك...". ثم ذكر هذه المسالك إلى أنْ قال: "وقيل: كان النبي ﷺ يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات، محاكيا نغمته، بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها، قال: وهذا أحسن الوجوه". وما ذهب إليه المؤلفُ -من أنَّ ابن حجر ارتضى هذا القول- غير صحيح؛ لأن ابن حجر لم يُرجح أياً من هذه الأقوال، والقول الأخير ختمه بقوله: "قال: وهذا أحسن الوجوه"، فقوله: "قال"، يوحي بأنَّ القائل "وهذا من أحسن الوجوه"، هو القاضي عياض؛ لأن ابن حجر ينقل المسالك عنه، والقاضي عياض قد اعتمد فعلا هذا المسلك، حيث قال في الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٣٠): "والذي يظهر ويترجح في تأويله -عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه- أنَّ النبي ﷺ كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا، ويفصل الآي تفصيلا، في قراءته، كما رواه الثقات عنه، فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات، ودسِّه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات، محاكيا نغمة النبي ﷺ، بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار، فظنوها من قول النبي ﷺ وأشاعوها". وانظر: الأحاديث المشكلة، لأحمد القصير (ص٦٩٤).

(٧) في (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ): "يوضحه"، والمثبت من (د).

(٨) في (د): "اقراء"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

(٩) في (د)، و(هـ): "فقراء"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج).

الخ.[١] فإنَّ الناطق بها لو كان الشيطان محاكيا في حالة نعاس، لم يكن النبي ﷺ[٢] يقرؤها[٣] حين طلب منه جبريل[٤] القراءة[٥] عليه[٦]؛ لأنه لم يطلب إلا قراءة[٧] ما جاءه[٨] به، وأنه لم يأتِ بها قطعا، والغرض أنه لم يتكلم بها النبي ﷺ[٩]/[١٠] عن إلقاء الشيطان، وإنما الناطق بها[١١] /[١٢] الشيطان، في حالة[١٣] نعاس، محاكيا. فبأي وجه يقرؤها[١٤] على جبريل[١٥] حين طلبه منه، هذا مما لا وجه له، كما هو واضح جدا عند الإنصاف، وإذا علمتَ صحة النقل -بأنَّ الناطق بتلك الكلمات رسول الله ﷺ، عن إلقاء الشيطان الـمُلَبِّس بإلقاء الملك، بتمكين الله تعالى[١٦] ابتلاء- ظهر أنَّ ردَّ البيضاوي، رَحِمَهُ اللَّهُ[١٧]، على هذا الوجه -بعد أنْ ساق الرواية[١٨]

---

(١) "الخ"، ساقطة من (أ)، و(ج)، والمثبت من (ب)، و(د)، و(هـ).

(٢) "ﷺ"، ساقطة من (د)، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

(٣) في (د): "يقراءها"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

(٤) في (ب)، و(د)، و(هـ): "جبريل منه"، والمثبت من (أ)، و(ج).

(٥) في (ب)، و(هـ): "القراة"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).

(٦) "عليه"، ساقطة من (ب)، و(هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).

(٧) في (د)، و(هـ): "قرأة"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج).

(٨) في (ب)، و(ج)، و(هـ): "جاء"، والمثبت من (أ)، و(د).

(٩) "ﷺ"، ساقطة من (د)، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

(١٠) نهاية [ق١/ ب] من النسخة (أ).

(١١) في (أ)، و(ج): "به"، والمثبت من (ب)، و(د)، و(هـ).

(١٢) نهاية [ق١/ ب] من النسخة (د).

(١٣) "حالة"، ساقطة من (أ)، والمثبت من (ب)، و(ج)، و(د)، و(هـ).

(١٤) في (د): "يقراءها"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

(١٥) "على جبريل"، مكررة في (أ).

(١٦) في (أ)، و(ج): "بتمكين الله العزيز الحكيم"، والمثبت من (ب)، و(د)، و(هـ).

(١٧) "رَحِمَهُ اللَّهُ"، ساقطة من (ب)، و(د)، و(هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج).

(١٨) "بعد أنْ ساق الرواية"، ساقطة من (ب)، و(هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).

بقوله: "وهو مردودٌ عند المحققين".[١]- مردود. وقوله[٢]: "وإن صح؛ فابتلاء يتميز به الثابت على الإيمان، من[٣] المتزلزل/[٤] فيه".[٥] هو الصحيح، الذي يشهد له النقل الصحيح. ويستفاد من بقية الكلام/[٦]، من قوله تعالى:﴿لِّيَجۡعَلَ﴾ [الحج:٥٣]، إلى آخر[٧] الآيات الثلاث/[٨]، حتى إنَّ البيضاوي قال -في قوله تعالى: ﴿لِّيَجۡعَلَ﴾ [الحج:٥٣]، إلى آخره[٩]-: "علة لتمكين الشيطان منه".[١٠] وقال في الكشاف: "وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء، زاد المنافقون به شكا وظلمة، والمؤمنون نورا وإيقانا، والله سبحانه له أنْ يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن، وأنواع الفتن".[١١] انتهى.[١٢] فإن قلت:[١٣] النقل المذكور مُعارِض لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ[١٤]﴾ [النجم:٣-٤]، ولقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ﴾[الحاقة:٤٤]، الآية، ولقوله[١٥] تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ﴾[١٦][الإسراء:٧٤]، الآية. قلت: لا مُعارضة[١٧] عند

(١) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٤/ ٧٥).
(٢) في (ب)، و(هـ): "قوله"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).
(٣) في (أ)، و(ج)، و(د)، و(هـ): "عن"، والمثبت من (ب).
(٤) نهاية [ق١/ ب] من النسخة (ج).
(٥) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٤/ ٧٥).
(٦) نهاية [ق١/ ب] من النسخة (ب).
(٧) في (د): "إلخ"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).
(٨) نهاية [ق٢/ أ] من النسخة (هـ).
(٩) في (ب)، و(د)، و(هـ): "إلخ"، والمثبت من (أ)، و(ج).
(١٠) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٤/ ٧٦).
(١١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ١٦٥).
(١٢) "انتهى"، ساقطة من (ج)، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(د)، و(هـ).
(١٣) قوله: "انتهى فإن قلت"، بياض في النسخة (أ)، والمثبت من (ب)، و(ج)، و(د)، و(هـ).
(١٤) في (هـ): "نوحي"، وفي (أ)، و(ب)، و(ج)، و(د): "يوحى".
(١٥) في (أ): "وقوله"، والمثبت من (ب)، و(ج)، و(د)، و(هـ).
(١٦) "إليهم"، ساقطة من (أ)، و(ب)، و(د)، و(هـ)، والمثبت من (ج).
(١٧) في (ب)، و(هـ): "معارض"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).

الإمعان؛ لأنَّ النقل المذكور، وما في معناه من الأحاديث، وإن دلَّ[(١)] على أنه ﷺ نطق بتلك[(٢)] الكلمات، لكنها كالآية دالة على أنه ﷺ إنما نطق بها عن إلقاء الشيطان الـمُلَبَّس[(٣)] بإلقاء الملك، بتمكين الله تعالى[(٤)] ابتلاء، وكلما كان النطق بها تابعا[(٥)] للإلقاء، لم يكن ذلك نطقا عن الهوى، ولا تقولا على الله، ولا ركونا إليهم شيئا قليلا/ [(٦)]؛ لأن شيئا من ذلك لا يتأتى إلا إذا كان النطق عن اختيار منه ابتداء، من غير تابعيَّة للإلقاء الـمُلَبَّس عليه، واللازم باطل؛ لدلالة صريح الآية على أنَّ الشيطان ألقى[(٧)] في الأمنية، ودلالة الروايات المتعاضدة المفسِّرة للآية، على أنَّ النطق بها[(٨)] كان عن تبعية لذلك[(٩)] الإلقاء[(١٠)]، لا عن اختيار منه ابتداء[(١١)]، فكذا الملزوم، فلا نطق عن الهوى، ولا تقول على الله، ولا ركون إليهم شيئا قليلا، حاشاه من ذلك ﷺ [(١٢)]. ثم نقول[(١٣)]: فُسِّرَ: (تمنى): بمعناه المشهور، وبمعنى/ [(١٤)]: قرأ،[(١٥)] وكذلك[(١٦)] (الأمنية)، فُسِّرَت بمعناها المشهور، وبالقراءة[(١٧)]. قال

(١) في (ب)، و(ج)، و(د)، و(هـ): "دلت"، والمثبت من (أ).
(٢) في (هـ): "تلك"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(د).
(٣) في (ب)، و(هـ): "المتلبس"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).
(٤) "تعالى"، ساقطة من (أ)، و(ج)، والمثبت من (ب)، و(د)، و(هـ).
(٥) في (ب)، و(د)، و(هـ): "تبعا"، والمثبت من (أ)، و(ج).
(٦) نهاية [ق٢/ أ] من النسخة (د).
(٧) في (ب)، و(هـ): "ألقا"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).
(٨) "بها"، ساقطة من (ب)، و(د)، و(هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج).
(٩) "لذلك"، ساقطة من (ب)، و(هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).
(١٠) في (ب): "للإلقاء"، وفي (هـ): "للإلقا"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).
(١١) "ابتداء"، ساقطة من (أ)، و(ج)، والمثبت من (ب)، و(د)، و(هـ).
(١٢) "ﷺ"، ساقطة من (أ)، و(ج)، والمثبت من (ب)، و(د)، و(هـ).
(١٣) في (هـ): "يقول"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(د).
(١٤) نهاية [ق٢/ أ] من النسخة (أ).
(١٥) في (د): "قراء"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).
(١٦) في (د): "ولذلك"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).
(١٧) في (ب)، و(هـ): "وبالقراة"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).

ابن عباس: "أمنيته أنْ يُسْلِم قومه"[١].[٢] وقال الحكيم الترمذي: "أمنية[٣] الرسول خطرات".[٤] وهذا لا ينافي قول ابن عباس، بل يُجامعه؛ لأن أمنيته أنْ يُسْلِم[٥] قومه نوع[٦] من الخطرات، ثم بعض الروايات تدل[٧] على أنَّ الإلقاء كان في حالة/[٨] نُعاس[٩]، وبعضها على أنه صلى الله عليه/[١٠] وسلم سهى، ويمكن الجمع/[١١] بأنْ يكون السهو عبارة عن الخطرات؛ التي هي أمنيته[١٢] أنْ يُسْلِم قومه، وأنْ يكون ذلك في حالة نُعاس، فبرزت تلك[١٣] الكلمات في قراءته[١٤]، أي[١٥]: على لسانه ﷺ، تبعا للإلقاء الـمُلَبَّس، والله أعلم.

قال الحافظ[١٦] السيوطي-في الدر المنثور-: "أخرج عبد بن حميد، وابن الأنباري -في المصاحف- عن عمرو بن دينار، قال: كان ابن[١٧] عباس يقرأ[١٨]:

---

(١) في (هـ): "قوته"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(د).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٥)، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) في (أ): "أمنيته"، والمثبت من (ب)، و(ج)، و (د)، و(هـ).

(٤) في المطبوع من كتاب ختم الأنبياء، للترمذي (ص٣٥٥): "فأمنية النفس خطرات".

(٥) في (د): "تسلم"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

(٦) "نوع"، ساقطة من (د)، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

(٧) في (أ)، و(ج)، و(د): "يدل"، والمثبت من (ب)، و(هـ).

(٨) نهاية [ق٢/ ب] من النسخة (هـ).

(٩) في (د): "النعاس"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

(١٠) نهاية [ق٢/ أ] من النسخة (ج).

(١١) نهاية [ق٢/ أ] من النسخة (ب).

(١٢) في (أ): "أمنية"، والمثبت من (ب)، و(ج)، و(د)، و(هـ).

(١٣) "تلك"، ساقطة من (ب)، و(د)، و(هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج).

(١٤) في (أ)، و(ب)، و(هـ): "قراته"، والمثبت من (ج)، و(د).

(١٥) "أي"، ساقطة من (ج)، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(د)، و(هـ).

(١٦) "قال الحافظ"، بياض في النسخة (ب).

(١٧) في (ب)، و(هـ): "بن"، والمثبت من (أ)، و(د)، وغير واضحة في (ج).

(١٨) في (د): "يقراء"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ﴾ [الحج:٥٢]، ولا مُحَدَّث".(١) وأسند(٢) البخاري -في صحيحه- عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدَّثون، وإنه إنْ(٣) كان في أمتي هذه منهم/(٤) فإنه عمر بن الخطاب(٥)**».(٦) قال الخطابي: "والمُحَدَّث -بفتح المهملة المشددة(٧)- **هو: المُلهم، يُلقى الشيء في روعه**".(٨)(٩) قال الحافظ(١٠) السيوطي -في رسالة أحاديث القطب والأبدال من فتاويه الحديثية(١١)-: "عن أبي طاهر(١٢) المُخلِّص، من طريق سيف بن عمر، عن محمد، وطلحة، وسهل(١٣)، قالوا(١٤): كتب عمر إلى أبي عبيدة:

---

(١) انظر: الدر المنثور، للسيوطي (٦/ ٦٥)، والأثر أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٢/ ٤٨٠)، وسفيان بن عيينة في أواخر جامعه، ومن طريقه: عبد بن حميد [كما في فتح الباري لابن حجر (٧/ ٥١)، وتغليق التعليق، له (٤/ ٦٥)]، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤/ ٣٤١)، وابن أبي داود في المصاحف (ص١٩٣)، وصحح إسناده ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٥١)، وتغليق التعليق (٤/ ٦٥).

(٢) في (ب)، و(هـ): "أوسند"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).

(٣) "إن"، ساقطة من (هـ)، ومطموسة في (د)، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج).

(٤) نهاية [ق٢/ ب] من النسخة (د).

(٥) في (ب)، و(هـ): زيادة: "رضي الله عنه".

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٤).

(٧) في (أ)، و(ج): "والمشددة"، والمثبت من (ب)، و(د)، و(هـ).

(٨) في (ب)، و(هـ): "والمحدث -بفتح المهملة المشددة- قال الخطابي: هو الملهم، يُلقى الشيء في روعه"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).

(٩) انظر: أعلام الحديث، للخطابي (٣/ ١٥٧١)، وقال ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٥٠): "المُحَدَّث: هو الرجل الصادق الظن، وهو من أُلقي في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى، فيكون كالذي حدثه غيره به. وقيل: من يجري الصواب على لسانه من غير قصد".

(١٠) "قال الحافظ"، بياض في النسخة (ب).

(١١) "من فتاويه الحديثية"، ساقطة من (ب)، و(د)، و(هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج).

(١٢) في (ب)، و(هـ): "ظاهر"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).

(١٣) في جميع النسخ: "عن محمد بن طلحة، وسهل"، والصواب ما أثبته، حيث ورد في كتاب: الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد، للسيوطي (ص٤): "عن محمد، وطلحة، وسهل"، وهو كذلك في كتاب الحاوي للفتاوي، للسيوطي (٢/ ٢٩٢)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر (١/ ٢٩٥)، والذي نقل عنه السيوطي.

(١٤) في جميع النسخ: "قال"، وهو كذلك في كتاب: الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد، للسيوطي=

إذا أنت فرغت من دمشق -إنْ شاء[١] الله تعالى[٢]- فاصرف أهل العراق إلى العراق، فإنه قد[٣] أُلقي في روعي أنكم ستفتحونها".[٤] الأثر بطوله. وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي، قُدِّسَ سِرُّه -في كتاب ختم الأولياء[٥][٦] له-: «الفرق بين النبوة والولاية: أنَّ النبوة كلام ينفصل من الله وحيا، ومعه روح من الله، فينقضي[٧] الوحي، ويختمه بالروح فيه[٨]، والولاية لمن ولى[٩] الله حديثه، على طريق الخزائن[١٠]، فأوصل إلى قلبه الحديث[١١]، وينفصل ذلك الحديث[١٢]

=(ص٤)، والمثبت من تاريخ دمشق، لابن عساكر (١/ ٢٩٥)، وهو الذي يقتضيه السياق.

(١) في (د): "إنشاء"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

(٢) "تعالى"، ساقطة من (أ)، و(ج)، و(د)، والمثبت من (ب)، و(هـ).

(٣) "قد"، ساقطة من (ب)، و(د)، و(هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج).

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٢٩٥)، وإسناده ضعيف؛ من أجل سيف بن عمر، فإنه ضعيف في الحديث؛ كما في التقريب، لابن حجر (ص٢٦٢). والأثر أورده السيوطي في كتاب: الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال (ص٤)، والحاوي للفتاوي (٢/ ٢٩٢)، وعزاه لابن عساكر في تاريخه.

(٥) في (أ)، و(د)، و(هـ): "الأوليا"، والمثبت من (ب)، و(ج).

(٦) انتقد ابنُ تيمية الحكيمَ الترمذي في كتابه هذا، خاصة كلامه المتعلق بالولاية، فقال في مجموع الفتاوى (٢/ ٢٢٢): "وهو (يريد الحكيم الترمذي) رحمه الله تعالى -وإن كان فيه فضل ومعرفة، وله من الكلام الحسن المقبول والحقائق النافعة أشياء محمودة- ففي كلامه من الخطأ ما يجب رده، ومن أشنعها ما ذكره في كتاب (ختم الولاية)". وانظر أيضا: مجموع الفتاوى (١١/ ٣٦٣)، ونقل الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٤١): أنَّ أهل ترمذ أخرجوا الحكيم الترمذي من بلدهم، وشهدوا عليه بالكفر، وذلك بسبب تصنيفه كتاب (ختم الولاية)، وكتاب (علل الشريعة)، وقالوا: إنه يقول: إنَّ للأولياء خاتما كالأنبياء لهم خاتم، وأنه يُفَضِّلُ الولاية على النبوة. قلت: وما نقله الذهبي من تكفير أهل ترمذ للحكيم الترمذي أمر لا يوافقون عليه، بل هو منكر، ولا يسوغ لهم هذا، وما أجمل كلام ابن تيمية فيه، حيث أنصفه فانتقده ولم يكفره.

(٧) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٤٦): "فيقضى".

(٨) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٤٦): "ويختم بالروح؛ فبه قبوله".

(٩) في (أ)، و(هـ): "ولي"، والمثبت من (ب)، و(ج)، و(د)، وهو كذلك في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٤٦).

(١٠) في جميع النسخ مكتوب: "الخزائن"، وفي المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٤٦): "أخرى".

(١١) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٤٦): "فأوصله إليه، فله الحديث".

(١٢) في (أ)، و(ج): "بحديث"، والمثبت من (ب)، و(د)، و(هـ)، وهو كذلك في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٤٦).

من الله على لسان الحق معه السكينة، فتلقيه السكينة في قلب المحدَّث[١]، فيقبله ويسكن[٢] إليه".[٣] إلى[٤] أنْ قال: "كما أنَّ النبوة من الله، كذلك[٥] الحديث من الله، على جهة ما ذكرت لك، وكما أنَّ النبوة محروسة بالوحي والروح، فكذلك الحديث محروس بالحق والسكينة، فالنبوة يأتي بها الوحي، والروح قرينه[٦]، والحديث يأتي به الحق/[٧]، والسكينة قرينه[٨]/[٩]. وإنما سُميت سكينة[١٠]؛ لأنها تُسكِن القلب عن الريب والحرارة[١١]، إذا ورد الحق بالحديث عن الله، فكذلك/[١٢] الروح، يعمل عملها على القلب[١٣]، إذا ورد الوحي/[١٤] عن الله تعالى[١٥]. فإنْ قيل[١٦]: فليس للعدو مع هذا سبيل؟[١٧] قلنا: سبيله كسبيله في

(١) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٤٦): "تتلقاه السكينة، التي في قلب المحدث".

(٢) في (هـ): "ويسكنه"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(د)، وهو كذلك في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٤٦).

(٣) انظر: ختم الأولياء (ص٣٤٦).

(٤) "إلى"، ساقطة من (أ)، والمثبت من (ب)، و(ج)، و(د)، و(هـ).

(٥) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٤٩): "فكذلك".

(٦) في (ب)، و(د): "قرينة"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(هـ).

(٧) نهاية [ق٢/ ب] من النسخة (أ).

(٨) في (ب)، و(د): "قرينة"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(هـ).

(٩) نهاية [ق٣/ أ] من النسخة (هـ).

(١٠) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٤٩): "وإنما سميت السكينة سكينة".

(١١) في (أ)، و(ب)، و(هـ): "والحزازه"، وفي (ج): "والخرازة"، والمثبت من (د)، وهو كذلك في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥٠).

(١٢) نهاية [ق٢/ ب] من النسخة (ب).

(١٣) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥٠): "وكذلك الروح يعمل عمله في القلب".

(١٤) نهاية [ق٢/ ب] من النسخة (ج).

(١٥) "تعالى"، ساقطة من (أ)، و(ج)، و(د)، والمثبت من (ب)، و(هـ).

(١٦) "فإن قيل"، بياض في النسخة (ب).

(١٧) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥٠): "قال له قائل: أفليس للعدو مع هذا سبيل؟".

الوحي[١]، أليس قد ابتُلي[٢] الرسول بذلك؟ فهل ترك الله ذلك الأمر في لبس؟ أليس قد نسخ الله ما ألقى الشيطان/[٣]، وأحكم آياته؟ وإنما كان ذلك مرة واحدة، وقال[٤] الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج:٥٢]، فكان ابن عباس يقرؤها[٥]: "ولا محدَّث". يُخبر أنَّ ذلك كان مما يُتلى ثم تُرِك؛ حدثنا[٦] بذلك الجارود، حدثنا[٧] سفيان بن عيينة، عن عمرو[٨] بن دينار، عن ابن عباس، رضي الله عنهم"[٩].[١٠] إلى أنْ قال: "فإنما وجد العدو سبيلا حتى[١١] أدرج وسوسته في الوحي، بأمنية[١٢] النفس،[١٣] فأمنية الرسول خطرات، فإذا ابتُلي بخطرة واحدة، وجد العدو سبيلا[١٤] بتلك الواحدة؛ لأن الخطرة إذا التفت صاحبها إليها فقد فتق[١٥]

(١) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥٠): "قال: سبيله ههنا، كسبيله في الوحي".

(٢) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥٠): "ابتلى".

(٣) نهاية [ق٣/ أ] من النسخة (د).

(٤) في (د): "قال"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

(٥) في (ب)، و(هـ): "يقرأها"، وفي (د): "يقراءها"، والمثبت من (أ)، و(ج).

(٦) "حدثنا"، بياض في النسخة (ب).

(٧) في (د): "ثنا"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ)، وفي المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥١): "وحدثنا"، والصواب المثبت في المخطوط.

(٨) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥١): "عمر"، والصواب المثبت في المخطوط.

(٩) "رضي الله عنهم"، ساقطة من (ب)، و(د)، و(هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج).

(١٠) انظر: ختم الأولياء (ص٣٥٠-٣٥١).

(١١) في (ب)، و(هـ): "حين"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د)، وهو كذلك في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥٤).

(١٢) في (ب)، و(هـ): "بأمنيته"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).

(١٣) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥٤): "وإنما وجد العدو سبيلاً إلى قلبه، حتى أدرج وسوسة في الوحي، بأمنية النفس".

(١٤) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥٥): "وجد العدو سبيلاً إلى قلبه".

(١٥) في (ب)، و(هـ): "فتدقيق"، وفي (ج): "فتق"، دون قوله: "فقد"، والمثبت من (أ)، و(د)، وهو كذلك في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥٥).

الباب[١] المرتَّق[٢]، فرمى العدو كلمة[٣] في ذلك الفتق[٤]، فمرَّت الكلمة، وصار الباب رتقا كما كان، وجرت الكلمة، مندرجة في كلام الله، في غطاء[٥] الأمنية، مخفية مستورة عن القلب، حتى إذا[٦] انتبه القلب لما نُبه،[٧] وأخذه من الهول[٨] والفزع ما لا يحاط به وصفا، عزّاه[٩] الله بعظم المصيبة التي حلت به من أجل ذلك، فقال[١٠]: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾[الحج:٥٢]، حلَّ به هذا، فلستَ بأول من ابتُلي بهذا، فإنما نبه لما حدث لينسخ الله عن لسانه كلمة الشيطان، ويحكم الله[١١] آياته،[١٢] فهل كان هذا إلا مرة واحدة؟ أليس قد قَبِلَ ما جاء[١٣] من الوحي بعد ذلك؟[١٤] وهل اتهم نفسه وقلبه بعد ذلك؛[١٥] فقال[١٦]: إنه قد تبين لي

(١) "الباب"، ساقطة من (د)، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

(٢) الرَّتْقُ: إلحام الفتق وإصلاحه. انظر: العين، للخليل بن أحمد (٥/ ١٢٦).

(٣) "كلمة"، ساقطة من (ب)، و(د)، و(هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج).

(٤) في (هـ): "وفي ذلك الفتق"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(د).

(٥) في (هـ): "عطاء"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(د).

(٦) "إذا"، ساقطة من (ج)، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(د)، و(هـ).

(٧) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥٥): "لما فيه".

(٨) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥٥): "الذهول".

(٩) في (هـ): "عزّه"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(د).

(١٠) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥٥): "عزاه الله بعظم المصيبة، التي حلت به، من أجل ذلك قال تعالى".

(١١) "الله"، ساقطة من (أ)، و(ج)، و(د)، والمثبت من (ب)، و(هـ).

(١٢) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥٥): "وإنما نبه الله عز وجل بما جرى، لينسخ عن لسانه كلمة الشيطان ويحكم آياته".

(١٣) في (أ)، و(هـ): "جا"، والمثبت من (ب)، و(ج)، و(د).

(١٤) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥٥): "أفليس قد قبل النبي عليه الصلاة والسلام من الوحي ما جاء بعد ذلك؟".

(١٥) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥٥): "فيما كان بعد ذلك".

(١٦) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥٥): "بل قال".

من أمري ما تبين؟ فكيف لي بأنْ لا أصدق[١] ما يَرِدُ على قلبي بعد هذا؟ فهل وقع في ريب مما جاء[٢] من الوحي، من[٣] بعد ذلك؟[٤] فأين عمل الروح على قلبه حتى يصير الوحي مقبولا؟ فكذلك/ [٥] المحدَّث إنْ حل به مثل ذلك/ [٦]، لم يتركه الله وذلك حتى يتداركه، وحتى ينسخ عن قلبه ما اندرج في حديثه عن رمي الشيطان،[٧] ثم يطمئن بعد ذلك إلى ما[٨] يرد من الحديث،[٩] فأين[١٠] عمل السكينة؟ وأين حراسة/ [١١] الحق وأداؤه عن الله/ [١٢]؟ فشأن المحدَّث أعظم من أنَّ يُستَخفَّ/ [١٣] بحديثه". [١٤] انتهى كلامه، قُدِّسَ سِرُّه.

والمقصود أنَّ نطق رسول الله ﷺ بتلك الكلمات -عن إلقاء الشيطان المُلَبَّس بإلقاء الملك- ابتلاء[١٥] من الله تعالى، لا ينافي عصمته[١٦]، ولا يُعارض الآيات

(١) في (ب)، و(هـ): "بأنْ ألا صدق"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).
(٢) في (ب)، و(د)، و(هـ): زيادة: "به"، بعد قوله: "جاء".
(٣) "من"، ساقطة من (د)، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).
(٤) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥٦): "فهل وقع في ريب مما جاء به الوحي بعد ذلك".
(٥) نهاية [ق٣/ ب] من النسخة (د).
(٦) نهاية [ق٣/ ب] من النسخة (هـ).
(٧) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥٦): "لم يتركه الله حتى يتداركه فينسخ عن قلبه ما اندرج في حديثه، عن رمي الشيطان".
(٨) "ما"، ساقطة من (أ)، والمثبت من (ب)، و(ج)، و(د)، و(هـ).
(٩) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥٦): "حتى يطمأن بعد ذلك، إلى ما يرد بعد ذلك من الحديث".
(١٠) في المطبوع من كتاب ختم الأولياء (ص٣٥٦): "وإلا فأين".
(١١) نهاية [ق٣/ أ] من النسخة (أ).
(١٢) نهاية [ق٣/ أ] من النسخة (ب).
(١٣) نهاية [ق٣/ أ] من النسخة (ج).
(١٤) انظر: ختم الأولياء (ص٣٥٤-٣٥٦).
(١٥) في (هـ): "ابتلا"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(د).
(١٦) في (هـ): "عصمة"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(د).

المذكورة، ولا يلزم منه تخليط الوحي بالوسوسة؛ لأن الله سبحانه[١] ينسخ ما يلقي الشيطان عن لسانه، ثم يحكم الله آياته، فلا يقع في ريب في شيء من الوحي، هو، ولا الذين أوتوا العلم، ولا الذين آمنوا، كما سيتضح، وإنما[٢] لم[٣] يقدح ذلك في علو مقامه وعصمته؛ لأنه لم يصدر منه إلا اتباع الإلقاء، وذلك هو اللائق[٤] بمنصب النبوة، غير أنَّ الله تعالى[٥] ابتلاه باختفاء الإلقاء[٦] الشيطاني في غطاء الأمنية، للحكم المذكورة في قوله تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الحج:٥٣]، إلى آخر الآيات الثلاث، وقد تبين أنَّ ذلك لا يقدح في عصمته، ولا ينافي علو مقامه، ﷺ، إذ[٧] لم يكن النطق عن اختيار ابتداء[٨]، بل عن تبعية إلقاء مُلَبسٍ ابتلاء[٩]، والله أعلم، وبالله التوفيق.

وإذا تقرر هذا، ظهر أنَّ تفسير الإلقاء[١٠] -بمحاكاة[١١] الشيطان نغمة رسول الله ﷺ [١٢]، وإلقائه تلك الكلمات في أسماع الحاضرين- تفسير بخلاف الواقع، فإن كانوا إنما ارتكبوا هذا، مع كونه معارضا/ [١٣] للرواية الصحيحة، الدالة على أنَّ

(١) "سبحانه"، ساقطة من (ب)، و(د)، و(هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج).
(٢) "وإنما"، ساقطة من (د)، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).
(٣) في (د): "ولم"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).
(٤) في (ب)، و(هـ): "واللائق"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).
(٥) "تعالى"، ساقطة من (ب)، و(د)، و(هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج).
(٦) في (هـ): "الإلقا"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(د).
(٧) في (د): "إذا"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).
(٨) في (أ)، و(ب)، و(هـ): "ابتدا"، والمثبت من (ج)، و(د).
(٩) في (ب)، و(هـ): "ابتلا"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).
(١٠) في (هـ): "الإلقا"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(د).
(١١) في (هـ): "بمحاكات"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(د).
(١٢) "ﷺ"، ساقطة من (ب)، و(هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).
(١٣) نهاية [ق٤/ أ] من النسخة (د).

الناطق بها رسول الله ﷺ -كما مر- تنزيها لمقام النبوة عن مثل هذا، ظنا منهم أنه ينافي العصمة، فقد علمت أنَّ التنزيه حاصل على القول بمقتضى الرواية الصحيحة، وأنَّ نطق النبي ﷺ[١] بتلك الكلمات، تبعا للإلقاء المُلَبَّس ابتلاء، لا يقدح في عصمته، ولا يعارض آيات العصمة، فلا حاجة إلى ما ارتكبوه، لما ذكرناه[٢]، لا لما[٣] ذكره البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]؛ "من أنه يُخل/[٥] بالوثوق على القرآن[٦]"؛[٧] لأنه مندفع بقوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الحج:٥٢].

قوله: "ولا يندفع به؛ لأنه أيضا يحتمله".[٨] قلنا: إنْ أردتم أنه يحتمله عند الفِرَق الأربع/[٩]، المذكورة في الآيتين بعدها، فهو ممنوع؛ لدلالة الآية الآتية[١٠] على انتفاء الاحتمال، عند فريقين/[١١] من الفِرَق الأربع، المذكورة بعد النسخ والإحكام، وإن أردتم أنه يحتمله/[١٢] في الجملة، أي: عند بعض دون بعض، فهو مُسَلَّم، وغير مُضر، لعدم إخلاله بالوثوق على القرآن[١٣]، عند الذين أوتوا العلم، والذين آمنوا، وأما[١٤] إخلاله بالنسبة إلى الذين في قلوبهم مرض، والقاسية قلوبهم، فهو مراد؛

---

(١) "ﷺ"، ساقطة من (ب)، و(هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).

(٢) "لما ذكرناه"، ساقطة من (د)، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

(٣) في (د): "إلى"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

(٤) "رَحِمَهُ اللَّهُ"، ساقطة من (ب)، و(د)، و(هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج).

(٥) نهاية [ق٤/ أ] من النسخة (هـ).

(٦) في (أ)، و(ج): "القرءان"، والمثبت من (ب)، و(د)، و(هـ).

(٧) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٤/ ٧٥).

(٨) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٤/ ٧٥).

(٩) نهاية [ق٣/ ب] من النسخة (ب).

(١٠) "الآتية"، ساقطة من (د)، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

(١١) نهاية [ق٣/ ب] من النسخة (ج).

(١٢) نهاية [ق٣/ ب] من النسخة (أ).

(١٣) في (ج): "القرءان"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(د)، و(هـ).

(١٤) في (د): "وإنما"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

لأن هذا ابتلاء[(١)] أريد به هذا التقسيم، وما أراده الله لابد من وقوعه، والله سبحانه وتعالى ما نفى الريب والاحتمال، بعد النسخ والإحكام، إلا عن الذين أوتوا العلم، والذين آمنوا، وأما الذين في قلوبهم مرض، والقاسية قلوبهم، فأراد الله أنْ يجعل ما يلقي الشيطان فتنة لهم، فيكونوا[(٢)] كما وصفهم[(٣)] الله تعالى[(٤)] بقوله: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [الحج:٥٥]، الآية. وإنما لا يزالون في مرية؛ لعدم التمييز[(٥)] عندهم؛ لأن التمييز[(٦)] لا يحصل إلا بالعلم، أو بالإيمان، ولا شيء منهما عند الذين في قلوبهم مرض، والقاسية/ [(٧)] قلوبهم، وإنما لم يكن نسخ[(٨)] ما يلقي الشيطان، ثم إحكام الله[(٩)] الآيات، مورثا[(١٠)] للاحتمال والمرية[(١١)]، عند الذين أوتوا العلم، والذين آمنوا؛ لأن الذين أوتوا العلم يميزون بمقتضى العلم بين الغي والرشد، فيعلمون أنه -أي: ما أُحْكِم بعد نسخ[(١٢)] ما يلقيه الشيطان- هو الحق من ربه، لا ما نسخه من كلام الشيطان، الموهم لمدح الآلهة، عند ذوي المرض القلبي والقسوة[(١٣)]، فيؤمنوا به، فتخبت له[(١٤)] قلوبهم، وأما الذين آمنوا، وإن لم يكن لهم

(١) في (ب)، و(هـ): "ابتلا"، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).
(٢) في (ب)، و(هـ): "فيكونون"، وفي (د): مطموسة لا يمكن قراءتها، والمثبت من (أ)، و(ج).
(٣) في (ب)، و(هـ): "وصفه"، وفي (د): مطموسة لا يمكن قراءتها، والمثبت من (أ)، و(ج).
(٤) "تعالى"، ساقطة من (ب)، و(هـ)، وفي (د): مطموسة لا يمكن قراءتها، والمثبت من (أ)، و(ج).
(٥) في (أ)، و(ج)، و(د): "التميز"، والمثبت من (ب)، و(هـ).
(٦) في (أ)، و(ج): "التميز"، وفي (د): مطموسة لا يمكن قراءتها، والمثبت من (ب)، و(هـ).
(٧) نهاية [ق٤/ ب] من النسخة (د).
(٨) في (ب)، و(د)، و(هـ): "وإنما كان نسخ"، والمثبت من (أ)، و(ج).
(٩) "الله"، ساقطة من (ب)، و(هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج)، و(د).
(١٠) في (ب)، و(د)، و(هـ): "مزيلا"، والمثبت من (أ)، و(ج).
(١١) "والمرية"، ساقطة من (ب)، و(د)، و(هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج).
(١٢) "نسخ"، ساقطة من (د)، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).
(١٣) "الموهم لمدح الآلهة، عند ذوي المرض القلبي والقسوة"، ساقطة من (ب)، و(د)، و(هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج).
(١٤) "له"، ساقطة من (أ)، والمثبت من (ب)، و(ج)، و(د)، و(هـ).

هذا التمييز[١] العلمي، لكن لهم التصديق الناشئ من النور، المقذوف في القلب، المُعَبَّر عنه بشرح الصدر، في التنزيل الكاشف عن صدق رسول الله ﷺ/[٢]، ومطابقة أقواله للواقع، بأنَّ النبي ﷺ صادق في كل ما يأتي به من النفي والإثبات، والنسخ والإحكام، وإن لم يعلموا[٣] دليلا على ذلك، وكلما كان كذلك لم يبق عندهم احتمال أيضا، إذ الأمر كما قال الله[٤] تعالى:﴿وَإِنَّ[٥] ٱللَّهَ لَهَادِ[٦] ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٥٤]، بصدق النبي/[٧] ﷺ[٨]، في كل ما يأتي ويذر، المحتوي على قوله[٩] عن[١٠] جبريل: أنَّ تلك الكلمات ليست مما جاءه بها، وإنما هي من الشيطان، وقد نسخها/[١١] الله تعالى[١٢] إلى صراط مستقيم، هو التمييز[١٣] بين الغي والرشد، والشرك والتوحيد، فإن مقتضى الإيمان/[١٤]، أنْ يمشي صاحبه إذا مشى[١٥] متبوعه الذي آمن به، وأنْ يقف إذا وقف، وأنْ يرجع إذا رجع، والله أعلم، وبالله التوفيق.[١٦]

---

(١) في (أ)، و(ج): "التميز"، والمثبت من (ب)، و(د)، و(هـ).

(٢) نهاية [ق٤/ ب] من النسخة (هـ).

(٣) في (ب)، و(د)، و(هـ): زيادة: "لهم".

(٤) "الله"، ساقطة من (أ)، و(ج)، والمثبت من (ب)، و(د)، و(هـ).

(٥) في (أ)، و(ب)، و(هـ): "إن"، وفي (ج)، و(د): "وإن".

(٦) في (ب)، و(ج)، و(د)، و(هـ): "لهادي"، وفي (أ): "لهاد".

(٧) نهاية [ق٤/ أ] من النسخة (ج).

(٨) "ﷺ"، ساقطة من (أ)، و(ب)، و(هـ)، والمثبت من (ج)، و(د).

(٩) في (ب)، و(د)، و(هـ): "قول"، والمثبت من (أ)، و(ج).

(١٠) "عن"، ساقطة من (د)، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

(١١) نهاية [ق٤/ أ] من النسخة (ب).

(١٢) "تعالى"، ساقطة من (ب)، و(د)، و(هـ)، والمثبت من (أ)، و(ج).

(١٣) في (أ)، و(ج)، و(د): "التميز"، والمثبت من (ب)، و(هـ).

(١٤) نهاية [ق٤/ أ] من النسخة (أ).

(١٥) في (د): "مشا"، والمثبت من (أ)، و(ب)، و(ج)، و(هـ).

(١٦) إلى هنا نهاية المخطوط.

الخاتـمـة

الحمد لله الذي منَّ عليَّ بإتمام دراسة وتحقيق هذه الرسالة، وقد خرجت بحمد الله تعالى بجملة من النتائج، وهي:

١- مؤلف هذه الرسالة هو: إبراهيم بن حسن الكوراني، وتم التحقق من ذلك: من الرسالة ذاتها؛ حيث كُتِب اسم المؤلف في بعض نسخ المخطوط، ومن خلال بعض كتب التراجم التي ترجمت للمؤلف، حيث أشارت إلى رسالته هذه.

٢- للمؤلف مكانة علمية كبيرة، حيث أثنى عليه كل من ترجم له، وله مؤلفات كثيرة تربو على المائة.

٣- ذهب المؤلف في رسالته هذه إلى إثبات أصل قصة الغرانيق، ويرى أنَّ الشيطان ألقى على لسان رسول الله ﷺ: (تلك الغرانيق العلى، وإنَّ شفاعتهن لترتجى)، وأنَّ النبي ﷺ نطق بها حقيقة، عن إلقاء الشيطان الـمُلَبَّس بإلقاء الملك.

٤- هذا الذي ذهب إليه المؤلف لا يوافق عليه، فأثر ابن عباس، رضي الله عنهما -الذي اعتمده في إثبات أصل القصة- لا يصح، كما أنَّ في إثبات القصة قدحا في عصمة النبي ﷺ.

٥- اقتصر المؤلف على الدر المنثور للسيوطي في نقله للآثار الواردة في القصة.

٦- لم يكن المؤلف على دراية بعلم الحديث، حيث سَلَّمَ للروايات الواردة في القصة، دون دراسة منه وتحقيق في أصل ثبوتها.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

١-**القرآن الكريم**.

٢-**الأحاديث المختارة، للمقدسي**، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، الناشر: دار خضر، ١٤٢٠هـ.

٣-**الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم**، لأحمد القصير، الناشر: دار ابن الجوزي، ١٤٣٠هـ.

٤-**أسباب نزول القرآن**، للواحدي، تحقيق: عصام الحميدان، الناشر: دار الإصلاح، ١٤١٢هـ.

٥-**أعلام الحديث**، للخطابي، تحقيق: محمد بن سعد آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ.

٦-**إعمال الفكر والروايات**، لإبراهيم الكوراني، تحقيق: أحمد رجب أبو سالم، الناشر: دار الكتب العلمية، الأولى.

٧-**الأمم لإيقاظ الهمم**، لإبراهيم الكوراني، طُبع بمجلس دائرة المعارف النظامية، بحيدر أباد الدكن، في الهند، سنة ١٣٢٨هـ.

٨-**أنوار التنزيل**، للبيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

٩-**إيضاح المكنون**، للبغدادي، عناية: محمد شرف الدين بالتقايا، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

١٠-**البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، للشوكاني، الناشر: دار المعرفة.

١١-**تاريخ دمشق**، لابن عساكر، تحقيق: عمرو العمروي، الناشر: دار الفكر، ١٤١٥هـ.

١٢-**تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، للجبرتي، الناشر: دار الجيل.

١٣-**تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف**، للزيلعي، تحقيق: عبد الله السعد، الناشر: دار ابن خزيمة، ١٤١٤هـ.

١٤-**تغليق التعليق**، لابن حجر، تحقيق: سعيد القزقي، الناشر: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ.

١٥-**تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، الناشر: دار ابن الجوزي، ١٤١٨هـ.

١٦-**تفسير عبد الرزاق**، تحقيق: مصطفى مسلم، الناشر: مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ.
١٧-**تقريب التهذيب**، لابن حجر، تحقيق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد، ١٤٠٦هـ.
١٨-**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لابن جرير الطبري، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ.
١٩-**الحاوي للفتاوي**، للسيوطي، الناشر: دار الفكر، ١٤٢٤هـ.
٢٠-**الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد**، للسيوطي، تحقيق: عبد الله الغماري، الناشر: مكتبة القاهرة، ١٤٣٤هـ.
٢١-**ختم الأنبياء**، للترمذي، تحقيق: عثمان يحيى، الناشر: المطبعة الكاثوليكية، في لبنان.
٢٢-**خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، للحموي، الناشر: دار صادر.
٢٣-**الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، للسيوطي، الناشر: دار الفكر.
٢٤-**دلائل التحقيق لإبطال قصة الغرانيق**، لعلي الحلبي، الناشر: مكتبة الصحابة، ١٤١٢هـ.
٢٥-**الرحلة العياشية**، للعياشي، تحقيق: سعيد الفاضلي، الناشر: دار السويدي، ٢٠٠٦م.
٢٦-**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، للألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
٢٧-**سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، للمرادي، الناشر: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٨هـ.
٢٨-**سير أعلام النبلاء**، للذهبي، إشراف: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.
٢٩-**شرح مشكل الآثار**، للطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ.
٣٠-**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، للقاضي عياض، الناشر: دار الفكر، ١٤٠٩هـ.
٣١-**صحيح البخاري**، الطبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١هـ.
٣٢-**الطريقة النقشبندية وأعلامها**، لمحمد درنيقة، الناشر: جروس برس.
٣٣-**العين**، للخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٣٤- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لابن حجر، الناشر: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.
٣٥- **الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة الزاوية الحمزية العياشية بإقليم الرشيدية**، إشراف وتنسيق: حميد لحمر، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في المغرب.
٣٦- **فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية**، وضعه: ياسين السواس، الناشر: مجمع اللغة العربية، في دمشق، ١٤٠٣هـ.
٣٧- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، للزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.
٣٨- **لباب النقول في أسباب النزول**، للسيوطي، الناشر: دار إحياء العلوم، بيروت.
٣٩- **اللباب في تهذيب الأنساب**، لابن الأثير، الناشر: دار صادر.
٤٠- **مجموع الفتاوى**، لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.
٤١- **مسند إسحاق بن راهويه**، لابن راهويه، الناشر: دار التأصيل، ١٤٣٧هـ.
٤٢- **مسند البزار**، للبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن، الناشر: مكتبة العلوم والحكم.
٤٣- **المصاحف**، لابن أبي داود، تحقيق: محمد بن عبده، الناشر: الفاروق الحديثة، ١٤٢٣هـ.
٤٤- **معجم البلدان**، للحموي، الناشر: دار صادر، ١٩٩٥م.
٤٥- **المعجم الكبير**، للطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية.
٤٦- **منح العلي في شرح كتاب الأخضري**، لمحمد الشنقيطي، تحقيق: أباه العبد، الناشر: محمد محفوظ، ١٤٢٦هـ.
٤٧- **المنح المكية بشرح الهمزية**، لابن حجر الهيتمي، الناشر: دار المنهاج، ١٤٢٦هـ.
٤٨- **مؤلفات الشيخ إبراهيم الكردي الكوراني**، لعبد القادر بن أبي بكر، جامعة الملك سعود (الرياض سابقا)، قسم المخطوطات، برقم (٣٨٨١-ق٨٣٧/ ٥).
٤٩- **نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، ١٤١٧هـ.
٥٠- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي، الناشر: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	٥٢١
المقدمة	٥٢٢
القسم الأول: الدراسة	٥٢٦
المبحث الأول: ترجمة المؤلف	٥٢٦
المبحث الثاني: اسم الرسالة، وتوثيق نسبتها للمؤلف	٥٣١
المبحث الثالث: التعريف بالرسالة، وبيان محتوياتها، ومصادر المؤلف فيها، ومنهجه فيها	٥٣٢
المبحث الرابع: وصف النسخ الخطية للرسالة	٥٣٦
القسم الثاني: نص الرسالة المحقق	٥٥١
الخاتمة	٥٧٠
فهرس المصادر والمراجع	٥٧١
فهرس الموضوعات	٥٧٤

ثالثاً:

الملخصات
باللغة الإنجليزية

Selections of Mohammed Ibn Issa Al-Asbahani Through (Alkamel book) for Al-Hudhali

Dr. Norah Bint Ali Al-Hilal

This research dealt with an important aspect of the Qur'anic recitations issues that many of the workers were reluctant to do, namely: selections, as the perception of Qur'anic recitations is hardly complete in its instructions, the arbitrator that Isettled on except by addressing the issue of selection; where the choice was the work of the first readers, and the work of some narrators about them, and this extended in the ways of each of the known Qur'anic narratives.

The importance of this research comes in highlighting the opinion of Imam Muhammad bin Issa al-Asbahani in the readings he chose. The status of the two venerable imams: Al-Hudhali and Al-Asbahani.

The research aims to: highlight the efforts of the nation's scholars with Quranic recitations, knowledge, narration, and choice. and benefiting from the scholars' choices of Qur'anic recitations, studying these choices, directing them, and clarifying what should be done for them.

Results and recommendations: Al-Imam Al-Hudhali mentioned the choices of Imam Al-Asbahani - in Al-Kamel's book - which amounted thirty-five (35) places, thirty of them (30) in the section on orgins, and five of them (5) in the branches.

Key words: Al-Asbahani Al-Hudhali Choices - Al-Kamel.

Term of the Reciters at earlier and later

Dr. Faisal Ibn Jameel Qazawi

This study is concerned with clarifying the term reciters in terms of its definition and mentioning a number of prophet's sayings *(hadiths)* and effects

that included this term and what was mentioned by some scholars from the earlier and later in the statement of its meaning, which is clear from it that it is given different meanings, not one meaning.

Among the results of this study: that this term was used in the earlier time to refer to the scholars and religion and meant the scholars who were reciters and jurists, until its meaning changed and it became applied in the later ages to specialists in the Holy Qur'an for specialist , control, and recitation.

Key words: Reciters, definition, earlier, later.

The Names of Allah that Were Ascribed To and Began with Khayr *(The Best)* in the Glorious Qur'an Compilation and Interpretational Study

Naief Ibn Yousef Alutaiby

This research is from the researches in the field of the interpretation of the Glorious Qur'an and its sciences. The researcher has mentioned its importance therein, including: its combination between doctrinal study and interpretational study, including the highlight of the reasons that inform writing on this topic, including: contributing to serving the interpretational library with a study that serves the field and contributes to covering one of its areas.

The researcher followed the inductive and analytical method, following the names of Allah that were ascribed to and began with *khayr* (the best) in the Glorious Qur'an, and studying them in the interpretational way. The research consists the explanation of the meaning of the names of Allah that were ascribed, the virtue of the names of Allah, and it was divided along the names of Allah that were ascribed to and began with *khayr* (the best) as mentioned in the Glorious Qur'an, and they are: *khayr al-mākirīn* (the best of the planners), *khayr al-nāṣirīn* (the best of the helpers), *khayr al-rāziqīn* (the best of the providers), *khayr al-fāṣilīn* (the best of determiners), *khayr al-ḥākimīn* (the

best of judges), *khayr al-fātiḥīn* (the best of those who give decision), *khayr al-gāfirīn* (the best of the forgiver), *khayr al-wārithīn* (the best of the inheritors), *khayr al-munzilīn* (the best of the accommodator), *khayr al-rāḥimīn* (the best of the merciful). Then the research was concluded with the most significant findings, including: the correlation of these names with the meaning of the context of the verses they conclude.

And the most significant recommendations, including: compiling the other ascribed names in the Qur'ān, and studying them in the interpretational way.

Keywords: Names – Allah – ascribed – the best – the Qur'an – the Glorious.

The Call for Interpretation of the Noble Quran

A Fundamental Study

Dr. Mohammed Ibn Fahad Alharbi

In the Noble Qur'an there are countless insights into the da'wah approach, its subject, its approach, its methods and its means that the caller for and the called for cannot do without, and they appear through the presentation of the experiences and stories of the prophets and messengers, the advocacy rules and the general purposes of the Qur'an, and all of this requires extracting and a call directed, to reach the guidance in da'wah And achieving the clear message to the people so that the argument is established and excuses are cut off.

Hence the importance of studying this topic: (The Advocacy Interpretation of the Noble Qur'an: A Fundamental Study), as it establishes a legal and practical rooting for this science. and deal with it on a systematic and intentional basis, The researcher will address this important topic, marrying the same interpreter and the preacher's sense.

The research aims to root the interpretation from the point of view of the da'wah, by clarifying the concept of the advocacy interpretation, its origin and

development, its sources, principles, wisdom, and controls, with a focus on the practical side so that theorization and application are consistent. The researcher followed the historical and analytical method with rooting.

The research concluded results, including: The advocacy interpretation looks at the words, purposes and rulings of the Qur'an, and extracts gifts and advocacy connotations. Among the recommendations of the research: that the Noble Qur'an has drawn the path of advocacy in terms of method, means and methods. In the Meccian Qur'an there are great advocacy models, freedom to study at the level of method, means and subjects.

The necessity of studying the Madanian surahs to clarify the advocacy legislation that is related to morals and to develop a sense of control in the Qur'anic contexts.

Keywords: interpretation - the call - the Qur'anic surah - rooting.

Holy Quran Miraculousness

in the Preliminaries of Interpretation Books

Dr. Hamdan Ibn Humaid Alsulami

The science of the Qur'anic miracles is one of the oldest sciences, as its authorship began at the beginning of the third century AH. By studying the preliminaries of interpretation books, we find the emergence of this science. My methodology in the research was that I divided it into an introduction and two sections. The first topic was introductions to the miraculousness of Qur'an, in which the concept of miraculousness and a historical overview of it, the forms of the miraculousness and then the stages of gradual miraculousness and challenge with it. I concluded the topic with the importance of the introductions to interpretations books with their definition, and the most important books of interpretation that contain inimitable nature of the Holy Qur'an.

As for the second topic, I mentioned the results obtained from extrapolating the preliminaries of interpretation books in terms of themes and topics of the inimitability of the Qur'an and commenting on them. I concluded the topic by balancing the topics of Holy Qur'an inimitability in the preliminaries of interpretation books.

My research method relied on extrapolation, balancing and analysis. One of the results of my research was that of those who wrote about Holy Qur'an interpretation of those who were interested in mentioning Holy Qur'an miraculousness in the preliminaries of their interpretations, and among them was Ibn Jarir al-Tabari. Their methods of dealing with Holy Qur'an miraculousness varied between independent and abundant.

It became clear to us that one of the most detailed commentators on Holy Qur'an miraculousness was Imam Al-Qurtubi and Ibn Ashour, and an independent master's thesis was written for them on Holy Qur'an miraculousness.

The researcher recommended that the concept of Holy Qur'an miraculousness and its aspects be relied on by the preliminaries of interpretation to clarify the identification of the scientific miraculousness in the Qur'an and that scientific research for master's and doctoral students should be devoted to it in the miraculousness of the stories of Holy Qur'an through the lives of prophets.

Keywords: Miraculousness - Inimitability- Books - Interpretation Preliminaries.

The Himsi Numeral

Inductive and Analyzed Study

Saleh Ibn Ahmad Alammari

Praise and thanks be to Allah lonely, then Peace and blessings are upon the messenger Mohammad the one after whom there is no prophet, as well his family and companions. The research article is entitled: "The Himsi numeral,

and it is related to the method of the scholars of Hims in the head of the verses in the Holy Qur'an."

In this study, the researcher collected and analyzed what scholars reported in their previous studies, then mentioned the definition of the science of enumeration verses of the Quran in general. Also, with the Himsi numeral in particular, and it was said to whom it was attributed, its chains of narrators were mentioned, as well as the books that included the Himsi numeral. Additionally, the study cited the opinion and positions of the scholars on it. The study also dealt with the verses that the people of Hims were unique to after him or left and the scholars' differences.

Finally, Ask Allah Almighty for success, guidance, and guidance, and all the praises and thanks be to Allah, the Lord of the worlds.

Keywords: The Himsi, Numeral, situation, unique.

Gracefulness of Proportionality in *(Al-Fatihah Surah)*

Dr. Maryam Bint Abdulhadi Alqahtani

The research is concerned with applying the approach of the science of proportionality in studying Surah Al-Fatihah, clarifying the aspects of relationships and proportionalities of all kinds in the Surah.

It is also concerned with clarifying the main purpose of the Surah in particular because there are many sayings of scholars about it, so it searched the reasons for this, then determined the main purpose of the surah, and showing the evidence for that saying, through textual analysis of the construction of speech within Surah Al-Fatihah and textual analysis of the construction of speech from outside Surah Al-Fatihah, that is in the rest of the Holy Quran, in order to clarify the difference between the general purposes of the entire Holy Quran and the main purpose of each Surah. The research states that the central purpose of Surah Al-Fatihah is the central purpose of the entire

Holy Quran, because it is the mother of the Quran. Thus each Surah has a central purpose that is specific to it, and is branched out from that main central purpose. Applying the approach of the science of proportionality that reveals the relationships of speech and the aspects of its arrangement helps the researcher to determine the purpose of the surah.

Keywords: Surah Al-Fatihah - The Science of Proportionality - General Purpose of the Surahs.

The verb: Think so *(haseb)* in The Holy Quran

Semantic study

Dr. Abdul-Aziz Ibn Omer Ammari

aims to answer for the verb (haseb) and derivatives; Did the Quran have one or more meanings? Did the Holy Koran use all the lexical meanings of the verb? On the role of the context in determining the exact meaning of the individual, the research also aims to understand the words of the Quran by reference to the main sources there in, to compare the interpretation of the Holy Qur'an with that of the linguistic dictionaries, and to apply some modern semantic study tools according to the Holy Quran, in an attempt to clarify the exact meaning of the word in the dear book, the research used the descriptive method of the books of the linguistic dictionary and interpretation of the Holy Quran and its science and investigates what was contained there in, and work on the analysis of selected models of the verses in which contained (haseb) and derivatives, the word is consistent with the meaning of Arabs in the dictionaries with uniqueness in the use of a verb (haseb) in the Quranic context, which highlights its exact meaning, and the majority of the meanings of (haseb) vocabulary to the Holy Quran consistent the basic meaning

mentioned by linguistic lexicons, and the context of the Holy Verses has a prominent role to play in precisely defining this meaning, and semantic research in the Holy Quran is one of the spacious fields to which researchers in language science and study the language of the Holy Quran should be a glorious model of the Arabic language.

Keywords: semantic study, think so, linguistic theories, the Holy Verses.

Evidence of lexicon meaning and its Effect in grammatical guiding *(Alsamin Alhalabi) selected models from Surah Al-Baqarah*

Dr. Ibrahim Ibn Husein Sunboa

This research aims to highlight the importance of the evidence of linguistic meaning and its role in guiding the purposes of formation. This importance lies in the fact that the grammarians and the Arabs of the Holy Qur'an have taken this presumption in directing some aspects of expression and have made it a supporting element for other grammatical features such as the expressive way, the grammatical rule, and the various forms of compositions that branch off from this rule.

Since this research is concerned with this presumption, I presented a theoretical side that shows the study of the presumption of lexical meaning by the ancient scholars, so I mentioned many of their opinions that gave this presumption space from the thinking of its owners. Hence, I presented important texts that highlight the role of this presumption in clarifying the meanings of the structures and then followed the theoretical side with an applied side represented by "selected models from Surah Al-Baqarah" from the book “Al-Durr Al-Mason fi Ulum Al-Kitab Al-Maknoun” by Al-Samin Al-Halabi (756 AH). Al-Samin was keen to employ this (presumption) in the diversity of the expressions.

He rarely mentioned a side without referring to one of them, which affected the connotation of the linguistic meaning, even if the Al-Samin did not take it sometimes; this requires the researcher to take care of a specific aspect and take it among the other syntactic aspects according to a descriptive-analytical approach, and to strengthen it with what was stated by the commentators, grammarians, and Scholars of the Qur'an, And what we stand on from the opinions of contemporary researchers made this opinion more likely, and the research concluded with results; Perhaps the most prominent of them is that the lexicon (the presumption of the linguistic meaning) in the construction of Arabic grammar and has its impact on understanding grammatical structures, so the Al-Samin reliance on it in some aspects of parsing was evidence of this importance.

The research recommended taking care of this presumption and expanding its application according to the view of grammarians and Scholars of the Noble Qur'an.

Keywords: parsing, lexicon, grammar, meaning, readings.

The Message: "al'lamaa alssania fi tahqiq al'ilqa' fi al'umnia" by Ibrahim bin Hassan, Al-Kurani Study and realization

Dr. Ahmad Ibn Abdul-Aziz Alqusair

Research topic: Study and realization of the message: "allama alssania fi tahqiq al'ilqa' fi al'umnia" by Ibrahim bin Hassan, Al-Kurani.

Its importance: In this thesis, the author mentioned the story of the grannies, which has a connection to the infallibility of the Prophet, may God bless him and grant him peace.

Objectives: This research aims to study and achieve this message. Research Methodology: Study of the author's life; In terms of: his name, lineage, lineage,

birth, upbringing, travels, old people, students, writings, and death. study of the message; In terms of: verifying its name, documenting its attribution to the author, clarifying its contents, the author's sources and methodology in it, describing its written copies, and verifying its text for a scientific investigation.

The most important results: The author went to prove the origin of the story of the Granaiq, relying on the impact of Ibn Abbas, may God be pleased with them, narrated in the story, and what the author did not agree with; The effect of Ibn Abbas is not valid, and the proof of the story is an insult to the infallibility of the Prophet, may God bless him and grant him peace.

Keywords: Interpretation, Algraniq, the infallibility of the prophets.

ABSTRACTS OF THE ARABIC PAPERS

Al-Imam Al-Shatibi Institute for Quranic Studies – Journal

- **It** is a refereed scientific periodical Journal that aims at publishing the researches and the scientific works concerning Holy Quran and its sciences. It is published twice a year at the Quranic Studies and Information centre.

The Vision:

The Journal ought to be pioneer in publishing the referred researches and the Quranic Studies and also must be classified among the International Databases in the field of publishing the referred Scientific researches (ISI).

The Message :

Publishing the referred Scientific researches in the field of Holy Quranic studies and the Scientific works according to the International Standards of publishing.

The Objectives :

1- Enriching the Scientific research related to the Holy Quran and its sciences by publishing the researches and the studies according to Scientific Research Conditions.
2- To revive and renew the valuable traditional texts related to Holy Quran sciences.
3- Making a specialized Scientific vessel which can be a reference for the researchers in the field of the Quranic Studies and the works related to Holy Quran.

Fields of Publishment :

1- The researches and the Scientific Studies related to Holy Quran and its sciences, that applied to the regulations of publishing in the journal.
2- The study and the authentication of heritage manuscripts related to Quranic Studies which have scientific values.
3- The indexes and the specialized indexes in the field of the Holy Quranic studies.
4- Reviewing and presenting of the new books that related to the Quranic studies.
5- Reports of the conferences and the Scientific Forums concerning the Quranic studies.

Regulations of Publishing in the Journal:

The Journal receives with pleasure publishing the researches and the scientific studies related to Holy Quran and its sciences with the following regulations:

1- The research must not be a part of a scientific work (Master's degree or PHD).
2- The research must not be published before or accepted to be published after being sent to the Journal for publishing.
3- The research should be modern, authentic and correct in its method.
4- The research must not contain linguistic mistakes and publishing errors, with care of punctuation marks.
5- The pages of the research must not be more than(40) pages, size (A4), consisting of the Arabic and the English summaries.
6- The research must contain the following : the summary, the introduction, the body of the research, the conclusion, the indexes of the references and topics.
7- The introduction of the research should contain the following: the topic, its importance, objectives, previous studies (if found),method, plan, and procedures.
8- The researcher must enclose to his research two summaries (Arabic/English) containing topic of the research, objectives, method, and the important results and recommend – ation, written in short statements in compact paragraphs not more than (250) words.
9- The researcher must supplement each summary (Arabic/English) keys words which explain the topic and its important issues, shouldn't be more than (6) words.
10- The researcher must supplement a short (CV) containing: his name, scientific degree, place of work, more important scientific works and his E-mail.
11- The research must be sent through E-mail of the Journal, printed according to (WORD XP), "Traditional Arabic" script, size (17) for the text and (13) for the margins.

12- Margins of each page are to be put below, with a special numbering.

13- Consolidation in the lower margin as follow title of the book, name of the author, the part/ the page number. Example : Al-Itqan Fi auloom Al-quran, by Al-Syouti (3184/). The Quranic Verses has to be referred to in the text only, between two brackets with the name of the Surah following by two dots: then the number of the verse. Example: [Younos:87].

14- List of the resources and the references are to be put at the end of the research in alphabeti- cal order according to the title. The title should be written in black script.

Example: If the reference was a book, the following should be written: Title of the book, name of the author, name of the investigator (if found), then the publishing house, number of the edition, the year of publishing.

If the reference was a thesis which was not published the following should be written: Title of the thesis, name of the researcher, the scientific degree, (Master/PHD) name of college, name of the university, then the year.

If the reference was an article or a research in a periodical Journal the following should be written: topic of the article, name of the writer or the researcher, name of the Journal, issue house, name of the volume, number of the issue, the year of the issue, number of pages of the article, or the research.

If some information of the reference aren't available, these abbreviations can be used:

(P.P)= without Place of Publishing.

(P.N)= without Publisher name.

(I.N)= without number of issue.

(P.D)= without Publishing date.

15- The research must be concluded by a brief conclusion containing the important results and the recommendations the researcher had attained.

16- The Editorial Board has the right to check the research and then tells the researcher the result of its checking.

17- In case of accepting the research it will be put forward those who are specialized in the field of the research for giving their opinions in the research.

- The researcher doesn't have the right to change his mind in publishing his research in the Journal and if he did, he has to pay not less than (1000) SR.
- The researcher must be informed by the decision of accepting or refusing his research within (4) weeks.
- In case of refusing the research, the Journal informs the researcher without mentioning the reasons.
- If there are any comments in the research, these comments are sent to the researcher to make the suitable changes. These changes must be returned to the Journal within one month.
- In case of accepting the research for publishing, all the rights of publishing return to the Journal and it isn't permissible to be published in any publishing form.
- In case of publishing the research, the researcher will be given (10) copies of his research and one issue that contains his research.
- The Journal is under no obligation to return the researches if published or not.
- The researcher will not be received cash reward, except in case of requesting writing from Journal.
- The Journal has the rights of publishing the research in its website or on any other means.
- The researcher can publish his research again in any field of publishing after being published in the Journal after (6) months, and he must refer to it in the Journal.
- The opinions contained in the published researches express only about the researchers point of view and don't express about the opinion of the Journal.

Al – Imam Al – Shatibi Institute

• The Vision:

Institutional Discrimination in developing Holy Quran Learning.

• The Message:

Academic Institute that cares for qualifying those who teach Holy Quran, develop its ways by modern technology and strategic partnership.

•The Strategic Objectives :

1- Qualifying those who are specialized in the field of teaching the Holy Quran in both academic and skillfuly.

2- Preparing the Studies and the researches to develop learning of the Holy Quran.

3- Compiling the specialized curriculums for developing learning of the Holy Quran.

4- Using the technology and its application in learning The Holy Quran.

5- Making strategic partnerships with groups and individuals.

6- Setting up a distinguished mental image about the institute.

7- Achieving high rates of the performance and discrimination in institutional work.

8- Achieving the steady finance in the projects and programs of the institute.

•The Institute Departments:

1- Department of Learning and Recitation:

Specialized department in the learning affairs consisting of the academic programs such as: Diplomas, qualifying programs and different programs of recitation.

This department offers its programs in different ways such as: Formal Education, Distance Learning and Recitation in the mosques. It also offers its programs through the Internet to thousands of users, in more than (60) countries round the world.

2- The Training Centre :

The centre concerns about offering training programs to individuals and establishments in the field of developing learning the Holy Quran and qualifying those who teach the Holy Quran administratively, Educationally and skillfuly through different training programs.

3- The Quranic Studies and Information Centre :

A specialized research centre in the studies and theoretical and practical researches which contribute in developing learning the Holy Quran and its sciences.

4- The Digital Applications Department:

This department concerns about developing and creating the digital products in the field of learning the Holy Quran particularly in the products of the Institute and its inside and outside activities.

5- The Institutional communication Depart -ment:

This department concerns about the affairs related to public relations and the media and making relations and the educational training and invest-ments partnership with different establishment and the individuals.

6- Department of Steady Finance:

This department concerns about developing the financial resources of the institute and investing its sources and its different products. It also builds up new endowment and developing steady resources-help in continuing the Institute programs.

7- Department of Administrative and Financial Affairs:

This department deals with following and achieving the tasks related to the administrative affairs, human resources and the assistant services to different departments of the Institute.

8- The Female Department:

It concerns about the planning and supervision of the projects and the educational programs in this department which consist of the Diplomas programs, the recitation and training.....

Consultative Staff

Prof. Ibrahim bin Saeed Al-Dousari.
Imam Mohammad bin Saud Islamic University (KSA).
Prof. Ibrahim bin Suleiman Al-Hwaimel .
Imam Mohammad bin Saud Islamic University (KSA).
Prof. Ahmad Eesa Almaasarawi.
Islamic Researches Complex (Egypt).
Prof. Ahmad Khaled Shukri.
University of Jordan (Jordan).
Prof. Hekmat bin Bashir Yaseen .
King Abdul-Aziz University (KSA).
Prof. Alshahed Alboushekhi.
Foundation For Scientific Researches (Morocco)
Prof. Abdulrahman bin maaḍh Al-Shihri
King Saud University (KSA).
Prof. Abdulhadi Hamito.
Prof. of higher education (Morocco).
Prof. Ali bin Ibrahim Alzahrani.
Islamic University (KSA).
Prof. Ali bin Abdullah Al-sayyah
King Saud University (KSA).
Prof. Omar Hamdan
University of Tübingen (Germany)
Prof. Ali bin Suleiman Al-Obeid.
Vice president, of Prophet Mosque Affairs (KSA).
Prof. Ghanem Qadoure Al-Hamad .
Tikrit University (Iraq).
Prof. Fahd bin Abdulrahman Alromi.
King Saud University (KSA).
Prof. Mohammad bin Saide Al-Ameen .
Islamic University (Madinah) (KSA).
Prof. Mohammad Mohammad Abu Musa.
Al-Azhar University (Egypt).

Journal of
Al-Imam Al-Shatibi Institute
For Quranic Studies

A scientific Journal concerns of Researches and Scientific works related to Holy Quran And Quran sciences

Published twice a year by:
The Quranic Studies and Information Centre
Al-Imam Al-Shatibi Institute

General Supervisor
Prof. Nooh bin Yahya Al-Shihri

Editor in Chief
Prof. Suleiman bin Ibrahim Al-Aaed

Editorial Staff
Prof: Salim bin Qurm- Allah Alzahrani
Umm Al-Qura University (KSA)
Prof. Mohammed bin Abdul-Aziz AlAwagi
Islamic University (KSA)
Prof. Musaed bin Suleiman Al-Tayyar
King Saud University (KSA)
Prof. Yasser bin Mohammed Babtain
Abdul-Aziz University (KSA)

Managing Director
Dr. Khalid bin Yousef Al-Wasel

Editing Secretary
Mohammed bin Ibrahim Al-Hamoudi

Journal of
Al-Imam Al-Shatibi Institute
For Quranic Studies

A scientific Journal concerns of Researches and Scientific works related to Holy Quran And Quran sciences

Published Twice a year

35th Issue :Jumada Π , 1444 AH , January 2023 AD

Eighteenth year

Topics of Issue

- Selections of *Mohammed Ibn Issa Al-Asbahani* Through *(Alkamel book)* for *Al-Hudhali.*
- Term of the Reciters at earlier and later.
- The Names of Allah that were Ascribed to and Began with Khayr *(The Best)* in the Glorious Qur'an: Compilation and Interpretational Study.
- The Call for Interpretation of the Noble Quran: A Fundamental Study.
- Holy Quran Miraculousness in the Preliminaries of Interpretation Books.
- The Himsi Numeral: Inductive and Analyzed Study.
- Gracefulness of Proportionality *in (Al-Fatihah Surah)* .
- The verb: Think so *(haseb)* in The Holy Quran: Semantic study.
- Evidence of lexicon meaning and its Effect in grammatical guiding *(Alsamin Alhalabi):* selected models from *Surah Al-Baqarah.*
- The Message: "al'lamaa alssania fi tahqiq al'ilqa' fi al'umnia" by Ibrahim bin Hassan, Al-Kurani: Study and realization.

35th Issue :Jumada Π , 1444 AH , January 2023 AD

Journal of Al-Imam Al-Shatibi Institute For Quranic Studies

A scientific Journal concerns of Researches and Scientific works related to Holy Quran And Quran sciences

Published Twice a year

Topics of Issue

- Selections of Mohammed Ibn Issa Al-Asbahani Through (Alkamel book) for Al-Hudhali.
- Term of the Reciters at earlier and later.
- The Names of Allah that were Ascribed to and Began with Khayr (The Best) in the Glorious Qur'an: Compilation and Interpretational Study.
- The Call for Interpretation of the Noble Quran: A Fundamental Study.
- Holy Quran Miraculousness in the Preliminaries of Interpretation Books.
- The Himsi Numeral: Inductive and Analyzed Study.
- Gracefulness of Proportionality in (Al-Fatihah Surah) .
- The verb: Think so (haseb) in The Holy Quran: Semantic study.
- Evidence of lexicon meaning and its Effect in grammatical guiding (Alsamin Alhalabi): selected models from Surah Al-Baqarah.
- The Message: "al'lamaa alssania fi tahqiq al'ilqa' fi al'umnia" by Ibrahim bin Hassan, Al-Kurani: Study and realization.

Published by :
The Quranic Studies and Information Centre Al-Imam Al-Shatibi Institute